

فلسطين..
التاريخ المصور

دراسة تاريخية متسلسلة منذ بدء
التاريخ وحتى أحداث الساعة بالصور

تـــألـــيـــف : د. طارق محمد السويدان

مـــديـر المشـــروع : أ. أحـــمـــد علي شـــربجي

تنفـيـذ ومـتـابعـة : جـاسم القـصـيـر

تدقـــيق تاريخي : أ. عـــيـسى القـدومي

مراجعة وتدقيق لغوي : أ. إيهـــاب الســيـد

: أ. مـــحـــمـــد حـــسين

: أ. فـــوزية الشـطي

تصـمـيم وإخـراج : أسـامـة أسـعـد الفارس

طـبـــاعـــة : مطابع المجموعة الدولية - الكويت

متوفر لدينا بأشرطة صوتية



هاتف: ٤٧٩١٣٢٣ - فاكس: ٤٧٣٠٠٥٥ - الرياض

الرقم المعياري الدولي (ردمـك) : 9960-9444-2-5

رقم الإيداع : 3699 / 1424

جميع الحقوق محفوظة للناشر

(يمنع النسخ أو التصوير أو النقل أو الاقتباس من هذا الكتاب إلا بإذن خطي من الناشر تحت طائلة الملاحقة القانونية)

الطبعة الرابعة

ذو القعدة ١٤٢٥هـ - يناير ٢٠٠٥م



هاتف: ٢٤٠٤٨٥٤ - ٢٤٠٤٨٨٣ - فاكس: ٢٤٠٤٨٥٢ - ص.ب ٢٨٥٨٩ الصفاة 13146 الكويت

e-mail: info@ebdaa.ws - www.suwaidan.com

للطلب، أو للتفاعل الحي مع موضوع الكتاب: www.qudsbook.com

إهداء

هذا الكتاب إهداء إلى...



إلى الذين تقطّرت دماؤهم على أرض الإسراء والمعراج..

إلى الخالدين من الشهداء الذين فدوا بأرواحهم أرضنا الحبيبة فلسطين..

إلى كل المناضلين والمقاومين الذين يعيدون كتابة التاريخ بأحرف من دماء..

إلى شبابنا وبناتنا جيل الغد المشرق، لنتعلم كيف تصنع الأمجاد..

لهم ولكم جميعاً مني هذا الكتاب

د. طارق محمد السويدان

شكر خاص

نتقدم بوافر الشكر الجزيل، والامتنان الكبير..

لكل من ساهم في دعم هذا المشروع، وإخراجه إلى حيز الوجود.

لكل من ساهم بوقت أو مال في سبيل تخفيض سعر الكتاب.

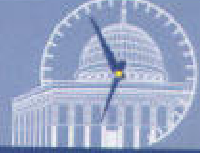
لكل من ساعد ويساعد في نشره وانتشاره خدمة لقضيتنا الكبرى.

الفهـــرس العـــام









مدخل وتقديم

بسم الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وهو المستعان في الحوادث والنائبات، وإليه وحده المشتكى في ضعف شوكة المسلمين، بعد أن صار أمرهم إلى سواهم، يتساوم الناس في مصيرهم، ويتقاسمون أحلامهم وأمنياتهم، فإليه وحده شكوانا..

والصلاة والسلام على رسول البشرية الأعظم، معلم الناس الخير، وهاديهم إلى صراط العزيز الحميد، الذي نطق بالوحي فجاءت كلماته ترسم واقعنا، وتحكي قصة ضعفنا وتهافت الأمم علينا، ولو اطلع على أمته اليوم لجأر إلى الله بالدعاء.. وناجى ربه بالليل والنهار أن يكشف غمتها، ويفرج كربتها، ويدفع الظلم عنها..

وبعد، فإني رأيت جهلاً عظيماً أحاط بالناس فيما يتعلق بتاريخ القدس والأقصى وأرض فلسطين المباركة، ورأيت قضية الأقصى أهم قضايا المسلمين الحالية، فكان من واجبي كما هو واجب جميع العاملين في حقل توعية المسلمين والشعوب العربية، أن يقدم ما يستطيع لخدمة هذه القضية، ويبذل ما استطاع من جهد وقدرة لنصرتها ونصرة الأقصى الأسير.. وإن كان هذا جهد المقلّ، وبقية الزاد، فإني أدعو الله أن يقبله، ويجعل فيه النفع والخير لكل المسلمين..

ولعل أهم ما يميز هذا الإصدار - وقد سبقته إصدارات كثيرة في تاريخ القدس - أنني اعتمدت فيه التسلسل التاريخي للأحداث وتعاقبها على مر السنين، وبدأت فيه من العهد القديم للأقصى وفلسطين، وقد وقعت على مراجع كثيرة في هذا المجال، حتى أنها أثارت دهشتي لكثرتها وتنوعها، فالحقيقة أن هذه القضية كُتب عنها الكثير، ولكنها كانت تفتقد إلى التسلسل المنطقي التاريخي للأحداث، فغالباً ما كانت كتب التاريخ تروي الأحداث رواية عشوائية غير منظمة، وتقفز بالأحداث من تاريخ لآخر بدون عناية تذكر، ولعلنا اليوم بحاجة إلى المنطقية والعناية المركزة لدراسة هذا التاريخ، وما يشكله من أهمية كبيرة في مواجهة دعاوى اليهود وغيرهم ممن يثبتون حقوقاً هنا وهناك لهم في أرض فلسطين، أو يشككون في انتماء هذه البقعة المباركة لقاطنيها من المسلمين وغيرهم.

وقد بدأت هذا البحث بعدة محاضرات ألقيتها على مدى سنتين متواصلتين، حتى وجدت الحاجة ملحة لإخراجها بشكل كتاب تعم الفائدة منه جميع الناس، ولأن الكتاب أوسع انتشاراً وأعمق أثراً وأكثر توثيقاً، واعتمدت في تأليف هذا الكتاب -كما أسلفت- المنهج المنطقي التاريخي لتسلسل الأحداث، وبدأته بمقدمة عن فضل الأرض المباركة والمسجد الأقصى تتميماً للفائدة وتوطئة للبحث.

وقد اشتمل هذا الكتاب على جزأين رئيسيين، هما التاريخ القديم للقدس وفلسطين، وفيه بحث تاريخي من



أول تاريخ معروف للقدس وحتى زمن دخول العثمانيين إلى جزيرة العرب، أما الجزء الثاني فهو التاريخ الحديث للقدس وفلسطين، وفيه بحث تاريخي في المرحلة التي تلت دخول العثمانيين إلى وقت إخراج هذا الكتاب.

وقد اعتمدنا فيه سرد الأمور المتعلقة بشكل أو بآخر بتطورات الأحداث على الأرض المقدسة، مع الإشارة أحياناً إلى بعض الجوانب التاريخية الأخرى لأهميتها في مضمار البحث، وتنبيهاً للقارئ لخطورتها ومدى تأثيرها في التاريخ والأحداث التالية.

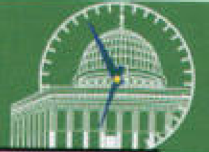
وقد كان قصدنا في تأليف هذا الكتاب إضافة إلى تأدية الأمانة التاريخية المناطة بنا، أن نشارك في تنمية الإحساس والشعور بأهمية هذه البقعة المباركة للمسلمين، وقياماً بدورنا في خدمة قضيتنا تجاه إخواننا في الأرض المغتصبة، وإيقاظاً للشعور العربي والإسلامي، وخصوصاً في هذه المحنة التي تمر بها هذه البلدة الطاهرة، مهبط الوحي، وأرض الأنبياء، وأولى القبلتين، وإنه لواجب على كل مسلم اليوم أن لا يدخر جهداً لنصرة هذه القضية بما استطاع من جهد أو مال أو وقت، أو دعم ومساندة، ويجب أن تكون هذه قضيتنا الأولى التي نناضل عنها، ونشحذ جهودنا وأقلامنا وكتاباتنا ومشاعرنا من أجلها، مقتدين بسيرة السلف الصالح، وتاريخ عظماء أمتنا البواسل من أمثال نور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم، وإن لنا في هذا التاريخ خير عبرة وعظة، وخير وسيلة لاستثارة الهمة، وتدفق الحماس من جديد إلى قلوب شباب هذه الأمة وكهولها.

أسأل الله العلي القدير أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله ذخراً في ميزان الحسنات يوم الوقوف بين يدي الخالق جل وعلا، كما أسأله تعالى أن ينفع به كل من قرأه أو اقتناه، وأن تتم به الفائدة المرجوة، والغاية التي من أجلها أخرجناه، والله تعالى الموفق إلى سواء السبيل.

المؤلف: د. طارق محمد السويدان

بتاريخ: ١٥ محرم ١٤٢٥ هـ

الموافق: ٦ مارس ٢٠٠٤ م



فضل الأرض المباركة



إن فضل البقعة التي وُجد فيها بيت المقدس ثابت تاريخياً، وفي نصوص القرآن والسنة الكثيرة، ولا شك أن هذا الفضل يعود لأحقاب ضاربة في القدم، ففي هذه البقعة نشأ ومات كثير من الأنبياء والرسل، وكانت مهبطاً لكثير من الرسالات والوحي، وبها جرت أعظم أحداث التاريخ القديم، ونورد فيما يلي أهم النصوص والدلالات المشيرة بوضوح إلى قداسة هذه الأرض وبركتها قديماً وحديثاً:



أولاً - القرآن الكريم:

فقد ورد في غير موضع في القرآن الكريم إشارات واضحة إلى أهمية الأرض المقدسة وبركتها، ومنها قوله تعالى:

١- ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. الإسراء (١). فقد نص القرآن الكريم على أن المسجد الأقصى مبارك، كما هي الأرض التي من حوله مباركة أيضاً.

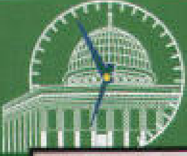


٢- وقال الله تعالى أيضاً على لسان موسى عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾. المائدة (٢١).

والأرض المقدسة هنا هي فلسطين وبيت المقدس، وقد سماها القرآن بالمقدسة، والقداسة تشمل التعظيم والبركة والاهتمام العظيم، وقيل هي المطهرة أيضاً، وقد جاءت هذه الآية حكاية عن قوم موسى إذ أمرهم نبيهم بدخول هذه الأرض لما فيها من البركة والخير عليهم، وقال لهم موسى عليه السلام: إنها الأرض التي وعدكم الله على لسان أبيكم إسرائيل، وإنها ميراث من آمن منكم، ثم أمرهم ألا يتخاذلوا عن الجهاد لدخولها، فاعتذروا قائلين: إن في هذه البلدة التي أمرتنا بدخولها وقتال أهلها قوماً جبارين ذوي أجسام ضخمة وقوى شديدة، وإنا لا نقدر على مقاومتهم ولا مصاولتهم، ولا يمكننا الدخول إليها ما داموا فيها، فإن يخرجوا منها دخلناها، وإلا فلا طاقة لنا بهم، وفي هذه القصة دلالة واضحة على أهمية هذه الأرض ومكانتها عند الله وعند البشر قديماً، وقد كانت تسمى أرض بيت المقدس قديماً "إيليا" ومعناها أرض الله.



٣- وكذلك جاء في موضع آخر آيات تتحدث عن هجرة إبراهيم عليه السلام من أرض الكلدانيين في العراق إلى الشام، حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾. الأنبياء (٧١).





وجاء في تفسير هذه الآية أن الله أنجى إبراهيم من نار قومه، وأخرجه من بين أظهرهم، مهاجراً إلى بلاد الشام وإلى الأرض المقدسة، وعن أبي بن كعب قال: هي الشام. وقال قتادة: كان بأرض العراق، فأنجاه الله إلى الشام، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، وبها يهلك المسيح الدجال.

وقد نص العلماء على أن الأرض الكريمة المباركة المقصودة هنا هي أرض الشام بأجمعها وخاصة فلسطين، وقد اختارها الله لهجرة خليله إبراهيم عليه السلام لما لها من بركة وفضل على سائر البقاع.



٤- وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾. الأنبياء (٨١).وأيضاً نص المفسرون على أن الأرض المباركة هي أرض الشام.

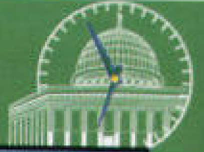
وقد اعتنى المؤرخون كثيراً بفهم حدود بلاد الشام، فتوسع بعضهم حتى جعلها من شمال سورية الأعلى حتى تخوم الجزيرة العربية وجعل منها العراق، وقد ضيق بعضهم فيها حتى حصرها على فلسطين وما حولها فقط، وأياً كانت الآراء في ذلك فإن القدس تقع ضمن بلاد الشام باتفاق جميع المؤرخين والعلماء، وبذلك وردت أكثر النصوص والروايات.

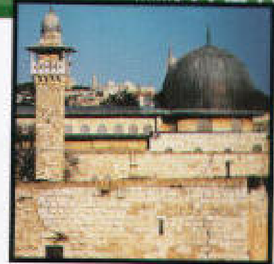


٥- إشارة القرآن الكريم إلى تحويل القبلة عن بيت المقدس في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾. البقرة (١٤٤). فالمسجد الأقصى كان قبلة المسلمين ثم تحولت القبلة بعد ذلك، وقد جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة، وحاصل الأمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أُمر باستقبال بيت المقدس، فكان بمكة يصلي بين الركنين، فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل بيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة، تعذر الجمع بينهما فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس. قاله ابن عباس والجمهور.



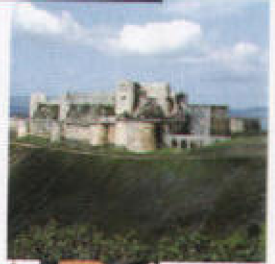
والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس كان بعد وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهراً، وكان يكثر الدعاء والابتهال إلى الله أن يوجهه إلى الكعبة التي هي قبلة إبراهيم عليه السلام، فاستجاب الله دعوته وأمره بالتوجه إلى البيت العتيق، فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وأعلمهم بذلك، وكان أول صلاة صلاها إلى القبلة الجديدة صلاة العصر كما ورد في الصحيحين، وذكر غير واحد من المفسرين أن تحويل القبلة نزل على رسول الله وقد صلى ركعتين من الظهر وذلك في مسجد بني سلمة: فسمي (مسجد القبلتين) وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من





اليوم الثاني كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُنْزِل عليه الليلة قرآن، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة".

٦- وكذلك فإن كثيراً من الآيات القرآنية قد وردت في تبيان فضل الأرض المباركة وما حولها، نورد منها على سبيل الذكر قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء (١). وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ الأنبياء (٨١). وقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾. المائدة (٢١).



وفي هذا القدر الكفاية، وقدر ورد ذكر الأرض المقدسة في كثير من الآيات والمواضع في القرآن العزيز، وإنه مما لا شك أن أمر التوجه بالصلاة إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة يوضح أن له المكانة العظمى والقداسة الكبيرة.



ثانياً - السنة المطهرة :

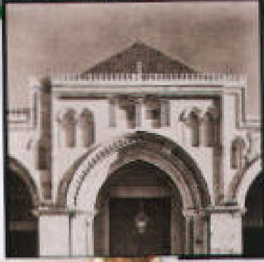
١- وقد وردت في السنة المطهرة إشارات كثيرة عن فضل الأرض المقدسة أظهرها وأوضحها قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" رواه الشيخان.



وفي مسألة شد الرحال إلى المساجد أجمعت الأمة على استحباب زيارة المسجد الأقصى لأجل العبادة المشروعة كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف والصوم هناك، وجاءت الأحاديث أن العبادة في المساجد الثلاثة تضاعف بحسب قدر كل مسجد فالصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة، والصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة، وهكذا جعله الله في المنزلة الثالثة بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي، وضاعف فيه الأجر والثواب.

٢- والمسجد الأقصى هو ثاني المساجد التي وضعت في الأرض بعد المسجد الحرام، فعن عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض؟





قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً، ثم الأرض لك مسجد، فأينما أدركتك الصلاة فصلِّ، وزاد في رواية البخاري: فإن الفضل فيه. رواه البخاري ومسلم والنسائي.

٣- وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وأحمد عن زيد بن ثابت أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يا طوبى للشام.. يا طوبى للشام". قالوا يا رسول الله، لماذا تمدح الشام؟!. قال: "تلك الملائكة باسطة أجنحتها على الشام".



٤- وكذلك هو قبلة المسلمين الأولى قبل تحويلها إلى بيت الله الحرام، فقد أخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم صرفنا نحو الكعبة.



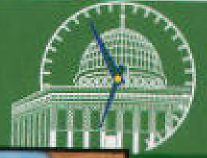
٥- وهو مسرى النبي صلى الله عليه وسلم، وموضع عروجه إلى السماء، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أتيت بالبراق -وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه- قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء. قال، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن. فقال جبريل صلى الله عليه وسلم: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء.."



٦- وهو دعوة موسى عليه السلام، حيث كان من تعظيم موسى عليه السلام للأرض المقدسة وبيت المقدس أن سأل الله تعالى عند الموت أن يدنيه منها، فقد روى البخاري في صحيحه مرفوعاً: "فسأل موسى اللهَ أن يُدنيه من الأرض المقدسة رميةً بحجر، فلو كنتُ ثَمَّ لأريتُكم قبرَهُ إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر".

٧- وجاءت أحاديث كثيرة تدعو للشام بالبركة خاصة منها الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا". وقال العلماء: قدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم الشام على اليمن لأن الشام أفضل وأكثر بركة.

٨- وفي مسند الإمام أحمد والترمذي عن سالم بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ستخرج نار في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس". قلنا: فبماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال: "عليكم بالشام".





٩- واتفق كثير من المفسرين والعلماء ومنهم القرطبي وابن الجوزي على أن تفسير قوله تعالى: ﴿واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾. ق (٤١). أن إسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس وينادي الناس أن هلموا للحساب، فيكون بدء المحشر من هناك، كما جاء في مسند الإمام احمد عن ميمونة بنت سعد مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قالت: يا نبي الله، افتنا في بيت المقدس، قال صلى الله عليه وسلم: "أرض المحشر والمنشر".

ويبالغ بعض المسلمين بتقديس الصخرة، وقد نص ابن تيمية رحمه الله أن تعظيمها يعتبر من البدع، وأنه لا يوجد نص صريح بتقديسها، ويظن بعض الناس أن هذه الصخرة معلقة، وهي ليست كذلك كما قال ابن تيمية، وإنما تحتها كهف، فمن دخله ظن أنها معلقة.

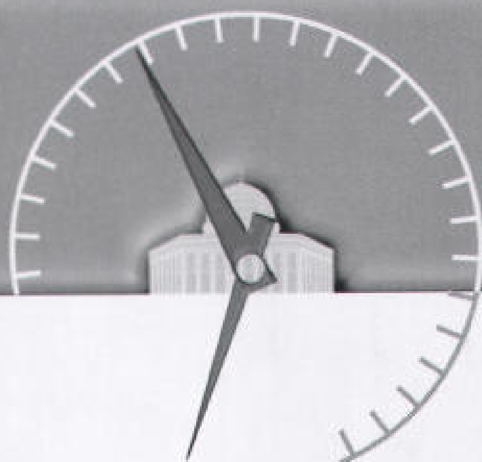
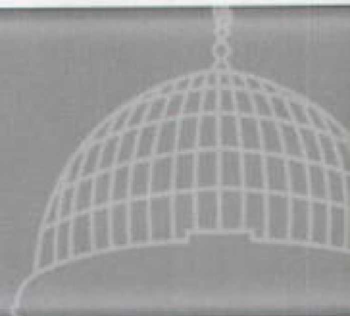


١٠- وقد زار عدد كثير من الصحابة والعلماء والصالحين بيت المقدس، وصلوا في أكنافه استجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك، وممن زار بيت المقدس من الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وأم المؤمنين صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعاذ بن جبل، وعبدالله بن عمر، وخالد بن الوليد، وأبو ذر الغفاري، وأبو الدرداء، وسلمان الفارسي، وعمرو بن العاص، وسعيد بن زيد من العشرة المبشرين بالجنة، وأبو هريرة، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين..





وفيما سبق من الأحاديث والأخبار إرواء لغليل الباحث في فضل القدس وأرض فلسطين المباركة، وشاهد قوي على قدسية هذه الأرض والمسجد الأقصى، فلا يقبل بعد من مسلم أن يستهين بأمر هذه القضية، أو يقلل من شأنها، فإن تدنيس اليهود لأرضنا المباركة هو من أعظم أخطاء المسلمين وأفدحها، والتي تلعثمت أفواههم عن الخوض فيها، وكبت جيادهم عن الخوض في معمعة تحريرها وتخليصها من دنس اليهود الغادرين ورجزهم، ثم العجب كل العجب ممن يلتمس السلام لدى من تلطخت سيرتهم بالمعاصي والغدر والخيانة والفجور!! أو يظن أن عندهم بعضاً من أمانة أو صدق ذمة، وقد نعتهم القرآن الكريم بكل صفات الخسة والغدر والخيانة، وسلط عليهم اللعنة إلى يوم القيامة. ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾. المائدة (٦٤)، وكذلك دأبهم، وهذا ديدنهم، وهذه حالتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وبعدُ فهل يجوز لأحد أن يطمئن إليهم؟ أو أن يبرم معهم عهداً أو اتفاقاً؟ وقد ذمهم الله تعالى بقوله: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾. البقرة (١٠٠).

الباب الأول

فلسطين قبل الإسلام



الباب الأول

فلسطين قبل الإسلام

الفصل الأول

تاريخ فلسطين القديم

١- السكان الأوائل

٢- أصل اسم فلسطين

١ السكان الأوائل

لا يعرف أحد بالضبط متى كان أول سكن أو استيطان في أرض فلسطين، ولا يوجد شيء أو دليل يحدد تاريخاً ما، ولكن أولى الإشارات والآثار تدل على أن أول من سكن فلسطين في القرن الرابع عشر قبل الميلاد هم مجموعة قبائل تدعى بـ "النطوفيون"، ولهم آثار تدل عليهم، ولكن أحداً لا يعرف من هم؟ أو من أين جاؤوا؟ ولكن آثارهم هي أولى الآثار المشيرة إلى أول استيطان في أرض فلسطين.

أريحا

وفي القرن الثامن قبل الميلاد تشير أولى الآثار إلى وجود معالم مدينة تسمى حالياً "أريحا" الحالية، ولذلك يعتبر بعض الباحثين أنها أقدم مدينة في العالم، والآثار لا تدل على أنها مدينة بمعناها الكامل، وإنما تشير إلى بدايات استيطان الإنسان في دور وأبنية، وقبل ذلك كانت الناس ترتحل من مكان لآخر طلباً للخصب والماء، إلا أن حياة الاستيطان بدأت قديماً وظهرت أولى آثار لها في "أريحا" كما أسلفنا، ولكن أيضاً لا يعرف من سكن هذه الدور والمباني، أو أصل ساكنيها ومكان قدومهم.



الفينيقيون في مصر

الكنعــانيــون

إن أول آثار معروفة في فلسطين تعود لقوم يسمون بـ "الكنعانيين" و قوم اخرين يسمون بـ "الأموريين"، وهذان الشعبان قبائل هاجرت من شبه جزيرة العرب شمالاً واستقرت في بلاد الشام وفلسطين تحديداً، وهذا ثابت وواضح في تاريخ فلسطين، وأجمع عليه جميع المؤرخين الشرقيين منهم والغربيين، إذاً فأول تاريخ مدون يعود لأول ساكني فلسطين هم من العرب "الكنعانيين" و"الأموريين". أما اليهود فلم يكن لهم ذكر في هذا التاريخ، بل ورد أول ذكر لهم بعد ذلك بقرون عدة على ما سيأتي من بيان تاريخي متسلسل.

اليبيسيون

والقبائل العربية التي هاجرت من شبه جزيرة العرب نحو الشمال كثيرة ومتعددة، وقد تفرقت هذه القبائل في بلاد الشام والرافدين "العراق"، وانتقل قسم منهم أيضاً إلى بلاد مصر، فكان منهم "الكنعانيون" وقد سكنوا سهول فلسطين، وكان منهم أيضاً "اليبيسيون" وهؤلاء استقروا في منطقة القدس، وكان ذلك قبل بنائها، وانقسم أقوام آخرون سكنوا الجبال، وكانوا يسمون بـ "الفينيقيين" و "العموريين" وهكذا قسمت أرض فلسطين بين هذه القبائل، وقد أوردت كتب التاريخ بناء على الآثار والمشاهدات أسماء كل هذه القبائل حسب توزيعها الجغرافي في سكنى بلاد فلسطين.

ولذلك تسمى أرض فلسطين عند علماء الآثار بأرض "كنعان" نسبة إلى "الكنعانيين"، وقد ورد ذلك صريحاً في الكتب السماوية ومنها التوراة والإنجيل، ولم يأت أي ذكر لليهود في كتب التاريخ أو الكتب السماوية في هذه الحقبة من الزمن.



سفينة تابعة للفينيقيين

إن أول من سكن فلسطين هم القبائل التي انتقلت إليها من جزيرة العرب.

٢ أصل اسم فلسطين



خريطة بالفسيفساء للقدس وجدت في مدينة مأدبا في الأردن

بلست

إن أصل فلسطين اسم يعود للشعوب التي سكنت منطقة "بلست" جنوب فلسطين.

ويعود اسم "فلسطين" إلى شعوب أخرى جاءت من جزر البحر المتوسط، وخصوصاً من جزيرة "كريت" وهي جزيرة معروفة ومشهورة، ويبدو أن شعوب هذه الجزر أصابتهم مجاعة أو ظروف معينة جعلتهم يهاجمون شواطئ الشام ومصر، وصدهم أولاً "رمسيس الثالث" في معركة "لوزين" المشهورة والتي حدثت في مصر، وكان "رمسيس" لا يريدهم أن يسكنوا مصر، وبعد المفاوضات استقر الأمر على أن يرحلوا إلى فلسطين، وأمرهم "رمسيس" أن يسكنوا في جنوب فلسطين في مناطق تسمى "بلست"، وقد نصت الكتب التاريخية والكتب المقدسة على هذا وجاء ذكر "بلست" بها، وعليه نسب أهل هذه المناطق إلى "بلست" وسمّوا بـ "البلستينيين" ومن هنا جاء اسم فلسطين، حيث كانت تعرف بـ "بلستين" ، وتبدلت مع الأيام لتكون "فلسطين"، غير أن هذه الشعوب تجاورت مع "الكنعانيين" و"اليبوسيين" وهم السكان الأصليون للمنطقة كما ذكرنا، ومن ثم اختلطت أنسابهم ولغاتهم، وذابوا مع الشعب الأصلي الأكثر عدداً وحضارة، ومع تقادم السنين ذاب "البلستينيون" مع "الكنعانيين" ولم يعد لهم أثر، وغاب ذكرهم التاريخي.

مما سبق يتضح لنا أنه إلى هذه المرحلة لم يظهر أي ذكر لليهود أو أقوامهم، فأين كانوا في هذه المرحلة؟ وكيف دخلوا أرض فلسطين؟! وقد أثبتت جميع الآثار والكتب التاريخية والمقدسة وكتب الغربيين على أن سكان فلسطين الأصليين هم "الكنعانيون" و"اليبيسيون"، فأين حق اليهود في أرض فلسطين؟!..



الباب الأول

فلسطين قبل الإسلام

الفصل الثاني

اليهود في فلسطين

١ - هجرة اليهود إلى فلسطين

٢ - موسى عليه السلام واليهود

٣ - اليهود بعد موسى عليه السلام

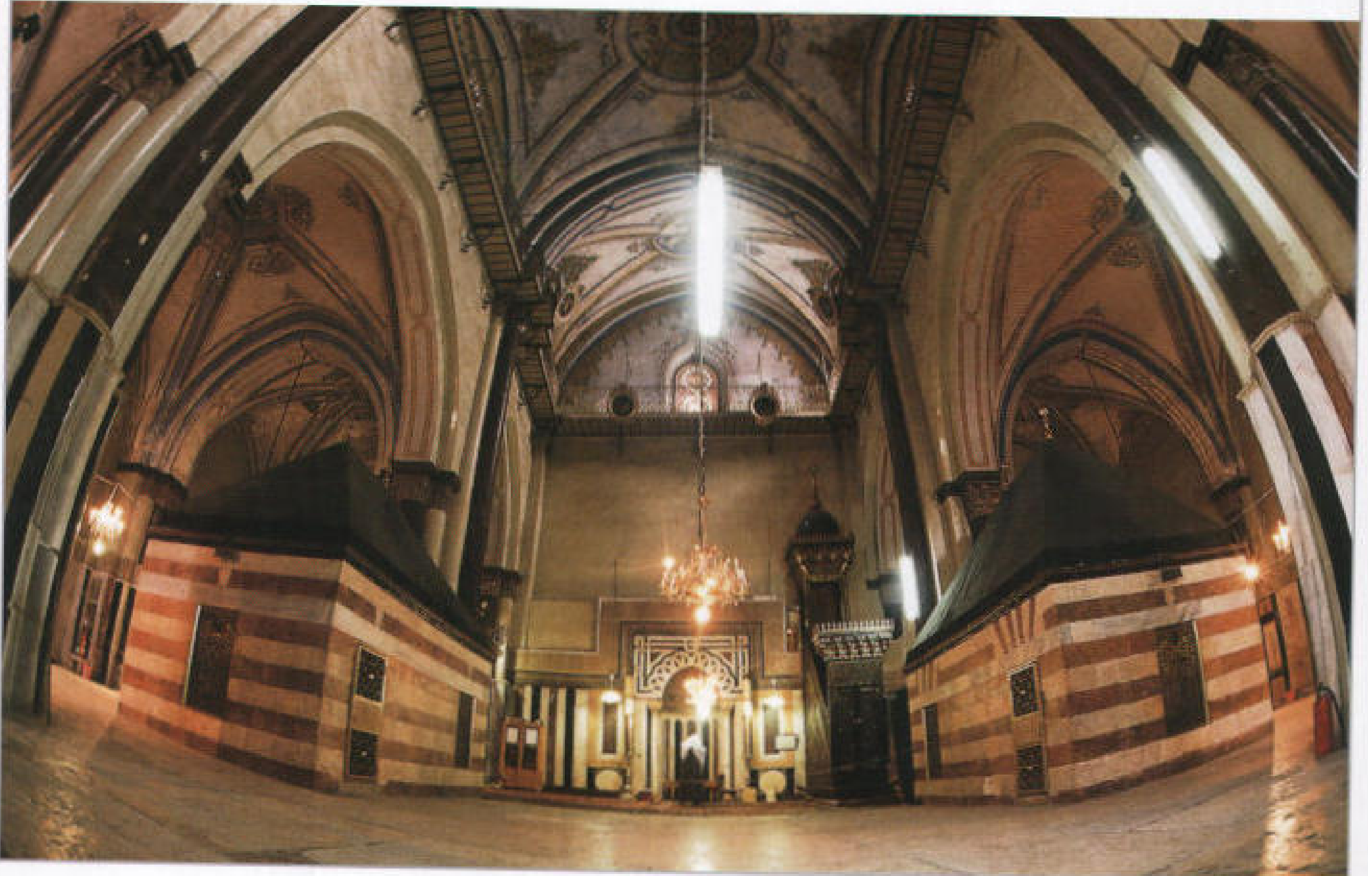
٤ - عهد داود وسليمان عليهما السلام

١ هجرة اليهود إلى فلسطين

يعقوب عليه السلام

لقد أورد التاريخ لنا أن ابني إبراهيم عليهم السلام إسحاق وإسماعيل قد ولدا في فلسطين، ولكنهم من المهاجرين إليها ولم يكونوا مستوطنين بها، ويعقوب عليه السلام (المسمى كذلك إسرائيل) هو ابن إسحاق عليهما السلام، ويوسف عليه السلام هو أحد أبناء النبي يعقوب، وفي القرآن الكريم أن يوسف ذهب عبداً إلى مصر، إلى أن مكّنه الله وآتاه الحكم والتأويل، فأصبح عزيز مصر (أي وزيراً لماليتها)، ومن ثم طلب أباه يعقوب وأهله جميعاً أن يلحقوا به إلى مصر، وفي الكتاب العزيز: ﴿اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. يوسف (٩٣).

فأخذ يعقوب عليه السلام جميع أهله وأبنائه، وأقام بمصر فلم يغادرها من بعد، وهكذا انتهت هجرة هؤلاء من فلسطين، واستوطنوا مصر، فلا مجال إلى أن يقال: إن يعقوب عليه السلام من أهل فلسطين أو من سكانها الأصليين، وقد أثبت التاريخ وجميع الكتب هذه الوقائع غاية في الدقة والاتفاق، وذرية يعقوب لم تكمل جيلاً واحداً في فلسطين، فكيف يدعي اليهود الآن أن فلسطين أرضهم بدعوى سكنى يعقوب عليه السلام بها فترة من الزمن؟!.

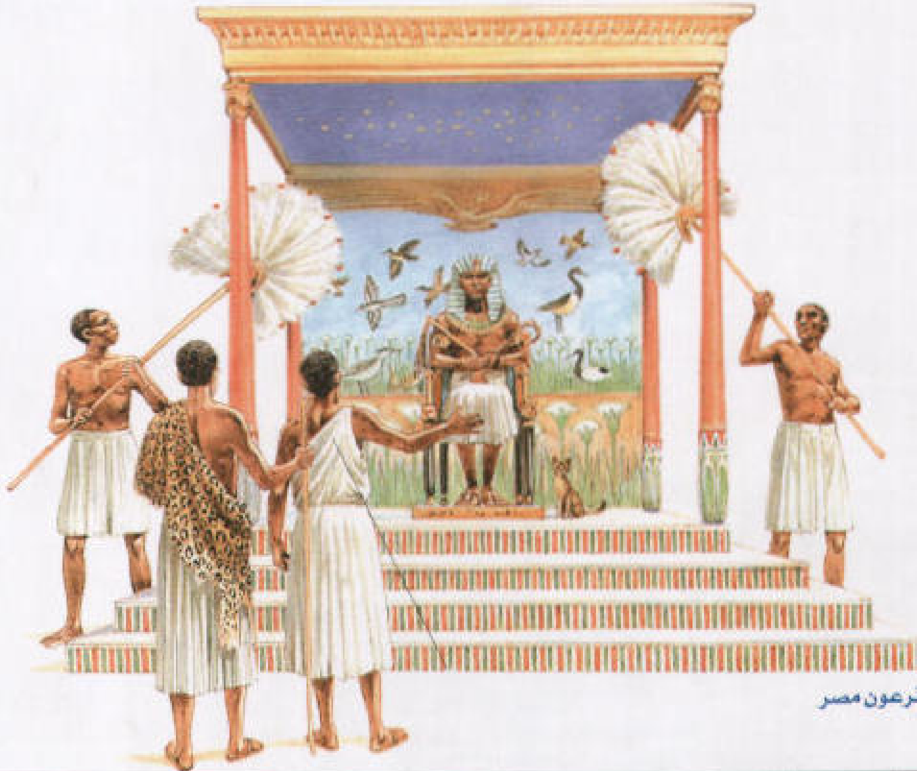


قبر النبي إبراهيم والنبي يعقوب عليهما السلام في الحرم الإبراهيمي في الخليل

موسى عليه السلام

والهجرة الأخرى التي كانت لليهود إلى فلسطين هي هجرة موسى عليه السلام حين هاجر بقومه بني إسرائيل من مصر تخليصاً لهم من فرعون وجنوده، وهكذا نرى أن اليهود ما كانوا يدخلون فلسطين إلا مهاجرين، أما أهل البلاد الأصليون فهم "الكنعانيون"، وقد رجعتُ في قصصهم هذه إلى الكتب المقدسة والكتب الغربية، وليس إلى كتب العرب، وإنما كانت هجراتهم في أغلبها من مصر إلى فلسطين، ذلك أن فلسطين كانت تتبع مصر إدارياً وسياسياً وتاريخياً من زمن إنشاء المعبد الذي أسسه يعقوب عليه السلام، ، ففي هذا الوقت كان الفراعنة قد بدؤوا يتوسعون في أراضيهم واحتلوا فلسطين وبالذات الأراضي التي كان يسيطر عليها "الهكسوس"، وعندها صارت فلسطين تابعة لمصر، غير أنه لم يثبت في تاريخ القدس وفلسطين أبداً أن اليهود استوطنوا فلسطين أو سكنوا فيها فترة طويلة من الزمن، إنما كانت هجرات قصيرة لها، ومن الثابت قطعاً أن "الكنعانيين" و"اليبيسيون" هم أصحاب الأرض الأصليون.

ونعود إلى هجرة موسى عليه السلام، وقد أنعم الله على بني إسرائيل فأنجاهم وأغرق آل فرعون وجنوده في البحر، ولنا مع هذه القصة وقفة وعبرة لنعرف من هم اليهود شعب إسرائيل، الذين في قصتهم الآتية مع نبيهم موسى أبلغ الأمثلة والعبر لمن أراد أن يكشف زيف قضيتهم فيراهم على حقيقتهم.



فرعون مصر

اليـــهـــود لم يكونوا قطّ سكاناً أصليين لفلسطين، بل كـــانوا دائمـــاً من المهــاجـــرين لهـــا بشكل مـــؤقت

٢ موسى عليه السلام واليهود


١٢٥٠ قبل الميلاد

موسى عليه السلام في مصر

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. البقرة (٤٩).

إن ظهور موسى عليه السلام في مصر يعود لتاريخ ١٢٥٠ قبل الميلاد، وقد أيده الله بالمعجزات الباهرات الكثيرة، بدءاً بوحي الله لأم موسى كي تلقيه في اليم، ومن ثم ليتربى في بيت فرعون الظالم، الذي كان يستعبد شعب مصر، وفي القرآن الكريم يروي لنا الله تعالى أنه لما شبّ موسى عليه السلام قتل أحد المصريين خطأً، ففر إلى مدين هرباً من فرعون وملئه، فأوحى الله إليه برسالة، وأمره بتبليغها ليخرج الناس من عبادة فرعون إلى عبادة الله وحده، وليخرج بني إسرائيل من مصر حيث تسخير فرعون لهم ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وعزّز الله دعواه هذه بالمعجزات، ومنها معجزة العصا التي تنقلب إلى ثعبان، وإخراج اليد البيضاء من الجيب، والقصة معروفة، حيث تحدى موسى عليه السلام فرعون أمام جمع من بني إسرائيل والملأ من قومه، وأحضر فرعون سحرته ليواجهوا التحدي، وكان من نتائج ذلك إيمان كثير من بني إسرائيل والسحرة برسالة موسى عليه السلام، فآمنوا برب موسى وهارون، وكفروا بفرعون وحزبه، ثم أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن فرعون سيغدر بكم، فغادروا مصر باتجاه فلسطين، ولحق بهم فرعون وجنوده، وكاد فرعون يمسك بهم عند شاطئ البحر، وهو أحد فرعي البحر الأحمر، وتحديداً الفرع الأيسر، فشق الله تعالى البحر لموسى وأصحابه، فعبروه على أرض يابسة، ولما لحق بهم فرعون وجنوده أغرقهم فيه، وهكذا أنعم الله عليهم بالأمن والطمأنينة بعدما كانوا ملاحقين خائفين.



غرق آل فرعون وجنوده في البحر

موسى عليه السلام في سيناء

وعندما وصل موسى عليه السلام وأصحابه أرض سيناء وجدوا قوماً يعبدون أصناماً، فقال له أصحابه: اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة؟! فتعجب موسى لأمرهم ووصفهم بأنهم جاهلون! كيف وقد أراهم الله على يديه عشر معجزات باهرات -كانت آخرها شق البحر- يطلبون منه عبادة غير الله الذي دعاهم إلى عبادته؟! فكان هذا بداية الخلل الإيماني المتأصل في نفوسهم، وكان هذا الأمر يثير الاستغراب في نفس موسى وأخيه هارون من هؤلاء القوم، فقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾. الأعراف (١٣٨). فاليهود قد تشربوا الكفر والاستعباد خلال قرون طويلة قضوها في خدمة الفراعنة في مصر.

جبل الطور

ثم استبق موسى قومه إلى جبل الطور في سيناء لمناجاة ربه، وغاب عنهم أربعين يوماً، وجعل أخاه هارون أميراً عليهم، فما إن عاد لهم حتى وجدهم يعبدون من دون الله عجلاً!!.. فكانت معصيتهم تلك من أعظم الجرائم وأفدحها، وكان هذا كفراً لا يغتفر، فعاقبهم الله بأن جعل توبتهم مرهونة بقتل أنفسهم، قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. البقرة (٥٤). وكانت شريعتهم تنص على أن التوبة من الشرك والكفر مقرونة بقتل النفس، فكان قتل النفس توبة وجزاؤها الجنة، ولكنهم مع ذلك رفضوا، فقال لهم موسى: اسمعوا وأطيعوا، قالوا: سمعنا وعصينا، فجاء نذير الله لهم يتوعدهم بالعقاب، وارتفع جبل الطور كله فوق رؤوسهم، قال تعالى: ﴿وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾. الأعراف (١٧١). فقال لهم موسى: اسمعوا وأطيعوا، فقالوا راغمين: سمعنا وأطعنا!.

ثم اختار موسى من قومه أفضل سبعين رجلاً لميقات الله عز وجل في جبل طور ليعتذروا إلى ربهم عما بدر منهم من معاص وقد رأوا بأم أعينهم المعجزة الحادية عشرة وهي نتق الجبل، فلما سمعوه يكلم الله عز وجل قالوا: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾. البقرة (٥٥). فأماتهم الله بالصاعقة، فناجى موسى ربه أن هؤلاء أفضل قومي فأحياهم الله من جديد إكراماً له: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. البقرة (٥٦). وكانت هذه هي المعجزة الثانية عشرة، وهكذا تتوالى معجزات موسى عليه السلام على قومه وهم لا يزالون يزدادون عتواً وكفراً.



جبل الطور

موسى عليه السلام في فلسطين

ولما وصل موسى وأصحابه أبواب فلسطين أخبرهم بأن الله يأمرهم أن يدخلوا بيت المقدس، فما كان جوابهم إلا أن : ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ المائدة (٢٢)، فنصحهم موسى وهارون أن ادخلوا عليهم فالله سينصركم: ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾. المائدة (٢٤).

فلنتأمل هذا الشعب الكافر المعاند، إن فيهم من الكفر والعناد ما لا يوجد في شعوب الأرض قاطبة على مر التاريخ، وقد عاقبهم الله على ذلك أشد العقاب وجعل عقابهم مستمراً إلى يوم القيامة، وبعد هذه الحادثة حكم الله عليهم بحكمه: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. المائدة (٢٦)، فأصبحوا ضائعين في تلك الأرض أربعين سنة لا يدرون كيف السبيل إلى خروجهم.



خروج بني اسرائيل إلى فلسطين

قصة البقرة

وفي أثناء فترة التيه حدثت معهم قصة البقرة التي أمروا بذبحها فجعلوا يعيدون السؤال تلو السؤال إمعاناً في العناد ورغبة في عدم تنفيذ أوامر الله على لسان نبيهم، وما كادوا يذبحون البقرة حتى أخذ موسى جزءاً منها ورمى به الميت الذي لم يعرفوا قاتله، فأحيا الله الميت بين أيديهم ونطق باسم قاتله، فكانت هذه المعجزة الثالثة عشرة.

ولكن هل أثر ذلك في قلوبهم فألانها وجعلها رقيقة للعبادة والطاعة؟! لقد كان عكس ذلك، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾. البقرة (٧٤).

إن القرآن قد تحدث بقصص كثيرة عن بني إسرائيل وجرائمهم، وفي القرآن كفاية لمستزيد، وليس المقام هنا رواية منكراتهم في تاريخهم الحالك بالسواد والعصيان، وإنما المقام هو بيان أنهم قوم تعودوا الكذب حتى صار لهم سجية، وامترؤوا الخيانة والغدر حتى أصبح لهم خُلقاً وعادة، وليس بمستغرب أن يكذبوا من جديد ويمارسوا كل أصناف الغدر والكذب والنفاق ليقنعوا العالم بأن لهم حقاً في أرض فلسطين، وهم أول من يعلم علم اليقين أن لا حق لهم ولا بشبر واحد منها، وهم يعلمون بأن افتراءاتهم ستنقلب آخراً عليهم، وسيقعون ضحية غدرهم وخيانتهم كما جرت سنة الله تعالى فيهم إلى يوم القيامة.

التيه والضياع

إن قلوباً قاسية كقلوب بني إسرائيل لا يرتجى منها اليوم رحمة بأحد، فلا ينخدع أحد بخبثهم ونفاقهم، فهو يبطنون غير ما يظهرون، ويحملون في قلوبهم الحقد والحسد والضغينة على الناس أجمعين، فليس لهم صاحب ولا صديق، ولا ذمة أو عهد. وقد عاشوا أربعين سنة في الضياع يعصون الله تعالى ولا يمتثلون لأوامره، وبين ظهرانيهم رسولهم موسى عليه السلام، ثم أرسل الله ملك الموت إلى موسى يخيره بالحياة أو الوفاة، فقال موسى رب أمتني قرب الأرض المقدسة، فقبض ملك الموت روحه على بعد مرمى حجر من بيت المقدس، وكان بينهم وبين القدس كثيب أحمر فقط، ومع ذلك لم يعرفوا طريقهم إلى بيت المقدس، وظلوا ضائعين لا يستطيعون الخروج من التيه والضياع.

المن

وتوفي موسى عليه السلام هناك عند الكثيب الأحمر.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري: "فلو كنت ثمَّ لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر".

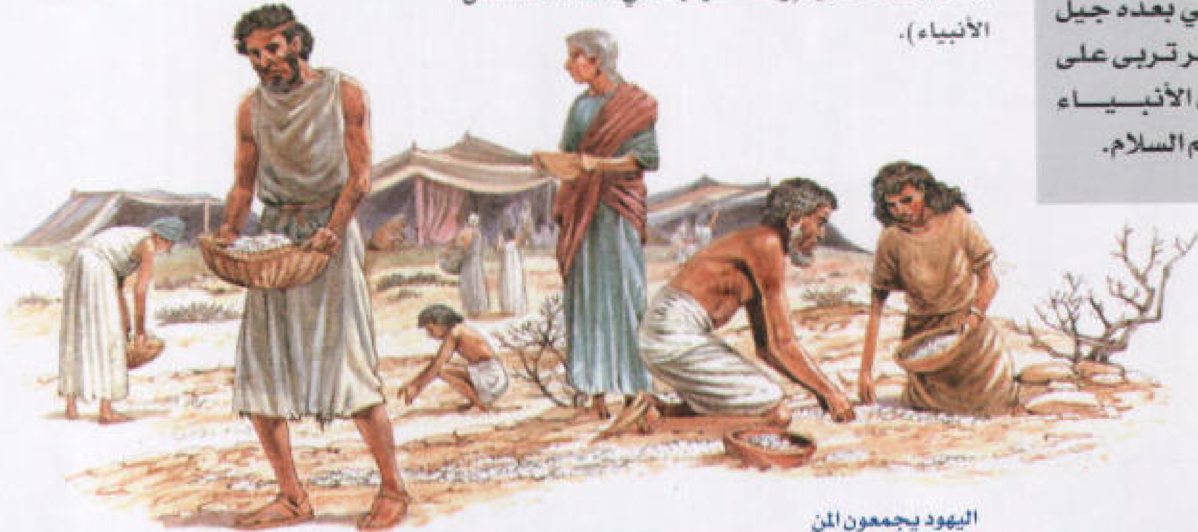
وظل بنو إسرائيل في التيه أربعين سنة حتى أخرجهم الله على يد فتى موسى المذكور في قصة الخضر، وهو نبي الله "يوشع بن نون" عليه السلام، فأخرجهم إلى الأردن.

وفي هذه القصص المتتالية دلالة على عناء موسى عليه السلام مع بني إسرائيل الذين تعودوا الكفر والذل وعناد الحق، (وتفصيلها في سلسلة قصص الأنبياء).

تيه اليهود وضياعهم في الأرض أربعين سنة كان لإهلاك هذا الجيل الكافر المعاند من اليهود، وليأتي بعده جيل آخر تربى على أيدي الأنبياء عليهم السلام.



اليهود يجمعون السلوى



اليهود يجمعون المن

٣ اليهود بعد موسى عليه السلام


١١٨٦ قبل الميلاد

يوشع بن نون

وفي هذا العام قادهم "يوشع بن نون" عليه السلام نحو الأرض المقدسة، فذهبوا إلى فلسطين ولم يذهبوا إلى بيت المقدس في أصح الروايات، وقد أخطأ بعضهم إذ ظن أنهم فتحوا بيت المقدس، وإنما ذهبوا إلى "أريحا"، وهناك كانت المعركة بينهم وبين العمالقة الجبارين المذكورين في القرآن، وكانوا من "الكنعانيين"، ففتح بنو إسرائيل "أريحا" وسكنوها، وأشارت كتب التاريخ والحديث إلى هذه المعركة، وكذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾. البقرة (٥٨).

وكانت هذه المعركة يوم الجمعة، وكان الله قد حرم عليهم العمل والقتال في يوم السبت، وأوشكت شمس يوم الجمعة على الغروب، وخافوا أن يبدأ يوم السبت عليهم دون أن ينتصروا، فدعا نبيهم "يوشع" عليه السلام ربه أن يوقف الشمس، فتوقفت الشمس في مكانها لا تتزحزح، حتى حسمت المعركة وانتصروا، وهذا ثابت بنصوص السنة، فقد قال الحافظ ابن حجر: ورد من طرق صحيحة أخرجها أحمد من طريق هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشمس لا تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس». وهكذا رأوا معجزة جديدة باهرة أمام أعينهم.



سقوط أريحا بيد اليهود بعد فترة التيه

ادخلوا القـريـة

ثم أمرهم نبيهم عليه السلام أن يدخلوا القرية ويأكلوا من حيث شاؤوا بشرط أن يدخلوا الباب سجداً ويقولوا: "حِطَّة"، ومعناها: أن يا ربنا حُطَّ عنا خطايانا، أي اغفر لنا، فكانوا يقولون: "حنطة" ظلماً منهم وعتواً واستكباراً عن أوامر الله تعالى، واستهزؤوا بيوشع عليه السلام وقالوا نحن انتصرنا بقوتنا فقط، ولما أمرهم نبيهم أن يدخلوا الباب سجوداً ركع بعضهم واستدار، ودخل القرية بمؤخرته، فتأمل هذا الشعب المعاند الكافر!؟..

قال الله تعالى في ذلك بعد أن أمرهم بقول "حطة" فغيروها إلى "حنطة": (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ)، البقرة (٥٩).



فتح أريحا ودخول القرية

انحراف بني إسرائيل

وبقي اليهود في فلسطين وكانت عاصمتهم "اريحا" حتى مات يوشع عليه السلام، فتفرقوا من بعده وتمزقوا، وقامت بينهم الحروب، وأرسل الله لهم الأنبياء، يقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم: "كلما مات نبي قام نبي". فكان أكثر الأنبياء فيهم، وكان الله يرسل أحياناً في الوقت الواحد ثلاثة أنبياء للمدينة الواحدة، قال تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ يس (١٣-١٤).

فكانوا يعصون أنبياءهم، بل اصبحوا فيما بعد يقتلونهم، فوصفهم الله بذلك: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾. النساء (١٥٥).

وهكذا تأصل الكفر في قلوبهم، واعتادوا الشرك والفجور والمعصية، قال تعالى عنهم: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾. البقرة (٩٣). وظلوا يعاندون ويعصون ويقتلون الأنبياء، ولم يبق لأحد من البشر لديهم قيمة بعد أن قتلوا أنبياءهم وهم من دينهم وجنسهم وأهلهم، فغضب الله تعالى عليهم وعاقبهم، وقال في حقهم موبخاً: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾. البقرة (٦١).



معبد شيلوح حيث كان اليهود يحتفظون بالتابوت (الذي يحوي الوصايا العشر وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) قبل أن ينتزع منهم



بنو اسرائيل وعبادة العجل

اضطهاد بني إسرائيل

عندها تمكن منهم العماليق (الكنعانيون)، وسلطوا عليهم ألواناً من العذاب والذل والمسكنة، وأخذوا منهم مقدساتهم وأموالهم، ومن ضمن هذه المقدسات أخذوا التابوت، وهذا التابوت كان أقدس شيء لديهم، وهو صندوق كالتابوت كانوا يضعون فيه الألواح الذي كتبها الله تعالى لموسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ الأعراف (١٤٥).

ولكنهم حرفوا هذه الألواح فيما بعد، وقيل بقي منها لوحان من أصل العشرة في التابوت، وكانت فيه أيضاً عصا موسى وملابسه وملابس أخيه هارون عليهما السلام. قال تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾. البقرة (٢٤٨).



التابوت المقدس عند اليهود

طالوت الملك الجديد

وبقوا كذلك حتى أتى زمان الملك الكنعاني "جالوت" الذي حكم بيت المقدس، وكان بنو إسرائيل المنهزمون الممزقون والمشتتون بلا حاكم يجمعهم في أسوأ حال، فقالوا لنبيهم وقتذاك: أعد لنا عزّنا ومجدنا، وارفع عنا الذل الذي نعيش فيه، واجعل لنا ملكاً نسير وراءه ليحقق لنا النصر، فقال لهم نبيهم: إن لكم ماضياً وتاريخاً أسود، فهل عسى إن جعل الله لكم ملكاً أن تطيعوه وتذعنوا له ولا تخالفوا أمره؟! فقالوا: ولماذا لا نطيعه؟ ونحن أذل الناس اليوم! وكيف نخالف أمره وهو يريد إعادة العز والمجد لشعبنا!؟..

فأخبرهم نبيهم أن الله قد اختار لهم ملكاً، هو "طالوت"، فما كان منهم إلا أن قالوا لا نرضى به ملكاً علينا لأن "طالوت" ليس من أفخاذ اليهود الذين فيهم الملوك، وقالوا معاندين: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. البقرة (٢٤٧).

جالوت

رغم الذل والضعف الذي أصاب اليهود، لم تتغير طبائعهم في الكفر والمعصية. وهذه أخلاقهم دائماً، وهذا شأنهم غالباً.

عودة التابوت

ثم أخبرهم نبيهم أن الله أرسل لهم هذا الملك، وجعل له علامة ودليلاً على ذلك، وهي أن التابوت الذي أخذ منهم سيعود إليهم، وستحمله الملائكة لهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ البقرة (٢٤٨)، فلما رأوه تطير به الملائكة لم يصدقوا أعينهم، حتى إذا صار بين أيديهم فتحوه فإذا هو فعلاً تابوتهم المفقود!، ففرحوا به ووافقوا على تعيين "طالوت" ملكاً عليهم.

وقد وجدت في الآثار صور ورسومات لتابوت تحمله ملائكة لها أجنحة، وهذا التاريخ موثق في تاريخهم وكتبهم، ولكنهم لم يروا الملائكة، وحاشا لهم ذلك، ولكنهم تخيلوا الملائكة ورسموهم، وهي قصة مشهورة عندهم، ولكن هل أطاعوا ملكهم بعد هذه المعجزة الجديدة؟!



صورة تمثل اليهود وهم ينظرون إلى التابوت يهبط عليهم من السماء

عصيانهم طالوت

لقد كفروا وعاندوا من جديد، ولم يخرج معه للقتال سوى فئة قليلة ممن آمنوا وصدقوا، فخرج بهم وفي الطريق مروا بنهر، فأمرهم الملك أن لا يشربوا منه، وأخبرهم أن من يشرب من هذا النهر فليس مني، ومن لم يطعمه فإنه مني، ليختبر صبرهم وقدرتهم على التحمل والقتال، فشربوا منه إلا قليلاً منهم، فهل بعد هذا عصيان وعناد؟!!

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ..﴾ البقرة (٢٤٩).

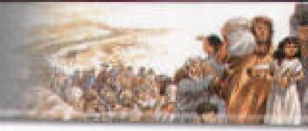


معركة طالوت مع جالوت

القلة المؤمنة

ومع ذلك توجهت هذه الفئة القليلة لتواجه العماليق ضخام الجسد، فقال اليهود: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾. البقرة (٢٤٩).

ثم علمهم الدعاء، فقال لهم قولوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. البقرة (٢٥٠).



داود عليه السلام

ويتحدث المؤرخون أن فئة قليلة ثبتت مع "طالوت" في هذه المعركة، ويتحدث بعضهم عن سبعين رجلاً فقط، وخرج "جالوت" ملك العماليق يتحدى للمبارزة، فلم يخرج من جيش اليهود أحد خوفاً منه، وما تجرأ عليه إلا شاب صغير في السادسة عشرة من عمره، هو "داود" عليه السلام، فردّه "طالوت" لصغر سنّه وتهاوناً به، وحاول "طالوت" أن يشجع اليهود لمبارزة "جالوت" ووعد أن من سيخرج لمنازلته سيزوجه ابنته ويكون خليفته في الحكم من بعده، ورغم ذلك لم يخرج أحد، فلما لم يجد منهم فائدة سمح لـ "داود" أن يخرج لمبارزة "جالوت".

خرج "داود" وبيده مقلاع به حجر، فبادر به عدوه فقذفه بالمقلاع فشج رأسه فمات من فوره، وهكذا قتله، وهُزم جيش "جالوت" واندحر بعد موته، فكان نصر الله لهم مؤزراً على يد نبي الله داود عليه السلام.

قبر داود عليه السلام في القدس

أكرم الله تعالى بني إسرائيل بالنصر على أعدائهم على يد نبيهم داود عليه السلام، فهل شكروا نعمة الله تلك ؟!

٤ عهد داود وسليمان عليهما السلام



١٠٠٤ قبل الميلاد

وفـــاة طالوت

بعد هذا النصر تزوج "داود" ابنة "طالوت" ، وفي عام ١٠٠٤ قبل الميلاد توفي الملك "طالوت" فاختلف بنو إسرائيل وانقسموا على انفسهم فتبع قسم منهم ابن "طالوت" ، وتبع القسم الآخر "داود" عليه السلام تنفيذاً لوصية ملكهم السابق، وقد كان أحق بالملك منه.



هذه الدرجات يعتقد اليهود أن داود عليه السلام صعدها عند ارتقائه إلى معبد الجبل



١٠٠٠ قبل الميلاد

الملك داود عليه السلام

استقر بعد ذلك الملك لداود على مملكة يهودا وما حولها، وكانت عاصمته الخليل، وأما ابن "طالوت" فقد كانت عاصمته القدس وما حولها، وفي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد حدثت معركة بين داود عليه السلام وخصمه ابن "طالوت" انتصر فيها داود عليه السلام ودخل القدس وجعلها عاصمة لبني إسرائيل، وتوسعت هذه المملكة لتشمل بعضاً من أرجاء فلسطين، ولكن لم تشملها بالكامل، حيث بقي حكم الساحل للكنعانيين.

أول مملكة لبني إسرائيل

ولعلنا نحتاج هنا إلى وقفة لنبين أن أول مملكة لليهود أنشأت في فلسطين كانت في عام ٩٩٥ قبل الميلاد كما تحدثنا، ولكننا نعلم سابقاً أن الكنعانيين واليبيسيين كانوا أول من استوطن في فلسطين وحكموها فترة طويلة جداً من الزمن تعود إلى سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد، وهذا تاريخ بعيد ضارب في القدم، أي أنهم كانوا سكاناً لفلسطين قبل أن يأتي اليهود إليها بـ ١٦٠٠ عام، وهذا ينفي أي حق لليهود بأرض فلسطين أو أي ادعاء لأقدميتهم بها، ومع العلم بأن فترة حكم داود وابنه سليمان من بعده عليهما السلام لم تدم في فلسطين اكثر من تسعين سنة، تفرق اليهود بعدها وتقطعوا في أرجاء الأرض.



القدس العاصمة المزدهرة في عهد داود عليه السلام



٩٦٣ قبل الميلاد

الملك سليمان عليه السلام

في هذا العام توفي داود عليه السلام، وتولى من بعده حكم الدولة اليهودية ابنه "سليمان" عليه السلام، وهو النبي المشهورة قصصه في القرآن الكريم، وقد سخر الله له قوى الطبيعة كالريح، وسخر له الجن والطير والحيوانات يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وقصور وغيرها. ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾. سبأ (١٣)، ولما توفي سليمان عليه السلام تمزقت دولته بين أولاده وضعفت، وقد ذكرت القصة كاملة في قصص الأنبياء عليهم السلام لمن أراد الاستزادة.

الهيكل المزعوم

وتورد بعض المصادر أن سليمان عليه السلام هو النبي الذي بنى الهيكل الذي يزعم اليهود وجوده إلى اليوم، والصحيح الوارد في المصادر الإسلامية المعتمدة أن النبي سليمان عليه السلام كان قد جدّد بناء المسجد الأقصى القديم، ولم يبن هيكلاً، وإنما جاءت كلمة "هيكل" من كتب بني إسرائيل المحرفة، والتي لا تعتمد دليلاً أو سنداً، ولكي نوضح قضية الهيكل لا بد من بيان النقاط التالية التي وردت في كتب اليهود المقدسة:



بناء الهيكل المزعوم كما يتخيله اليهود

١- قام ببناء الهيكل المزعوم كثير من الجنود والبنّائين والذين عرفوا فيما بعد باسم "الماسون" أي البناؤون، ومن هنا أتت كلمة "الماسونية" من أصل "بنّائي الهيكل" وهي حركة يهودية خطيرة منحرفة، تهدف إلى بسط نفوذ اليهود وأتباعهم في كل بلاد العالم، ولهم طقوس وشعائر عجيبة ومنحرفة ترجع إلى ذلك الزمان، وهي حركة معادية للإسلام ولكل الأديان عدا اليهودية، والانضمام إليها حرام وجريمة كبرى، وفيها عون للأعداء ضد المسلمين.

٢- تشير الروايات أن الهيكل بني في مكان ما في القدس إلى جانب الأقصى، ولكن لا يوجد أي تاريخ واضح أو دليل يحدد مكان بنائه، ولكن يوجد وصف دقيق لشكله الداخلي والخارجي في الكتب المقدسة اليهودية فقط.

٣- وصف بناء هذا الهيكل في الكتب اليهودية أقرب للخيال منه للواقع، وفيه مبالغة كبيرة وتهويل جعلته قصراً كاملاً من الذهب.

إن القبائل التي هاجرت من جزيرة العرب سكنت فلسطين قبل بني إسرائيل بأكثر من ألف سنة. ولم يستقر بنو إسرائيل في القدس سوى ٩٠ سنة هي فترة عهد داود وسليمان عليهما السلام.

ويزعم اليهود أن في كتبهم المقدسة وصفاً دقيقاً له، وفيها أن المحراب وهو قدس الأقداس يبلغ طوله (١٠) أمتار وعرضه (١٠) أمتار وسماكته (١٠) أمتار مغشى بالذهب، وأمامه المذبح العظيم المغشى أيضاً بالذهب، وهناك سلاسل كبيرة من الذهب ممتدة أمام المحراب، وتماثيل الملائكة المجنّحة فيه سماكة كل واحد عشرة أذرع كلها من الذهب أيضاً.

٤- وضع التابوت في قدس الأقداس (أي المحراب) داخل الهيكل وسط احتفال عظيم عقد لهذا الغرض ذبحت فيه أكبر عدد من رؤوس الأبقار والأغنام.

٥- المؤرخون يشككون في صحة ما روي عن الهيكل لأن الكتب المقدسة لم تكتب إلا بعد عهد موسى بسبعمائة عام، تعرضت خلالها لكثير من التحريف والتبديل باعتراف كهنة اليهود أنفسهم.

٦- اليهود اليوم يبحثون عن الهيكل وينقبون عنه، وقد جاء في كتبهم وكثير من الروايات والأخبار في كتب المؤرخين أن هذا الهيكل قد هدم وأحرق بالكامل ولم يبق منه حجر على حجر.

٧- جاء في كتب المؤرخين أن أعمدة الهيكل كانت من النحاس والأحجار لا من الذهب كما يزعم اليهود.

إن هذا التاريخ ثابت وموثق في كتب اليهود المقدسة وكتب التاريخ الغربية منها قبل العربية، ناهيك أن القرآن الكريم قد حكى كثيراً من تفاصيل هذه الوقائع، كذلك جاءت السنة المطهرة بروايات كثيرة عنها. وبعد هذا لا يعقل أن يثبت أي حق أو دعوى لليهود بأرض فلسطين، فما كانوا يوماً من الأيام أهلها وسكانها، إنما كانت لهم هجرات متتابعة إليها، وما كانوا يلبثون بها حيناً من الدهر حتى يُجلوا عن هذه الديار المقدسة صاغرين، وبذلك تدحض دعواهم وترد في وجوههم، ولا غرابة أن يدّعوا ما شاؤوا، وهم القوم الذين جعلوا الكذب لهم بضاعة، والنفاق والخديعة لهم تجارة، والخيانة والغدر ونقض العهود والمواثيق لهم عادة متبعة.

واليوم لا ينبغي أن نغض الطرف عن هذا التاريخ الأسود الملطخ بكل أنواع الخسائس، فنظن أن لليهود التزاماً بعقد أو كانوا طرفاً من سلم أو اتفاق بعقد، ونحن نقرأ في تاريخهم هذه العبر والدروس، ولكن أين من يعتبر؟!.



نموذج لهيكل سليمان عليه السلام كما يعتقد اليهود



الباب الأول

فلسطين قبل الإسلام

الفصل الثالث

العراقيون والفرس والروم في فلسطين

١ الحكم العراقي (وتحريفات دين اليهود)



عام ٧٤٠ قبل الميلاد

الأشـــــوريون

في هذا العام جاء "الأشوريون" من العراق فاحتلوا فلسطين وأخذ اليهود يدفعون الجزية "للأشوريين"، وأنشؤوا فيها مملكة خضع فيها اليهود لحكم هؤلاء، ولكن مملكة "الآشوريين" لم تدم سوى ثماني سنوات.



الأشوريون يضطهدون اليهود



عام ٧٣٢ قبل الميلاد

البابليون في العراق

انتهى حكم "الآشوريين" بعد أن هاجمهم من داخل العراق أقوام يسمون "البابليون" أو "الكلدانيون" قاموا بهجوم عليهم من داخل العراق، سيطروا على أرض العراق كاملة، واحتلوا عاصمة "الأشوريين" : "نينوى" وبطبيعة الحال امتدت سيطرتهم حتى احتلوا ممتلكات "الأشوريين" ومن ضمنها فلسطين.



سقوط قلاع الأشوريين



عام ٥٩٧ قبل الميلاد

البابليون في القدس

غزا "الكلدانيون" فلسطين، وافتتحوا القدس بأنفسهم، وأسروا ملك المملكة اليهودية، وساقوا عشرة آلاف من اليهود سبايا، ثم عينوا على من تبقى منهم في أرض فلسطين حاكماً يهودياً اسمه "دبيكيا" ويسمى هذا الحاكم في التاريخ العربي "صديقيا"، وقد أخذ "الكلدانيون" منه المواثيق والعهود على أن يكون ولاؤه لهم، ولكن هذا الرجل لم يكن من الفرع الذي يحكم عادة في اليهود، ولذلك لم يكن محطاً قبول لدى الشعب اليهودي آنذاك، لأنه من جهة ليس من الفرع الذي يحكم عادة، ومن جهة أخرى أنه أعطى الولاء "للبابليين".



عام ٥٨٦ قبل الميلاد

الملك "نبوخذ نصر"

وظل "دبيكيا" أو "صديقيا" هذا يحكم اليهود في فلسطين حتى عام ٥٨٦ قبل الميلاد حين حاول أن يقود انقلاباً ضد "البابليين" لصالح اليهود، وعندها تدخل حاكم "بابل" واسمه في التاريخ العربي "نبوخذ نصر" واشتهر في التاريخ باسم "بختنصر"، والذي هاجم اليهود في فلسطين وحاصر القدس مدة سنة ونصف، واستطاع الانتصار في النهاية ودخل القدس عام ٥٨٩ ق.م ودمرها تدميراً كاملاً، ثم دمر الهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام حجراً حجراً، وتذكر الروايات والكتب المقدسة اليهودية في الإصحاح (٢٤، ٢٥، ٣٦) أن "نبوخذ نصر" دمر الهيكل بالكامل، وأخذ كل ما فيه من أوانٍ وتحف وكنوز إلى العراق، وتذكر أيضاً أنه أحرق بيوت "أورشليم" وخرج اليهود من بين "السورين"، وقام بنو "زردان" من جنود الملك "نبوخذ نصر" بإحراق بيت الرب وبيت الملك في المقدس، وأخذ "نبوخذ نصر" من اليهود أربعين ألفاً كأسرى وسبايا، وفر الباقون أمامه إلى مصر، فلم يبق تقريباً من اليهود أحد في فلسطين، وبعد أن أحكم سيطرته على فلسطين، أحكم قبضته على بقية أجزاء الشام.

وهناك إشارات واضحة في التلمود إلى تدمير هذا الهيكل، وكذلك النصوص التي تبين أن (تدمير الهيكل لم يكن ليحدث لولا كثرة ذنوب بني إسرائيل وتفاقمها، حتى فاقت ذنوبهم حدود ما يطيقه الإله الأعظم)، هذا نص التلمود، فكان أن غضب الله عليهم غضباً شديداً، حتى سلط عليهم هذا الرجل الذي دمرهم تدميراً.



البابليون يقتلون اليهود بعد فتح القدس

تدمير الهيكل كان بسبب ذنوب بني إسرائيل حسب ما جاء في التلمود

تفسير علو بني إسرائيل مرتين

ويجب التنبيه هنا إلى الخطأ الذي يقع فيه بعض المفسرين - في نظري - فهم يخطئون حينما يفسرون قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾، الإسراء (٥). أن هؤلاء العباد أصحاب البأس الشديد هم "نبوخذ نصر" وجنوده، ونحن نرى خلاف ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿عباداً لنا أولى بأس شديد﴾، و"نبوخذ نصر" ما كان على التوحيد، بل كان كافراً، فكيف يعقل أنه فعل ذلك بإذن الله عز وجل؟ وأنه من عباد الله الصالحين؟ وهو لم يكن كذلك.

وفي تفسيري أجد أن الآيات التي تتحدث عن تدمير بني إسرائيل مرتين عندما يعلون في الأرض، أجد أن كلا المرتين لم تحدثا حتى الآن، وأن كل الإشارات التي ألفيتها بعد البحث والتدقيق، تشير إلى ذلك، وسيظهر ذلك من سرد الأحداث القادمة إن شاء الله.



البابليون يسوقون اليهود عبيداً ويحرقون ديارهم



نبوخذ نصر



عام ٥٦٢ قبل الميلاد

وفاة "نبوخذ نصر"

توفي في هذا العام "نبوخذ نصر" بعد أن دمر المملكة اليهودية كما قلنا وساق منهم أربعين ألفاً إلى بابل، وفر الباقون إلى مصر، ولم يتبقى منهم إلا النزر اليسير في فلسطين حسب أصح الروايات، وانتهى بذلك الوجود الحقيقي لليهود في فلسطين، وفي بابل عاش اليهود عبيداً وخدماً عقوداً من الزمن، فكانوا في ذل ووضع لا يحسدون عليه، لذلك فإن اليهود يعتبرون " نبوخذ نصر" لعنة عليهم وعلى وجودهم في فلسطين.

تدوين التوراة

في هذه الأثناء بدأ اليهود بتدوين التوراة والكتب المقدسة، وكانت لم تكتب أو تدون خلال الفترة الماضية والتي تقدر بـ ٧٠٠ سنة منذ عهد موسى عليه السلام، ولكن تدوين التوراة لم يكن على دفعة واحدة، ولكنها كتبت على أجزاء متفرقة، وبدون نظام معين، بل كان اليهود يكتبون -كلاً على حدة- أجزاءً متفرقة منها، مما أفسح المجال لكثير منهم بالتلاعب والتحريف في ما يكتبه، أو إضافة ما يريده إليها من أقاويل وخرافات أو تفسيرات أو تأويلات.. كل ذلك بدون رقيب أو حسيب.

واستغرقت كتابة التوراة عقوداً طويلة من الزمن قدرها المؤرخون بأربعمائة سنة ظلت التوراة بها تكتب، أضيف لها في هذه المدة الطويلة أشياء كثيرة من الأوهام والخرافات وكلام الكهنة والأحبار، فليست كلها كلام الله عز وجل، بل داخلها التحريف والخلط الشديد.



صورة لألواح التوراة من القرن الخامس عشر

طريقة كتابة التوراة وتلاوتها

وكانت لليهود طريقة معينة في تقديس التوراة وتعظيمها، فقد كانوا يعتبرونها كتابهم المعظم، ولذلك لم تكن تكتب في صفحات متوالية، بل كان أحبارهم يكتبونها في صفحة واحدة طويلة، ثم يلفونها لفاً، فإذا أرادوا قراءتها يفتحونها ثم يلفونها مرة أخرى، وكانوا يقرؤونها ويدربون عليها الأطفال بشكل خاص، حتى إذا انتهوا من لفها وضعوها في تابوت خاص بالتوراة، وما زالت هذه طقوسهم إلى هذا اليوم، أما ما عندهم الآن من نسخ مطبوعة بصفحات من التوراة فهي تعامل مع الكتب المقدسة معاملة خاصة، فهي لا تمس مباشرة، ولكن إذا أرادوا قراءتها وتقليب صفحاتها، اعتمدوا على قطعة من الحديد خاصة ومعينة لديهم يقلبون بها صفحات هذه الكتب، فلا يجوز في عقيدتهم مسها، مع أن الكتب المقدسة من تأليف البشر وليست منزلة من عند الله، والتوراة كتبت بأيدي البشر ولم تسلم -كما قلنا- من التحريف والتبديل علاوة على أنهم قد أضافوا لها الأسفار والتلمود، وهي ليست من الوحي أو من كلام موسى عليه السلام، ومع ذلك فلهذه الكتب تقديس خاص ومكانة عظيمة عندهم، وقد اختلطت هذه الكتب بالتوراة، وقد وصف ذلك الله عز وجل في كتابه العزيز بقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾. النساء (٤٦).

إن اختلاط التوراة والكتب المقدسة تفشى كثيراً في عهد كتابة التوراة، حتى لم يصح عند اليهود كتاب واحد.

التحريف في الكتب المقدسة

إن ذلك التحريف أدخل في شريعتهم المنحرفة أموراً ليست منها، ليست من تشريع موسى أو أحبارهم الذين عاصروه، ولكنها محض افتراء وكذب اختلقوه لتبرير طغيانهم، ومن هذه الأمور التي اختلقوها وحرفوا التوراة بها نذكر ما يلي :

١- إن في التوراة نصوصاً تجوز لبني إسرائيل الظلم والفجور، وتجوز لهم الاستغلال الربوي مع كل البشر إلا اليهود.

شعب الله المختار

٢- اليهود يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وينعتون غيرهم بصفة "الأميين"، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. آل عمران (٧٥). ومعنى ذلك أنه يحل لهم استغلال هؤلاء "الأميين" بكل الطرق والوسائل من استغلال وظلم وقتل وانتهاك حرمات، لأنهم شعوب دنيئة بالنسبة لليهود، أما هم (حسب ما يعتقدون) شعب الله المختار.

٣- اليهود لا ينشرون ديانتهم، لأنه لا يجوز أن يدخل أحد في دينهم، فاليهودي من كانت أمه يهودية فقط، وحتى هذه المسألة فيها خلاف بين اليهود، لأنهم عدة أقسام، فمنهم اليهود المتحررون، ومنهم المحافظون، وهم الذين يعيشون بنفس الطريقة التي كان يعيش بها اليهود الأوائل في زمن موسى عليه السلام، ولذلك هؤلاء لا يعترفون حتى باليهود اليمنيين واليهود الأفارقة لأنهم لا يعتبرونهم من بني إسرائيل الأصليين، أما اليوم فهناك اتفاق بين اليهود أنفسهم أنه لا يدخل في دين اليهود أحد، فدينهم لا يقبل الانضمام إليه لأنه دين شعب الله المختار، ومن ثم جعلوا الجنة لهم وليست لغيرهم المهاجرين.

الحروف العبرية

٢ الحكم الفـــــارسي



عام ٥٣٩ قبل الميلاد

ظل اليهود مستعبدين في بابل وليس لهم وجود حقيقي في فلسطين إلى أن جاء عام ٥٣٩ قبل الميلاد، عندما غزا "حورس الثاني" ملك بلاد فارس العراق وسيطر على مملكة بابل وضمها إليه، وبالتالي سيطر على ممتلكات بابل ومنها فلسطين والشام أيضاً، وكانت تلك بداية الدولة الفارسية الضخمة.

الملك الفارسي "حورس الثاني"

سمح هذا الملك "حورس الثاني" لليهود الذين كانوا في بابل بالرجوع إلى القدس، وقد كان محرماً عليهم من قبل أن يذهبوا إليها أثناء حكم "البابليين" ، وقد كان اليهود بعد مضي عشرات السنين على إقامتهم في بابل قد تكاثروا وازدادوا أضعاف عددهم، فلم يعد منهم إلى فلسطين إلا العدد القليل، وكان بحدود اثنين وأربعين ألفاً، أما الغالبية العظمى فلم تهاجر، لأن بابل وقتها كانت عاصمة الثروة والرفاهية الاقتصادية، وكانت مكاناً للحضارة والترف، ولذلك آثر اليهود البقاء فيها لرعاية مصالحهم وثرواتهم.



الفرس يحتلون بابل عام ٥٣٩ق.م ويسمحون لليهود بالعودة إلى فلسطين

رفض العودة إلى فلسطين

وهنا تجدر بنا وقفة لملاحظة هذه الظاهرة المثيرة للانتباه في شأن اليهود، فهم يدعون أنهم شعب الله المختار، ويزعمون أن أرض الله المباركة (فلسطين) أرضهم، ولكنهم عندما تتاح لهم الفرصة للعودة إليها فهم لا يعودون، وفي وقتنا الحالي ورغم كل الذي يصنعه الكيان الصهيوني من تهيئة السبل وبناء المستوطنات، وكل ما يقدمه من مغريات وتسهيلات لليهود للهجرة إلى أرض فلسطين، مع ذلك فإن معظم اليهود اليوم لا يعيشون في فلسطين، فهناك أعداد ضخمة منهم يعيشون في أمريكا، وآخرون كثر أيضاً في روسيا، وأعدادهم تفوق أعداد اليهود في فلسطين.

المال هو الإله عند اليهود !

إن المال بالنسبة لبني إسرائيل هو الإله، وجعلت فتنتهم في الدنيا، فحيث ما كان المال والترف، فهناك ثمة يهود، وهكذا فهم يحكمون قبضتهم على منابع الثروات وأماكن الغنى والترف في العالم، ويسيطرون - بخفاء- على رؤوس الأموال الضخمة والتجارة المزدهرة في شتى أنحاء العالم، ولا يجد الباحث عسير بحث ليتوصل بنفسه إلى هذه الحقيقة التي تكاد لا تخفى على أحد، وهذا يفند مزاعمهم بحب أرض فلسطين، وكونها أرضاً مقدسة لهم، فهم يعبدون المال، ويبيعون كل شيء من أجله حتى لو كانت مقدساتهم، والعدد القليل فقط منهم من يؤمن بهذا الدين المحرّف وينقاد لتعاليمه وشرعته.

المال بالنسبة لليهود هو المعبود الحقيقي، ومعظم يهود اليوم لا يعيشون في فلسطين، فأين عقيدتهم المقدسة بحقهم فيها؟!



عام ٥١٥ قبل الميلاد

بناء الهيكل الثاني

رجع بعض اليهود المحافظين الذين كانت تشدهم إلى القدس أيام عهدهم القديم، وزمن سليمان عليه السلام، وعمل هؤلاء فوراً على مسألة مهمة جداً بالنسبة لهم، وهي بناء الهيكل الذي دمره "نبوخذ نصر"، فبنوا المعبد مرة أخرى، ويسمى هذا المعبد الثاني،وهو مشهور في التاريخ وموجود في الكتب المقدسة عندهم، وكذلك هو مدون في التاريخ الغربي.

وفي ظل تسامح الفرس مع اليهود سمحوا لهم ببناء الهيكل مرة أخرى، فجعلوا بناء المعبد بناءً كبيراً ووسعوه توسعة عظيمة، وأرجعوا قدس الأقداس (المحراب)، وأعادوا المقدسات التي استطاعوا أن يحافظوا عليها مرة أخرى.



مجسم للهيكل كما يتخيله يهود

الحكم الذاتي لليهود

وكان من تسامح الفرس الشديد مع اليهود أن سمحوا لهم بحكم ذاتي في داخل القدس، ولكنهم أفردوا لهم مكاناً محدوداً جداً، فانحصر حكمهم لمساحة ٣٠ كيلو متر مربع فقط من القدس، وكانت تلك فقط المساحة المتاحة لليهود ليقوموا بحكمهم الذاتي فيها، فكانوا يعبدون ويتقاضون بينهم، ويديرها واحد منهم، واستمر حالهم كذلك من عام ٥١٥ قبل الميلاد لمدة ٢٠٠ سنة، ساد خلالها في هذه المملكة الصغيرة الهدوء والتسامح، وبدأت أعدادهم بازدياد، وبدؤوا يمتدون داخل فلسطين، غير أنهم كانوا لا يحكمون سوى ما سمح لهم الفرس به، وإنما ظلت فلسطين تحت حكم الفرس وتحت سيطرتهم الكاملة.

٢ حكم الإغـــــريق


عام ٣٣٢ قبل الميلاد

الملك الاسكندر المقدوني

في هذا العام جاء رجل من أعظم رجال التاريخ ذلك هو "الإسكندر المقدوني"، ويجعله بعض المفسرين "ذا القرنين"، والحقيقة أن هناك إشارات كثيرة تشير إلى صحة هذا الاعتبار، وإن كانت هناك بعض الاعتراضات على هذا لوجود آثار لآلهة في عصره، ولكن ذلك لا يعني أن تكون آلهته هو تحديداً، بل قد تكون لأقوام عاشوا في ذلك الوقت يعبدون تلك الآلهة، وعلى كل حال فإن وجود تماثيل وغيرها لم يكن محرماً في زمانه، وكانت التماثيل في زمن سليمان عليه السلام مباحة ومنتشرة، إنما حرمت التماثيل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.


مجسم لرأس الإسكندر المقدوني

وأياً كان من أمر فإن هذا الرجل "الإسكندر المقدوني" مشهور جداً، وتاريخه محفوظ ومعروف، وهو حاكم الإغريق في ذلك الزمان، وقد أجريت بحثاً في الشبكة الإلكترونية "الإنترنت" عن تاريخ الإسكندر المقدوني، فوقعت على ١٢٤ ألف بحث عن "الإسكندر المقدوني"، ومن المعروف أن تاريخ هذا الرجل حافل جداً، وانتصاراته وفتوحاته ملأت كتب التاريخ الغربية منها والشرقية، وأكثر ما اشتهر منها حملاته الثلاث في الفتوحات.

والذي يعنينا من تاريخ الإسكندر هو إحدى حملاته الثلاث تلك، والتي قصد فيها بلاد الشام ومرَّ على فلسطين فافتتحها، وكذلك في حملته المشهورة هذه افتتح الهند وإيران والعراق والشام ومصر، وهنا دخلت فلسطين في حكم الإغريق.


الاسكندر المقدوني
أشهر ملوك الاغريق



عام ٣٢٣ قبل الميلاد

حكم الأنباط

وظلت فلسطين تحت حكم الإغريق إلى أن مات الإسكندر في عام ٣٢٣ قبل الميلاد وانقسمت دولة الإغريق بعده، وبقيت هذه المناطق التي افتتحها تابعة لحكم الإغريق بشكل عام وإن كانت الدولة قد انقسمت. تحت هذا الخلل الذي حدث في الدولة الإغريقية استغل الأنباط العرب -والذين كانت عاصمتهم "البتراء" وهي مدينة مشهورة إلى اليوم وآثارها ما زالت قائمة- استغلوا هذا الخلل الذي حدث عند الإغريق فهجموا على الجزء الجنوبي من فلسطين واحتلوه وصار تابعاً لهم، ثم امتدت سيطرتهم إلى معظم أرض فلسطين، واستمر هذا الوضع حتى عام ٢٠٠ قبل الميلاد، أي بقيت فلسطين بأيدي الأنباط مئة سنة تقريباً.

البتراء عاصمة الأنباط مدينة محفورة في الجبل الصخري



عام ١٦٧ قبل الميلاد

الإغريق يضطهدون اليهود

بعد تشتت الدولة الإغريقية ظهرت منها عدة جماعات، كان منهم "السلوقيون"، وهم من الأقسام التي انقسمت من الدولة الإغريقية، والتي دخل فيها الكفر والانحراف، واستطاع هؤلاء أن يسيطروا على هذه المناطق، وبدؤوا يضطهدون اليهود اضطهاداً شديداً، حتى أن حاكمهم أجبر اليهود على عبادة "زيوس"، و"زيوس" هذا من الآلهة الأوليمبية عند الإغريق.

ومن المعروف أنه كان للأغريق آلهة كثيرة جداً، من أقدسها الإله الأعظم "زيوس"، فأجبرهم على عبادته بدل أن يعبدوا "يهوه"، أو "يَهْوَه" الذي هو بالنسبة لهم يعني: الله في اللغة العبرانية، وتحت الضغط ترك أكثرهم عبادة الله عز وجل والتفت لعبادة "زيوس".

وبدأت الطقوس الإغريقية تنتشر بين اليهود، مما أدى إلى انقسام اليهود إلى قسمين: قسم اتبعوا الإغريق، ويسمَّون: "اليهود الإغريقيون"، وقسم تمسكوا بدينهم، وهربوا به من اضطهاد "السلوقيين"، ويسمَّون: "المكابيون"، نسبة إلى القبيلة الرئيسية التي ظلت على دين اليهود، وهي القبيلة "المكابية" التي بقي أتباعها على دين اليهودية ويقودهم "يهوذا المكابي".

يهوذا المكابي اليهودي يقود ثورة اليهود



عام ١٦٥ قبل الميلاد

هانوكا (الشمعدان) عيد الأنوار

بعد ذلك بفترة وجيزة قام الإمبراطور الإغريقي بإصدار قرار بإيقاف اضطهاد اليهود وسمح لهم بالعبادة، بالإضافة إلى اليهود المتأغرقين، والذين يسمون أنصار التأغرق، تحت هذا السماح بدأ اليهود يتجمعون من جديد، ثم سمح لهم أيضاً في ١٦٤/١/٢٥ قبل الميلاد بدخول القدس، فدخلوها وهم يشعلون أنوار الشموع، فسمي ذلك اليوم "عيد الأنوار"، واشتهر في التاريخ اليهودي باسم "هانوكا"، وأصبح هذا العيد من أقدس أعيادهم، ومنه جاء الشمعدان اليهودي المتعدد الشموع المعروف الآن، والذي أصبح شعاراً من شعاراتهم الرئيسية بالإضافة إلى النجمة السداسية، وكان هذا الحكم الذاتي الذي سمح لهم به يضيق أحياناً ويتسع أحياناً أخرى، وكان وراثياً في ذرية يهوذا المكابي، فانتقل الحكم إلى هذه الذرية لأنهم هم الذين حافظوا على هذا الدين، وأصبح كبار الكهنة هم الذين يديرون هذا الحكم الذاتي ولكنهم ظلوا تابعين للسلوقيين ويدفعون لهم الجزية.



الشمعدان (هانوكا) أحد رموز اليهود المقدسة



عام ١٤٣ قبل الميلاد

مملكة (سيمون)

عين الإمبراطور "ديمسيوس الثاني" حاكماً يهودياً اسمه "سيمون" على القدس وجعل مهمته دفع الضرائب، وبعد فترة ألغى عنه جمع الضرائب وسمح له بصك عملة يهودية داخل القدس، ولكن رغم هذه التطورات إلا أنهم ظلوا تابعين للسلوقيين، ثم سمح له بحكم هذه المناطق وبدأت مملكة "سيمون" تكبر و تتوسع.



عام ٧٦ قبل الميلاد

توسع مملكة (سيمون)

استمرت مملكة "سيمون" بالتوسع والامتداد حتى عام ٧٦ قبل الميلاد حيث وصلت إلى البحر ،ولكنها بالرغم من ذلك ظلت تتبع الإغريق رسمياً، وقانونياً، وسياسياً.

٤ الحكم الروماني

أ - الرومان في فلسطين



عام ٦٣ قبل الميلاد

تمثال ملك الرومان
يوليوس قيصر

الرومان في القدس

قرر الرومان وهم من أصل إيطالي التوسع، فبدؤوا يأخذون ممالك الإغريق مملكة، مملكة.. حتى وصلوا إلى بلاد الشام فاحتلوها، ومن ثم وصلوا إلى القدس فاحتلوها أيضاً، وذلك سنة ٦٣ قبل الميلاد، وعينوا عليها كاهناً اسمه "ريسونك"، ثم أصبح هذا الكاهن كبيراً لليهود، و دام الحكم فيهم على هذه الصورة ٢٣ سنة.



الرومان يسرقون معابد اليهود



عام ٤٣ قبل الميلاد

ملك اليهود (هيرودس)

عين الرومان ملكاً لليهود، اسمه "هيرودس" مشهور في التاريخ باسم "هيردس"، وفي التاريخ العربي باسم "هيرود"، لم يكن هذا الملك من الأسرة المكابية الحاكمة، بل تم اختياره على أيدي الرومان، فكان موالياً لهم، وطاغية شديداً على اليهود، ولكي يثبت مكانته بين اليهود، وليجعلهم ممن يتبعونه، أعاد تجديد الهيكل، وضاعف مساحته، وأصبحت هذه المنطقة (الأردن وفلسطين) في عهده منطقة صراع بين الرومان والفرس، فتارة تكون بأيدي الفرس وتارة بأيدي الرومان.

قلعة بناها الملك هيرود كقصر لأهله ليحميهم من كليوباترا قرب البحر الميت، فيها انتحر ٩٦٠ من اليهود بدلاً من الاستسلام للرومان



عام ٣٤ قبل الميلاد

"كليوباترا" تزور القدس

في هذا العام استطاع "هيرود" أن يجمع قوة يطرد بها الفرس، ثم أحكم سيطرته على تلك المناطق، وكانت فترة حكمه فترة ازدهار لها، وظلت الأمور مستقرة بيده فترة طويلة. وفي هذه الفترة زارت "كليوباترا" حاكمة مصر الفرعونية القدس في طريق عودتها من زيارتها للعراق والفرات، فكان لهذا الحادث وقع عظيم جداً في تلك المناطق لما كان لـ "كليوبترا" من شهرة عظيمة.

ب- مريم والمسيح عليهما السلام



عام ١٥ قبل الميلاد

ولادة مريم عليها السلام

حدث في هذا العام أن وُلدت "مريم" عليها السلام، وتربت في القدس في كنف "زكريا" عليه السلام، الذي كان نبياً من أنبياء بني إسرائيل في تلك الفترة زمن "هيرود".



كنيسة المهد في بيت لحم والتي يعتقد أن المسيح عليه السلام ولد بها



عام ٤ قبل ميلاد المسيح

يحيى عليه السلام

قبل ميلاد المسيح، وقبل ميلاد يحيى في عام ٤ قبل الميلاد مات "هيرود" ملك اليهود، وتمزقت دولة اليهود - أو دويلة اليهود - التابعة للرومان بين أولاده الثلاثة، والتي لم يكن لها حكم مستقل، (ذكرنا سابقاً أنه لم يكن لليهود حكم مستقل في فلسطين إلا فترة حكم داود وسليمان لفلسطين)، ثم بعد ذلك بأربع سنين كان ميلاد المسيح عليه السلام وقبل مولده بثلاثة شهور ولد النبي يحيى الذي اشتهر بينهم أكثر من المسيح عليه السلام لأنه كان ابن نبيهم زكريا، فتبنوه، واشتهر باسم "يوحنا المعمداني"، لأنه كان يأخذهم إلى نهر الأردن فيغسلهم به تطهيراً لذنوبهم، فالمعمدان يعني التعميد، والتعميد يعني الغسل في النهر، واسمه في الإنجليزية (John The Baptist)، فمن هنا جاء اسم "الباسفي المعمدان"، وهذه فرقة رئيسية في النصارى سيظهر أمرها فيما بعد.



عام الميلاد - المسيح عليه السلام

مولد المسيح عيسى عليه السلام

بمعجزة إلهية ولد عيسى عليه السلام، ورغم المعجزة فقد كان اليهود في بادئ الأمر ينظرون إليه نظرة شك، ويتهمون أمه بالزنا -معاذ الله- ويقولون في حقها بهتاناً وافتراء عظيماً، وقد ذكره الله عز وجل في القرآن الكريم، ولما كبر عيسى عليه السلام، دعاهم إلى الله، وظهرت على يديه المعجزات، فما كان منهم إلا أن اتهموه بالسحر، ومع كفرهم واستكبارهم بدأ الصراع الشديد بينه وبينهم.

لقد أرسل الله عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل بالإضافة إلى زكريا ويحيى، فقد كان الله عز وجل يبعث إليهم عدة أنبياء في الوقت نفسه، وكان هؤلاء الرسل الثلاثة: زكريا ويحيى وعيسى، يحاولون أن يعيدوا اليهود للدين الحق، وأن يبعدوهم عن الانحرافات التي هم عليها، ولكنهم ظلوا على انحرافهم وغيهم.

كفر اليهود عيسى عليه السلام واتهموا أمه بالزنا، وحاشا لهم ذلك.

كنيسة مريم المجدلية



عام ٦ ميلادي

سيطرة الرومان

انتقل الحكم من ابن "هيرود" إلى الرومان الذين حكموا حكماً مباشراً، وألغوا حكم الممالك اليهودية الذاتي، فالمسيح عليه السلام جاء في (الرومان على القدس) سيطرة غير مباشرة، أي: أن القضاء والدين كان في أيدي اليهود.

قادة الرومان



عام ٢٦ ميلادي

حكم "بطليموس"

تولى حكم فلسطين "بطليموس" الروماني، لم يكن يهودياً، وفي فترة حكمه حدثت أحداث رهيبة جداً، فقد حكم "بطليموس" هذا في فترة وجود الأنبياء الثلاثة (زكريا ويحيى وعيسى)، ولكن اليهود لم يكونوا يعترفون بعيسى على أنه نبي، وكانوا يعتبرون زكريا ويحيى كبار الكهنة.

أراد "بطليموس" أن يتزوج من ابنة أخيه، لجمالها البارع جداً، ولكن زواج المرأة من عمها كان محرماً في دينهم، فأحب أن يأخذ إجازة من زكريا ويحيى بصحة هذا الزواج، فكان جواب يحيى عليه السلام أن قال: سأعلن ذلك للناس، فجمع "بطليموس" له الناس في المعبد، فلما اجتمعوا خطب فيهم يحيى عليه السلام، ولكنه بدل أن يعلن زواج "بطليموس" بابنة أخيه، أعلن لهم تحريم زواج المرأة من عمها تحريماً مطلقاً، وأن من يفعل ذلك فهو كافر يجب قتله، ففوجئ بطليموس بهذا الإعلان، وخاصة أنه كان يتظاهر بالتدين باليهودية، وبالتعاون مع اليهود واحترام مقدساتهم، وكان يتبع كلام اليهود في مثل هذه القضايا، فلما سمع بإعلان يحيى أسقط في يده.

قتل يحيى عليه السلام

ولكن ابنة أخ "بطليموس" أرادت أن تغوي عمها، فقامت بالرقص أمامه، وأشربته الخمر حتى سكر، ثم أغرته بقتل يحيى عليه السلام، وما زالت به حتى قام تحت تأثير النشوة في رأسه بالأمر بقتله، ثم أمر بعد ذلك بقتل زكريا عليه السلام كما ورد في رواية مشهورة، فقتل ذلك الفاجر نبيين عظيمين في تلك الفترة، غير أن اليهود لم يحركوا ساكناً لمقتل أنبيائهم، وكأن الأمر لا يعنيهم.

عيسى عليه السلام

وهكذا لم يتبق فيهم إلا عيسى عليه السلام، فبدأ يمارس الدعوة، وجعل يسيح في الأرض داعياً إلى الله، ولم يكن له بيت يستقر فيه، ولذلك سمي المسيح، من سياحته في الأرض على الرواية المشهورة.
وبدأ يحارب المنكرات، مثل بيع الحمام، والتعامل بالقمار داخل المعبد.
وفي رواية مشهورة أنه ذات مرة دخل عليهم المعبد فجأة، وبدأ يقلب طاولات القمار، وجعل يجلدهم على انتهاكهم حرمة هذا المكان المقدس، وكان من الخطباء المشهورين في الهيكل، وهكذا بدأ عيسى عليه السلام يغير دين اليهود ويزيل المنكرات منه.
لقد كانت اليهودية ديناً صارماً فيه كثير من القيود والعقوبات التي فرضها الله على اليهود بسبب ظلمهم وعنادهم وكفرهم، وكانوا يعانون منها، فجاء عيسى عليه السلام وجعل يلغي بعض هذه العقوبات والقيود، فتضايق منه الكهنة اليهود بسبب ذلك، وحسدوه على مكانته التي وصل إليها في قلوب الناس، وقد خطف الأضواء منهم، واستجلب اهتمام الناس به دونهم، وأثار غيظ قلوبهم اتباع اليهود له، فبدؤوا يتآمرون على قتله عليه السلام.



رسم قديم ونادر للهيكل المزعوم الذي يتخيله اليهود



عام ٣٣ ميلادي

رفع المسيح عليه السلام

كان عيسى عليه السلام قد بلغ ٣٣ سنة، وكان حقد كهنة اليهود عليه قد بلغ مبلغاً عظيماً، فما كان منهم إلا ان أصدروا قراراً بجلبه للمحاكمة، تمهيداً للحكم عليه بالإعدام، ووافقهم على ذلك "بطليموس" الحاكم الروماني، فطلبوا منه إصدار أمر بالقبض عليه -لأنه وكما ذكرنا كانت السلطة والحكم بيد الرومان، ولم يكن بيد اليهود إلا القضاء- فأرسل هذا الأخير جنوده الرومان يبحثون عنه، وعقد تحالف بين اليهود والرومان حول هذه القضية ضد عيسى عليه السلام، وبدؤوا يبحثون عنه في كل مكان. وهنا تكثر القصص والروايات، ويكثر الخلط والتغيير، ولكننا نورد الرواية المسيحية أولاً، وكذلك ما ورد من روايات بني إسرائيل، حيث لم نقع على مصادر مؤكدة فإنه لا حرج من معرفة رواية بني إسرائيل، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار". رواه الترمذي عن عبدالله بن عمرو، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وخلاصة الرواية أن الله سبحانه وتعالى رفع إليه عيسى عليه السلام بعد أن طلب المسيح من حوارييه أن يقدم أحدهم نفسه فداء له، فتقدم لهذه المهمة شاب صغير وافق أن يضحي بنفسه من أجله، فقلب الله سبحانه وتعالى شكل هذا الشاب إلى شكل عيسى عليه السلام أمام أعينهم في معجزة لم يروا مثلها من قبل، فأسروا هذا الشاب ولكنهم كانوا غير متأكدين من أنه المطلوب لديهم، وكان آخرون منهم يعرفون أنه ليس المسيح، وآخرون يدعون بخلاف ذلك، ولكنهم في النهاية أخذوه ووضعوا عليه تاجاً من الشوك، ثم اقتادوه إلى المحاكمة، وبدأ اليهود يحاكمونه، ولكونه كان حوارياً لعيسى عليه السلام، فقد كان بارعاً في رد أجوبتهم ودحض مزاعمهم، فلم يقدروا عليه، ولكنهم مع ذلك أصدروا قراراً بقتله وصلبه، فحملوه الصليب، وكان هذا الصليب ثقيلاً جداً، فحمله وسار به في طريق معروف حتى اليوم، يسمى عند المسيحيين (طريق الآلام)، فأخذوه في هذا الطريق وكانت له فيه أربع عشرة وقفة في أماكن مختلفة يرتاح بها من شدة التعب، وهم يعرفون هذه الأماكن إلى اليوم، ويعتبرونها أماكن مقدسة وقد بنوا في كل واحد منها رمزاً مقدساً، وعندما يحتفلون بعيد الفصح في شهر إبريل يعيدون هذا المشهد بالكامل، ويأتون بأحدهم يلبسونه تاج الشوك ويحملونه الصليب، ويقفون عند هذه الأماكن الأربع عشرة لتقديسها، إلى أن يصلوا إلى المكان الأخير الذي صلبوا فيه شبيه المسيح.

ويقول الله تعالى في دحض مزاعمهم في أنهم صلبوا المسيح: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا). النساء (١٥٧-١٥٩).



مشاهد صلب شبيه المسيح عليه السلام

اضطهاد اليهود للنصارى

ثم إن اليهود اضطهدوا المسيحيين أنصار المسيح عليه السلام اضطهاداً عظيماً، حتى اختفى هؤلاء واختفى الحواريون وهربوا من القدس، ولجأ بعضهم إلى روما، وبدأت الدعوة المسيحية بالسر، ولم يكن الإنجيل قد كتب بعد، ولكنه كتب بعد ذلك بـ ٢٦٠ سنة، فأدخلت فيه الكثير من الروايات والتحريف، حيث يوجد في نسخ الإنجيل أن المسيح نفسه قد صُلب! ونسخ أخرى تذكر أحداث حصلت بعد المسيح بعشرين سنة، فكيف يعقل أن تكون من رواية المسيح بعد ذلك؟! فواضح جداً أن الإنجيل حُرِّف وأضيف إليه إضافات كثيرة لم تكن في زمن المسيح عليه السلام.

وتابع اليهود اضطهادهم للمسيحيين، وباتوا يقتلون أي مسيحي يجدونه أو ينفونه خارج فلسطين، وساعدت هذه الظروف في انتشار التحريف في الإنجيل وزيادة الروايات المكذوبة والخرافات فيه.



مشاهد صلب شبيه وأتباع المسيح عليه السلام

اليهودية اضطهدت المسيحية منذ القديم ، واليهود هم من صلبوا شبيه المسيح.

ج - تشـــريد اليـــهــــود



عــام ٣٦ مــيـلادي

بعد المسيح بثلاث سنوات تُوُفي "بطليموس" وسمح الإمبراطور الروماني الجديد لذرية "هيرود" بأن يعودوا للحكم الذاتي بشرط أن يدفعوا الضرائب، فبدأ اليهود يعودون إلى الحكم الروماني، ولكن بقيت مملكة اليهود تابعة للرومان، واستمر الحواريون يدعون بالسر، وأحياناً يتجرؤون فيظهرون في الهيكل يخطبون ويهربون، وبدأ الصراع الشديد بينهم وبين اليهود في داخل فلسطين، وفي خارجها، وصار اليهود يطردون أي مسيحي يقبضون عليه خارج فلسطين، ومن الذين هربوا كما ذكرنا حواريو المسيح، ومنهم "بطرس" الذي هرب إلى روما، وهناك بدأ يؤسس الجماعات المسيحية السرية، وجعل يركز في دعوته على اليهود الموجودين في روما وما حولها، ومن حواريي المسيح أيضاً رجل يدعى "بولس"، وكان هذا الأخير يدعو للمسيحية، ولكنه لم يهتم باليهود فقط بل كان يوجه دعوته أيضاً إلى الوثنيين، و"بولس" هذا أدخل كثيراً من الفلسفة في حديثه عن المسيحية، فاختلطت الفلسفة مع الديانة، وصار كثير من المصطلحات المسيحية مصطلحات فلسفية، ودخل مع عبادة الله الواحد آلهة كثيرة، ومن هنا نشأت فكرة أن المسيح هو إله، ثم قيل إنه ابن لله (تعالى عما يقولون علواً كبيراً)، وظهرت خرافات كثيرة منها أن المسيح خرج من قبره وصار يذهب للشباب ويكلمهم، ويقول لهم: أنا ابن الله.

إن كل الروايات التي في الإنجيل إلى اليوم بلسان المسيح عليه السلام ليس فيها "أنا ابن الله" وإنما رواية ابن الله موجودة في أقوال غير المسيح من

الصراع اليهودي المسيحي

الآخرين الذين أضافوا عليه فيما بعد، والرواية الوحيدة الموجودة في الإنجيل هي: "نحن عيال الله"، وهذه المقولة ليس فيها حرج، حيث هي موجودة حتى في الإسلام، وذلك يعني أنهم عالة على الله، أي أن الله يعولهم ويرزقهم، وليس معنى عيال كما ترجموها أنها أولاد، ومن هنا دخل الانحراف في هذا الدين.

عندما اكتشف الإمبراطور "نيرون" حاكم روما هذه الحركات السرية بدأ بالبحث عنها، وتمكن من القبض على "بطرس" وعلى "بولس"، ثم أمر بإعدامهما، ولكن أتباعهما استمروا على دعوتهم متأثرين بما كان موجوداً في روما من تماثيل وغيرها، وأضافوا عليها فصنعوا تمثالاً للمسيح، وصنعوا آخر لمريم عليها السلام، ونشأت تدريجياً عبادة الأصنام.

لا يوجد أي نص في الإنجيل حتى اليوم يشير إلى أن المسيح قال عن نفسه، "أنا ابن الله" . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.



النصارى يدعون إلى ديانتهم سراً في أوربا



عام ٦٦ ميلادي

ثورة اليهود

ثار أخيراً اليهود على الرومان في القدس، فأمر الإمبراطور بحصار القدس، فحوصرت أربع سنين لم يستطع خلالها الرومان أن يفتحوها، وعين الامبراطور أحد أولاده وقادته الرئيسين واسمه "قاصبيان" قائداً في فلسطين للقضاء على ثورة اليهود وذلك في عام ٦٦ ميلادية، ولكنه أيضاً لم يستطع فتح القدس وإسقاط الثورة، وظل الصراع بين اليهود والرومان قائماً، وطال الحصار على اليهود.



اضطهاد اليهود على يد النصارى



عام ٧٠ ميلادي

تدمير القدس

بعد أربع سنين تمكن ابن القائد "قاصبيان" ويدعى "تيتوس" من أن يدخل القدس بعد عناء طويل اهتزت على أثره قوة وجبروت الامبراطورية الرومانية بسبب طول الفترة التي قضاها في حصار القدس، ولذلك كان أول ما فعله "تيتوس" هو تدمير المدينة تدميراً كاملاً، وتدمير الهيكل مرة أخرى بالكامل حسب ما جاء في الروايات اليهودية؛ ولم يبق في الهيكل حجر على حجر، وعين على القدس حامية رومانية، وأُسر اليهود وأُخذوا من فلسطين مرة أخرى وبيعوا عبيداً في روما .كان هذا بداية منشأ اليهود في أوربا، وظل بقية اليهود مختفين في داخل فلسطين.



صورة لصفحة من الإنجيل القديم



عام ١٣٢ ميلادي

إيلياء وخربة يهود

تجمع اليهود مرة أخرى في هذا العام بقيادة "بارخوخبا"، واسمه مشهور في تاريخ اليهود، فجمع هذا الرجل اليهود وثار على الإمبراطورية الرومانية، واستطاع أن يسيطر على إحدى القلاع، وتحصن بها، لكن الإمبراطور الروماني "هادفيان" استطاع بعد ثلاث سنين أن يقضي على هذه الثورة مرة أخرى، ودمر كل ما بناه اليهود، بل إنه مسح كل أثر يهودي من الأرض مسحاً، وأمر ببناء مدينة جديدة على أنقاض الأماكن اليهودية، ثم بنى هذا الامبراطور بناء سمّاه "إيلياء"، وهو اسمه الأول، "إيلياء هادفيان"، وبنى قلعة في المكان المشهور اليوم الذي يُسمّى "خربة يهود"، ذلك أنه دمر قلعة "بارخوخبا" وبنى مكانها قلعة أخرى، ويسميها العرب "خربة يهود" لأن الامبراطور خرّب مكان اليهود ومكان الهيكل ومكان الأماكن المقدسة اليهودية.

ثم إن "هادفيان" بدأ يبني معابد رومانية، وبنى هيكلاً عظيماً للإله الروماني "جوبتر" مكان هيكل اليهود، واشتهرت القدس باسم جديد هو "إيلياء"، بعد أن كانت "أورشليم"، وهذا هو اسمها المشهور في زمن المسلمين، ولذلك ورد في صحيح البخاري في قصة الرسالة التي أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم إلى "هرقل"، حيث أن "هرقل" طلب مجموعة من العرب يأتونه، فجاءه أبو سفيان، فالتقى معه في "إيلياء".

منع اليهود من دخول القدس

بعد أن سيطر الرومان هذه السيطرة الكاملة على القدس أو "إيلياء" أصدر الإمبراطور قراراً خطيراً يقضي بمنع دخول أي يهودي إلى القدس، بعد أن كان يسمح لهم بالعبادة فيها فقط، وبقي هذا المنع لليهود سارياً ٢٠٠ سنة، حتى صار زمن الإمبراطور الروماني "أروليوس" الذي سمح لهم بالدخول للعبادة فقط.



يوم كبر أو عيد الغفران أو سبت السبوت في اليوم التاسع من شهر تشرين في السنة العبرية، يوم صيام وتوبة وصدقة وتلاوة للتوراة تختم بقولهم (السنة القادمة في القدس) وهو أعظم أعياد اليهود وقد بدأ في القرن الخامس قبل الميلاد وخلاله حدثت حرب رمضان ١٩٧٣

تشريد بني إسرائيل

وتشرد في هذه الفترة بنو إسرائيل في الأرض تشرداً عظيماً، ولم يبق لهم وجود في فلسطين، ونعمت هذه المنطقة بالهدوء والاستقرار فترة طويلة من الزمن، سوى ما حدث من غزو لفلسطين وسوريا ومصر من قبل الملكة "زنوبيا" ملكة تدمر وكانت هذه الملكة ذائعة الصيت والشهرة، فكان أن بنت مباني في منتهى الروعة، ما زالت آثارها قائمة حتى اليوم، ولكن حكمها على فلسطين دام لمدة ثلاث سنين فقط.

د - الامبراطورية البيزنطية المسيحية



عام ٣٢٤ ميلادي

في هذا العام حدث أمر هام جداً في روما، حيث اعتنق إمبراطور روما "قسطنطين" المسيحية بعد دراسته للفلسفة والأديان والآلهة، لكنه ادخل مع المسيحية الفلسفات وعبادته السابقة والآلهة، ويعزو بعض الباحثين معظم التحريف الذي حدث للمسيحية إلى زمن "قسطنطين".

ثم استطاع الإمبراطور "قسطنطين" أن يسيطر على الدولة البيزنطية، والتي كانت عاصمتها "القسطنطينية" (اسطنبول في وقتنا الحاضر)، فظلت "القسطنطينية" في أملاك روما، وكذلك سيطر على ممتلكات "بيزنطا" ومنها الشام وفلسطين، واعتنقت والدة هذا الإمبراطور المسيحية أيضاً، وكان أن زارت القدس، فلما وصلتها جعلت تسأل عن تاريخ المسيح عليه السلام، فأرشدوها إلى الآثار والأماكن، فلما رأتها أمرت ببناء كنيسة القيامة. وعليه فإن كنيسة القيامة ليست في زمن المسيح عليه السلام وانما بُنيت بعده بـ ٣٢٤ سنة، بنتها تلك المرأة في المكان الذي صلب فيه شبيه المسيح عليه السلام.

الامبراطور قسطنطين يعتنق المسيحية

وكان من القرارات التي اتخذها "قسطنطين" قرار جدد فيه منع اليهود من دخول القدس، فلم يلق اليهود المعاملة الحسنة من الإمبراطور الجديد، واستمر كذلك حكام الإمبراطورية الرومانية على نفس السياسة إلى أن جاء "جوليان".

ارتد هذا الأخير عن المسيحية وتبنى اليهودية، ونتيجة لذلك أراد إعادة مقدسات اليهود، وهمَّ أولاً بإعادة بناء الهيكل اليهودي الذي دمر عدة مرات كما رأينا، وصار مكانه بناء "جوبيتر"، غير أنه انشغل بأحداث كثيرة جداً منعته من ذلك.

الملك "قسطنطين" اضطهد اليهود ومنع دخولهم بيت المقدس



أوغستين من الدعاة النصارى الأوائل



خريطة انقسام الامبراطورية الرومانية



عام ٣٩٥ ميلادي

انقسام الامبراطورية وحكم هرقل

استمر هذا الصراع بين اليهودية والمسيحية إلى أن جاء عام ٣٩٥ ميلادي حيث انقسمت الإمبراطورية الرومانية، قسم في الشرق عاصمته "بيزانطا" وسمى الإمبراطورية البيزنطية، وحاكمها "هرقل"، وقسم غربي كان في يد روما، وسمي الإمبراطورية الرومانية، وباتت الإمبراطورية البيزنطية في الشرق ومن ممتلكاتها فلسطين والشام، والإمبراطورية الغربية في أوروبا وعاصمتها روما، وظل الأمر هكذا في فلسطين إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم. أي بقيت فلسطين تحت حكم الرومان البيزنطيين، ولم يكن لليهود خلال هذه الفترة وجود بارز في القدس، وإنما كان النصارى هم الذين كانوا يحكمون كل تلك المناطق، بالرغم من وجود اليهود في فلسطين.

رؤيا هرقل

وتوارث ملوك الروم الحكم وكلهم كان يلقب باسم هرقل حتى جاء هذا الملك، وترد هنا قصة "هرقل" حيث رأى حلماً فسره له علماؤه بأن بلاده سيأخذها منه "ملك المختونين"، فقال: من المختونون؟ قالوا: لا نعرف أحداً يختتن غير اليهود، ولكن اليهود مع ذلك لم تكن لهم أدنى سيطرة في مقدرات الأمور في القدس أو فلسطين، بل كانوا شرذمة مبعثرين في أرجائها دون أي ثقل سياسي أو عسكري فيها، وبالرغم من أن بعض ملوك الرومان مثل "جوليان" قد تبنوا اليهودية، ولكن الذين جاؤوا بعده عادوا إلى النصرانية، فلم يعد لليهود حقيقة وجود قوي في فلسطين، وهكذا استمر هذا الوضع حتى مجيء الدولة الإسلامية بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم.

قسطنطين يتبنى النصرانية ويضع الصليب على رايته

٥ - ظهور الإسلام وعهد النبي صلى الله عليه وسلم



عام ٥٧١ ميلادي

ولد الهدى

في هذا العام الشريف ولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت فلسطين ما زالت في يد الروم، ولم يتغير هذا الحال حتى وقت بعثته عليه الصلاة والسلام في ٦١٠/٨/١٠ بعد أربعين سنة من ميلاده كما هو معروف، وبقي وجود اليهود في فلسطين في نطاق حكم الروم البيزنطيين، ولم يكن لهم دولة أو كيان حقيقي فيها، بل كانوا أقلية مستضعفة.

غار حراء مكان أول وحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم



عام ٦١٤ ميلادي

في هذا العام غزا الفرس فلسطين بقيادة "كسرى الثاني" ملك الفرس، واستطاعوا أن يسيطروا على فلسطين ويطردوا منها النصارى الروم، وانتهبوا القدس وحطموا ودمروا كنيسة القيامة ونهبوا كنوزها، وشارك اليهود في هذه المعركة إلى جانب الفرس انتقاماً منهم بسبب ما فعله النصارى بهم، وجرت مذبحة عظيمة شارك فيها اليهود، حيث قتل خلق كثير من النصارى الرومان قدّر في هذه المعارك بحدود ستين ألف قتيل، وشارك اليهود كذلك في تدمير كنيسة القيامة وكنائس كثيرة أخرى في القدس وغيرها، ذلك أن اليهود كانوا يعتبرون النصرانية انحرافاً من اليهودية، ويعتبرونها كفراً بدينهم، وكانوا يطعنون في المسيح وأمه عليهما السلام، ولذلك لم يتورعوا عن المشاركة في هذه المجزرة العظيمة التي جرت للنصارى.

الفرس يطردون الروم من القدس

لقد كان اليهود يطمحون بذلك أن يسمح لهم الفرس بإقامة دولة في فلسطين أو على الأقل في القدس، ولكن على عكس توقعاتهم رفض الفرس ذلك، خوفاً من التاريخ الأسود لليهود، وغدرهم الدائم بمن يساندونهم، فمنعوا قيام دولة لليهود في فلسطين، بل إنهم قاموا بفرض ضرائب ثقيلة جداً عليهم.

لقد ذكر القرآن الكريم حادثة هزيمة الروم، ونزلت آيات سورة الروم تتحدث عن ذلك، وفيها: ﴿الم × غُلِبَتِ الرُّومُ ❁ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ❁ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ❁ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾. الروم (١-٥).

لقد وعد القرآن بأن الروم سينتصرون مرة أخرى على الفرس في بضع سنين، أي أقل من تسع سنوات، (البضع: من ٣ إلى ٩). والحقيقة كان هذا خبراً غريباً جداً، لأن هزيمة الروم كانت كبيرة، وكان الفرس دولة عظمى، بل كانت دولتهم أعظم دولة في العالم وقتذاك، فكيف تهزم أمام الروم المكسورين؟!

جعل كفار قريش من هذا الخبر القرآني أمراً للاستهزاء بالقرآن الكريم، وكذبوه أيما تكذيب، فراهنهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه -قبل أن يحرّم الرهان- على مائة بعير أن هذا سيحدث خلال تسع سنين فراهنوه.

شارك اليهودُ الفرسَ بقتل النصارى في فلسطين، ودمروا كنائسهم، فقد كانوا يعتقدون أن النصرانية هي انحراف كافر عن اليهودية.



صورة جدارية تمثل حكم الفرس



عام ٦٢٠ ميلادي

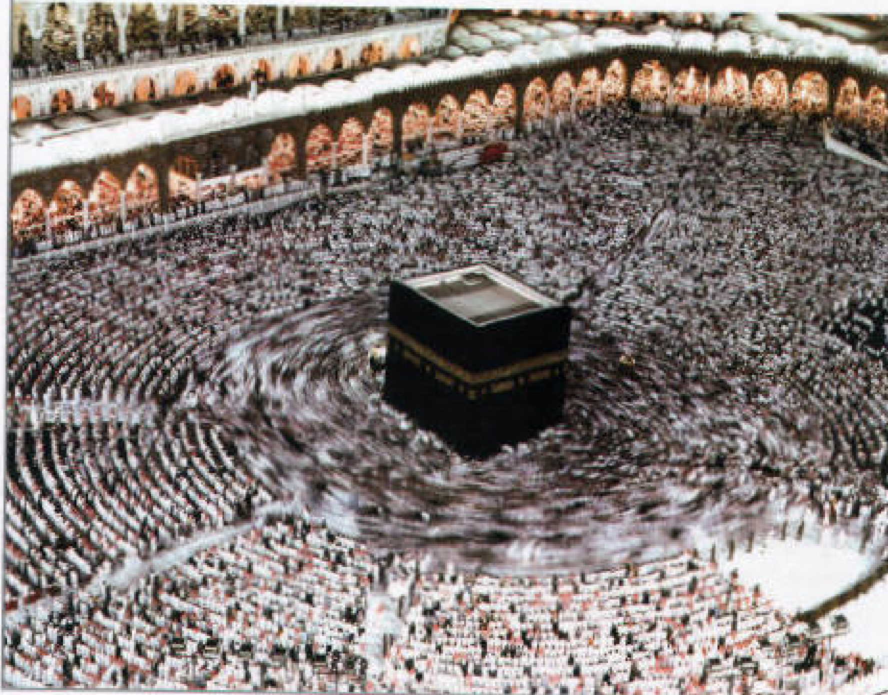
حادثة الإسراء والمعراج

وسمّي هذا العام بعام الحزن، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم فقد فيه عمه ونصيره، وفقد فيه أول المؤمنين وأعظم المؤمنات خديجة رضي الله عنها، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يخفف من آلامه ويواسيه، فكانت حادثة الإسراء والمعراج.

هذه الحادثة هي أكبر لفتة في تاريخنا الإسلامي إلى مكانة القدس وأهميتها الدينية لدى المسلمين، فقد كان بالإمكان أن يكون المعراج مباشرةً من مكة إلى السماء، لكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون المعراج من بيت المقدس، ونزلت في ذلك الآيات الكريمات: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. الإسراء (١).

إلى ذلك المكان المقدس أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم عُرج به إلى السماوات العلا، فكان أعظم ما حدث في حياته صلى الله عليه وسلم منذ وقت البعثة، إن هذه الرحلة المعجزة أعادت للتاريخ والمسلمين انتباههم إلى خصوصية القدس، ومنزلتها العظيمة عند الله عز وجل، فقد أحيا الله تعالى الأنبياء والمرسلين للنبي في المسجد الأقصى حتى صلى بهم صلى الله عليه وسلم إماماً، وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم لما سئل عن عدد الرسل قال: "ثلاثة مائة"، وسئل عن عدد الأنبياء فقال: "مائة وأربعة وعشرون ألفاً"، فقال أبو ذر رضي الله عنه: جمٌّ غفير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "جمٌّ غفير".

فهذه الأعداد الهائلة من الأنبياء والمرسلين أعادهم الله تعالى إلى الحياة ليجتمعوا لأول مرة في ذلك المكان الطاهر، وقد اختار لهم الله هذا المكان لشرفه وعظيم منزلته، فهو مهبط الوحي وأرض الرسالات، ولم يجتمع الأنبياء قط على الأرض في غير هذا المكان، فشرّفه بهم، وصلى الأنبياء والرسل جميعاً بإمامة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام، فكانت تلك أعظم صلاة في التاريخ!.



الكعبة المشرفة

إسراء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس دلالة ومؤشر عظيم على قدسية هذا المكان، وأهميته لدى المسلمين.



عام ٦٢٢ ميلادي

الهجرة الشريفة

حدثت في هذا العام الهجرة الشريفة إلى المدينة المنورة، حيث انتقل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إليها وبدأت دولة الإسلام الأولى الصغيرة في المدينة المشرفة المطهرة، وبدأت هذه النواة تكبر وتظهر في الوجود بإشراق جديد على البشرية جمعاء.

المسجد النبوي الشريف



عام ٥ هجري
٦٢٧ ميلادي

الروم يستردون القدس

وبعد خمس سنوات من الهجرة أي بعد سبع سنين من انكسار الروم قام "هرقل" بإعداد جيش ضخم، وهاجم الفرس في فلسطين، واستطاع أن يهزمهم، ومن غرابة الأمر أن اليهود شاركوا مع النصارى في معركتهم ضد الفرس، لأن الفرس أثقلوا كاهل اليهود ولم يمنحوهم شيئاً مما طمعوا فيه من السيادة والملك في أرض فلسطين والقدس، فكان أن قاتل اليهود إلى جانب النصارى ضد الفرس، وكان أن تلقى اليهود وعوداً من النصارى بتمكينهم في أرض فلسطين فيما لو قاتلوا إلى جانبهم، وتمت هزيمة الفرس وتحقق وعد الله تعالى في القرآن الكريم في أقل من تسع سنين كما أخبر تماماً.

النصارى يضطهدون اليهود

رغم أن النصارى وعدوا اليهود بالعفو وإعطائهم المكانة إلا أن رجال الدين النصارى الذين كانوا هناك، أعادوا إلى ذاكرة الرومان المجزرة التي قام بها اليهود مع الفرس في قتل النصارى، وعادوا يذكرون بهدم الكنائس والمقدسات المسيحية، فرفضوا أن يعفوا عن اليهود وأصروا على "هرقل" أن يقتل اليهود بدل العفو عنهم.

واستجاب "هرقل" لمطالب رجال الدين النصارى، فنكث عهده مع اليهود، وأمر بقتلهم، وأحدث النصارى مجزرة عظيمة باليهود، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وفر الباقون خارج فلسطين، واختفى قسم منهم داخلها، فلم يبق لهم ذكر في الأرض المقدسة.

انتقم النصارى لأنفسهم من اليهود، وقتلوهم في بيت المقدس، وهرب اليهود منها حتى لم يبق منهم أحد.



عام ٦ هجري
٦٢٨ ميلادي

دعوة هرقل إلى الإسلام

دخل "هرقل" إلى القدس دخول المنتصرين، واحتفل بالنصر احتفالاً كبيراً، وفي هذه الأونة وصله خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام، وجاء فيه: من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، أسلم تسلم، فإن لم تسلم فعليك إثم "الأريسيين".

و"الأريسيون" هم الروم بمجموعهم، وكان لهذا الخطاب وقع شديد في نفس "هرقل"، الذي كان من القساوسة العالمين بالنصرانية وبشارات هذا النبي المنتظر، ويجد في الإنجيل والكتب المقدسة علامات لظهوره، ولكنه لم يكن يتوقع أن يخرج من بين ظهراني العرب في الجزيرة العربية، وكاد "هرقل" أن يسلم، فبدأ يدعو القساوسة إلى أن يسلموا في قصة طويلة، لكنهم في النهاية عارضوه في ذلك، وأصروا على القتال، وبات موقف هرقل شديد الحساسية، فهو قد عرف الحق وأذعن له قلبه، ولكنه خاف على ملكه أن يزول بسبب إشهار إسلامه، فآثر البقاء على دين النصارى، فأرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخطاب مفاده أنه قد أسلم، ولكنه في الحقيقة بقي على دينه حفاظاً على الملك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما بلغه أمر "هرقل": "كذب عدو الله، وإنما غرّه الملك فتمسك به".



عـام ٧ هجـري
٦٢٩ مـيـلادي

غزوة خيبر

في هذا العام حدثت غزوة خيبر بين المسلمين واليهود، وكانت هذه الغزوة حصيلة عدة معارك بين النبي صلى الله عليه وسلم واليهود في المدينة، فقد غزا قبلها بني النضير وكذلك بني قينقاع وبني قريظة، وكل تلك الغزوات حدثت بسبب خيانات يهودية متوالية فتحت باب الصراع بين المسلمين واليهود، فكان من أمر اليهود أن فروا من يثرب وتجمعوا في خيبر، ولقد كانت مؤامرات اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كثيرة جداً، فهم لم يضيعوا فرصة للغدر بالمسلمين إلا واغتنموها، منتهكين بذلك كل العهود والمواثيق التي أتوها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، وكانت خيانتهم الكبرى في غزوة الأحزاب في القصة المعروفة.

وانتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قام بعمرة الحديبية، حيث صالح قريشاً في الحديبية، فأمن جبهة قريش أولاً وتفرغ لأمر اليهود، فقام بجمع صحابته واتخذ قراراً بمهاجمة اليهود في خيبر، وفعلاً كانت تلك المعركة العظيمة مع اليهود، فدمرهم النبي صلى الله عليه وسلم، وقضى على حصونهم وأخذ أموالهم، غير أنهم توسلوا للنبي صلى الله عليه وسلم في البقاء في أرضهم على أن يكونوا أجراء عنده، وقالوا: نعمل في مزارعنا ونعطيك غلالها، فوافق النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، وبقي أكثرهم أجراء لدى المسلمين، ورحل قسم منهم نحو فلسطين ممن ضاق به العيش تحت هذه الحال.

ولم يستمر الحال طويلاً على هذا الشعب الذي تعود الخيانة والغدر، وملأت صحائف تاريخه أنواع النكوث بالعهود والخيانات والجرائم السوداء، فلم يأت عهد عمر بن الخطاب حتى جددوا الخيانة ونكثوا عهدهم، فقاموا بقتل أحد المسلمين غدراً، فاتخذ به عمر قراره الحكيم الصائب، فكان أن أجلاهم عن المدينة بالكامل، وطردهم من جزيرة العرب إلى غير رجعة، فرحلوا أولاً إلى سيناء، فقام عمر رضي الله عنه فطردهم منها أيضاً، فتوجهوا نحو فلسطين، وبدأ من جديد التجمع اليهودي في فلسطين.

في هذه الأثناء كانت قد بدأت المعارك بين المسلمين والروم، واستمرت حتى كانت غزوة مؤتة الشهيرة، حيث لم يستطع المسلمون أن ينتصروا على الروم، وانسحب خالد بن الوليد رضي الله عنه ومن بقي من الجيش سليماً في حركة عظيمة، وصفتها بالتفصيل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.



الحروب الأولى للمسلمين كما يصورها فنان فارسي

اليهود نكثوا عهودهم مع المسلمين مرات عدة، حتى أجلاهم عمر بن الخطاب عن جزيرة العرب، فكيف تؤمن عهودهم اليوم؟!



عام ١١ هجري
٦٣٣ ميلادي

وفاة المصطفى عليه الصلاة والسلام

توفي في هذا العام النبي صلى الله عليه وسلم، وحصلت ردة كبيرة بين صفوف المسلمين، قامت على أثرها حروب الردة التي بدأها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وبعد أن سيطر أبو بكر على الوضع واستقر الأمر في الجزيرة العربية جيَش الجيوش للتوجه نحو فارس والروم دفعة واحدة، في قرار من أعظم قرارات التاريخ، دولة إسلامية فتية تبدأ بحرب على أعظم دولتين في العالم وقتها، فارس والروم، لقد كان قرار أبي بكر رضي الله عنه تنفيذاً لرسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحذيره لملوك فارس والروم لدخول الإسلام، ولما لم يستجيبوا جهَز الجيوش لقتالهم.



قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم



صورة قديمة للقرآن الكريم



الباب الثاني

فلسطين في العهد الإسلامي



الباب الثاني

فلسطين في العهد الإسلامي

الفصل الأول

عهد الخلفاء الراشدين

١- الفتح الإسلامي للشام

٢- فتح القدس

١ الفتح الإسلامي للشام



عام ١٣ هجري
٦٣٤ ميلادي

معركة أجنادين

في هذا العام أمر أبو بكر الصديق أبا عبيدة بالتوجه إلى الشام، ثم أدرك وجوب مساندته، فأرسل إلى خالد بن الوليد لمساعدة جيش الشام.

وتحرك خالد بن الوليد من العراق إلى الشام في حركة عجيبة جداً، اشتهرت هذه المساندة التي أتى بها خالد بن الوليد في تاريخ المسلمين، ووصفتها تفصيلاً في الفتوحات، فوصل إلى الشام في خلال خمسة أيام قطع الصحراء الملتهبة، في إعجاز عسكري فريد.

وصول خالد بن الوليد

وصل خالد بن الوليد رضي الله عنه والمسلمون منتظمون في أربعة جيوش، فقام بهم خطيباً وقال: إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر أو البغي، أخلصوا جهادكم وابتغوا الله بعملكم، فإن هذا اليوم له ما بعده.

واقترح خالد أن تتوحد الجيوش جميعها في جيش واحد، ويتولى كل قائد جيش قيادة الجيش الموحد في كل يوم من أيام الحرب، فوافقوا وعينوه قائداً لليوم الأول، وبدأت هذه المعركة العظيمة، وكان من بأس الروم أنهم كانوا يربطون كل عشرة من المقاتلين في سلسلة، حرصاً عليهم من الضعف والفرار، ذلك أنهم كانوا مجبورين على دخول المعركة بدون حماس أو عزيمة، فكان هذا بالنسبة لهم حلاً لمنع فرارهم وبقائهم في تنظيم الجيش، ولكن هذا كان في النهاية وبالاً عليهم.

وبدأت المعارك المتتالية بين المسلمين والروم، وكان من أعظم هذه المعارك ما حدث في عام ٦٣٤ من الميلاد سنة ١٣ هجرية معركة "اجنادين" والتي وقعت جنوب غرب القدس، وهذه المعركة هي أول معركة رئيسية تحدث بين المسلمين والروم في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان من الذين شاركوا فيها الصحابي الجليل معاذ بن جبل، وهو الذي خطب في المسلمين في بداية المعركة فقال: يا معشر المسلمين اشروا أنفسكم (يعني بيعوا أنفسكم) اليوم لله، إن هزمتموهم اليوم كانت لكم هذه البلاد دار إسلام أبداً، (يعني أبد الدهر).

ولقد صدق رضوان الله عليه، وكان نتيجة هذه المعركة العظيمة أن انتصر المسلمون انتصاراً عظيماً جداً على الروم، وبدأت فتوحات المسلمين في الشام تتوالى.

في نفس هذا العام، وفي شهر جمادى الأولى توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وتولى الأمر من بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واستمر يدير المعارك من المدينة المشرفة في الشام وبلاد العراق وفارس.

اقترح خالد أن تتوحد الجيوش جميعها في جيش واحد، ويتولى كل قائد جيش قيادة الجيش الموحد في كل يوم من أيام الحرب، فكان مثالاً للوحدة الإسلامية



عـام ١٤ هجـري
٦٣٥ مـيـلادي

معركة اليرموك

وبعد ذلك حدثت معركة عظيمة هي معركة فتح دمشق بعد حصار دام أربعة أشهر، ثم فتحت بعدها بعلبك في لبنان ثم حمص، وبدأت الفتوحات تتوالى وفي ٦٣٦/٨/١٢ ميلادية الموافق ٥ رجب ١٥ هجرية كانت معركة اليرموك العظيمة، حيث تجمع الروم في مائتي ألف فارس لقتال المسلمين، هنالك شعر المسلمون بخطر شديد، فقد كان جيش الروم عظيماً وكثير العدة والعتاد والرجال، ولكن عظائم نفوسهم وقوة إيمانهم فاقت كل ذلك، ولمواجهة هذا الجيش الجرار.

في هذه الأونة انسحب أبو عبيدة عامر بن الجراح من حمص لمواجهة الروم، وأعاد لأهلها الجزية التي كان قد فرضها عليهم لحمايتهم، فكان ذلك مضرب المثل في التاريخ، وكان أول فاتح يعيد مالاً أخذه من أهل الأرض التي احتلها، وهكذا شأن المسلمين. وليس المقام هنا وصف فتوحات المسلمين ورواية قصصهم الرائعة بقدر ما يهم سرد الوقائع التاريخية لنصل إلى لبِّ القضية.

مقتلة عظيمة للروم

كانت المعركة قرب هاوية، واستغل خالد بن الوليد هذا الموقع فبدأ يضغط على جيش الروم باتجاه الهاوية، حتى حاصروهم عندها، فكان إذا سقط أحد أفراد جند الروم سحب معه عشرة، فسقط منهم في الهاوية ثمانون ألفاً..! وأحصي عدد الذين قتلوا منهم بخمسين ألفاً، فكان مجموع قتلاهم مائة وثلاثين الف قتيل في هذه المعركة..لم يقتل للروم في معركة مثل ما قتل لهم في اليرموك، في حين استشهد من جيش المسلمين ثلاثة الاف من أصل تعداد عام بلغ ستة وثلاثين ألف مقاتل مسلم، وتم بذلك أعظم نصر للمسلمين، تحقق بما يشبه معجزة عسكرية خالدة.

لقد هز الروم هذا الانتصار العظيم، وما كان من "هرقل" عندما وصلته الأخبار بالهزيمة المنكرة، إلا أن انسحب من الشام ودمشق، قائلاً مقولته الشهيرة: "السلام عليك يا سورية"، وكان من عادته إذا زار سورية أو فلسطين وغادر أن يقول: "السلام عليك يا سورية سلام عائد"، لكنه في هذه المرة قال: "السلام عليك يا سورية سلام مفارق".

وانسحب هرقل تاركاً جيوشه وراءه في الشام، فتحرك عمرو بن العاص رضي الله عنه بجيشه نحو القدس بعد ما طهر وغزة ونابلس واللد ويافا ورفح وغيرها، فتحصن النصارى في القدس.



معركة المسلمين مع الروم في اليرموك

٢ فتح القدس (١٥ هجري - ٦٣٦ ميلادي)



١٥ هجري
٦٣٦ ميلادي

عزل خالد

في هذه الأثناء كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد عزل خالد بن الوليد عن رئاسة الجيش وعين أبا عبيدة رضي الله عنه مكانه، فأرسل هذا الأخير إلى قادة الجيوش يستشيرهم أين يتوجه، فقالوا: استشر أمير المؤمنين، فأرسل إليه يستشيره، فأشار عليه بالقدس، ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً، فلقد كانوا ينتظرون بفارغ الصبر الصلاة في المسجد الأقصى، وتحركت الجيوش نحو القدس جميعها ومن بينهم خالد بن الوليد ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة رضوان الله عليهم وغيرهم من كبار الصحابة، وبدأ الحصار على أسوار القدس، ثم ما لبث أن بدأ القتال بين الفريقين، واستمر لمدة عشرة أيام متوالية، وصمد الروم واستبسلوا في الدفاع عن معقلهم الأخير في بلاد الشام، وعلى خلاف اليهود فقد أظهر الروم شجاعة في موقفهم وثباتهم، وقد عرف عنهم تاريخياً هذا الأمر، ولكنهم ما كانوا ليثبتوا أمام فتح الإسلام وقوته.

أبو عبيدة يصل القدس

وفي اليوم الحادي عشر وصل أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه، فلما رآه المسلمون كبروا تكبيراً عظيماً أدخل الرعب في قلوب الروم، ودب في نفوسهم الخوف الشديد، فهم لم يسمعوا مثل هذا التكبير من قبل، واعتقدوا أن أمير المسلمين عمر بن الخطاب وصل بنفسه إلى القدس فاتحاً، فأخبروا البطريرك كبير القساوسة بذلك، فقال: وحق الإنجيل إن كان قدم أميرهم فقد دنا هلاككم. فتعجبوا من قولته! وقالوا: كيف ذاك؟! قال: لأننا نجد في العلم الذي ورثناه في النبوءات التي عندنا أن الذي يفتح الأرض في الطول والعرض ومنها فلسطين هو الرجل الأسمر الطويل الأحور، فإن كان قدم فلا سبيل لقتاله فسلموا له. وكانت تلك صفة عمر بن الخطاب. ثم إن هذا البطريرك تقدم إلى المسلمين بنفسه ليتعرف على أمير المسلمين الذي ظنه عمر بن الخطاب، فلما عرف أنه ليس الشخص المقصود عاد إلى قومه وأمرهم بمواصلة القتال.

لقد نصر الله تعالى المسلمين في اليرموك، وكانوا ٣٦ ألفاً، بينما كان الروم ٢٠٠ ألف مقاتل، قتل منهم ١٣٠ ألفاً.



حصار القدس

طال حصار القدس على المسلمين، واستعصى فتحها حتى دام أربعة أشهر من الحصار قطع فيها المسلمون عن الروم كل سبل النجاة، وضيقوا عليهم كل أسباب الحياة، ومع ذلك لم يستسلموا . وبعد ضيق شديد أصاب النصارى طلب البطريرك من المسلمين عبر الرسل أن يخبروه عن صفات أميرهم في المدينة، فأخبروه بصفات عمر بن الخطاب، فطابق الوصف ما كان موجوداً في كتبهم المقدسة، فطلب المفاوضات مع قائد الجيش الإسلامي، فجاءه أبو عبيدة، فسأله البطريرك: لماذا تريدون فتح هذه البلدة المقدسة؟! إن من قصدها يوشك أن يغضب الله عليه ويهلكه! فقال له أبو عبيدة: إنها بلدة شريفة، وفيها عُرج بنبينا إلى السماء فكان قاب قوسين أو أدنى، وهي معدن الأنبياء وقبورهم فيها، ونحن أحق منكم بها، ولا نزال عليها إلى أن يملكنا الله إياها كما ملكنا غيرها. فقال البطريرك: فما الذي تريدون منا؟! فقال: واحدة من ثلاث: إما الإسلام وإما الجزية والصلح وإما القتال. فوافق البطريرك على الصلح، لكنه اشترط ألا يدخلها أحد قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.



صورة قديمة لقبة الصخرة

عمر الفاروق في القدس

وخرج أبو عبيدة ثم أرسل إلى عمر بالخبر، فقال عمر: آتيك. وتحرك عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رحلة من المدينة المنورة إلى فلسطين في رحلة ضربت بها الأمثال في أخلاق الملوك.

خرج عمر رضي الله عنه وحيداً مع غلام له على بعير واحد، فكان يتناوب هو والغلام في الركوب عليه، وعمر لو أراد لحُمل إلى القدس في موكب مهيب تتصدع له الأرض تحت أقدام الفرسان، ولكنه أراد أن يعطي لملوك الأرض درساً في التواضع والعزة بالله لا بغيره.

ولما وصل عمر والغلام القدس كان دور الغلام ليركب البعير، وأراد الغلام أن يقدم أمير المؤمنين عليه ليراه الناس راكباً، ولكنه أبى ذلك ودخل القدس ماشياً والغلام راكب! ولما رآه المسلمون كبروا وهللوا، وسمّي الجبل الذي كبرّ عنده عمر بن الخطاب جبل المكبّر فيما بعد. واقترب أمير المؤمنين من الجيش فإذا عليه ثياب متواضعة مشققة الجوانب، وجعل النصارى ينظرون من أسوار القدس إلى هذا المنظر العجيب، ولسان حالهم يقول أهذا أمير كل هذه الجيوش الجرارة؟!.

ثم إن الأمير وصل إلى مخاضة في أرض مليئة بالطين، وحاول الغلام مرة أخرى أن يجعل أميره يركب البعير خوفاً من أن يصيب الطين والبلل ثيابه، فقال له عمر: اركب. فركب الغلام وأخذ عمر بزمام البعير يجره في المخاضة ونزع نعليه فاحتملهما وشد البعير، والناس تنظر متعجبة إلى هذا المنظر.

> دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه القدس يخوض بثيابه مخاضة الطين، ويجر بعيره بيديه، وعليه غلامه، ليعلم الأمة كيف تكون القيادة والرياسة.

لم يحتمل أبو عبيدة رضي الله عنه ذلك ، فاستعجل إلى أمير المؤمنين وقال: يا أمير المؤمنين قد صنعت اليوم صنعاً عظيماً عند أهل الأرض، فهل لك أن.. فضربه عمر في صدره مؤنباً وقال: أما لو قالها غيرك يا أبا عبيدة، لقد كنا قوماً أذلاء فأعزنا الله بالإسلام، وكنا ضعافاً فقوانا الله..

فليتعلم ذلك الذين يجلسون على كراسي المفاوضات اليوم في بذلات فخمة ومن أمامهم وخلفهم الحاشية والخدم والحراس، وليفهم من ذلك المفاوضون اليوم عزة الإسلام وقوته، لقد رأينا النصارى يعطلون يوم أحدهم، والمسلمون يستمرون في المفاوضات حتى أيام الجمع! واليهود يتركون التفاوض في يوم السبت ونحن أيامنا كلها سواء!!..

ولما رأى البطريرك هذا المنظر هاله وأرعبه، وعظم شأن الإسلام في نظره، وقال لقومه إن أحداً في الدنيا لا يستطيع الوقوف في وجه هؤلاء القوم، فسلموا لهم تنجوا، وكتب العهد بينهم، وأعطاهم عمر رضي الله عنه الأمان في القدس، وأمّن عبادتهم وكنائسهم ومقدساتهم بأنها لا تهدم ولا تمس، وبذلك عرفت القدس أرحم فاتح لها في التاريخ، فقد مر في تاريخ القدس الذي ذكرناه أن كل فاتح كان يغزو القدس فيهدمها كاملة ويقتل أهلها، فانظر -يا رعاك الله- رحمة المسلمين وأخلاقهم.

العهدة العمرية

وكتبت المعاهدة بين المسلمين والنصارى، وسميت تلك المعاهدة بـ «العهدة العمرية»، وبقيت العهدة العمرية المشهورة موجودة حتى اليوم، وهي محفوظة في كنيسة القيامة بالقدس، ونصها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله؛ عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم؛ أماناً لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها، وبريئها، وسائر ملتها، وأن لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية، كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص).

فمن خرج منهم، فإنه آمن على نفسه وماله، حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية.

ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم، وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم.

فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله. فإنه لا يؤخذ منهم شيء، حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب، عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين. إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية).

وهكذا اشترط فيها عمر على النصارى أن لا يسكن "بإيلياء" أحد معهم من اليهود، ومُنع اليهود من دخول القدس، وهم أصلاً لم يكونوا فيها قبل الفتح. وقد كان هذا المنع بطلب من النصارى أنفسهم لما عرفوا من شدة المصائب التي تأتي من وراء اليهود، ووافقهم عمر بن الخطاب على ذلك، وجاء في نهاية هذه العهدة: "وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا ما عليهم من الجزية". ثم شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان.

ودخل عمر بن الخطاب بعد هذه المعاهدة القدس وفتحت له أبوابها، وجعل يتجول فيها حتى وصل إلى كنيسة القيامة، فأذن المؤذن وهو فيها، فقال له البطريرك: صلِّ. فقال له: لا، أما إني لو صليت هنا لأخذها منكم المسلمون فيما بعد ويقولون: صلى عمر هنا.

لقد ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعالم أمثالاً في السماحة والشرف، وكان في موضع قوة لو أراد به أن لا يبقي حجراً على حجر لفعل، ولا يلومه أحد على ذلك أو يعترض. ولكنها عظمة الإسلام أشرقت في نفسه وانعكست على أخلاقه، وهو الرجل الصلب الشديد المعروف بالقسوة والعزة.

عمر ينظف المسجد الأقصى



بيت المقدس

واستمر عمر في تجواله باحثاً عن المسجد الأقصى، فلم يجده، فسأل عنه البطريرك، فقال له: أهو ذلك الذي كان يعظمه اليهود؟!.. قال: نعم. فدلّه عليه. فوجده وقد حوله النصارى إلى مكان لإلقاء القمامة والقذارة. فشمّر عمر بن الخطاب عن ساعديه وبدأ يكنس وينظف المسجد، فلما رأى المسلمون والقادة والجند ذلك تجمعوا وبدؤوا ينظفون المسجد الشريف، لقد عمل بذلك كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

ثم أخذ عمر عباءته فصلى عليها ثم تركها هناك، فكانت أول صلاة للمسلمين في المسجد الأقصى بعد النبي صلى الله عليه وسلم. صلى ركعتين قرأ في الركعة الأولى سورة ص، التي فيها ذكر داود عليه السلام، وقرأ في الثانية سورة الإسراء تعظيماً لهذا المكان، وكان الذي أذن بعد ذلك لأول صلاة هو بلال مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان بلال رضي الله عنه لم يؤذن منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلا في الجابية لما تجمعت الجيوش الإسلامية.

ثم إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر فوراً ببناء المسجد الأقصى بعد المزبلة التي كانت فيه، وأمر بتعظيم ذلك المكان، فبناه المسلمون من خشب يتسع لثلاثة آلاف مصل. وأخذ المسلمون يتوافدون للصلاة في هذا المكان المبارك ، هكذا كان فتح القدس وهكذا عادت المكانة العظيمة التي كانت للمسجد الأقصى بعد الإهانة التي فعلها النصارى فيه.



عام ١٨ هجري
٦٣٩ ميلادي

انتشر في هذا العام طاعون "عمواس" في فلسطين، فكان أكبر طاعون يصيب المنطقة، فقتل من الناس ثمانية عشر ألفاً، وكان عدد كبير من المسلمين قد مات في هذا الطاعون، فعيّن أبو عبيدة رضوان الله عليه شاباً صغيراً ليكون حاكماً عنه على كل بلاد الشام، وكان هذا الشاب داهية من دهاة العرب، هو معاوية بن أبي سفيان، فكان أول والٍ على بلاد الشام، شملت فلسطين والأردن ولبنان وسوريا، وظل يحكمها عشرين سنة إلى أن صار خليفة ثم حكمها عشرين سنة أخرى بعد الخلافة، فكانت أربعين سنة لم تحدث فيها فتنة واحدة، بينما انتشرت فتن كثيرة فيما حولها من البلدان، حتى المدينة لم تسلم منها، وسأل بعضهم معاوية مرة: كيف حكمت ولم تحدث فتنة والبلاد كلها تغلي؟ فقال قولته المشهورة: بيني وبين الناس شعرة إذا شدوا أرخيت، وإذا أرخوا شددت. فاشتهرت هذه السياسة بعد ذلك بـ "شعرة معاوية".

معاوية والي الشام



المسجد الأموي في دمشق



صورة من المصحف تعود للقرن الثالث الهجري



عـــام ٢٠ هجـــري
٦٤١ مـيـــلادي

فتح مصر وازدهار القدس

ترك عمرو بن العاص فلسطين وانتقل نحو مصر، ففتحها ودخل أهل مصر في الإسلام جموعاً غفيرة كما حصل سابقاً في بلاد الشام، وهكذا بدأ الإسلام ينتشر وظلت بلاد المسلمين في ازدهار وبلاد الشام في عمران وثقافة وبناء للحضارة وبناء للمباني والفنون والأدب والترجمات، حتى صارت مركزاً من مراكز العلم في العالم، وزار القدس عدد من الصحابة، حتى أن بعضهم مثل ابن عمر رضي الله عنهما ذهب إلى القدس ثم أحرم بالحج من القدس، فلبس لباس الإحرام من القدس إلى مكة الشريفة، فعظمت مكانتها وعلا شأنها، وبلغت الحضارة فيها أوجها، وأضحت مدينة للعمران والثقافة والفكر. إن اليهود لم يبنوا في القدس اي حضارة أو ثقافة ما، بل بناها المسلمون وعمروها واعتنوا بها أيما اعتناء.



الباب الثاني

فلسطين في العهد الإسلامي

الفصل الثاني

العهد الأموي والعباسي

١- العهد الأموي

٢- العهد العباسي

٣- الفاطميون (العبيديون)

٤- السلاجقة الأتراك

٥- حركة الاصلاح الديني

١ العهد الأموي (٤٠-١٣٢ هـ، ٦٦٠-٧٥٠ م)



عام ٦٥ هجري
٦٨٥ ميلادي

عبد الملك يبني الأقصى

أكمل عبد الملك بن مروان بناء المسجد الأقصى بناءً كاملاً، وجعل فوق قبة الصخرة ذلك البناء العظيم، حتى أنه رصد لهذا البناء خراج مصر سبع سنين كاملة، ولكن عبد الملك توفي قبل أن يتم البناء، ثم أكملها من بعده ابنه الوليد بن عبد الملك، واستمرت بلاد الشام تتقدم من حضارة إلى أوسع، ومن ازدهار إلى أكبر.



عام ٦٧ هجري
٦٨٧ ميلادي

سليمان بن عبد الملك يبني الرملة

تولى الخلافة بعد ذلك سليمان بن عبد الملك فأسس مدينة الرملة وبناها بالكامل ولم يكن لها وجود سابق، وارتفع شأن القدس وفلسطين في نظر المسلمين والعالم، فتوسعت توسعاً عظيماً، وبلغت من المجد كل غاية، وارتفعت بها الصروح والأبنية، كل هذا كان من اهتمام المسلمين بهذه البقعة المباركة من بلاد الشام، ولعل المتأمل في التاريخ السابق الذي سردناه يعلم أن اليهود لم يبنوا بناء واحداً فضلاً عن كونهم دعاة حرب ودمار على طول التاريخ، إنه لم يكن من شأنهم سوى إقامة الفتن وإيغار صدور الناس واستثارة الأحقاد هنا وهناك، والمتأمل أيضاً في التاريخ ينظر كم مرة هدمت القدس ومقدسات اليهود بسبب مكرهم واستكبارهم وغدرهم. بينما لم تهدم مباني المسلمين على الرغم من طول الزمان وتتابع الأيام. إن عين المنصف المتجرد لا يمكن أن ترى سوى الحقيقة الدامغة، والوقائع الناصعة في جبين الأمة الإسلامية، إن هذا التاريخ مدون ومكتوب بأحرف غربية ويهودية قبل أن تكون حروفاً عربية وإسلامية، ويبقى أن يفتح عينه كل إنسان طمست بصيرته، ليرى نور الحق ساطعاً لا يخفى على أحد. فأي حق لليهود بعد كل هذا بأرض فلسطين؟ أين ما يدّعونه من سكنى الأرض المقدسة وأنهم سكانها الأصليون؟ لقد استعرضنا تاريخهم فلم نجد سوى هجرات مؤقتة كانت تنتهي بإجلائهم مطرودين منها، أو تقتيلاً أو تشريداً في الأرض. ولم يؤسس لهم بنيان واحد بقي على مرّ الزمن لتراه أعين الشهود.



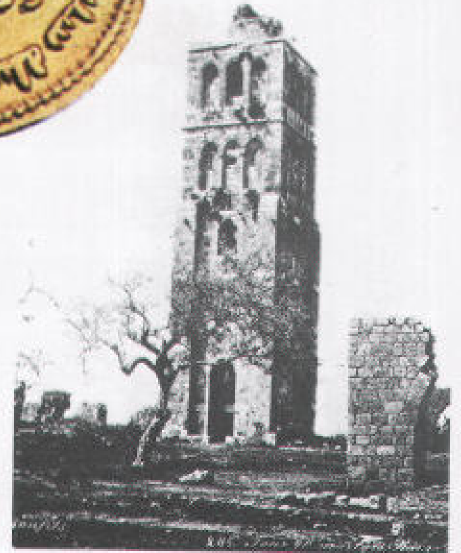
نقود أموية



عام ١٢٩ هجري
٧٤٧ ميلادي

ترميم الأقصى

في هذا العام أصاب المسجد الأقصى زلزال صدّع بعضاً من أركانه، فسارع المسلمون إلى ترميم ما أصابه من أضرار، ولكنه كان ترميماً بسيطاً ومؤقتاً.



مئذنة الجامع الأبيض في مدينة الرملة

٢ العهد العباسي



عام ١٣٢ هجري
٧٥٠ ميلادي

بداية الحكم العباسي

كانت نهاية الأمويين في هذا العام وبداية الحكم العباسي، فسيطر العباسيون على الحكم، وبعد أربع سنوات من بدء الخلافة العباسية أمر المنصور الخليفة العباسي الثاني بترميم المسجد الأقصى بالكامل بعد ذلك الزلزال الذي أصابه، ولكن الزلازل كانت مستمرة على المنطقة، وبعد عشرين سنة أصاب الأقصى زلزال ضخم دمر معظمه، فقام الخليفة المهدي بن أبي جعفر المنصور ببناء كامل وتوسعة كبيرة للمسجد الأقصى، وجعل العمران يزداد في المسجد الأقصى وصارت الحضارة تنهض وتنتشر بسرعة كبيرة.



عام ١٦٩ هجري
٧٨٦ ميلادي

أصدر في هذا العام الخليفة هارون الرشيد رحمه الله تعالى قراراً بالسماح للإمبراطور الروماني في بيزنطة "شرلمان" بترميم كنائس القدس، وسمح له كذلك أن يرسل البنائين والأموال لبناء كنائسهم كما يريدون، فبنيت الكنائس، ثم أصدر قراراً يقضي بفرض حماية لكل مسيحي يريد زيارة الأماكن المقدسة المسيحية في القدس، فصار جنود المسلمين يحمون الزائر المسيحي من أي أذى يمكن أن يصيبه حتى يقضي زيارته ويعود من حيث جاء.

التسامح في عهد الرشيد

هل عرف التاريخ فاتحاً أعظم من العرب المسلمين، وانظروا إلى هذه السماحة والشهامة وقمة الأخلاق في التعامل مع المسيحيين، هل قابل الصليبيون هذا الإحسان بمثله؟! وهل عرفوا معنى لرد الجميل والفضل لأهله؟! إن الوقائع تشهد مجتمعة بعكس هذا ونقيضه. ونحن نستغرب اليوم من أناس يثقون باليهود، بل الأغرب أن تجد من النصارى من يثق باليهود، وهم الذين يقولون على مريم عليها السلام قولاً وبهتاناً عظيماً، ويسبون المسيح ويقولون دجال وكافر وساحر، كيف يثقون بهم بعد هذا بينما نحن الذين نعظم الإنجيل ونعظم المسيح عليه السلام؟!

إن المسلمين هم الذين أعطوا الأمان للنصارى، وهم الذين سمحوا لهم ببناء كنائسهم وقاموا بحمايتها لهم، فهم أقرب إليهم من اليهود لو تأملوا..



شرلمان



البابا يتوج شرلمان



عام ٢٤٧ هجري
٨٦١ ميلادي

الخلافة العباسية الصورية

حدث في هذا العام تحول خطير في أرض الخلافة في بغداد، وذلك عندما قتل الخليفة المتوكل على يد قادة الجيش الأتراك، وكان الأتراك قد وفدوا إلى العراق بأعداد كبيرة، وشيئاً فشيئاً زاد اعتماد الخلفاء العباسيين على الأتراك بدلاً من العرب، وذلك خوفاً من زوال ملكهم. ولكن الأتراك توغلوا في جهاز الدولة بكل جوانبه، حتى تمكنوا من تملك مقاليد الأمر، حتى أنه في نهاية الحكم العباسي ذُكر أنه تولى الخلافة سبعة وثلاثون خليفة عباسي منهم ثلاثة فقط أمهاتهم عربيات، أما الباقي فأمهاتهم أعجميات، فاعتمد العباسيون على الأتراك والأعاجم وغيرهم، وجعلوا منهم قادة في الجيوش، وكانت تلك آخر أخطائهم، فسيطر هؤلاء على الجيوش وتملكوا بذلك نصاب الأمور، فقتلوا الخليفة وسيطروا سيطرة فعلية على الخلافة، وظل الخليفة العباسي موجوداً، ولكن بشكل صوري فقط.



إناء أهداه هارون الرشيد لشرلمان ملك الروم



عام ٢٥٤ هجري
٨٦٨ ميلادي

قيام الدولة الطولونية في مصر

إن أكبر أخطاء الدولة العباسية أنها سمحت للأعاجم بالتغلغل إلى هيكل الدولة السياسي والعسكري، وأتاحت لهم تولي المناصب الهامة في الدولة، والسيطرة على الجيش، إلى أن حدث خلاف خطير بين والي مصر "أحمد بن طولون" ذي الأصل الأعجمي من بخارى، وبين "أحمد الموثق طلحة" أخي المعتمد الخليفة العباسي، وكان "أحمد بن طولون" من المجاهدين الأبطال، درس اللغة العربية والدين الإسلامي، وكان محباً للفروسية، فبرز بسبب ذلك في الفنون القتالية العسكرية، فعينه الخليفة لذلك والياً على مصر، فكان من نتيجة هذا الخلاف الذي دب بينه وبين أخي الخليفة العباسي، أن استقل "أحمد بن طولون" بحكم مصر، ولم يعلن استقلاله رسمياً، ولكنه استقل بشؤونها دون الرجوع إلى الخلافة العباسية في بغداد.



عام ٢٦٤ هجري
٨٧٧ ميلادي

الطولونيون يسيطرون على الشام

استحكم الخلاف بين مركز الخلافة في بغداد، وبين والي مصر "أحمد بن طولون" الذي كما قلنا استقل بحكمه وأعلن عصيانه للخلافة العباسية، وكان من أمره أن جهز جيشاً للسيطرة على بلاد الشام، وكانت الدولة العباسية قد بلغت في هذه الآونة مرحلة من الضعف مكّنت ولاة مثل والي مصر من الاستقلال بل وبدأ احتلال أراضي الخلافة.

تحرك "أحمد بن طولون" إلى أنطاكية شمالاً ففتحها وسيطر على حماة وحلب وحمص، ثم مد نفوذه حتى القدس وفلسطين، وقامت بينه وبين الدولة العباسية عدة حروب، واشتعلت نار الحروب في جسم الدولة العباسية، وكانت هذه الدولة "الطولونية" أول حركة استقلال عن الخلافة منذ بدئها، ومهدت لكثير من الحروب والتمزقات فيما بعد.



عام ٢٧١ هجري
٨٨٣ ميلادي

الصلح بين العباسيين والطولونيين

توفي "أحمد بن طولون" وتولى من بعده الحكم في مصر والشام ابنه "خمارويه" وبعد توليه مقاليد الأمور قامت معركة كبيرة بينه وبين العباسيين سميت "معركة الطواحين" فكان أن انتصر فيها "خمارويه" الطولوني، واستقر له الحكم بعدها في مصر والشام، واستمرت هذه المعارك إلى أن توفي الخليفة المعتمد، وتولى الخلافة المحتفظ بالله الخليفة العباسي، فعمد هذا الأخير إلى تحسين العلاقات بينه وبين الطولونيين، وبادر "خمارويه" إلى إرسال الأموال للعباسيين تعبيراً عن حسن النوايا، فكان بالمقابل أن أقر له الخليفة بالحكم على مصر، ولمزيد من تحسين العلاقات أرسل المحتفظ يخطب بنت "خمارويه" التي تسمى "قطر الندى" لنفسه، ووافق والي مصر وتم الزواج، وبذلك انتهت الخلافات مع مركز الحكم العباسي.



مسجد أحمد بن طولون في القاهرة

القرامطة

إن هذا الهدوء النسبي كان يخفي تحته بركان الثورات والتمزق بعد الضعف الشديد الذي آلت إليه الدولة العباسية، فكان المتطرفون من بعض فرق الشيعة في هذه الأثناء يعملون بصمت وخفاء، وظهرت فِرَق باطنية من غلاة الشيعة من أخطرها فرقة اسمها القرامطة، وهي فرقة سياسية دينية أصلها من غلاة الشيعة أسسها "حمدان قرمط" وهو إسماعيلي العقيدة، فنشأت دولة القرامطة في منطقة الأحساء، وجعلوا مركزهم في جزيرة "أوال" وهي التي تسمى البحرين في يومنا، وكان أول أمرائهم "الحسن الجنابي"، وسمي أتباعه بـ "الجنابيين" فيما بعد، وكانوا من ألد أعداء العباسيين، وصاروا يهاجمون العراق من الجزيرة، وشنوا غارات على الشام ومصر، فأثاروا بلبلة وزعزعة شديدتين.



عام ٢٩٢ هجري
٩٠٥ ميلادي

ضعف الدولة العباسية

توفي الخليفة العباسي "المعتضد" وساءت الأحوال بعده سوءاً شديداً، وجاء بعده ستة خلفاء عباسيون تتابعوا في فترة بسيطة، نظراً لعدم استقرار الخلافة، وانتقل الحكم الفعلي من العباسيين إلى وزراء العباسيين وقادة الجيش، ففي زمن "المستكفي" كان المالك لزمام الأمور فعلاً هو قائد الجيش التركي واسمه "فاكتين"، في هذه الأثناء توسع القرامطة فسيطروا على شرق الجزيرة ومصر، وبدؤوا يتجهون غرباً نحو الشام وأسسوا لهم مركزاً للدعوة في الرملة.

٣ الفاطميون (العبيديون)



عام ٢٩٨ هجري
٩١١ ميلادي

الفاطميون يسيطرون على المغرب

في هذه الفترة قامت الدولة الفاطمية في المغرب، و"الفاطمية" هي فرقة انشقت أيضاً من الشيعة الإسماعيلية، وسيطر أميرهم "عبيد الله المهدي" على المغرب العربي، وتسمى هذه الدولة عند علماء المسلمين من أهل السنة بالدولة "العبيدية" نسبة إلى "عبيد الله المهدي"، وتنزيهاً أن تنسب إلى فاطمة الزهراء عليها رضوان الله، وأعلن "عبيد الله" هذا الخلافة الفاطمية في المغرب.



الاسطرلاب أحد مخترعات العرب



عام ٣٢١ هجري
٩٣٣ ميلادي

الإخشيديون يسيطرون على مصر والشام

توسع "الفاطميون" أو "العبيديون" واتجهوا نحو مصر بقيادة "جوهر الصقلي"، وأرسل العباسيون قواتهم لحماية مصر بقيادة "محمد بن أخشيد" فاستطاع هذا الأخير أن يصدهم في معارك عظيمة، فكافأه العباسيون بأن عينوه حاكماً على مصر، ولكنه ما لبث تحت إغراء الفاطميين أن أعلن استقلاله عن الدولة العباسية في عام ٩٣٥ ميلادية، وصارت دولته تسمى "الدولة الإخشيدية" وهاجم بلاد الشام وأعلن صلحاً مع واليها المهزوم "ابن رائق" على أن يأخذ "الإخشيدي" جنوب الشام ويبقى له شمالها، فوافق. لكن "الإخشيدي" بعد موت "ابن رائق" هاجم الشام مرة أخرى واحتلها كاملة. عظَّم "الإخشيديون" القدس - والتي دخلت تحت حكمهم - تعظيماً كبيراً، حتى أنهم كانوا يحملون ملوكهم وحكامهم إليها ليدفنوا فيها.

هدية أحد ملوك الفاطميين للسفراء الأجانب

البويهيون يسيطرون على الخلافة العباسية

زاد ضعف الدولة العباسية، بعد أن تقطعت أجزاؤها، وعمّ التمزق جميع أركانها، فالفاطميون كانوا في المغرب، والقرامطة في وسط الجزيرة وشرقها، والإخشيديون في مصر وبلاد الشام، ثم قام "سيف الدولة الحمداني" الشيعي بثورة في شمال الشام وأنشأ الدولة "الحمدانية"، وسيطر على "حلب" وصارت عاصمة له، واستطاع "البويهيون" وهم أيضاً فرقة من الشيعة أن يسيطروا على فارس، ثم زحفوا غرباً نحو العراق فاحتلوها، ودخلوا بغداد أخيراً، وصارت أرض الخلافة في يد الشيعة "البويهيين"، لكنهم أبقوا الخليفة العباسي.



عام ٣٣٤ هجري
٩٤٦ ميلادي

كافور يحكم مصر

مات في هذا العام "الإخشيدي" ودفن في القدس، وانقسمت الدولة الإخشيدية بعده، وذلك أن ابنه "اوتوجور" كان عمره أربع عشرة سنة، وكان الوصي عليه عبد حبشي عند الإخشيدي اسمه "كافور" ولكنه ما لبث أن أدار الأمور بطريقته، فقامت بينه وبين "الإخشيديين" معارك استطاع الفوز فيها، وفرض نفسه على حكم البلاد، ولكنه ترك الطفل حاكماً صورياً.



عام ٣٥٩ هجري
٩٦٩ ميلادي

الفاطميون يسيطرون على مصر

عاد مجدداً "جوهر الصقلي" القائد الفاطمي لمهاجمة مصر، واستطاع احتلالها وضمها إلى الدولة الفاطمية، وبذلك كانت نهاية ما يسمى بالدولة العباسية التي كما رأينا تشتت أركانها، وتمزقت إلى دويلات كثيرة في جميع جوانبها، كل ذلك مهّد لظهور أطماع الغرب الأوربي في الدولة العربية، ومهّد لبداية غزو الصليبيين إلى بلاد المشرق العربي.

رفض شعب مصر الذي كان متمسكاً بعقيدة أهل السنة والجماعة الحكم الفاطمي الإسماعيلي، لكن الحاكم الفاطمي "المعز لدين الله" أعطى الأمان للشعب المصري، وأعطى العهود بعدم محاولة المساس بالعقيدة والمذهب السُني ونظام القضاء والشعائر والمساجد ودور العلم، فهدأت بناء على ذلك الأمور في مصر.



أحد المساجد في العهد الفاطمي



عـام ٣٥٩ هجـري
٩٦٩ مـيـلادي

الفاطميون يسيطرون على الشام وفلسطين والحجاز



مسجد من عهد الدولة الفاطمية

وبعد أن استتب الأمر في مصر، تفرغ الحاكم الفاطمي لبسط نفوذه نحو الخلافة العباسية، والتي كانت صورية، وكان "السلاجقة" الأتراك هم الحكام الحقيقيون فيها، فأرسل قائده "جعفر بن صلاح" إلى الشام وفلسطين، واستطاع أن يضمها إليه بعد معارك متفرقة مع "الإخشيديين".

وقد ساعده على ذلك فرقة القرامطة التي كانت تسيطر على منطقة شرق الجزيرة العربية وقد أقامت بعض الصلات مع الفاطميين، وذلك بسبب التقارب الفكري والعقيدي بين الفريقين، حيث أن منشأ كل من الفرقتين من الإسماعيليين، وهم كما أسلفنا من غلاة الشيعة، وكان من نتيجة هذا التقارب بين القرامطة والفاطميين أن بدأ الطرفان مجتمعين بشن هجمات على الشام والعراق، إلى أن استطاع "جوهر الصقلي" فتح دمشق، وامتد نفوذ الدولة الفاطمية ليشمل بلاد الشام أيضاً إلى جانب مصر والمغرب العربي، وصار الخطباء في المساجد يخطبون لمعز الدين الفاطمي، ولم يكتف الفاطميون بذلك، بل وصلت الهجمات الفاطمية إلى مكة والمدينة المنورة، ودخلت بلاد الحجاز من ثم في حكم الفاطميين.

في غمرة هذه الأحداث كان "الصُلَيحيون" يسيطرون على اليمن، فأعلنوا الوفاء للفاطميين وصارت الخطبة في اليمن أيضاً للفاطميين، فتوسعت الدولة الفاطمية، وكادت تشمل الأمة الإسلامية آنذاك، وصار المنهج الإسماعيلي هو المنهج السائد.

ولكن ما لبثت العلاقة الوشيجة بين الفاطميين والقرامطة أن ساءت لأسباب كثيرة، وبدأت نار الحرب تستعر بينهما، وقام القرامطة بشن حملات عدة على الفاطميين، أشهرها هجمتهم الشرسة على مكة المكرمة، حيث قام هؤلاء بدخول مكة بالقوة، ووصلوا إلى الكعبة وانتهكوا الحرمات وأخذوا الحجر الأسود من الكعبة ونقلوه إلى كعبة مزعومة عندهم في الأحساء، وطلبوا حج الناس إليها، وبقي الحجر الأسود في الأحساء على أصح الروايات اثنتين وعشرين سنة، حتى عهد الحاكم الفاطمي "العزيز بالله" الذي توسط وساطة شديدة لإعادة الحجر الأسود، فوافق القرامطة، وذلك أنهم قد فشلوا أصلاً في جعل الناس يذهبون إلى الأحساء، ولكنهم كسروا بعضه قبل إعادته،فأخذه المسلمون وجَمعوه بعجينة العقيق، وبقي على حاله المعروفة إلى يومنا.

كان ذلك من إفساد القرامطة وبغيهم في الأرض، حتى أن بعض المؤرخين مثل ابن كثير لا يخفي فرحته بانتصار الفاطميين على القرامطة، مع أن الفاطميين فرقة منحرفة أيضاً، ولكن كما يقال: بعض الشر أهون من بعض!.



عام ٣٨٦ هجري
٩٩٦ ميلادي

الحاكم بأمر الله الفاطمي

وصل إلى سدة الحكم في الدولة الفاطمية في هذا الوقت "الحاكم بأمر الله"، حيث قام بفرض قوانين كثيرة على البشر فأرهقهم وأفسد فيهم، وأصدر أوامره الغريبة ومنها أنه جعل الناس ينامون بالنهار ويعملون بالليل!.

وفي زمن هذا الحاكم حدث زلزال هز الأقصى الشريف، وسقطت أجزاء من قبة الصخرة فرممها ولده "ظاهر" بعد ست سنوات، وزينها تزييناً عظيماً، ولكن "الحاكم بأمر الله" هدم كنيسة القيامة، فكان بذلك قد أشعل أول فتيل للكراهية بين المسلمين والمسيحيين، بعد التسامح الإسلامي الطويل الذي كان بينهم، وهزّ هذا الحدث الكبير النصارى في الغرب، حيث شعروا أن مقدساتهم قد انتهكت، وهذا الأمر كان من مقدمات الحروب الصليبية.



عام ٤١١ هجري
١٠٢١ ميلادي

تدهور الدولة الفاطمية

توفي الحاكم بأمر الله وتدهور حكم الفاطميين من بعده تدهوراً كبيراً، وبدأ الخلفاء الفاطميون يعتمدون على وزرائهم في تسيير أمور الناس، وشيئاً فشيئاً تولى هؤلاء الوزراء إدارة الأمور والحكم في البلاد، وصار أمر الخليفة هامشياً، ولكنه بقي مسماه فقط، أما الحكم الحقيقي فقد كان بيد الوزراء، وانطبق هذا الأمر نفسه على الخليفة الفاطمي "المستنصر بالله" والذي حكم من بداية عام ٤٢٧ هجري - ١٠٣٦ ميلادي ولمدة ستين سنة، لم يكن له فيها دور حقيقي في الحكم، وكانت العقيدة الفاطمية أو الإسماعيلية تقضي بأن يكون الحاكم أو "الخليفة" مقدساً، وأن يكون الحكم موروثاً في ذريته من أبنائه، ولذلك ما كانوا يجرؤون على تغيير الخليفة أو تدبير انقلاب ضده، حتى ولو كان ضعيفاً أو لا يمارس سلطة الحكم.



عام ٤٧٢ هجري
١٠٣٦ ميلادي

انقسام الدولة الفاطمية

توفي الحاكم الفاطمي "المستنصر بالله" وأوصى قبل موته بالخلافة لابنه "المستعلي بالله"، مع أن ابنه الأكبر "نزار" كان أحق بخلافته لأنه الأكبر سناً. فدب الخلاف بعد موت "المستنصر" بين ولديه، وانقسمت الدولة الفاطمية بين النزارية والمستعلية، واشتدت الحروب بين الطرفين، وبدأ التمزق يضعف الدولة الفاطمية، التي كانت تحكم مصر فعلياً، وتحكم بلاد الشام شكلياً.



المسجد الكبير في قرطبة (الأندلس)

سقوط الدولة الأموية في الأندلس

سقطت في هذا العام الخلافة الإسلامية في الأندلس أيضاً، وذلك أثر ضعف الدولة الأموية التي كانت ما زالت تحكم الأندلس حتى وقتها، وتمزقت الأندلس إلى ٢٢ دويلة.

٤ السلاجقة الأتراك

وفي نفس الفترة كان السلاجقة من الأصل التركي قد تحركوا بقيادة "ألب أرسلان"، فسيطروا على نصف تركيا الحالية التي تسمى تاريخياً وجغرافياً آسيا الوسطى، وبدأ يتشكل لهم دور رئيسي في هذه الحركات التي مزقت الأمة الإسلامية من الشرق والغرب، وفككت وحدتها.

الضعف والتشرذم والتفرق أصاب الأمة الإسلامية، فكان ذلك سبباً في بداية دخول الأعداء عليها من كل جانب.



عام ٤٤٥ هجري
١٠٥٤ ميلادي

انقسام في أوربا

وفي أوربا حدث في هذا العام انشقاق سياسي وديني كبير بين النصارى، فانقسموا إلى طائفتين الأولى ويسمى أهلها «أرثوذوكس»، والثانية يسمى أهلها «كاثوليك».

مسجد سلجوقي





عام ٤٤٨ هجري
١٠٥٧ ميلادي

الحرب الصليبية لاسترداد الأندلس

بعد هذا الانشقاق السياسي المسيحي في أوربا، ظهر رجل كان يحكم ولاية "قشتالة وليون" يسمى "فرناندو الأول" وولايته هذه تقع شمال الأندلس، تمكن هذا الحاكم من الاستقلال بهذه الولاية عن حكم المسلمين، وما لبث أن أعلن في أوروبا حرباً مقدسة لاسترداد الأندلس، فكانت هذه بداية الحروب الصليبية ضد المسلمين، والتي بدأت فعلياً في الأندلس قبل وصولها إلى المشرق العربي.

أحد القصور العربية في الأندلس



الأتراك يسيطرون على الشام وفلسطين

أرسل في هذا العام الوزير الفاطمي "بدر الجمالي" حامية من الأتراك إلى فلسطين للقضاء على اضطرابات البدو، ونجحت هذه الحامية في فرض السيطرة وقمع الثورات، لكنها بدلت ولاءها للفاطميين بإعلان الولاء للسلاجقة، لأنهم أتراك مثلهم، فتوسع حكم الأتراك ليشمل بلاد الشام أيضاً، وتقلص حكم الفاطميين. وانتقل حكم القدس إلى السلاجقة الأتراك.



معركة "ملاذ كرد" وظهور تركيا

كان السلاجقة يشكلون قوة رئيسية في الأمة وقتئذ، وكانت لديهم حميّة دينية إسلامية، وكانت دولتهم في بداية عهدها وقوتها، لذلك فقد قاموا في عام ٤٦٣ هـ - ١٠٧١ م بدخول معركة كبيرة مع البيزنطيين بقيادة قائدهم «ألب أرسلان» السلطان السلجوقي، واستطاع السلطان أن ينتصر على الإمبراطور البيزنطي "رومانس الرابع"، في معركة من أعظم المعارك الإسلامية التي حدثت في تركيا، وهي معركة «ملاذكرد»، والتي جرت في أقصى شمال «أرزنجان»، وبعدها انطلق الأتراك يفتتحون آسيا الوسطى فصارت تسمى «تركيا»، ولم تكن تسمى كذلك من قبل. وكذلك امتد نفوذهم إلى بلاد الأرمن.

أحد مساجد الأتراك

٥ حركة الإصلاح الديني

العلماء يبادرون

وينبغي أن نقف هنا وقفة بسيطة لنعرف بأحد وزراء السلطان واسمه «نظام الملك» وهو وزير مؤمن مجاهد يحترم العلماء ويشجع العلم، وقد أهمل التاريخ الإسلامي ذكره في كثير من الكتب، ولكن هذا الرجل كان له فضل عظيم على الأمة الإسلامية، فقد بنى المدارس ومنها المدرسة النظامية المشهورة، وشجع العلم والشعر والأدب، وكان من المقربين إليه الشاعر الفارسي المشهور "عمر الخيام". ومن أبرز العلماء المسلمين الذين قادوا هذه الحركة الإسلامية في عهده الإمام المجدد حجة الإسلام "الغزالي"، والذي كان له دور هام جداً في إحياء الأمة، ولذلك يعتبره كثير من المؤرخين مجدد الأمة في تلك الفترة، وبتحرك "أبي حامد الغزالي" تحرك عدد كبير من العلماء بتشجيع من "نظام الملك"، مثل "الطرطوشي" وغيره.. وبدؤوا بنشر الأفكار المحرضة للشعب للنهوض من غفلته، وأدخلوا ما يسمى بـ "السياسة الشرعية" إلى مفاهيم الناس، ومفهوم "الحاكم المسلم"، وكيف تكون سياسة الدنيا والدين، وصار "الغزالي" رحمة الله عليه يهاجم العلماء المتقاعسين، ويطلب إليهم توجيه الخطاب لعموم الأمة وليس فقط نحو تلاميذهم وأتباعهم، وجعل يلوم العلماء لابتعادهم عن قضايا الأمة، وانتقد فيهم التعصب المذهبي، والتخلف عن أصول الدين والاهتمام بالفروع والجزئيات، بينما الأمة الإسلامية كانت تتمزق وتتآكل تحت تأثير الفرق المنحرفة، والخارجين عن العقيدة الصحيحة، ثم إنه هاجم اهتمام السلاطين والساسة بالدنيا ورفاهيتها وإعراضهم عن أمور الرعية والدين، وأخذ رحمه الله يؤسس مبادئ العدالة الاجتماعية، والتكافل الإسلامي.

لقد قامت بقيادة ذلك الإمام المجدد حركة إحياء للدين بين الناس، وقام جيل جديد من العلماء يصحح المفاهيم السابقة المغلوطة، ويبعث في الناس حركة إحياء عظيمة، وتربى جيل من طلبة العلم على هذه الحركة الإصلاحية التسديدية، وطرح العلماء منهجاً جديداً في التربية والتعليم، اعتمد هذا المنهج أولاً العقيدة السليمة، وثانياً تكامل العلم من جميع جوانبه، أي شمولية العلم والرؤية.

وبقي هذا النهج مستمراً يتبعه العلماء وطلاب العلم مائة سنة كاملة، إلى أن آتت هذه الحركة ثمارها، فنشأ جديد جيل من الحكام من أمثال عماد الدين زنكي ونور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي، كما سنفصل لاحقاً إن شاء الله تعالى.

الإمام الغزالي يعتبر بحق مجدد الأمة، وعلى نهجه تربى القادة والمجاهدون الذين أعادوا أمجاد الأمة من جديد.



الباب الثاني

فلسطين في العهد الإسلامي

الفصل الثالث

الحروب الصليبية

١ - بوادر الحروب الصليبية

٢ - الحروب الصليبية

٣ - سقوط القدس

١ بوادر الحروب الصليبية



عام ٤٧٧ هجري
١٠٨٥ ميلادي

البابا "غريغوري"



البابا غريغوري يغفر للملك هنري الرابع

في هذه الفترة ظهر في أوربا بابا "كاثوليكي" هو "غريغوري السابع" وهو ألماني الأصل، وكان صاحب حماس ديني شديد، بالإضافة إلى فكره الثاقب ورؤيته العميقة، فجعل يحرك الرهبان الكاثوليك في فرنسا لنشر الديانة الكاثوليكية، وقد اختار فرنسا تحديداً لكونها من أشد الدول حماساً للدين المسيحي في ذلك الوقت، وركز جهوده على القبائل النورماندية، والتي كانت مسيطرة على أجزاء كبيرة من أوروبا، وتعد هذه القبائل من القبائل الهمجية غير المثقفة، وحقق هذا البابا نجاحاً كبيراً في ذلك، وبدا نفوذه يتسع حتى صار يخافه حكام أوربا، وبلغ " غريغوري السابع" أعظم مجد له في أوربا لكونه يمتلك السلطة الدينية، وهي السلطة التي كان يدين لها الأوربيون مطلقاً، وكانت تعلو مناصب الحكام.

وعلى سبيل المثال ورد أن أحد حكام أوربا خالف أوامر البابا "غريغوري" فأصدر هذا الأخير صكاً بحرمانه من الجنة وإعلان كفره، فأعلن الشعب بناء على ذلك عصيان ذلك الحاكم، فاضطر أن يمشي حافياً من بلده إلى روما ويقبل يد البابا حتى يعفو عنه.

وانتشر ما يسمى بـ "صكوك" الغفران، أو صكوك الحرمان، وصار البابا متنفذاً يصدر ما يشاء من صكوك لدخول الجنة، أو يحرم من شاء منها ويقضي بدخوله النار، وصار حكام أوروبا يتوددون إليه ويهابونه.

ومع اتساع سلطة البابا استعان به الامبراطور البيزنطي لاستعادة بيزنطة من السلاجقة الأتراك الذين احتلوها كما ذكرنا سابقاً، ومع أن الامبراطور البيزنطي كان "أرثوذوكسياً" ولكنه استعان بالبابا الكاثوليكي، فوجد هذا الأخير فرصة له لإيقاف امتداد المسلمين في أوربا من جهة، ولتوسيع سلطته ونفوذه على بيزنطة من جهة أخرى، فيوحد بذلك أوروبا بدولة مسيحية واحدة تحت سلطته، فاستجاب لدعوة الامبراطور البيزنطي وبدأ بتجهيز الرأي العام والحكام للحرب مع الأتراك المسلمين.

البابا أوربان الثاني

أدرك الموت البـــابـا " غـــريغـــوري السـابع" قبل القيـام بأية حمـلة، وخلفـه تلمـيـذه البـابـا الصليـبي "أوربان الثـاني"، وهـو صـاحـب اسم مشهـور ومعـروف، ومـا زالت صـورة معلقـة حتى الآن في كنائس أوربا، واستـمـر "أوربان" بالدعـوة للحـملة على المسلمين واستعادة بيزنطة.



البابا أوربان الثاني يعلن الحروب الصليبية في كليرمونت (فرنسا)

سقوط طليطلة

ونعـود إلى الأندلس حيث استطاع في هذا العـام "أولفونسو السادس" أن يسيطر على "طُلَيطلة"، وكـان سقوط هذه المدينة ضربة شديدة للمسلمين، وأعلن ذلك بدء الحرب الصليبية، واشتعل الحماس في أوروبا، فقد كان هذا أول انتصار رئيسي للمسيحيين على المسلمين.



عـام ٤٨٠ هجـري
١٠٨٨ مـيــلادي

البابا يعلن الحروب الصليبية

بسـقـوط طليطلة أعلن البـابـا "أوربان الثـاني" الحـرب الصليـبيـة لاسـتـرداد الأراضي المقـدسـة في بيت المقـدس، وأعلن دعم بيـزنطا أمـام الهـجـوم السلجـوقي، وبدأ ينشـر شـائعـات عن أذى المسلمين للحجاج المسيحيين الذاهبين إلى بيت المقدس، وأن المسلمين يعتدون على المقدسات المسيحية ويدنسون قبـر المسيح، فـألهب ذلك مشـاعـر الأوربيين النصارى، وقـامت دعـوات كبيرة من فرنسا وإيطاليا تطالب ببدء هجوم عسكري نحو القدس.



القساوسة يباركون النصارى المشاركين في الحروب الصليبية



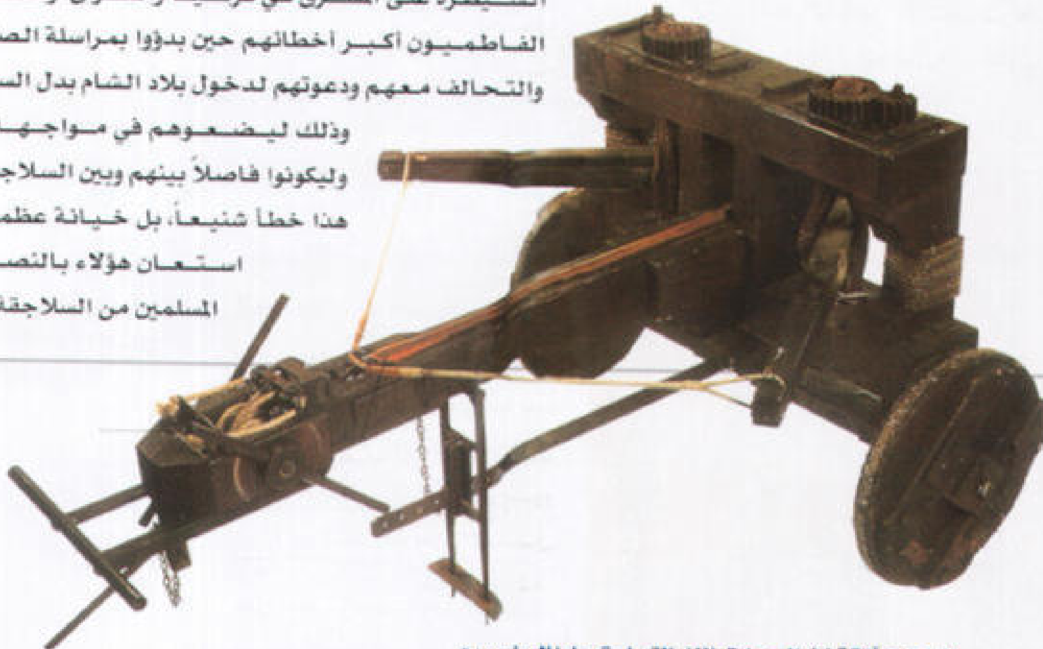
عام ٤٨٣ هجري
١٠٩٠ ميلادي

فرقة "الحشاشين"

كان الحال في أوربا يزداد احتقاناً ضد المسلمين، بينما ما زال يعيش المشرق العربي حالة الضعف والانقسامات، في عام ٤٨٣ هـ - ١٠٩٠ م ظهر رجل اسمه "الحسن بن الصباح"، وكان هذا هو مؤسس الفرقة الإسماعيلية النزارية التي سبق الحديث عنها، وتسمى هذه الجماعة في التاريخ باسم "الحشاشين"، لأن الحسن أجاز تعاطي الحشيش، وكان مفسداً في الأرض، لأنه كان ينتهج منهج الاغتيال في تصفية معارضيه، واستباح دماء المسلمين ممن ليسوا على عقيدته. ومن ثم قامت بعد وفاة "نزار بن المستنصر" حرب ضروس بين الفاطميين والنزاريين، أو الحشاشين، لأن "الحسن بن الصباح" أعلن الخلافة لابن "نزار" وهو "الحسن بن نزار"، فأغضب ذلك المستعلي وقامت بينهما الحرب.

النصارى يحتلون صقلية

في هذه الأونة استطاع "النورمان" في أوربا أن يحتلوا جزيرة صقلية التي كانت تحت حكم الإسلام، فكان ذلك نصراً عظيماً بالنسبة للأوروبيين، لأنهم شعروا ببدء قدرتهم على مهاجمة المسلمين، وكان ذلك دليلاً لهم على ضعف الدولة الإسلامية، وإمكان بدء الهجوم عليها، إلا أن الفاطميين في المغرب العربي شعروا بخطورة هذه الهجمات، وشعروا أيضاً بخطورة السلاجقة الأتراك الذين أوشكوا على السيطرة على المشرق في تركيا والعراق، وعندها ارتكب الفاطميون أكبر أخطائهم حين بدؤوا بمراسلة الصليبيين والتحالف معهم ودعوتهم لدخول بلاد الشام بدل السلاجقة، وذلك ليضعوهم في مواجهة الأتراك وليكونوا فاصلاً بينهم وبين السلاجقة، وكان هذا خطأ شنيعاً، بل خيانة عظمى، حيث استعان هؤلاء بالنصارى على المسلمين من السلاجقة.



المنجنيق آلة قذف الحجارة والنار التي استعملها الصليبيون

لقد جرّ التعاون مع أعداء الأمة لمصالح سياسية إلى ويلات عظيمة أدت إلى الحروب الصليبية وضياع فلسطين والأقصى.

٢ الحروب الصليبية



عام ٤٨٨ هجري
١٠٩٥ ميلادي

مؤتمر "كليرمونت" الصليبي

عقد في هذا العام اجتماع مسيحي كبير في "كليرمونت" في فرنسا بقيادة البابا "أوربان الثاني" والذي أعلن فيه الدعوة لتشكيل جيش مسيحي لاحتلال القدس، وتجمع الناس من كل مكان للانضمام لهذا الجيش، وظهرت في أوروبا حركة التطوع للحملات الصليبية من معظم الدول.

أسباب الحروب الصليبية

إن أهم أسباب هذه الحملة الصليبية نحو بلاد الشام تتلخص فيما يلي:

١- الحماس الديني والدعوة لتحرير المقدسات المسيحية في القدس.

٢- وجود طبقة فقيرة معدمة في أوروبا وجدت لها باباً للعيش في القتال ودخول بلاد الأغنياء، بعد أن صور لهم قادتهم بلاد المسلمين على أنها بلاد غنية وضعيفة.

٣- التوجيه الفكري والديني الذي قام به الرهبان بين الناس لتحريضهم على قتال من اغتصب مقدساتهم.

قوة بيزنطا تظهر في البناء الضخم للكنيسة في البندقية

جيش بطرس الناسك

أمر البابا بتجهيز جيش شعبي بقيادة راهب يدعى "بطرس الناسك"، وآخر يدعى "بيتر المفلس" وقامت الحملة المسيحية النصرانية الأولى بقيادة "بطرس الناسك"، وتحركت هذه الحملة الشعبية نحو المشرق، ولم تكن منظمة أو مدربة عسكرياً، بل لم تكن قد نظمت عن طريق حكام أوربا، بل قام بتنظيمها كما ذكرنا البابا والرهبان، فكانت حملة دينية شعبية، ولذلك فقد ضمت بين صفوفها عامة الناس من نساء وأطفال، وبلغ تعدادهم ثمانين ألفاً.

شهد هذا العام أول تحرك للحملات الصليبية نحو المشرق، وصلت فيه حملة "بطرس الناسك" إلى بيزنطا، والتي كان يحكمها الإمبراطور البيزنطي الأرثوذكسي، وكان أصحاب الحملة من الكاثوليك، فلم يستطيعوا فتح بيزنطا، ولكنهم عاثوا في الأرض فساداً حول القسطنطينية، فرأى الإمبراطور البيزنطي أن يتخلص منهم، فجهز لهم السفن ليعبروا إلى تركيا، ووجههم لقتال السلاجقة الذين كانوا في حرب مستمرة معه.

أما السلاجقة فقد كانوا على أهبة الاستعداد لكونهم جيشاً مدرباً ومنظماً، فلم تصمد الحملة الصليبية في وجه هذا الاستعداد السجلوقي، وانتهت في بادئ أمرها، وسحقت أمام القوة التركية.



عام ٤٩٠ هجري
١٠٩٦ ميلادي

حملة الأمراء

زاد نفوذ البابا في أوربا وتعاظم شأنه عند الحكام، وبدأ بتشكيل حملة أخرى، ولكنها كانت هذه المرة من المقاتلين المنظمين في جيوش حكام أوربا، وطاوعه حكام الدول الأوربية، وتشكلت حملة عظيمة بلغ تعدادها مائة وخمسين ألف مقاتل مدربين تدريباً قتالياً عالياً، ومجهزة بأسلحة وعتاد حديثين بالنسبة إلى ذلك الوقت، وسميت هذه الحملة بـ "حملة الأمراء"، ونشأت بداية هذه المجموعة من فرنسا ومن النورمنديين في إيطاليا واتجهت إلى بيزنطا، فقام الإمبراطور البيزنطي مجدداً بتسهيل عبورهم إلى تركيا، فعبروا البوسفور، وقامت بينهم وبين السلاجقة معارك طاحنة لم يستطع الأتراك الصمود فيها أمام القوة البشرية الهائلة من النصارى والمدعومة أصلاً من بيزنطا، فسقطت "قونية" عاصمة السلاجقة الروم، وتمزق السلاجقة إثر هذه الهزيمة إلى خمس دول.



الملك هنري
ملك ألمانيا
يشارك في
حملة الأمراء



عـام ٤٩١ هجـري
١٠٩٧ مـيـلادي

حصار أنطاكية

تابعت الحملة الصليبية طريقها نحو "انطاكية" في شمال الشام، فحاصروها فترة طويلة من الزمن، قامت خلالها حركات دعوية ونهضوية في العالم الإسلامي تدعو لإنقاذ "انطاكية" لكونها بوابة بلاد الشام، وخوفاً من امتداد نفوذ النصارى نحو بلاد الشام والقدس.

وفي نفس الوقت تحرك الفاطميون نحو فلسطين فاحتلوا القدس وأخذوها من السلاجقة مستغلين انشغالهم بمعاركهم ضد النصارى الصليبيين، وبدلاً من التجهيز للقاء الحملة الصليبية اتخذ الفاطميون موقفاً مخالفاً فأرسلوا التهاني للنصارى لاحتلالهم "قونية" وتشجيعاً لهم لفتح "انطاكية" وأرسلوا وفداً لهم بذلك.



النصارى يفتحون أنطاكية

بدأت العواصم الإسلامية تتحرك شعبياً للدفاع عن بلاد الشام وأراضي المسلمين ومواجهة الغزو الصليبي، غير أن الحكام كانوا في شغل شاغل عن هذه الأمور، وبدأ إعداد أول جيش في حلب وبغداد، ولما تأخرت الجيوش في التجهيز قام جيش حلب الصغير بتقديم العون لـ "انطاكية" وبدأ الهجوم على جيش النصارى المرابط حولها، ولكنه أمام مائة وخمسين ألفاً لم يستطع فعل شيء!.



عـام ٤٩١ هجـري
١٠٩٨ مـيـلادي

سقوط الرُّها

وصل مزيد من القوات النصرانية إلى المنطقة بقيادة "جوديفري ديفيون"، الذي وصل "انطاكية"، وانضم إلى جيش النصارى المرابط، ثم أخذ جزءاً من الحملة الأولى معه وتحرك بها باتجاه منطقة "الرُّها"، وأبقى جزءاً يتابعون حصار "أنطاكية"، و"الرها" منطقة تقع في شمال العراق يسكنها الأرمن النصارى، وهؤلاء كانوا قد أرسلوا إلى الجيش الصليبي لتخليصهم من الحكم الإسلامي، فوصل إليهم "جوديفري" بسرعة وفتح المدينة وأخرج منها الحامية المسلمة، فكانت "الرها" أول مدينة في العراق تسقط بأيديهم، وكانت غايته احتلال الموصل فبغداد، لكنه فشل في تقدمه فغيّر وجهته، ومنها بدأ "جوديفري" يتقدم باتجاه الشام، فسيطر على حمص وعلى حماة ووصل إلى بعلبك.

خيانة الفاطميين

لم يحرك الفاطميون ساكناً لكل ما حدث، مع أنهم كانوا هم الحاكمين على بلاد الشام، بل هنؤوا النصارى على انتصاراتهم، ثم أقاموا اتفاقاً معهم ينص على اقتسام المنطقة كالتالي:

عرض الفاطميون على "جوديفري" أن يأخذ شمال بلاد الشام ويبقى للفاطميين جنوبها، على أن تبقى القدس في أيدي الفاطميين، فوافق النصارى ولكنهم اشترطوا أن تكون القدس لهم، لأنها بالطبع كانت محط أنظارهم الأول، وكانوا يرونها من مقدساتهم التي يجب أخذها بالقوة.

وهكذا لم تبرم هذه الاتفاقية، حيث تمسك الفاطميون بالقدس، وبدأ هذا التقارب النصراني - الفاطمي بالذبول والاضمحلال.



عام ٤٩٢ هجري
١٠٩٨ ميلادي

معركة أنطاكية

بعد حصار دام ستة أشهر على "انطاكية" قام أحد حراس الحصن، وهو نصراني، بالاتفاق مع الجيش المهاجم، فخان فريقه، وفتح على حين غرة الحصن أمام المهاجمين، فسقط الحصن، وتم احتلال "انطاكية".

(وكانت هذه نتيجة حتمية لوجود جنود لا يكون ولاؤهم لوطنهم أو لأمتهم).

بعد دخول النصارى "انطاكية"، ترددت أنباء عن وصول جيش جرار من العباسيين بقيادة القائد العسكري التركي القوي "كربوغا"، ووصل هذا الجيش فعلاً بعد ثلاثة أيام فقط، وبالرغم أنه وصل متأخراً إلا أنه حاصر الحصن وضيق الخناق على النصارى، ومنعهم من التحرك أو الخروج منه، وأجبرهم على المكوث فيه، وقد كان عددهم كبيراً، فضاقت بهم الأمور كثيراً، حتى قيل أنهم أكلوا لحم الكلاب، وبدؤوا بالانهيار.

حربة المسيح

عمد قائد جيش النصارى إلى حيلة من أجل رفع معنويات جيشه، فادعى أنه رأى المسيح في المنام، وأنه أرشده إلى حربة المسيح مدفونة في أحد كنائس "انطاكية"، ونشر الخبر بين الناس، فتوجه الجميع نحو الكنيسة المزعومة، وحفروا في المكان الذي أشار إليه، فوجدوا فيه حربة كما قال لهم، فالتهب حماس النصارى، ذلك أنهم يؤمنون بأن حربة المسيح لا يُهْزَم حاملها، فاستعدوا للقتال، وطلبوا من قائد الجيش العباسي "كربوغا" أن يسمح لهم بقتاله، وكي ينحسم أمر هذا الحصار، فوافق "كربوغا" على قتالهم مباشرة، ولكن فرقاً من جيشه خالفوه في الرأي، ودبّ الخلاف بين العرب والأتراك في صفوف الجيش المسلم، وفي تلك الأثناء كان النصارى قد اصطفوا للقتال، ثم لم يلبثوا حتى بدؤوا هجوماً سريعاً وقوياً بحمية دينية، فتقهقر الجيش العباسي وتفرق أمام هذا الهجوم المباغت القوي.



جندي صليبي في صلاته أثناء الحروب الصليبية

٣ سقوط القدس

الطريق إلى القدس

وبهذه الهزيمة الثانية فتح الطريق أمام الجيوش الصليبية، فتقدمت جحافل الجيوش تريد القدس، وسار القائد النصراني يقود الحملة حافياً ماشياً نحو القدس، ولم تلق أي مقاومة تذكر إلا ما قام به حاكم طرابلس البلد المسلم، حيث بدأ يقاوم الجيش القادم، فتحول النصارى نحو طرابلس طمعاً بها، فأرسل حاكم طرابلس وفوداً ورسائل يستنجد بالمسلمين العباسيين في العراق، وبالدويلات الإسلامية في بلاد الشام، فلم يتلق أية إجابة، فأرسل للفاطميين يستصرخهم، فأرسلوا إليه رسولاً بالبحر، وبدلاً من أن يحمل أخبار الإنقاذ جاء هذا الرسول يطلب من حاكم طرابلس جارية جميلة سمع بها الحاكم الفاطمي، جاء يريد أن يشتريها له، وكذلك طلب بعض الخشب المُشَمَّش ليصنع منه آلات الطرب!!.



معركة انطاكية

سقوط المدن الإسلامية

ذهل أهل طرابلس أمام هذا التخاذل الإسلامي، وانهارت معنوياتهم فاستسلموا، واحتل النصارى طرابلس وغدت تلك ثالث إمارة نصرانية في بلاد المسلمين. ثم استأنف الجيش الصليبي تقدمه باتجاه القدس فاحتل بيروت وصيدا وجعل يترك حاميات في كل مدينة، ووصل "جوديفري ديفيون" القدس فحاصرها وضيّق عليها، واستنجد حاكم القدس بالمسلمين في كل مكان، ولكنهم لم يعثروا على من ينجدهم وسط هذا التمزق الإسلامي الذي أطفأ سراج الحمية في بلاد المسلمين.

ووصلت إمدادات جديدة من أوربا للنصارى، وفيها عتاد جديد وأجهزة جديدة لصنع الأبراج الخشبية المخصصة لاقتحام الحصون، واستطاعت حامية القدس تدمير البرج الأول الذي أسنده النصارى إلى جدار حصن القدس، واستمر الحصار اثنين وأربعين يوماً صنع خلالها النصارى برجاً آخر وأسندوه مجدداً تحت وابل من الرماح إلى جدار الحصن.



٢٤ شعبان ٤٩٢ هجري
١٠٩٩/٧/١٥ ميلادي

سقوط القدس المريع

استطاع النصارى بواسطة البرج الثاني وتحت رماية مكثفة من المنجنيق والرماح من الصعود إلى أسوار الحصن، وبدأ القتال على أسوار القدس، وسقطت أخيراً الحامية الفاطمية، واستسلمت القدس للنصارى، والواقع أن الذي سلم القدس للنصارى هم الفاطميون، فهم لم يرسلوا جيشاً لمساعدة المسلمين، ولم يقدموا يد العون لحاميتهم في القدس، وتعد هذه خيانة عظمى في تاريخهم.

المجزرة

دخل النصارى القدس بكل وحشية، وبدأ ذبح الناس في الشوارع دون تمييز بين صغير وكبير، بين عاجز وصحيح، وبين امرأة ورجل، التجأ حاكم القدس الفاطمي "افتخار الدين" أو "افتقار الدين" مع جنوده إلى القلعة وتحصن فيها، فذبح في أرض القدس من ذبح، وفر من فرّ خارجها، واحتمى أكثر الناس في المسجد الأقصى، فامتلأ بهم المسجد وساحاته، حتى تجمع في المسجد الأقصى مائة ألف من الشباب والشيبان والنساء والأطفال والعجائز، وجعلوا ينتظرون بفزع وهلع شديدين.

لم يكن من الحاكم النصراني وقد رأى هذا التجمع المسكين إلا أن أصدر الأمر بالذبح، وبدأ التقتيل في هذه الجموع دون تمييز، ولم يكن ثمة مقاومة بهذا الجمع البريء.



احتلال الصليبيين للقدس عام ١٠٩٩ واضطهادهم للمسلمين واليهود

شهادة النصارى على المجزرة

لقد استقينا هذه المعلومات من كتب النصارى قبل أن تكتب في كتب المسلمين، وهذا هو التاريخ الأوربي الموثق والموجود حتى اليوم.

ينقل الكاهن "ريمون" عن شاهد عيان لهذه المجزرة يقول: "ما استطعت أن أشق طريقي بين الجثث إلا بشق النفس، ووصل الدم إلى الركب!".

ويروي أيضاً "جوستاف لوبون" عن "دوهمن": اقتيد الأسرى الباقون فجمعوا في برج القصر، وأكثرهم من الأطفال والنساء والعجائز والشيوخ، فأمر الحاكم النصراني بذبح الأطفال والنساء والعجائز والشيوخ، وإبقاء الشباب على قيد الحياة، ثم تم أخذهم عبيداً وبيعوا في أنطاكية.

يروي "جوستاف لوبون" هذه القصة عن الكاهن "ريمون دوجلوس" الذي حضر المشهد، ويقول: "لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في هيكل سليمان حتى صارت الجثث تعوم على الدماء، وصارت الأيادي والأرجل تسبح، وما عاد الجنود يطيقون رائحة البخار الذي يخرج من الجثث"!!..

انتهاك الأقصى

بعد هذه المجزرة العظيمة قسم النصارى المسجد الأقصى أقساماً، فجعلوا الجزء الأساسي كنيسة، وخصصوا قسماً آخر كمساكن للفرسان، وآخر حولوه إلى مستودع للذخائر، وجعلوا أروقة الأقصى إسطبلاً للخيول، فاشتهرت باسم: "إسطبل سليمان".

إنها كلمة للتاريخ، فليقارن من يقرأ التاريخ هذا البطش والعنف بالفتح العُمَري للقدس، وليقارن من يشاء هذا بالسماحة الإسلامية لهارون الرشيد مع الكنائس المسيحية والحجاج المسيحيين، ولينصف بعد ذلك من شاء أن ينصف، وليذعن للحقائق من شاء أن يذعن!



الصليبيون محاربو المعبد يتكفلون بحامية القدس

لقد استسلم الشعب في القدس بعدما رأى من هول هذه الأحداث الجسام، ولم يستطع تحريك ساكن أمام هذه الهمجية وتخاذل حكام المسلمين، ودب الرعب في الناس، وأرسلت المدن القريبة تعلن عن استسلامها وعدم مقاومتها، تفادياً لمجزرة أخرى قد تحدث لها على غرار القدس الشريف، ومن أبرز المدن التي استسلمت بلا قتال "نابلس".

إن لهذه الحادثة وقفة وعبرة، لمن يشاء اليوم أن يعيد فتح هذه الصفحات، ولمن يريد أن يتلقى مزيداً من الصفعات، ولمن يريد أن يتعرف على أعداء الأمة الإسلامية، حقاً إن الإنسان كثير النسيان، وعلى حد قول الشاعر:

ما سُمّيَ الإنسانُ إلا لنسيِه ... ولا القلبُ إلا أنّه يتقلّبُ

لقد قامت بتاريخ القدس أبشع جريمة يطوي اليوم التاريخ صفحاتها ذكراً، ويعرض عن تصور آلامها إعراضاً، وهي التي لا تزال رائحة الدماء العربية الإسلامية تذكي أرض الأقصى الشريف، وما تزال هذه الدماء تتقاطر على يد عتاة اليهود اليوم، لقد قال الشاعر في وصف هذه المجزرة الرهيبة:

أحل الكفر بالإسلام بيناً ... يطولُ عليه للدِّينِ النَّحيبُ
فحقٌ ضائعٌ وحمىً مباحٌ ... وسيفٌ قاطعٌ ودمٌ صبيبُ
وكم من مسلمٍ أمسى شريداً ... ومسلمةً لها حرمٌ سليبُ
وكم من مسجدٍ جعلوهُ ديْراً ... على محرابِه نُصِبَ الصليبُ
دمُ الخنزيرِ فيه لهم خَلُوقٌ ... وتحريقُ المصاحفِ فيه طيبُ
أمورٌ لو تأملهنَّ طفلٌ ... لطفّلَ في عوارضِه المشيبُ
أتُسبى المسلماتُ بكلِّ ثغرٍ ... وعيشُ المسلمينَ إذاً يطيبُ؟
أما للهِ والإسلامِ حقٌ ... يدافعُ عنهُ شُبانٌ وشيبُ
فقلْ لذوي البصائرِ حيثُ كانوا ... أجيبوا اللهَ ويحكمُ أجيبوا

ردة فعل المسلمين

وهكذا سقطت القدس، ونشأت مملكة بيت المقدس النصرانية بقيادة "جوديفري"، وفر الهاربون ممن استطاع الهرب إلى بغداد، ومن بين الذين هربوا القاضي "الهروي" رحمه الله تعالى مع نفر من العلماء، فوصلوا إلى بغداد دار الخلافة وبدؤوا يخطبون في المساجد يدعون الناس إلى الجهاد وإنقاذ فلسطين وإعادة الأقصى السليب، وزادت الخطب التي أشعلت حمية المسلمين، وبدأت المظاهرات تحاصر قصر الخليفة الذي لم يتحرك، وبعد ضغط شديد خرج الخليفة وأعلن الجهاد في سبيل الله، وأرسل إلى الولاة لتجميع الجيوش، ولكن رسل الخليفة عادت بخفي حنين ولم يتحرك أحد من الولاة لنصرة القدس، فقد كان التفتت والضياع وفساد الولاة كفيلاً بإحباط الهمم، وتذويب المشاعر.

النصارى وحضارتنا

زاد النصارى من نفوذهم في بلاد الشام، وتقاطرت الوفود من أوربا للسكن في هذه البلاد التي طالما حلموا بها، وافتتنوا بطريقة العيش فيها، فتأثروا بطريقة المسلمين في القتال، ودهشوا لرؤية السلاح العربي، وأعجبهم فن العمارة، وحتى الملابس اكتساها ملوك النصارى في الممالك، فصاروا يلبسون الملابس العربية، ولأول مرة في تاريخهم تعرفوا إلى الصابون وصاروا يستعملونه، وتعلموا من المسلمين الاغتسال والنظافة، بعدما كان أحدهم لا يغتسل إلا كل شهر، وتذوقوا أنواع الطعام العربي الشهير، وغرقوا بحب الحضارة والرقي العربي العظيم.



وكان مما تعلموه في بلاد العرب من الحضارة، الفكر والترجمة والطب والرياضيات والعلوم والفلك، فكان ذلك سبباً في هجرة كثير من النصارى إلى بلاد الشام، ونشطت حركة التجارة بين الشرق والغرب، وقام النصارى بنقل كل هذه المعلومات وفنون الحضارة إلى أوروبا، فنشأت هناك بذور الرقي والحضارة.

النهضة المدنية في العالم الإسلامي

افتتن ملوك النصارى بحضارة العرب، وصاروا يقلّدون العرب حتى في طعامهم ولباسهم، وطريقة حياتهم.



قلعة بناها الصليبيون في سوريا في القرن الثاني عشر الميلادي



الباب الثاني

فلسطين في العهد الإسلامي

الفصل الرابع

حركة التحرير الإسلامية

١- المحاولات الأولى

٢- آل زنكي العظماء

١ المحاولات الأولى



عام ٥٠٥ هجري
١١١٢ ميلادي

المجاهد الأول "مودود"

تحت ضغط العلماء وجهدهم الدؤوب لتنشيط وإشعال الحماس في قلوب الشعب والحكام، بدأ أول تحرك مضاد من قِبل المسلمين بحركة جهادية بقيادة العلماء، واستجاب لهم حاكم الموصل فقط من بين جميع البلاد الإسلامية، وكان يحكم الموصل رجل تركي مسلم اسمه "مودود"، دعا هذا الرجل للجهاد، فاستجاب له خلق كثير، وبدأ الناس يتوافدون إليه، ثم ما لبث أن قاد جيشه هذا نحو "الرُّها"، واستطاع أن يفتحها ويقتل بعض النصارى ويأسر بعضهم، ومن الأسرى أخذ بعض الأرمن الذين تعاونوا معهم، وبدأ بعض الأمل يعود للمسلمين بهذا الفتح.



عام ٥٠٧ هجري
١١١٣ ميلادي

اغتيال "مودود"

توافدت جموع من المسلمين الذين بعثتهم بوادر الأمل إلى "مودود"، فشكل منهم جيشاً وتحرك نحو القدس، وشعر النصارى بخطر الجيش الزاحف نحوهم، ولم يكن لدى "مودود إلا جيش بسيط متناثر الأطراف، في مواجهة قوة عظيمة من النصارى كانت قد تجمعت بعتاد وأعداد ضخمة، ثم اشتبك الطرفان في معركة هائلة لم يستطع أحد الطرفين أن يحسمها لصالحه، ورأى "مودود" أن يعيد ترتيب صفوفه فانسحب نحو دمشق، وكانت لا تزال تابعة له، وفي دمشق نزل في المسجد الأموي يوم الجمعة، فتربص له أحد رجال "الحشاشين" (الفرقة الباطنية الضالة) وقتله غيلة.

ولعل في ذلك قمة الخيانة، أن يعمد أحد ممن يدعون الانتساب للإسلام فيقتل مجاهداً مسلماً بعث الله فيه أمل الأمة المحطمة، ولكن هذا -كان وما يزال - ديدن الفرق المنحرفة والباطنية، فهم يضمرون العداء للمسلمين ومن خالفهم أكثر من عدائهم للكفار والنصارى واليهود ومن والاهم.

يروى أن ملك الفرنجة النصارى في القدس لما سمع بخبر اغتيال "مودود" ضحك وقال" إن أمة قتلت عميدها، يوم عيدها، في بيت معبودها؛ لحقٌ على الله أن يبيدها.



عام ٥١٣ هجري
١١١٩ ميلادي

معركة "قسطوان"

وُلدت هذه الحركة الجهادية في مهدها، ولم يكتب لها التوفيق والنجاح، لكن العلماء لم يلبثوا أن بثوا العزيمة والحماس في نفس حاكم آخر، وهو حاكم مدينة "ناردين" فجمع هذا الأخير جيشاً وتحرك مرة أخرى نحو "الرُّها"، وبعد معركة بسيطة تسمى معركة "قسطوان" استطاع الجيش المسلم التغلب على النصارى ودحرهم، وانتشر مجدداً الأمل والتفاؤل بين الناس بهذا القائد الجديد، وبدأت عمليات استعدادات الجهاد والنهضة في الأمة مرة أخرى.



عام ٥٢٩ هجري
١١٣٥ ميلادي

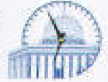
تحرك العلماء

دخل الجيش الإسلامي مدينة "الرها" وبقي فيها عدة سنوات، ولكنه ما لبث أن ضعفت سيطرته على المدينة، فيما بلغ خبر هذا الأمر مسامع الخليفة العباسي "الراشد بالله"، وكان ظالماً فاسداً اشتهر بشرب الخمر، فأجمع علماء الأمة على محاربة هذا الفساد في الخلافة، وحرضوا الناس على إقالته، وكانت لهم جولة وصولة بين الناس لأول مرة منذ سنين طويلة، ولم يمض سوى عام على خلافة "الراشد" حتى أعلن العلماء عدم جواز البيعة له، وإيجاب نقضها، وأعلنوا البيعة لعمه، وتحت الضغط الجماهيري وضغط العلماء سقط الراشد وتولى الخلافة مكانه عمه، وقام هذا الأخير بحركة إصلاحية شاملة للمسلمين.



قلعة بناها الصليبيون في سوريا في القرن الثاني عشر الميلادي

٢ آل زنكي العظماء


عام ٥٣٩ هجري
١١٤٥ ميلادي

عماد الدين زنكي

ظهر في هذا العام رجل شهير عينه الخليفة حاكماً للموصل وهو المجاهد "عماد الدين زنكي" وهو من الرجال الذين تربوا على أيدي العلماء ورضعوا الجهاد في دروس العلم، وكان من آثار حركة الإصلاح الديني التي قادها الإمام الغزالي والإمام الطرطوشي منذ عقود. وفي ذلك نظر وتأمل في أن حركات الدعوة والإصلاح تؤتي ثمارها إن كانت مخلصة ولو بعد حين، وكيف أن الإصلاح يسبق الجهاد دوماً.
وجعل عماد الدين زنكي يفكر بكيفية التغلب على الصليبيين، فأدرك بتفكير عميق ضعف الأمة وتشتتها، فخرج بقرارين أعلنهما على الملأ:

١ - أعلن الوحدة الإسلامية، وطالب الدويلات الإسلامية القريبة منه إلى الوحدة والاجتماع.

٢ - أعلن الجهاد في الأمة، وأمر المجاهدين أن يتوافدوا إلى الموصل.

لقد كان لإعلاني "عماد الدين زنكي" أثر بالغ في نفوس الناس، فتجمعوا من كل مكان، إلا أن موقف الحكام كان نقيض ذلك، فلم يجبه أحد في دعوته، ومنعوا أي تعاون معه، حتى إنهم رفضوا إمداده بالسلاح والمال، وبالمجاهدين، ولكنه استمر في دعوة الناس، ولما أحس أن جيشه أصبح جاهزاً قصد مدينة "حلب" في شمال سوريا، فسحق حاميتها، وبدأ يوطد أركان حكمه، ثم أسس جيشاً قوياً وأرسله إلى "الرها" تارة أخرى لتحريرها وإعادتها إلى الحظيرة الإسلامية، وقام الجيش المسلم بفتح المدينة بعدما رزحت ستاً وأربعين سنة تحت الحكم الصليبي، وأثار هذا النصر العالم الإسلامي والأوربي على حد سواء، وبدأت أوربا والبابا النصراني يشعرون بخطر هذا المجاهد القادم بروح الإسلام وقوته.



الطبر (فأس القتال) استعمله المسلمون في حروبهم

الخيانة العظمى

بدأ على أثر ذلك البابا بإعداد حملة صليبية جديدة لإيقاف زنكي، وساعده على ذلك طلب حاكم دمشق المسلم التحالف مع حاكم القدس النصراني ضد عماد الدين زنكي، والذي استمر على إصراره على الجهاد في سبيل الله تعالى، وبدأ كلا الفريقين يعد العدة للمواجهة المرتقبة.



عام ٥٤١ هجري
١١٤٦ ميلادي

نور الدين زنكي

عاد أعداء الأمة وأصحاب الفرق الباطنية إلى سيرتهم البائسة، وخياناتهم المتكررة، وطعناتهم المجرمة في صدر الأمة الإسلامية، فقام الفاطميون باغتيال "عماد الدين زنكي"، فتولى مقاليد الحكم من بعده ابنه البطل "نور الدين زنكي" وكان قد تربى على سيرة والده الجهادية الحميدة، فكان بعد ذلك من أعظم الحكام المسلمين في ذلك الزمان، (والعجب أن كثيراً من الشباب لا يعرفون سيرة هذا البطل العظيم).

بدأ نور الدين بواقع خبرته بحياة والده وتربيته القويمة بنشر الإصلاح الاجتماعي كمقدمة لعمله كحاكم، فنشر الدعاة بين الناس، وقضى على الفساد، ونهض كذلك بالاقتصاد، وشجع حركات التجارة والإصلاح الاقتصادي، وأصلح القضاء وعين القضاة الفاضلين، فانتعش الشعب وشعر بأهمية وقوفه إلى جانب هذا الحاكم المسلم الجديد.

ثم إن نور الدين لم يغب عن باله واجب الدفاع عن الأمة المسلمة، ولكنه قام بالإعداد لهذا الواجب بتروٍ وسياسة وحنكة، فبدأ يعد الجيوش ثم أعلن الجهاد، فتجمع حوله الناس بكثرة لما عرفوا عنه من العدل والحكمة، وعين على الجيش قواداً باسلين منهم "أسد الدين شيركوه بن شادي بن أيوب"، ويسمى "شيركوه الأيوبي" ، وأخوه "نجم الدين أيوب بن شادي بن أيوب"، وهذا الأخير هو والد "صلاح الدين الأيوبي" الذي ولد في هذه الفترة، وتلقى العلم والتربية الدينية والتربية الجهادية، وتربى على حديث النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته الخالدة، وكان من شيوخه المُحدِّث الأصبهاني الذي تولى تربيته وتعليمه.

فك حصار دمشق

بعدما دخلت دمشق في حلف النصارى، كانت أوربا تعدُّ العدة كما ذكرنا لمواجهة هذه النهضة والصحوة الإسلامية، ولم ينتظروا بدء المواجهة بل غدروا بحليفهم المسلم حاكم دمشق وهاجموا مدينته، فاستنجد هذا الأخير بنور الدين زنكي، ولم يقف نور الدين موقف المتفرج كسائر حكام المسلمين آنذاك، ولم يتحجج بأن حاكم دمشق إنسان خائن ويستحق ما أصابه، بل أخذته الحمية والنخوة الإسلامية للدفاع عن أرض المسلمين دمشق، فاستطاع بقوته وذكائه موافاة دمشق أثناء حصارها ورد الهجوم النصراني عنها، ولكنه أبقى على حاكمها بعدما أعطاه العهود والمواثيق أن يكون حليفاً له ضد النصارى.

تحرير بعلبك وطرابلس

ثم إن نور الدين زحف نحو "بعلبك" و"طرابلس" واستردهما من أيدي النصارى المحتلين، وبلغ الخبر مشارق الأرض ومغاربها والتي راحت تستبشر بهذا القائد الجديد، فذاع صيته في كل الأرجاء، حتى أن الخليفة العباسي أطلق على "نور الدين" لقب "الملك العادل"، غير أنه لم يحرك أي مساعدة له، وبقي هذا الخليفة عاجزاً يكتفي بالكلام دون الفعل، مع أن الأمة كانت تسانده وتدعمه، غير أنه كان خائفاً متمسكاً بكرسي الحكم!.



عام ٥٤٣ هجري
١١٤٨ ميلادي

ملوك أوربا يقودون الحملات

تحركت في هذا العام الحملات الصليبية من أوربا يقودها أمراء صليبيون، وتحركت جميعها لحصار دمشق، وفرضت عليها الحصار، فاستبسل مجاهدو دمشق للدفاع عنها وقاتلوا قتالاً عظيماً، وارسل حاكم دمشق إلى نور الدين يطلب دعمه ضد الجيوش الصليبية، فوافاه بجيش عظيم أفسد على النصارى حصارهم، ثم إن نور الدين ضَيَّق عليهم فمنع عنهم الماء، وتحت هذا الضغط وقلة الماء اضطروا لفك الحصار، ثم ما لبثوا أن عادوا إلى أوربا منهزمين، وكان ملوكهم لا يستطيعون ترك ممالكهم لفترات طويلة، وشعروا أن الحرب مع المسلمين ستطول، فتقهقروا نحو أوربا وفشلت حملتهم.



فرنسا تمون السفن الصليبية

خيانة حاكم دمشق

تفرغ نور الدين بعد انسحاب الجيوش النصرانية للتفكير في إعادة القدس، وطلب إلى حاكم دمشق أن يمده بجيش مساعد لحصار "عسقلان" في جنوب فلسطين، ولكنه رفض ذلك متذرعاً بحاجته لحامية له في دمشق، فهدده بعزله عن الولاية، فأرسل حاكم دمشق سراً إلى النصارى في القدس يطلب مساعدتهم على نور الدين.

شعر النصارى بأن الخلاف هذا صار لصالحهم، فأرسلوا بسرعة جيشاً من القدس لمساندة حاكم دمشق، ولكن الأنباء سرعان ما انتشرت وبلغت نور الدين الذي تحرك من فوره فلاقى جيش النصارى قبل وصوله إلى دمشق، فهزمهم وفرق جمعهم في الطريق، فاهتز العالم الإسلامي واهتزت قلوب المسلمين وبدأ التكبير والتهليل في دمشق، وصار أبناء دمشق يتغنون باسم نور الدين ويصنعون له القصص والروايات.



عـام ٥٤٦ هـجـري
١١٥٢ مـيـلادي

فتح دمشق

أعلن حاكم دمشق الولاء لنور الدين بعدما شعر أنه لا مناص له من قبول ذلك، ولم يبق له منجد ولا حليف، وفُتحت دمشق لنور الدين، ودخل دخول الفاتحين، واستقبله الناس بالتهليل والتكبير، فحكم ونشر العدل والإيمان، وبنى المباني العظيمة والأوقاف التي هي قائمة في دمشق إلى هذا اليوم. وهكذا تم حكم نور الدين على دمشق وحلب والموصل، ولكنه بقي قوة صغيرة أمام جحافل النصارى الذين تجمعوا في فلسطين والقدس، وكان لا يكف عن مناوشتهم وقض مضاجعهم بين الفينة والأخرى، إلا أن الحروب كانت سجالاً، وكان عليه أن يهتم بتوسيع رقعة الدولة وجمع عدد أكبر من الجيوش والعتاد.



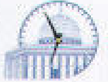
خريطة العالم القديم كما رسمها العرب عام ١١٥٤ ميلادي



عـام ٥٥٨ هـجـري
١١٦٢ مـيـلادي

هزيمة جيش نور الدين

تتابعت المعارك بين نور الدين زنكي والنصارى، ولحقت به هزيمة في عام ١١٦٢ نجا منها نور الدين بأعجوبة، ولكنه انتقل إلى بلد آخر، وأقسم بالله العظيم أن يثأر لنفسه وجنوده من هذه المعركة، وبقي يعدُّ العدة لذلك عامين كاملين فخاف النصارى من هذا التحمس الذي أظهره نور الدين، فما كان منهم إلا أن عرضوا عليه الصلح، فرفض نور الدين ذلك، وجعل يجمع الحشود لمواجهتهم، وأرسل بالرسائل والوفود إلى الأمراء، فلم يستجب له إلا عدد قليل منهم، فأخذ نور الدين يجهز هذا الجيش الصغير ويدربه ويبث فيه الحماس وروح الجهاد ضد النصارى.


عام ٥٦٠ هجري
١١٦٤ ميلادي

عندما أتم نور الدين استعدادات جيشه توجه للقاء النصارى في معركة عظيمة في منطقة "حارم"، وسُمع لنور الدين ليلتها دعاء وضراعة إلى الله، يدعو الله أن ينصر دينه ولا يخذل المسلمين، ودعا الله أن يمده بالنصر لعباده وجنوده، وأن يهزم النصارى والكفار، في دعاء مؤثر عظيم حسب رواية من سمع الدعاء.

معركة "حارم" العظيمة

وكانت في صبيحة اليوم التالي قامت معركة حارم العظيمة، والتي أغفل ذكرها كثير من المؤرخين، مع أنها من أعظم معارك ذلك التاريخ في عام ١١٦٤ ميلادي، وسبب أهميتها هو مشاركة عدة ممالك صليبية في القتال بقيادة أمرائها، فشاركت إمارة طرابلس والقدس، حتى أنطاكية حضر أميرها بنفسه لهذا اليوم، واحتدم القتال، فاستجاب الله لدعاء المجاهد نور الدين ونصره نصراً مؤزراً، فقتل من النصارى عشرة آلاف، وأسر مثلهم، وأسر أمير أنطاكية وأمير طرابلس، فكانت تلك هزيمة نكراء لم يرَ مثلها النصارى في بلاد العرب منذ دخولهم، وتصدعت أركان الدويلات النصرانية بهذه النتيجة، واهتزت أوربا لهذا الخبر، وأصبح لنور الدين شأن خطير في نفوسهم، وجعلوا يعيدون حساباتهم في تقدير قوته وقدرته الحربية.


مصباح مسجد للعهد المملوكي

نشأة المماليك

وبينما كانت الأمور صاخبة في بلاد الشام، كانت مصر لا تزال ترزح تحت حكم الفاطميين أصحاب العقيدة الإسماعيلية المنحرفة، ولكن شعب مصر كان لا يزال مسلماً سنياً لم ينجرف وراء هذه العقائد الباطنية المضللة، ولكن الفاطميين كانوا بحاجة لتجييش جيوش جديدة قادرة على الدفاع عن الدولة الفاطمية التي باتت أركانها تضعف شيئاً فشيئاً، ولذلك عمدوا إلى شراء العبيد من الدول البعيدة من الأتراك والشركس وغيرهم، وقاموا بتدريب أولئك العبيد على فنون القتال وحمل السلاح، وسمي هؤلاء بعد ذلك بالمماليك، والذين كان لهم شأن فيما بعد.

خلاف الوزراء الفاطميين

وعلى عادة الخليفة الفاطمي كان الحكم دائماً بيد الوزراء الذين تحت إمرته، وكان الخليفة الفاطمي في مصر "العابد" قد عيّن ثلاثة وزراء، ثم ما لبث أن دب الخلاف فيما بينهم بسبب تنافسهم على منصب الوزير الأول، كان هؤلاء الوزراء الثلاثة هم: "شاور" و"العاضد" و"درغام"، فبدأ "شاور" القتال واستطاع أن يقتل "العاضد" ولكنه هزم أمام جيش أعده "درغام" لقتاله، وفرّ "شاور" باتجاه الشام بعدما طُلب في مصر.

لجأ "شاور" إلى نور الدين طالباً منه مساعدته لإقصاء "درغام" عن سيادة مصر، وجعل يثير مطامعه في مصر، وكونها الجبهة الجنوبية على الصليبيين، وأنه لو استطاع السيطرة عليها لأصبح النصارى بين فكي كماشة، وعندها تسهل هزيمتهم والقضاء عليهم.

نور الدين يتوجه نحو مصر

رأى نور الدين أنها فرصة سانحة، وكانت مصر حقاً جبهة قوية يمكن الاستعانة بها لدحر الغزاة النصارى من فلسطين والقدس، ووعد "شاور" نور الدين بإمداده بالجيوش والعتاد إذا ساعده لإعادة حكمه في مصر وقهر "درغام"، ووجد نور الدين كذلك أن مصر قوة لا يستهان بها، وأن فيها من الثروات والقوة ما يستطيع به تمكين ملكه وزيادة جنده، ودحر الغزاة من القدس.

ثم إن نور الدين قام بتوجيه جيش بقيادة "أسد الدين شيركوه" نحو مصر، وشعر الفاطميون بهذا الغزو القادم نحوهم، فتحرك الوزير درغام بجيش لمقابلة جيش أسد الدين، والتقى الجيشان عند منطقة "بلبيس" في مصر، واستطاع "أسد الدين شيركوه" أن ينتصر في هذه المعركة، واستكمل زحفه نحو القاهرة، فجهز درغام جيشاً آخر للدفاع عن القاهرة، ولكن الجيش الآخر انكسر أمام الجيش الشامي، وتم دخول القاهرة، وأعيد "شاور إلى منصبه، وصار الوزير الأول.

وبعد هذا النصر بقي على الوزير "شاور" أن يفي بوعده لدعم نور الدين بالمال والرجال لمحاربة الصليبيين، إلا أنه بدأ يماطل ويطلب إمهاله قبل تنفيذ وعده، ولما أحس "شيركوه" منه عدم الجدية ونكث الوعد، بقي في مصر وجعل يتحرك بها ويسيطر على المناطق الشرقية منها، وأحس "شاور" بالخوف من هذه التحركات، فما كان منه إلا أن أرسل للنصارى يستعين بهم على "شيركوه"..!

خيانة أخرى !

ولا يعدو "شاور" إلا أن يكون أحد وزراء الدولة الفاطمية، الإسماعيلية الباطنية، وهو لا يعدو أن يكون باطنياً يخفي حقيقة ما يبطن، ويظهر غير ما يخفي، لذلك كان الغدر من شيمة حكام الدولة الفاطمية، وعلامة بارزة على انحرافهم الديني والأخلاقي.

وجد النصارى في دعوة "شاور" لهم إلى مصر فرصة نادرة، فقد كانوا في أشد الحاجة للأخذ بثأرهم من الجيش الشامي الذي جرعهم الهزائم الكثيرة، فانطلق جيش من القدس نحو مصر لحصار "شيركوه"، وأرسل الفاطميون جيشاً من القاهرة لإغلاق الحصار من جهتين على الجيش الشامي، وانقلبت كفة الأمور، بعدما كان أمل نور الدين أن تقف مصر وحكامها إلى جانبه في محاربة النصارى، وجد جيشه الرئيسي محصوراً في مصر وقد تحالف الفاطميون والنصارى ضده، فقرر فوراً إرسال جيش آخر لمساعدة "أسد الدين شيركوه".

الهدنة مع النصارى

وأثناء تقدم جيش نور الدين لم يكن "شيركوه" على علم بانتصارات الجيش المتقدم لمساعدته، وبالتالي وجد أن الصلح والهدنة مع النصارى تعتبر صفقة مربحة له لإنقاذ نفسه من الطوق المفروض عليه من جيشي النصارى والفاطميين، فوافق على الهدنة، وعقدت المفاوضات بينه وبين النصارى، وصار الاتفاق على أن يخرج الفريقان من مصر كل إلى دياره بدون حرب، وتحركت كل القوات خارج مصر.

ولما علم نور الدين بخبر الهدنة وانسحاب جيش النصارى من مصر عاد أدراجه إلى بلاد الشام، لأنه رأى أنه قد توغل كثيراً في فلسطين نحو مصر، ولم يُبق في دمشق إلا حامية بسيطة من الجند، كما أنه خشي غدر النصارى به وهو في منطقتهم، فآثر السلامة والعودة للاستعداد من جديد، غير أنها لم تغب عن باله فكرة السيطرة على مصر، وما زالت تلك الجبهة القوية تراوده، وكان يفكر دائماً بتصفية الخائن "شاور" وإقصائه عن مصر.

إعداد العدة من جديد

ولم يضيع نور الدين الوقت، بل إنه ما إن عاد "شيركوه" إلى دمشق حتى أمره بإعداد جيش جديد للتوجه مرة أخرى نحو مصر، وبدأ الاستعداد مجدداً للتحرك نحو مصر بقيادة "أسد الدين شيركوه" الذي كان قد اكتسب معرفة واطلاعاً واسعاً على الأرض المصرية وطبيعة القتال فيها، فجهز الجيش وتوجه نحو الجيزة وأقام مخيمه بها، وما لبثت الأخبار تتناقل حتى بلغت مسامع "شاور" الذي سارع مجدداً بطلب المساندة من النصارى، ولم يضيع أولئك وقتاً بل بادروا بسرعة فأرسلوا قواتهم لملاقاة جيش الشام.

السيطرة على الإسكندرية

لم يشأ "شيركوه" إعادة ما حدث معه في المرة السابقة، فقام بحركة عسكرية حكيمة، فتوجه بجنده نحو الصعيد، وذلك لكي يتفادى أن يقع في حصار جديد بين الفاطميين والنصارى، ولذلك اختار مكان المعركة مع النصارى، وحدث القتال فعلاً، واستطاع أن ينفرد بالنصارى وحدهم وأن يهزمهم، ثم يسارع بعد هذا النصر للتحرك نحو القاهرة، لملاقاة جيش "شاور" مع جيش النصارى المهزوم الذي انضم إليه بعد معركته في الصعيد، فتشكل من الفريقين جيش قوي مستعد لمواجهة جيش الشام، ولكن "شيركوه" قام مجدداً بحركة عسكرية تكتيكية، فتوجه نحو الإسكندرية بدل القاهرة، ثم سيطر عليها وعين ابن أخيه "صلاح الدين الأيوبي" حاكماً فيها، والذي كان شاباً صغيراً لم يتجاوز عمره الخامسة والعشرين، فأصبح في هذا العمر والياً على الإسكندرية لأول مرة، وجعل "شيركوه" يشاغل الجيش الفاطمي والنصراني خارج القاهرة لتفادي الالتحام معهم في معركة واحدة، ولكن "شاور" والنصارى قاموا بالتوجه بحركة مباغتة نحو الإسكندرية ومحاصرة صلاح الدين، فاضطر "شيركوه" للعودة نحو الإسكندرية لمساندة ابن أخيه وفك الحصار عنه، وتعقدت المشكلة وباتت الجيوش في حركة مستمرة، واختلطت الأوراق، ولم يكن "شيركوه" يريد أن يواجه الجيش الفاطمي والنصراني دفعة واحدة، لأنه كان جيشاً كبيراً ومتحداً، وكذلك خشي هذا الاتحاد النصراني - الفاطمي من أن يقع بين جيشي "شيركوه" و"صلاح الدين"، فكان أن انتهى الأمر إلى عقد المفاوضات بين جميع الأطراف، وتم الاتفاق على أن ينسحب "شيركوه" و"صلاح الدين" من الإسكندرية ويعودا إلى الشام مقابل تعويضهم عن تكاليف الحملة التي قاما بها، وقدرت هذه المبالغ بمائة وخمسين ألف دينار، وكذلك ينسحب الفرنجة من مصر. وللمرة الثانية يتفرد "شاور" بحكم مصر دون أن تستطيع إحدى القوى السيطرة عليها. ولكن "شاور" تابع مسلسل خياناته الكبيرة بأن أرسل للنصارى في طريق عودتهم يدعوهم للعودة لحماية أسوار القاهرة مقابل جزية يدفعها لهم قدرها مائة ألف دينار ذهبي، ولم يجد الفرنجة طبعاً أثمن من هذه الفرصة لاقتناصها، فأسرعوا بإرسال حامية للقاهرة.



عام ٥٦٤ هجري
١١٦٩ ميلادي

التسابق إلى مصر

بلغت هذه الأنباء السيئة مسامع نور الدين في الشام، والذي أحس بخطر بقاء النصارى في مصر وتكوين جبهة لهم فيها، وفي ذات الوقت حرك النصارى الصليبيون من فلسطين جيوشاً لاحتلال مصر مستغلين وجود حاميتهم في القاهرة لدعمهم، وتقدموا حتى وصولوا "بلبيس" فاحتلوها، ووصلت هذه الأنباء مسامع الخليفة الفاطمي "العاضد" والذي لاحظ في هذا التحرك الجديد للنصارى نيتهم في احتلال مصر والسيطرة عليها، وانتبه إلى خيانة وزيره "شاور"، فرأى أن الأمور ستخرج عن نطاق السيطرة ليكون "شاور" هو المتفرد بالحكم أو من يواليهم من النصارى، فما كان منه إلا أن أرسل سراً إلى نور الدين يطلب مساعدته للقضاء على "شاور" الخائن، ويعده بفتح أسوار القاهرة له، ووجد نور الدين فرصة جديدة أبرقت أمامه لمنع النصارى من احتلال مصر وبسط نفوذهم فيها، ثم إنه سارع إلى تجهيز جيشه وتحرك به بنفسه وبسرعة نحو مصر، وصار الجيشان يتسابقان نحو مصر للمرة الثالثة.



الترس أحد أنواع الأسلحة التي استخدمها العرب في حروبهم

لم يكن شيئاً أضر بالمسلمين من الخيانة التي قام بها أمراء المسلمين، فقد باعوا كل شيء في سبيل بقائهم على كراسي الحكم، وحتى هذه لم تدم لهم.

مليون دينار للنصارى !

ولكن الخائن لا يغير طبعه، ونقصد هنا الوزير "شاور" الذي ما كان منه إلا أن أرسل إلى النصارى يفاوضهم ويصالحهم لكي لا يدخلوا مصر، ويردوا جيش نور الدين عنها، ويعطيهم بالمقابل مليون دينار ذهبي، وكان هذا مبلغاً ضخماً فاق كل طموح النصارى في مصر، فرأى النصارى أن هذا المال الكثير سيوفر عليهم عناء ومشقة احتلال مصر، وأنهم غير متأكدين حتى وقتها من قدرتهم على ذلك، فوافقوا على هذا الاتفاق، وطلبوا أن يعطيهم "شاور" مبلغاً منه مسبقاً فأرسل إليهم بمائة ألف دينار ذهبي.

التوجه نحو القاهرة

بدأ النصارى تنفيذهم للاتفاق المبرم، فخيّموا في الطريق حتى يمنعوا نور الدين من دخول مصر، وبدأ "شاور" من طرفه بجمع الأموال من المصريين، ولكن هذا المبلغ الضخم عجز عنه الناس، وظهر عليهم الضيق والتبرم والضجر من "شاور" لإرهاقهم بجمع هذا المبلغ، وأرسلوا وفوداً يشتكون إلى الخليفة العاضد ذلك، وهذا الأخير أرسل مجدداً إلى نور الدين لاستعجاله مقابل تغطية تكاليف الحملة والجنود، فزاد حماس نور الدين لذلك وعلم أن مصر الآن مهيأة لدخوله فاتحاً، فأرسل إلى "شيركوه" وكان وقتها في حمص ليسانده في الحملة على مصر، وخرج صلاح الدين مع "شيركوه" في حملة كبيرة، وانتظر نور الدين الإمدادات في الشام، وقطع طرق الإمدادات على جيش النصارى القابع في مصر والآتية له من فلسطين، وعندها أحس النصارى بالخطر الداهم، فقد كانت طرق الإمدادات لهم من فلسطين مقطوعة، ونور الدين جهز جيشاً كبيراً لمواجهتهم، فانسحبوا وتفرقوا تفادياً لقتال جيش نور الدين، ووصل جيش "شيركوه" وتقدم سريعاً ودون مقاومة حتى وصل القاهرة واستطاع دخولها دون مقاومة أيضاً.

أحس "شاور" بقرب انتهاء أيام حكمه، فجعل يماطل في تسليم القاهرة إلى حكم الشاميين، وجعل يبحث عن حل يزيح عنه هذا الفتح الجديد لجيش نور الدين، ولاحظ "صلاح الدين" حركات "شاور" المشبوهة، فاستشار عمه "شيركوه" في قتل الخائن "شاور" فقال له: إني أخاف أن تنقلب علينا الأمور ولم يمض علينا سوى بضع أيام قلائل في مصر، وهذا له قوة كبيرة من الفاطميين لا زالت تؤيده.



الخنجر أحد أنواع الأسلحة التي استخدمها العرب في حروبهم

قتل الوزير "شاور"

ولما لم يجد صلاح الدين لدى عمه العزم على تنفيذ خطته توجه إلى الخليفة "العاضد" وأخبره بنيته على قتل "شاور" شريطة أن يقف الملك "العاضد" إلى جانب صلاح الدين ويمنع عنه الفاطميين، فوافق "العاضد" على ذلك لأنه أراد التخلص من "شاور" بأي ثمن، ودونما إبطاء قبض صلاح الدين على "شاور" وقطع رأسه وقدمه إلى "العاضد"، فوفى الخليفة بوعده ومنع الفاطميين من التعرض لصلاح الدين، وهكذا انتهى هذا الخائن "شاور" وتمت السيطرة بعده لحكم نور الدين على مصر.

"شيركوه" وزير مصر

بعدما فقد الخليفة العاضد وزيره الذي كان يدير شؤون مصر أحس بحاجته لمن يخلفه على هذا المنصب، فلم يجد خيراً من أن يعين القائد " شيركوه" وزيراً على مصر خلفاً لـ "شاور"، ووجد الخليفة أن أهل الشام وإن كانوا قد دخلوا مصر بحرب، إلا أنهم افضل من النصارى الذين ما فتئ "شاور" يستعين بهم على المسلمين من جنود نور الدين، فكان بين أمرين اختار بينهما المسلمين وفضلهم على النصارى.

ثم بدأ "شيركوه" يدير دفة الأمور في مصر وفق سياسته الحكيمة، فنشر العدل وأقام الأمور، وكرّم العلماء، وأغدق على الناس، فأحبه الشعب الذي كانت عامته من المسلمين غير الفاطميين، والذين كانوا على مذهبه وعقيدته، واستتبت الأمور في مصر وعمت السكينة وراحة البال أهلها، ولكن "شيركوه" لم يمض سوى شهرين في الحكم حتى توفاه الله تعالى، بعدما تعلّق به الشعب والناس في مصر، ورجع الأمر مجدداً إلى العاضد ليعين وزيراً بدل "شيركوه" فاختار "صلاح الدين الأيوبي" وزيراً جديداً ووزيراً للجيش، وأعطاه لقب الملك الأصر صلاح الدين، وقد أقبل العاضد على هذا الاختيار ظناً منه أن صلاح الدين ما زال صغيراً في السن، وبإمكانه أن يتصرف في الأمور ويسيطر عليها.

"صلاح الدين" وزيراً على مصر

ومباشرة تولى صلاح الدين مقاليد الأمور في مصر وانتهج مسيرة عمه في الإحسان إلى الناس ومعاملتهم بأحسن الأخلاق، فأسر قلوبهم واكتسب ودهم بفترة وجيزة، واستقرت له الأمور في مصر تماماً، ثم وصلت هذه الأخبار إلى الشام ثم إلى أوربا، فاهتزت أوربا لهذا النبأ، حيث أن جنود الصليبيين في فلسطين صاروا بين مصر والشام اللتين توحدتا الآن لنور الدين وصلاح الدين، وصارت دولتهم في فلسطين والشام عرضة لخطر عظيم، مما دعا أوربا إلى تحريك الحملات الصليبية نحو مصر.



عام ٥٦٧ هجري
١١٧١ ميلادي

هجوم صليبي ثلاثي على مصر

وفعلاً تحركت قوات النصارى من أوروبا وتحركت أساطيل الشام وتحركت قوات النصارى الصليبية، وبدأ الهجوم على مصر من ثلاث محاور: بحراً من أوروبا، وبحراً من جهة فلسطين، وبراً من جهة سيناء، ثم إن أولى القوات الصليبية وصلت دمياط فحاصرتها، غير أن صلاح الدين أحس أنه لا قبل له في هذا الوقت بمواجهة هذه الجيوش القادمة لأن مصر لم تستقر له تماماً بعد، وما زالت القوة الفاطمية الداخلية تشكل مصدر خطر على دولته فيها، وكان الفاطميون قد بدؤوا بالتجمع في جنوب مصر (السودان) استعداداً لاستعادة مصر، فما كان من صلاح الدين إلا أن أرسل إلى نور الدين يطلب مساندته، وبسرعة لبى نور الدين نداء الاستغاثة وأنجد صلاح الدين، وأرسل له بمليون دينار ذهبي وبالأسلحة والعتاد، ثم بدأ يهاجم القلاع الصليبية في الشام في فلسطين لإشغالهم عن مهمتهم، وجعل يقطع أي مدد ويناوش أي جيش يخرج من فلسطين باتجاه مصر.


قلعة الكرك

حصن الكرك

وتحت هذه التحركات لنور الدين اضطر النصارى أن يسحبوا جيوشهم البرية ويتخلوا عن فكرة مهاجمة مصر مؤقتاً، ولكن نور الدين استمر في مهاجمتهم وتحرك باتجاه حصن الكرك الذي كان من أعظم حصون الصليبيين في فلسطين، فأحس النصارى بخطورة الموقف، وسارعوا إلى نجدة هذا الحصن لمنع سقوطه بيد نور الدين، فاستغل نور الدين فرصة انشغالهم وحيرتهم وأرسل جيشاً خاطفاً إلى صلاح الدين تلاقى معه عند دمياط، واستطاع الجيشان تحريرها بعد خمسين يوماً، فأحس بعدها النصارى بعجزهم عن مهاجمة مصر، وسحبوا كافة جيوشهم واضطروا للتراجع.

أحكم بعد هذه الفترة صلاح الدين سيطرته على مصر، فاستقرت له الأمور فيها تماماً، مما جعله يستطيع أن يبدأ بشن حملات نحو فلسطين من الجنوب، وذلك بالاتفاق مع نور الدين الذي كان يهاجم من الشمال، وقصد صلاح الدين غزة وعسقلان ففتحهما، وتوالت له الانتصارات في الجنوب، ولكنه لم يكن يستقر في هذه المدن، بل كان يعود مسرعاً، واستمرت هذه المناوشات فترة طويلة أرهقت النصارى وأتعبتهم.


عام ٥٦٧ هجري
١١٧١ ميلادي

وفاة الخليفة العاضد

في هذا العام مات الخليفة الفاطمي العاضد، وصار الحكم الفعلي بيد صلاح الدين الذي قام بدوره منتهزاً هذه الفرصة فاتخذ قراراً جريئاً جداً، لقد أعلن صلاح الدين بعد استشارة نور الدين إلغاء الخلافة الفاطمية، وذلك بعد مائتي سنة من الحكم الفاطمي على المغرب ومصر، ألغى بكل قوة وجرأة حكم الفرقة الإسماعيلية المنحرفة على هذه البلاد، وخرج بالناس خطيباً باسم الخليفة العباسي في العراق، وكان نور الدين أيضاً يخطب باسم الخليفة العباسي، وصارت الأمة لأول مرة منذ قرون تخطب باسم خليفة واحد، ثم إن صلاح الدين ألغى جميع المحاكم الفاطمية وعزل جميع القضاة الفاطميين، وعين عوضاً عنهم قضاة شافعية، واستتبت له أمور السلطة والقضاء في مصر.

تجهيز وإعداد

فرح نور الدين بهذا الإنجاز وأراد أن يبادر بعد ذلك مباشرة لإعلان الحرب الشاملة على الصليبيين في فلسطين من الشمال والجنوب، غير أن صلاح الدين طلب منه أن يؤجل ذلك، لأنه لايزال يرى أن مصر لم تستقر تماماً، وما زال قلقاً حيال تحركات الفاطميين في جنوب مصر، وكان يتوجس منهم غدراً إذا ما غادر مصر نحو فلسطين، وكان يعلم أن حكم مائتي سنة للدولة الفاطمية في مصر لا يمكن أن ينتهي بهذه السرعة، إضافة إلى ذلك فإنه كان يترقب أي هجوم للصليبيين من جهة البحر، فكان يرى تحصين مصر أولاً وضمان استقرارها بالحكم الجديد.

غير أن نور الدين كان يرى خلاف ذلك، فقد كان مستعجلاً لاستئصال شأفة الصليبيين والمسارعة في تطهير أرض الأقصى منهم، فأرسل إلى صلاح الدين أن يعد العدة ويجهز الجيوش لهجوم شامل متى حان الوقت الملائم.



عام ٥٦٩ هجري
١١٧٣ ميلادي

الجزيرة العربية تحت إمرة نور الدين

أمر نور الدين أحد الفنانين بصنع منبر عظيم مزخرف ومزين، غاية في الجمال والعظمة، ثم عهد على نفسه أمام الناس أن يضع هذا في المسجد الأقصى إن شاء الله تعالى، بينما استمرت الاستعدادات وتجهيز الجيوش في الشام، أما في مصر فقد قام صلاح الدين بإرسال أخيه نحو الحجاز، فدانت الحجاز بالولاء لنور الدين ودخلت مكة والمدينة كلها في مملكة نور الدين، ثم تابع بعد ذلك نحو اليمن ففتحت له اليمن الأبواب، ودخلت أيضاً مملكة نور الدين وتوسعت الجبهة الإسلامية بشكل كبير، ودب الرعب في قلوب النصارى الذين شعروا بضخامة الجبهة الإسلامية التي أحاطت بهم من كل جانب.

إحباط مؤامرة اغتيال صلاح الدين

في هذه الأثناء كان الفاطميون يعدون مؤامرة لاغتيال صلاح الدين، واستطاعوا كذلك أن يصلوا إلى أفراد في قصر صلاح الدين لضمان نجاح خطتهم، غير أن واحداً من أتباعه المخلصين علم بالنبأ، وأظهر تواطؤه معهم، فكان يذهب إليهم ويخبر صلاح الدين بخططهم، فنصب لهم صلاح الدين حتى إذا كان يوم الخيانة فاجأهم وقتلهم عن آخرهم، وهرب من استطاع منهم أن يهرب، وهكذا أُحبطت أول مؤامرة لاغتيال هذا القائد الإسلامي العظيم.



عام ٥٦٩ هجري
١١٧٤ ميلادي

تحركات مريبة

تجمع الفاطميون بعد فشل مؤامرتهم في جنوب مصر جهة السودان، وصاروا يراسلون أفراد الحركة الإسماعيلية في الشام، فنصروهم وقاموا بإرسال الجنود والقوات لهم سراً، وكذلك أرسلوا إلى الصليبيين النصارى في جزيرة صقلية ليتعاونوا معهم على شن هجوم واحد على صلاح الدين من الجنوب والشمال، وكذلك استجاب لهم النصارى، وبدأت الآن الاستعدادات للمؤامرة، وكانت توقعات صلاح الدين في محلها حين أراد تأجيل الهجوم على الصليبيين، فقد كان يشعر بخطر هذه الجبهات على مصر، وكان يشعر بهذه التحركات المشبوهة من حوله.



عام ٥٦٩ هجري
١١٧٤/٥/١٥ ميلادي

وفاة نور الدين زنكي - وقفات في سيرة بطل

في هذا التاريخ توفي نور الدين زنكي رحمه الله تعالى، لقد كان هذا القائد بحق من أعظم من مرَّ على هذه الأمة، نور الدين أعظم في التاريخ وأهم من صلاح الدين، ولكن التاريخ لم يعطه حقه، لقد عرف هذا القائد الشجاع طبيعة المعركة، وأدرك أنها ليست معركة على السلطة والسلطان والحكم، وإنما هي معركة عقائدية، وأدرك بفهمه الثاقب أن المعركة ليست بين أهل الشام وأهل مصر والنصارى المحتلين وإنما هي معركة للمسلمين، إن نور الدين وعماد الدين وصلاح الدين كانوا كلهم أكراداً وتركماناً، ولم يكونوا عرباً، لكنهم تربّوا ورضعوا عقيدة الإسلام الأصيلة، فألغوا العصبيات، وجعلوا تحرير فلسطين همهم وشاغلهم الأعظم، ومن استراتيجيات نور الدين التي كان يقولها دائماً أن المعركة ليست لأجل جزء من فلسطين وإنما لتحرير كامل التراب، كل شبر من فلسطين، وكان من مبادئه الرئيسية أن الأمة حتى تستطيع أن تواجه لابد أن تُعدّ، ولا يمكن لأمة ضعيفة ومفككة أن تنتصر، فلابد من إعدادها إيمانيا وفكرياً واجتماعياً وجهادياً واقتصادياً، وكان حتى أثناء حروبه مع النصارى ينشر العدل ويبني الدولة، وكان من أساسياته أن الأمة لابد أن تتوحد حتى تستطيع مواجهة الحملات الخارجية عليها، حتى أنه عرض على حاكم دمشق أن يبقى حاكماً فيها مقابل أن يسانده في حربه ضد الصليبيين، فهو يطمح لتشكيل أمة إسلامية موحدة، لا مملكة خاصة، وكان صادقاً وواعياً لما يفعل أو يخطط.

شهادة المؤرخين

يقول عنه ابن الأثير في كتابه "التاريخ الكامل": طالعت تاريخ أكثر الملوك الذين حكموا قبل الإسلام والذين حكموا في الإسلام إلى يومنا هذا فلم أرَ بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن العزيز أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين. وابن الأثير خير من يصف ذلك، لأنه عاصر هذه الأحداث وكتبها بنفسه، وكان شاهد عيان في المعارك التي خاضها نور الدين والفتوحات.

العابد المجاهد

ويصف المؤرخون نور الدين رحمه الله تعالى بأنه كان ذكياً ألمعياً فطناً، لا تشتبه عليه الأحوال، ولا يتبهرج عليه الرجال، لا يستطيع أحد أن يخدعه، بالإضافة إلى أنه عُرف بالتقوى والورع وأداء السنن، كان مداوماً على قيام الليل، ودائم الصيام والدعاء، فإذا أضفت إلى هذا تربية الحركة الإصلاحية، وحركة إحياء الدين للإمام الطرطوشي والإمام الغزالي وغيرهما، فستجد أن نور الدين قد تغذى من خلاصة هذه التربيات والمناهج.

الفقيه الزاهد

وكان رحمه الله تعالى فقيهاً عالماً راوياً للحديث، ألف كتاباً في الجهاد في سبيل الله، لم تسمع منه قط كلمة فحش لا في غضب ولا في رضى، وكان صموتاً وقوراً حسن الخلق، زاهداً في الأموال والدنيا، حتى أن زوجته اشتكت الفقر ذات مرة، وكان ذا التزام كامل بأحكام الإسلام، يحب العلماء ويقدم لهم التشجيع والدعم الكبير، فوسّع على الدعاة وقدم لهم الصلاحيات في الأرض، من نهي عن المنكر وأمر للمعروف، وقام بإعمار وبناء الأوقاف العظيمة، وقام بإصلاح اجتماعي شامل، ونهض بالاقتصاد ففاضت أموال الزكاة وتحسنت التجارة، ورفع كل الضرائب التي كانت على الناس إلا ما كان في الشرع من الزكاة وغيرها، قضى حياته كلها في جهاد في سبيل الله، وفي سبيل توحيد الأمة ولمّ شملها.

توفي هذا القائد العظيم بعد حكم استمر ٢٨ سنة حرر فيها ٥٠ مدينة وقلعة كانت في يد النصارى.

نور الدين علم من أعلام الأمة يستحق أن يكتب اسمه بأقلام الذهب، ويمجد بأمجاد النور.



عام ٥٧٩ هجري
١١٨٣ ميلادي

بعد وفاة نور الدين

إلا أن الأمور لم تستمر بعد وفاته رحمه الله، كما كانت قبل ذلك، لأن آل زنكي أعطوا البيعة لـ "إسماعيل" بن نور الدين، والذي كان عمره ١١ سنة فقط، وكانت الدولة الإسلامية تخوض معمعة المعارك ضد الصليبيين، فكان ذلك خللاً كبيراً، ثم أطلقوا عليه: "الملك إسماعيل الصالح"، وما لبثت أن شبت الصراعات بين آل زنكي وقواد الجيوش للسيطرة على دولة نور الدين، وكادت الحروب أن تنشب بينهم، فتمزقت الشام، وصار حاكم كل مدينة يعلن نفسه والياً عليها.

انشقاق واختلاف

هذا الانشقاق بالطبع أفرح النصارى كثيراً، فبدؤوا يهجمون ويستعيدون القلاع والحصون التي أخذها نور الدين منهم، واختلت دولة الإسلام من جديد، ولما شاهد صلاح الدين في مصر هذه الأوضاع، نفد منه الصبر فما كان منه إلا أن أعلن نفسه حاكماً على بلاد الشام، وجعل نفسه وريثها مع أنه ليس من أسرة آل زنكي، فهو من الأيوبيين، فرفض آل زنكي هذا في الشام، فقام صلاح الدين بتولية أخيه "العادل" مقاليد الأمور في مصر، وتوجّه بأفضل قواته وفرسانه إلى الشام، فكان معه سبعمائة فارس من أشجع القواد، قطع بهم فلسطين إلى الشام، وبدأ يهاجم هذه الدويلات التي نشأت بعد نور الدين، فقام بعضهم بفتح الأبواب له وقبول حكمه، ورفض الأكثرون ذلك، ودخل صلاح الدين في قتال ضد النصارى من جهة، وضد آل زنكي من جهة أخرى، واستمر هذا الحال ١٢ سنة استطاع بعدها صلاح الدين أن يوحد الشام.

جبهات عدة

غير أن الأمر لم يكن سهلاً، بل إنه كان بلاءاً عظيماً على الأمة الإسلامية، فصلاح الدين اضطر أن يقاتل النصارى في فلسطين، وفي نفس الوقت قاتل من آل زنكي ممن رفض الرضوخ لوحدة الأمة الإسلامية، أضف إلى ذلك نشاط النصارى والفاطميين والتعاون والتواطؤ بينهم لاستغلال فرصة انشقاق المسلمين هذه، فأرسل الفاطميون إلى النصارى في صقلية للدخول إلى مصر، وفعلاً تحرك جيش من صقلية نحو مصر ووصلت إلى الإسكندرية فاحتلها، فاضطر صلاح الدين للرجوع إلى مصر ومقاتلة النصارى، فهزمهم وأخرجهم منها.

وفي نفس هذا العام ٥٧٩ هـ حشد الفاطميون خمسين ألف مقاتل في جهة السودان في خطة اتفقوا عليها مع النصارى للهجوم من الشمال والجنوب معاً، ولكنهم فوجئوا بالانتصار السريع لصلاح الدين في الإسكندرية، فغيروا خطتهم وقرروا مهاجمة القاهرة، وتحرك جيش الفاطميين الكبير بقيادة "كنز الدولة الفاطمي" نحو القاهرة، وعندها أعطى صلاح الدين الأوامر فوراً إلى العادل للخروج للقائهم وعدم انتظاره، وخرج العادل بجيش مصري لملاقاة جيش الفاطميين، وتحدث معركة عظيمة بين أهل السنة وبين الإسماعيليين، ونصر الله جنده أيما نصر، وأعزّهم أيما عزّة، وقضى العادل على الفاطميين وحصدهم حصداً، وأبادهم إبادة كاملة، قتل في هذه المعركة خمسين ألفاً منهم، ولم يفرّ منهم إلا القليل، ولم تقم بعد ذلك للفاطميين قائمة.

إن هذه المعركة هي التي أنشأت الكره الشديد عند الإسماعيليين المنحرفين لصلاح الدين، الذي أفناهم وقضى على دولتهم بعد ٢٠٠ سنة من الحكم المنحرف، وبقي هذا الحقد دفين نفوسهم حتى اليوم، ولذلك كانوا يسمونه خراب الدين بدل صلاح الدين، لأنه دمرهم وخرّب دولتهم بالكامل.



البـــاب الثـــاني

فلسطين في العـــهـــد الإســـلامي

الفصل الخامس

صلاح الدين الأيوبي

- ١- حكم صلاح الدين
- ٢- معركة حطين العظيمة
- ٣- تحرير بيت المقدس
- ٤- معركة عكا الخطيرة
- ٥- نحو القدس من جديد
- ٦- وداعاً صلاح الدين

١ حكم صلاح الدين


رسم تصويري للمجاهد الملك صلاح الدين الأيوبي

نبذة عن سيرة صلاح الدين الأيوبي

صلاح الدين الأيوبي ولد في عام ٥٣٠ هـ - ١١٣٧م بقلعة تكريت في العراق، وكان أبوه والياً على قلعة تكريت، ثم تولى الوزارة في مصر وهو صغير، وهو خريج المدرسة الإصلاحية التي تربى فيه نور الدين وعماد الدين زنكي، وكان رحمه الله حسن العقيدة، كثير الذكر، شديد المواظبة على صلاة الجماعة، حريصاً على السنن والنوافل، يقوم الليل، ويحب سماع القرآن، ويختار إمام الناس في الصلاة بنفسه، يبحث عن صاحب الصوت الجميل والخلال الحسنة. كان رقيق القلب، خاشع الدمعة، ممتلئاً بصفات الرحمة والرقة، والتي ظهرت واضحة جداً في معاركه، إذا سمع القرآن دمعت عيناه، شديد الرغبة في سماع الحديث، كثير التعظيم لشعائر الله، حسن الظن بالله، كثير الاعتماد عليه، حسن العشرة، عادلاً رؤوفاً بالناس، رحيماً ناصراً للمظلوم والضعيف، وكان كريماً في منتهى الشهامة، لطيف الأخلاق، طاهر المجلس، طيب الكلام، لا يسمح لأحد أن يذكر أحداً بين يديه إلا بخير، يرفض الغيبة والنميمة، طاهر السمع، طاهر اللسان، طاهر القلم.

همم الرجال

وكان في نفس الوقت شجاعاً شديد البأس، مواظباً على الجهاد، عالي الهمة، قال يوماً وهو قرب عكا: إنه يجول في نفسي أنه بعدما يفتح الله لنا بقية السواحل، أن أطهر البلاد من النصارى، ثم أولي الولاة، وأركب البحر إلى جزائر النصارى في أوربا، فأفتحها، ثم أتبعهم في أوربا فلا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت.

فكان صاحب هذه الهمة العظيمة، والهدف السامي الكبير، ولأجل هذا الهدف هجر أهله وسكنه ووطنه، وعاش حياة جهاد، وكان يعيش معظم حياته في الخيام، وقد عُرف بالعطف على كل ضعيف، لا سيما النساء والأطفال والشيوخ، وكان عندما يفتح مدينة يقف على مدخلها ويتفقد المهزومين المنسحبين من أعدائه، فإذا مر عليه فقير أو شيخ ساعده، أو امرأة أو طفل عطف عليه وسامحه وساعده.

الملك الزاهد

عاش حياة زهد وبساطة في عصر امتلأ بالترف والإسراف، بعيداً عن أبهة الملك والجاه والمنصب، وكان سمحاً جداً، فما آذى أحداً في عقيدته إلا من قاتله، فكان يترك الناس وما يعبدون، دون ضغط أو إكراه، وكان لا يحب القتل وسفك الدماء، سوى الخونة والمعادين، فإذا انتصر فكان يرحم ويفك الأسرى ويتعاطف معهم، فهذه كانت سجيته، على عكس ما يصفونه في أوربا أنه شديد البطش حريص على الدماء.



عام ٥٧٨ هجري
١١٨٢ ميلادي

مقدمات حطين

استطاع صلاح الدين أن يسيطر على معظم الشام، ولكن بقيت أجزاء رئيسية منها لا تدخل تحت نطاق سيطرته، واستقرت له مصر والحجاز واليمن، فباشر فوراً للإعداد للمعركة الحاسمة التي كان خطط لها نور الدين، وهي الهجوم الشامل من الشمال والجنوب، ولكنه رأى تعديل هذه الخطة فالوضع لم يعد كما كان سابقاً زمن نور الدين، وخصوصاً الاضطرابات التي حصلت بالشام، فقرر صلاح الدين أن يجمع بين جيوش مصر والشام في جيش واحد لتشكيل قوة ضاربة واحدة في مواجهة النصارى الصليبيين، وكانت هذه مقدمة لمعركة حطين الشهيرة.



عام ٥٧٨ هجري
١١٨٢ ميلادي

"أرناط" وحصن الكرك

كان النصارى يسيطرون على فلسطين وجميع السواحل الفلسطينية تقريباً، لأن الساحل بالنسبة لهم كان أفضل مكان لوصول الإمدادات لهم من أوروبا بالسفن، وكان أعظم حصون النصارى هو حصن الكرك، وهو حصن بين الشام ومصر، في موقع إستراتيجي هام جداً، وكان يمثل عقبة حقيقة في طريق تحركات الجيوش العربية بين الشام ومصر، فرأى صلاح الدين أن وجود هذا الحصن بأيدي النصارى يمنع توحيد قواته، وكان ملك هذا الحصن نصراني اسمه "أرناط" وشعر هذا القائد بأن صلاح الدين سوف يبدأ باستهداف حصن الكرك، فجعل يفكر بخطة يشغل بها صلاح الدين عن تهديد حصن الكرك والوجود النصراني في المنطقة ككل، ويمنعه من توحيد جيوشه استعداداً لمعركة حاسمة، ففكر أن يصرفه إلى معركة جانبية تماماً، ووصل هذا الخبيث بأفكاره إلى أن يغزو مكة والمدينة، وبدأ يعد جيشاً من داخل الكرك ليحركه نحو مكة والمدينة، وفي أثناء ذلك وصلت هذه الفكرة الخبيثة إلى مسامع والي دمشق "عز الدين" فأراد أن يبادر "أرناط" بالهجوم ليمنعه من تطبيق فكرته، فجهز جيشاً سريعاً ووجهه نحو الكرك، وكان لا يقصد بذلك فتح المدينة، فهي منيعة جداً ولا يمكن فتحها بجيش صغير، لكن هدف والي دمشق هو إشغال "أرناط" عن تنفيذ هذه الفكرة الخطرة، وفعلاً هجم والي دمشق على حصن الكرك وبدأ يكبدهم خسائر كبيرة، ويهدم ما حولهم ويحرق المزارع، ثم ينسحب قليلاً ويعاود الكرة، فاضطر "أرناط" أخيراً أن ينسحب ويتحصن في الكرك ويتخلى عن الفكرة أو على الأقل يؤجلها.



إحباط غزو الديار المقدسة

كان صلاح الدين يتابع هذه الأخبار، مما جعله يقلق بشأن حماية مصر ومكة والمدينة، فكان أن أمر بإنشاء أسطول بحري في البحر الأحمر، وذلك حماية لأرض الحجاز في حالة تكرار "أرناط" لعزمه. ثم إن "أرناط" أقدم على حركة خبيثة جداً، فبنى في داخل الحصن سفناً بحرية، وبشكل سري لم يطلع عليه الناس، ثم فككها إلى أجزاء رئيسية، وثم وبسرعة كبيرة نقل هذه السفن المفككة إلى العقبة، وهناك ركبها مرة أخرى، وركب جيشه هذه السفن، التي توجهت من فورها نحو الجزيرة، ولكي يشغل القوات الإسلامية في الشام عن خطته الخبيثة تلك جعل يغير على قوافل المسلمين التي في الشام حتى يشغل فيها صلاح الدين. لكن الأخبار لم تغب طويلاً، فسرعان ما علم صلاح الدين بخبر هذا الهجوم نحو الجزيرة، وكان في هذه الفترة يحاصر أحد الحصون في فلسطين، فأرسل فوراً إلى أخيه العادل بأن يلاحق جيش "أرناط" قبل أن يصل المدينة أو مكة، ذلك أن صلاح الدين ما كان يستطيع من موقعه اللحاق بهم، وسارع العادل مباشرة إلى تحريك الأسطول المصري لحماية مكة والمدينة، وبدأ السباق بين النصارى والمسلمين بالأساطيل البحرية، واستطاع الأسطول النصراني أن يسبق، ووصل إلى منطقة رابغ، ونزلت الجنود من السفن، ثم بعد برهة وصل الأسطول المصري، وبدأ مطاردة الجيش النصراني قبل أن يحتل المدينة، واستطاع المسلمون أن يدركوا النصارى عند ساحل حوراء، وحدثت معركة عظيمة بين جيش العادل وجيش "أرناط" عند حوراء، ويشاء الله عز وجل أن يهزم هذا الجيش الإسلامي الصغير جيشَ النصارى الكبير.



عام ٥٧٩ هجري
١١٨٣ ميلادي

حصار الكرك

لقد اشتد غضب صلاح الدين كثيراً عندما قام "أرناط" بحركته تلك، فجهز صلاح الدين في العام التالي جيشاً وحاصر الكرك، وأمر جيش مصر أن ينضم إليه، فطوقت الجيوش الإسلامية الكرك، وطلب صلاح الدين المنجنيق وجعل يضرب أسوار الكرك، ولما بلغ النصارى هذا الخبر بدأت تتحرك لفك الحصار المضروب على الكرك، ووجه "أموري" حاكم القدس أيضاً جيشه، ودارت هناك بضعة معارك.

ولم يكن صلاح الدين قد أعد العدة لمعركة فاصلة، فقرر الانسحاب لأنه رأى أنه غير مستعد وقتها لمواجهة جميع الجيوش، كان فقط همه الكرك، فانسحب نحو دمشق، وهناك بدأ يستعد من جديد ويعيد ترتيب جيشه وتنظيمه، ولم تكن حلب قد خضعت لصلاح الدين، وما زال حاكمها الخائن يرفض مساندته، فاضطر صلاح الدين إلى تغيير خطته، فترك النصارى وهجم على حلب وفتحها عام ٥٧٩، وبقي يحاول أن يوحد جيش الشام ومدنها، وفي نفس الوقت كان يرسل غزوات على الكرك، إلا أنه لا يهدف منها فتح الكرك، لكن كان هدفه إشغال حاكم الكرك ومنعه من التفكير مجدداً بمهاجمة المدينة المنورة، وبعد فترة وجيزة أرسل صلاح الدين قوات صغيرة نحو حصن الكرك، فحاصرته واستطاعت أن تكسر أسواره مع أنها قوة صغيرة، ولكن القوات فوجئت بوجود خنادق ضخمة جداً بعد الأسوار صنعها "أرناط" الخبيث، فوقف المسلمون أمام الخنادق محاولين ردمها، ودارت هناك معركة بينهم وبين النصارى عبر الخندق، وصلت الأخبار إلى النصارى فتحركت القوات النصرانية لفك الحصار عن الكرك مجدداً، فأرسل صلاح الدين فوراً لقواته أمراً بالانسحاب نحو دمشق مرة أخرى.

وحاول صلاح الدين مجدداً أن يراسل الممالك الإسلامية التي لم تدخل معه كي يساعدوه في معركة فاصلة مع النصارى، واستطاع صلاح الدين أن يحث العلماء في الموصل ليضغطوا على حاكم الموصل، وتحت الضغط الشعبي الإسلامي الإيماني يوافق حاكم الموصل على الخضوع لصلاح الدين، وتستمر بعد ذلك المعارك بين صلاح الدين وبين النصارى وحاكم الكرك والنصارى ثلاثة أعوام أخرى.


عـام ٥٨٢ هـجـري
١١٨٦ مـيـلادي

في هذا العام يقدم "أرناط" على خطأ فادح، فيقوم بالهجوم على قافلة كبيرة من الحجاج المسلمين وأخذ ما فيها وأسر المسلمين، فصرخ الحجاج في "أرناط" يخبرونه أنهم مجرد حجاج وليسوا مقاتلين، فاستهزأ بهم قائلاً: قولوا لـ "محمدكم" كي يخلصكم.

الانتقام للحجيج

ووصلت هذه الأخبار إلى صلاح الدين فأقسم ونذر نذراً أن يقتل "أرناط" بيديه، ثم ألغى الهدنة التي بينه وبين مملكة بيت المقدس، واستنصر الناس للجهاد في سبيل الله وللانتقام لحجاج بيت الله الحرام، وأرسل من فوره قوات لتأمين طريق الحجاج، فمر باقي الحجاج بسلام، وبدأ يهاجم حصن الكرك ويدمر ما حوله، وفي نفس الوقت حاول إشغالهم بحروب متفرقة في فلسطين عن الجيش الكبير الذي أمر بتجهيزه في مصر، وبعد فترة قصيرة تم تجهيز الجيش المصري، ورأس هذا الجيش العادل أخو صلاح الدين.

وقام صلاح الدين -بدهاء القادة- بإرسال قوات من حلب نحو أنطاكية النصرانية في شمال الشام، وطلب إليهم مهاجمة أنطاكية، ولما قاربوا على الاشتباك مع قوات النصارى هناك، أرسل إليهم صلاح الدين يطلب الهدنة مع أنطاكية، فوافقوا على الهدنة وألقوا السلاح، وألقى أهل حلب السلاح كذلك. لقد ضمن صلاح الدين بذلك تحييد مملكة أنطاكية عن الدخول في نزاع معه أو الغدر به إذا ما دخل في معركة فاصلة مع النصارى.

وفي هذه الأثناء وقع خلاف بين قادة النصارى في القدس، فأرسل صلاح الدين سراً إلى أحد قواد النصارى، واسمه "ريموند" وقال له: أنا مستعد لمساندتك، فوافق "ريموند" على عرض صلاح الدين. لقد أراد صلاح الدين أن يوقع الخلاف بين النصارى، ولم تكن غايته مساعدتهم أو تقديم العون لهم، ثم إنه أرسل هجوماً مباغتاً إلى صفورية، وكانت هذه منطقة تتجمع فيها الجيوش النصرانية، فباغتتهم القوات الإسلامية ليلاً، وسقط معظم النصارى قتلى وأسرى.

سمع باقي النصارى بالخبر، فشعروا بخطر شديد، فتجمع منهم ٦٣ ألف مقاتل وأمروا عليهم ملكاً واحداً هو "قاي لوس جنان"، وأجمعوا أمرهم ونبذوا خلافاتهم تحفزاً لمعركة فاصلة مع صلاح الدين، وتجمعوا في صفورية من جديد بعدما تركها صلاح الدين.

لم يكن من رأي صلاح الدين أن يهاجم النصارى في معركة واحدة في صفورية، لأنها منطقة خصيبة تحيط بها المراعي والمياه، فإذا توجه إليهم سيكون جيشه متعباً وهم على استعداد وراحة لمواجهته، وقرر أن يختار مكان المعركة بنفسه، فأجمع أمره وجعل يهاجم صفورية بقوات صغيرة وينسحب لاستدراجهم للخروج من هذه المنطقة، لكنهم لم يخرجوا منها، وعاود إرسال هجمات متفرقة عليهم، ولكنهم لم يغادروا هذه المنطقة.


صورة لصلاح الدين الأيوبي كما يصوره الأوربيون

فتح طبرية

حينها قرر صلاح الدين رحمه الله تغيير الخطة، فهجم على طبرية، وطبرية منطقة رئيسية جداً وهامة عند النصارى، والطريق بين صفورية وطبرية طريق وعرة جداً وشاقة جداً، فأراد أن يستدرجهم إليها، وقام صلاح الدين باقتحام قلعة طبرية في ١١٨٧/٧/٢ م.

ولما رأى النصارى ذلك دب بينهم الخلاف فانقسموا، فكان فريق منهم يرى أنه لا يجوز ترك صلاح الدين يفتح الممالك النصرانية بينما هم جلوس أماكنهم، ورأى آخر أنه يريد جرهم إلى معركة في مكان يختاره هو، فاختاروا البقاء في مكانهم. وانتصر أخيراً رأي الغالبية بالتحرك نحو طبرية لمواجهة صلاح الدين، وتقدم جيش النصارى نحو طبرية في طريق وعرة جداً، وفي صيف شديد الحرارة، ولا توجد به أي ينابيع ماء تكفي لسقي جيش كبير مثل جيش النصارى، ولم يضيع صلاح الدين الوقت، بل قام بتجهيز كمائن ومجموعات في الطريق يهجمون على جيش النصارى المتقدم، فكان هذا مما أخر وصولهم، وزاد المشقة عليهم، لأن الماء الذي لديهم بدأ ينفد، واشتد عليهم الحر والعطش، وظل صلاح الدين يشن الغارات عليهم، وينصب لهم الكمائن، ثم أمر بعض القوات الإسلامية أن تهجم على الجيش من خلفه، وفعلاً شغلوا مؤخرة الجيش، فبقيت مؤخرة الجيش في قتال مع المهاجمة الإسلامية من الخلف، واستمر باقي الجيش بالتقدم، فانقسم جيش النصارى إلى مقدمة ومؤخرة، فاضطرت مقدمة الجيش لانتظار البقية خوفاً من أن تبدأ المعركة ولما تصل المؤخرة، فضربوا مخيماً عند جبل طبرية المشرف على سهل حطين ينتظرون مؤخرة الجيش، وكان صلاح الدين قد ردم جميع الآبار في المنطقة التي يمر عليها جيش النصارى، وجعل جميع آبار المياه وبحيرة طبرية خلفه، ولما وصل جيش النصارى قال صلاح الدين قولته المشهورة: جاؤونا ونحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد، وتجهز الجيشان للمعركة الفاصلة التي وصفت بأنها من أعظم معارك الإسلام، وهي معركة حطين.

٢ معركة حطين العظيمة



عام ٥٨٣ هجري
١١٨٧ ميلادي

لم يزد عدد جنود صلاح الدين يومها عن ١٢ ألف مقاتل، في حين بلغت قوات النصارى ٦٣ ألف مقاتل، ولكن ذلك لم يثنه عن عزمه في مقابلتهم في معركة فاصلة، وبدأت معركة حطين العظيمة، والتقى الجمعان على سهل جبل طبرية قبل حطين، وحال الليل دون التحام الجيشين، وفي صباح يوم الجمعة ٢٤ من ربيع الآخر ٥٨٣ من الهجرة الموافق شهر ٧ سنة ١١٨٧ من الميلاد تصادم الجيشان، وبدأ القتال شديداً، واستمر من الصباح إلى الليل، ولم يستطع أحد الفريقين أن يهزم الآخر، ولكن جيش النصارى بسبب وعورة الجبل والإجهاد والعطش انسحب إلى سهل حطين، فحرك صلاح الدين جيشه بالليل فحاصر جيش الصليبيين من كل مكان، وأحاط بهم كالدائرة، ولم يدع لهم مخرجاً، وفي صبيحة يوم السبت ٢٥ من ربيع الآخر بدأ القتال مرة أخرى، وجعل النصارى يحاولون اختراق جيش صلاح الدين ليصلوا إلى المياه، وصلاح الدين صامد أمامهم مع جيشه المغوار من أبطال المجاهدين المسلمين، وهنا قرر حاكم إمارة طرابلس النصرانية "ريموند" أن يأخذ مجموعة من أقوى الفرسان لاختراق جيش المسلمين، وهجم بقوة شديدة، فأمر صلاح الدين جنوده بفتح الطريق أمام "ريموند"، وما زال "ريموند" يتقدم مع فرقة الفرسان حتى وصل الجهة الأخرى، فإذا به يقع في فخ خطير، إذ أمر صلاح الدين كتيبة من الجيش أن تسد الثغرة، فيجد "ريموند" نفسه معزولاً عن باقي الجيش، فدب فيه الخوف، فهرب إلى طرابلس، ولم يتوقف حتى وصلها، وبذلك تخلص صلاح الدين من أعتى فرسان جيش النصارى، ثم إن صلاح الدين لما هبت الرياح في وجه النصارى أمر بإشعال النيران في الحشائش الجافة، فأشعلها المسلمون، وحملت الريح اللهب والدخان تلفح به وجوه النصارى، فاشتد عليهم العطش والحر والنار والدخان، فاضطروا للتراجع أمام سحب الدخان الكثيفة وحر اللهب، فانسحبوا نحو الجبل وأرادوا أن ينصبوا خيامهم هناك للراحة، فلم يمهلهم جيش صلاح الدين، واستمر الضغط عليهم، فما استطاعوا إلا أن ينصبوا خيمة الملك، وتدفق الهجوم الإسلامي، وكان النصارى قد جلبوا معهم صليب الصلابوت الذي يعتقدون أنه قد صلب المسيح عليه، وكان هذا من أعظم مقدساتهم، فأحضروه معهم إلى المعركة ليزيد حماسهم للقتال، ولكنهم ومع هذا الضغط الشديد عليهم، اضطروا أن يفروا نحو الجبل تاركين وراءهم صليب الصلابوت، فحمله المسلمون، فكان هذا بالنسبة للنصارى مصاباً عظيماً أفقدهم كثيراً من حماسهم، وأحبط معنوياتهم.



معركة حطين

تحقق النصر

واستمر الضغط من الدائرة المسلمة المحيطة بالنصارى، حتى أحاطت بهم، واشتد القتل فيهم بالآلاف، وصار كثير منهم يستسلم للمسلمين، حتى قتل منهم يومها ٣٠ ألفاً من أصل ٦٣، ووصل عدد الأسرى المستسلمين إلى ٣٠ ألفاً، ولم يبق من جيش النصارى سوى عدد قليل يقدر بـ ١٥٠ فارس مع ملك النصارى يحمونه ويدافعون عنه بكل شراسة، واجتمع هؤلاء الفرسان حول خيمة الملك على قمة الجبل، واستمات الفرسان في الدفاع، وكانوا من أقوى فرسان النصارى، حتى أنهم ردوا ثلاث هجمات متوالية للمسلمين، واستعصى أمرهم على الجيش المسلم، عندها قال صلاح الدين: والله ما يستسلم هؤلاء إلا أن تسقط الخيمة، فأمرهم بالتركيز على خيمة الملك، فبدأ المسلمون يتسللون من وراء الفرسان لإسقاط الخيمة، وفعلاً وصلوا إليها فضربوا حبالها فسقطت على الملك، فعندها خارت عزائم النصارى واستسلموا، ولما رأى صلاح الدين سقوط الخيمة خرَّ ساجداً باكياً لله رب العالمين فرحاً.

وغنم المسلمون أموال النصارى وخيولهم وأسلحتهم، فكانت غنيمة عظيمة جداً، وارتفع صياح الناس بالتهليل والتكبير، وباتوا ليلتهم تلك في ذكر ودعاء وحمد لله تعالى، وتأملوا كيف نصر الله جيش المسلمين القليل الذي لم يتجاوز ١٢ ألفاً على جيش ضخم كثير العدة والعتاد كجيش النصارى الذي بلغ ٦٣ ألفاً.



صلاح الدين يهاجم حصون النصارى بعد حطين

يقول المؤرخون الذين رأوا هذا المشهد: من نظر إلى القتلى يومها يقول: لم ينجُ منهم أحد، ومن نظر إلى الأسرى يقول: لم يقتل منهم أحد!!.

أخلاقنا وأخلاقهم!

بعد هذا النصر العظيم للمسلمين أمر صلاح الدين أن تنصب له خيمة في حطين، فبات فيها مصلياً شاكراً لله رب العالمين على هذه النعمة العظيمة وعلى هذه الفتح المبين، ثم في اليوم التالي أمر أن يُؤتى بملوك النصارى الأسرى، فجاؤوه فأحسن استقبالهم وأكرمهم، وكان له كرسي كرير كبير، فأجلس عليه "جايلودنال" ملك النصارى، وكان قربه "أرناط" صاحب حصن الكرك الذي غدر بالمسلمين عدة مرات، وحاول غزو مكة والمدينة، والذي أقسم صلاح الدين أن يقتله بيده، فجلس "أرناط" في مجلس صلاح الدين مع الملوك، ثم أمر بماء فجُلب له، فسقى الملك بيده، فشرب الملك نصف الإناء ثم دفع الباقي "لأرناط"، فغضب صلاح الدين وقال: أنا لم آمر أن يشرب "أرناط"، أنا أعطيت الإناء لك فقط!.. ثم التفت إلى "أرناط" وقال: ويحك كم تنكث؟ وكم تخلف وعودك؟ فردَّ "أرناط" بكل خبث وتعجرف: لقد جرت عادة الملوك بذلك، والخيانة والغدر سياسة يسيطر بها الملوك على الشعوب.

مقتل "أرناط" وفرسانه

فتعجب صلاح الدين من هذه الأخلاق السيئة التي يحملها "أرناط"، فأخبر المترجم الذي بينهما أن يعرض عليه الإسلام، ففعل المترجم ذلك وعرض على "أرناط" الإسلام، فأبى، فاستل صلاح الدين سيفه وضربه ضربة فشق بها كتفه، فسقط ولم يمت، فهجم عليه فرسان المسلمين فأجهزوا عليه.

وهكذا قتل صلاح الدين "أرناط" بيده وبرّ بقسمه، لما رأى ملك النصارى هذا المشهد بدأ يرتجف، فقال له صلاح الدين: ليس من عاداتنا قتل الملوك، ولكن هذا جاوز حده فجرى له ما جرى.

ثم أمر صلاح الدين أن يُؤتى بفرسان النصارى "الداوية" و"الإستوكارية"، وهما فرقتان من أقوى فرق النصارى ومن أقوى فرسانهم، ومن أشد المعادين للإسلام، وكانت هاتان الفرقتان أشد الجنود قتالاً وبأساً في حروب صلاح الدين، فجُمعوا له فعرض عليهم الإسلام، فأبوا، فأمر بقتلهم، فقتلوا جميعاً، فقال صلاح الدين: لا تقلع هاتان الفرقتان عن معاداتنا، وهما أخبث أهل الكفر.

النصارى في أسواق العبيد

وبعد هذا الانتصار العظيم تحرك صلاح الدين نحو دمشق، وساق أمامه أسرى النصارى، والذين بلغ تعدادهم ٣٠ ألف أسير تقريباً، أُخذوا نحو دمشق جميعهم، حتى إن المسلم الواحد كان يجر وراءه ٣٠ من النصارى مربوطين بحبل واحد، وهكذا أذلّ الله الصليبيين، وعندما وصلوا دمشق باعهم صلاح الدين في سوق العبيد أرقاء، وانخفض سعر الرقيق حينها إلى درجة كبيرة لكثرة العدد، حتى زهد الناس في العبيد والرقيق لكثرتهم، وفاضت بيوت المسلمين بهم حتى أنهم أرادوا أن يتخلصوا منهم لأنهم لا يجدون ما يطعمونهم، حتى أن أحدهم عرض عبده للبيع بدرهم واحد، ومع ذلك لم يجد من يأخذه منه سوى مسلم واحد ابتاعه بنعليه، ولم يتعرض النصارى الصليبيون لمثل هذا الذل من قبل، وشفى الله صدور المسلمين منهم، فقد عاثوا في أرض الإسلام فساداً طويلاً حتى أمكن الله تعالى منهم، وأذلهم بهذه الطريقة.

موت "ريموند"

أما "ريموند" الذي فر إلى طرابلس إذ بلغته نتيجة المعركة، وأُخبر كيف يُذلّ النصارى ببيعهم في دمشق، فتفتت كبده من الغيظ، وأصابه الهم والحزن حتى تفطّر فمات في طرابلس، فكانت هذه أيضاً إحدى نتائج معركة حطين العظيمة، أن خلص الله المسلمين من هذا القائد الشرس.

تحرير مدن فلسطين

ثم تحرك صلاح الدين إلى عسقلان واستقر فيها، وبدأ منها يدير المعارك، وتوالت هزائم النصارى خلال شهرين بعد حطين فتح فيهما عكا والناصرة وحيفاء ونابلس ودينين وبيسان ويافا وصيدا وبيروت والرملة وبيت لحم والخليل بالإضافة إلى عسقلان، وفتح الله على يديه خلال شهرين ما عجز المسلمون عن تحريره مئات السنين ولذلك خلّد التاريخ ذكرى معركة حطين لما كان لها من أثر عظيم.

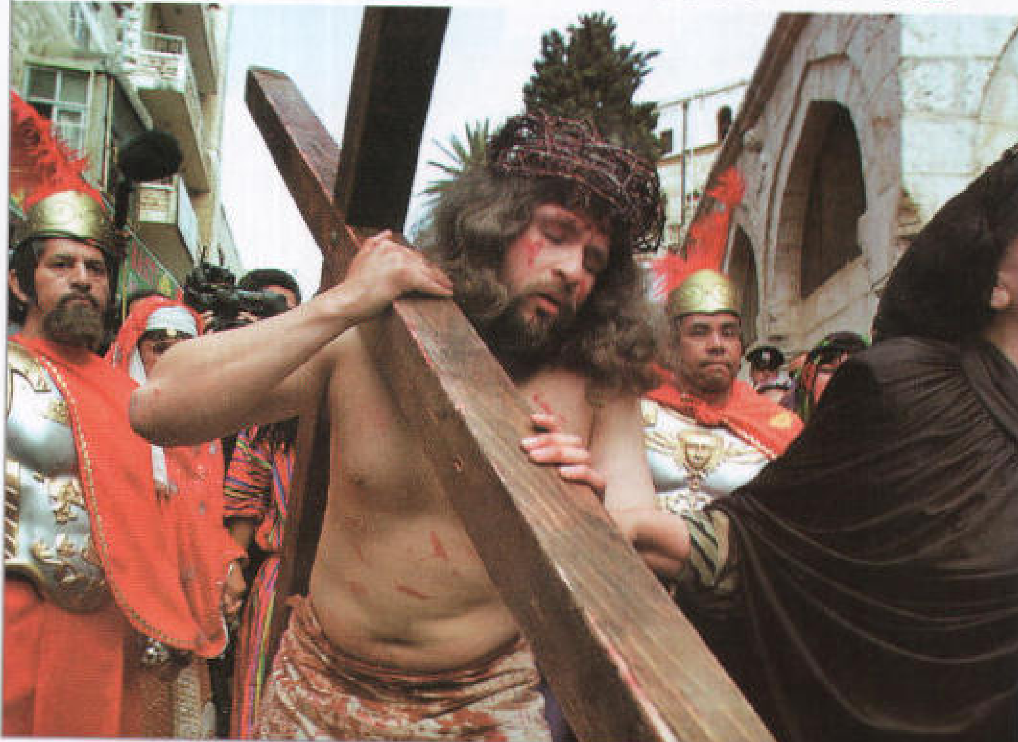
٣ تحــــرير بيت المقـــدس

الخوف ينتاب النصارى

ولكن النصارى لم يخرجوا بعد من بيت المقدس، وما زالت الإمدادات تصلهم من أوربا بالرغم من السيطرة القوية للمسلمين، لذلك بدأت الاستعدادات الكبيرة لفتح بيت المقدس، ودب الرعب والخوف في قلوب النصارى، وتجمعوا في طور وفي بيت المقدس، ومن المعروف أن معركة حطين لم تلغ الوجود النصراني في بلاد الشام، بل ظل وجود النصارى في فلسطين بعد حطين مائة سنة تقريباً، كما سيأتي، لكن حطين كانت تعتبر انقلاباً في الموازين لصالح المسلمين، وانتقالهم من مرحلة الضعف والانكسار إلى مرحلة التعادل والقوة والندية للنصارى.

الزحف نحو القدس

كان بيت المقدس قد ظل محتلاً من قبل النصارى لأكثر من ٩١ سنة هجرية و٨٨ سنة ميلادية، وقد حوّل النصارى جزءاً من بيت المقدس -كما ذكرنا- إلى كنيسة، وجزءاً آخر إلى مسكن للفرسان، وجزءاً إلى مكان للذخائر، والباقي جعلوه إسطبلاً لخيولهم، منتهكين حرمة هذا المكان العظيم، وبدأ صلاح الدين يعد العدة للهجوم على بيت المقدس لتحريره، وكانت للنصارى بقية ممالك يسكنونها مازالت قائمة، منها مملكة طرابلس الممتدة إلى جزء من لبنان، وجزء من أنطاكية في جنوب تركيا وشمال الشام، فكان أول شيء قام به صلاح الدين أن وزع الجيوش لتقطع الطريق على أي إمدادات تأتي من هذه الممالك لمساندة مملكة بيت المقدس، ثم بدأ الزحف نحو القدس، وحين وصلت الأخبار للنصارى بدؤوا بالتحصّن وحفر الخنادق ورفع الأسوار، وكان عددهم وقد تجمعوا في بيت المقدس يناهز ٦٠ ألف مقاتل، متحصنين بأسوار القدس، ويرون الموت أهون عندهم من تسليم بيت المقدس، لأن فيه المقدسات، بالإضافة إلى ٦٠ ألفاً منهم مع أهاليهم ونسائهم وأطفالهم، وكان في بيت المقدس أيضاً عدد كبير من أسرى المسلمين يعدون بالآلاف من الرجال والنساء والأطفال في السجون.



هكذا يتخيل النصارى المشهد المزعوم لصلب شبيه المسيح عليه السلام

صلاح الدين يحاصر القدس

في منتصف رجب عام ٥٨٣ من الهجرة ٢٠ / ٩ / ١١٨٧ ميلادية وبعد حطين مباشرة تحرك صلاح الدين نحو بيت المقدس، وضرب حوله حصاراً قوياً، ثم بدأ يضرب أسوار المدينة بالمنجنيق، (المنجنيق: آلة توضع فيها الحجارة وتقذف نحو الأسوار لتفتيتها، أو إلى المدينة لإضرام النار فيها)، وكذلك أعمل الرماة سهامهم على أسوارها حتى لم يستطع النصارى أن يرفعوا رؤوسهم فوق أسوار القدس، فأمر صلاح الدين بالزحف، واستطاع المسلمون أن يخترقوا الخنادق التي حُفرت حتى وصلوا إلى الأسوار، والتي كانت منيعة جداً، وكان في جيش صلاح الدين فرقة تسمى "النقّابون"، وهؤلاء كان عملهم أن ينقبوا ويحفروا في الأسوار، فكانوا يجعلون في الأسوار حفراً ثم يضعون فيها خشباً ويشعلونها، وبذلك يضعف السور.

انهيار النصارى

شعر النصارى بالضعف الشديد بعدما كادت الأنقاب تهدم سور المدينة، فانهارت معنوياتهم، وعرفوا أن المدينة لا شك ستسقط عاجلاً أم آجلاً، فلجأ النساء والرجال والأطفال والعجائز إلى كنيسة القيامة، ولجأوا بالدعاء والصلاة، فأرسل قائد النصارى في القدس وفداً إلى صلاح الدين يطلب الأمان، ويتعهد بتسليم المدينة بشرط أن يخرج كل من فيها من النصارى بأمان بأموالهم وأسلحتهم وأنفسهم، فذكّرهم صلاح الدين بيوم دخولهم القدس وقتلهم المسلمين فيها، والمذابح الوحشية التي فعلوها قبل ٩١ سنة، وأنهم كانوا يجزون المسلمين كالخراف في المسجد الأقصى، فقال: أما والله لا أترككم إلا أن أذبح فيكم كما ذبحتم في المسلمين من قبل. ففزع النصارى فزعاً شديداً، وشعروا بأن المسلمين يتشوقون الآن لأخذ ثأرهم لإخوانهم، وادركوا أن نهايتهم الموت لا محالة.

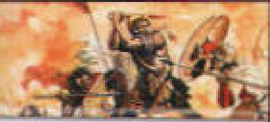
التهديد الخطير

لم يجد النصارى حلاً لهذه المصيبة سوى أن أرسلوا وفداً آخر إلى صلاح الدين يحمل رسالة فيها تهديد شديد، يتوعدون فيها بقتل الآف الأسرى المسلمين في سجون القدس، وتدمير كل المساجد والمقدسات، وتكسير صخرة الأقصى، ومن ثم حرق القدس بكاملها، وهددوا أنهم سينتحرون بداخلها ويدمرونها بالكامل.

الصلح

اطرق صلاح الدين أمام هذا التهديد، وجمع كبار القادة واستشارهم بهذا الأمر الخطير، فأجمع القادة على أخذ التهديد مأخذ الجد، لأن النصارى لم يكونوا ليخسروا شيئاً بتنفيذ تهديدهم، فهم موتى على كل حال. وتم الاتفاق على الصلح، وبدأت المفاوضات لتسليم القدس، ولكن بشرط أن يغادر النصارى بيت المقدس بدون السلاح، لكن يسمح لهم بأخذ متاعهم وأموالهم، على أن يدفع كل واحد منهم ديناراً ذهبياً قبل خروجه، أو يبقى أسيراً عند المسلمين.

وعقد هذا الاتفاق وبدأ النصارى بتسليم القدس، وجعل النصارى يخرجون من المدينة ويدفعون ديناراً عند كل شخص، وجاء بعض كبار السن والعجائز إلى صلاح الدين يقولون: لا نملك ما ندفع لك، فقال لهم: اخرجوا بأمان.



التسامح العظيم

هكذا كان تسامح صلاح الدين معهم، فأي مقارنة تعقد بين فتح المسلمين للقدس واحتلال النصارى الصليبيين لها؟! ثم جاء أخو صلاح الدين "العادل" فقال: أعطني أكفل ألفاً من الذين لا يستطيعون أن يدفعوا، فأعطاه ذلك، فأطلقهم العادل، وكذلك جاء عدد من أمراء المسلمين ليكفلوا عدداً كذلك من الذين لا يستطيعون دفع الجزية، فأطلقوا أعداداً ضخمة، ومع ذلك بقيت أعداد غفيرة لم تجد من يدفع عنها، لأنه كما سبق وأشرنا كان مجموعهم ٦٠ ألفاً في القدس، فبدأ النصارى الفقراء يطلبون من الأغنياء ديناراً ذهبياً واحداً ليتخلصوا من الرق والأسر، فرفض أغنياء النصارى أن يساعدوا أبناء ملتهم الفقراء، فأخذ الباقي أسرى، وجاء بعض النسوة إلى صلاح الدين يشتكين أن أزواجهن قتلوا في حطين، وليس عندهن أي مال يدفعنه له، فسمح لكل امرأة قتل زوجها أن تخرج بدون شيء، ثم سمح لكل امرأة ليس لها ولي ينفق عليها أعطاها من أمواله الخاصة حتى تستطيع أن تخرج، وساعد بعض النساء بأن أعطاهن من ماله الخاص، حتى أن زوجة "أرناط" الذي قتله صلاح الدين بيده جاءته تطلب منه أن يطلق ابنها لخوفها عليه أن يقتله المسلمون إذا عرفوا أنه ابن "أرناط"، فقال صلاح الدين: أعطيته الأمان فأطلقوه.

حتى أن بعض المؤرخين قد أخذوا على صلاح الدين هذا الأمر، فهؤلاء الرجال الذين أطلقهم كانوا من المقاتلين، وهم قد تجمعوا فيما بعد في صور ليقاتلوه، فكان الأولى قتلهم أو أسرهم، لكنه كان ذا أخلاق رفيعة جداً.

إن هذه الأخلاق لم تعرفها البشرية، ولم يتمثل بها سوى الأنبياء والرسل عليهم السلام والصحابة الكرام، أعادها صلاح الدين رحمه الله إلى أذهان الناس بتسامحه الكبير والرائع.

دخول القدس والتهليل

وهكذا في ليلة السابع والعشرين من رجب ليلة الإسراء والمعراج من عام ٥٨٣ هجري الموافق الثاني من الشهر العاشر ١١٨٧ ميلادي دخل المسلمون القدس بعد ٩١ سنة هجرية و٨٨ سنة ميلادية من الاحتلال الصليبي، وقام المؤذن في المسجد الأقصى فرفع الأذان لأول مرة بعد الاحتلال الطويل، وعاد الفرح العظيم والتكبير والتهليل يصدح في أرجاء القدس الشريفة وحولها، وتسابق المسلمون نحو قبة الصخرة يحاولون تسلقها، لأن النصارى وضعوا عليها صليباً، فتسابقوا للوصول إليه وتكسيره، فسقط الصليب وكبر المسلمون وهللوا، وأذلّ الله النصارى الذين كانوا يشاهدون ذلك بأعينهم.

ترميم الأقصى وقبة الصخرة

ثم إن صلاح الدين أمر فوراً بترميم قبة الصخرة وتوسيع المسجد، فبدأ البناؤون بالعمل مباشرة لإعادة النقوش التذكارية وتجميل المسجد بالفسيفساء المذهبة، ثم كتبوا على المسجد الأقصى ما نصه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، أمر بتجديد هذا المحراب المقدس وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى عبد الله ووليه يوسف ابن أيوب أبو المظفر). وهذه هي كنية صلاح الدين الملك الناصر.

منبر نور الدين في الأقصى

ثم أمر صلاح الدين أن يؤتى بالمنبر الخشبي العظيم الذي بناه نور الدين زنكي كي يضعه في المسجد الأقصى، وكان عمره ٢٠ سنة لم يتمكن نور الدين خلالها من فتح الأقصى حتى توفاه الله تعالى، فجلب المنبر ووضعه في المسجد ليكون عظة وعبرة لكل قادم من بعده، وخصوصاً لنا نحن، فيجب أن نصبر ونستمر في الدأب حتى تتحرر فلسطين وكامل التراب العربي.

وبقي هذا المنبر في المسجد الأقصى حتى عام ١٩٦٩ م عندما أحرقه "مايك روهان" اليهودي في ٨/٢١ عندما أحرق المسجد الأقصى، وأتى الحريق على منبر نور الدين ولم يبقَ منه إلا بعض القطع الصغيرة الموجودة الآن في المتحف الإسلامي في المسجد الأقصى، ويعتبر هذا المنبر قطعة فنية نادرة، وما زالت صوره محفوظة حتى اليوم، حيث امتاز المنبر بدقة الصنع وكثرة الزخارف الإسلامية.



منبر نور الدين الزنكي قبل أن يحرق على يد اليهود

التسامح مع الأديان

وبعد ذلك جاء بعض المسلمين يطالبون صلاح الدين بهدم كنيسة القيامة انتقاماً لما فعله النصارى بالمسجد الأقصى فقال مستنكراً عليهم: "أقرّها عُمر وأهدمها أنا !؟"، فكان ذلك قمة في التسامح مع الأديان، وترسيخاً لعظمة هذا الإسلام العظيم. فلم يشأ أن يهدمها وقد أبقاها من قبله عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهكذا يكون الرقي في التعامل مع الأديان، بل مع البشرية جمعاء.

الفرحة تعم بلاد المسلمين

ثم إن الأخبار انتشرت في بلاد المسلمين، وعمت الفرحة، وأقيمت الاحتفالات والأفراح في أرجاء البلاد الإسلامية بعودة القدس والأقصى، بعدما كاد الناس يفقدون الأمل، وظلت التهنئة بفتح القدس شهراً كاملاً، لقد كان تحرير القدس من أعظم أحداث المسلمين، ففيها رجعت العزة ورجعت الفرحة للمسلمين بعد عشرات السنين.

عبرة وعظة

ولعلنا نستفيد نحن اليوم مما جرى في الأمس، فالمسلمون اليوم يكادون يفقدون الأمل مجدداً من تحرير القدس وفلسطين، مثلما كان الناس قبل صلاح الدين، ولكن صلاح الدين لم يكن ليقبل بمفاوضات رخيصة، أو يتنازل عن جزء من القدس، بل صبر وجاهد حتى أكرمه الله بالنصر والفتح، وكانت فترة احتلال القدس بيد النصارى تزيد عن ٩١ سنة، ومع ذلك لم يكن صلاح الدين وجنوده ليفقدوا الأمل في استرجاعها، وكذلك لا ينبغي للأمة اليوم أن تفقد الأمل في عودتها، ومهما طال الزمن فيجب أن يستمر التصميم والعزم على إرجاع كل شبر من التراب العربي لأيدي المسلمين كما كان.

متابعة الفتوحات

ثم إن صلاح الدين بعد ذلك تحرك فوراً فأرسل قواته لفتح عكا، ثم استطاع أن يهجم على إمارة طرابلس النصرانية ففتحها، وانهار النصارى بعد فتح القدس، واهتزت أوروبا والنصارى، وبدأ البابا يدعو لتحريك حملة صليبية ثالثة رئيسية لاسترجاع القدس من المسلمين، غير أن صلاح الدين تابع الفتوحات

أول خطبة في القدس

عزّ الإسلام

ثم تدافع الخطباء إلى صلاح الدين يرجو كل واحد منهم أن يكون أول من يخطب في القدس بعد تحريرها، وذلك في يوم الجمعة الرابع من شعبان ٥٨٣ هجرية، فاختار منهم صلاح الدين الإمام الجليل والخطيب العظيم محي الدين بن زكي الدين، فخطب خطبة طويلة غاية في العظمة والروعة، قال في أولها: "فَقُطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وقل الحمد الله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً.." ثم قال: "الحمد الله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدَّر الأيام دُوَلاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وافاض على عباده من ظله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يُمانع، والظاهر على خليقته فلا يُنازع، والآمرُ بما يشاء فلا يُراجع، والحاكم بما يريد فلا يُدافع، أحمده على إغفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه، ونصره لأنصاره، وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوباره، حمداً من استشعاره، والحمد باطن سره، وظاهر جهاده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، شهادة من طهّر بالتوحيد قلبَه، وأرضى به ربه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، دافع الشرك وساحب الإفك، الذي أُسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وخرج منه به إلى السماوات العلا، إلى سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، ما زاغ البصر وما طغى، صلى الله عليه وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عثمان ذي النورين جامع القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان، وعلى أصحابه والتابعين له بإحسان.. أيها الناس، أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى، والدرجة العليا، لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة، من الأمة الضالة، وردها إلى مقرها من الإسلام بعد ابتذالها على أيدي المشركين قريباً من مائة عام، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله تعالى أن يرفع فيه اسمه، وإماطة الشرك عنه بعد أن امتد على أرضه، واستمر فيه رسمه، ورفع قواعده بالتوحيد، فإنه بني عليه، وإنه أسس على التقوى.."

فضل الأقصى

ثم قال عن المسجد الأقصى: "هو موطن أبيكم إبراهيم عليه السلام، ومعراج نبيكم محمد عليه السلام، وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها ابتداء الإسلام، وهو مقر الأنبياء، ومقصد الأولياء، ومقرُّ الرسل، ومهبط الوحي، ومنزل تنزل الأمر والنهي، وهو أرض المحشر، وصعيد المنشر، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله تعالى في كتابه المبين، وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأنبياء المقربين، وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسوله، وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحه عيسى التي شرفه الله برسالته، وكرمه بنبوته، ولم يزحزحه عن عتبة عبوديته، فقال تعالى: (لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله). وقال: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم). وهو أول القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث الحرمين، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه، ولولا إنكم ممن اختاره الله من عباده، واصطفاه من سكان بلاده، من النعمة أنه جعلكم الجيش الذي يفتح عليه البيت المقدس في آخر الزمان، والجند الذين يقومون بسيوفهم بعد فترة من الرسل أعلام الإيمان، فيوشك أن تكون التهاني بين أهل الخضراء أكثر من التهاني بين أهل الغبراء، أليس هذا هو البيت الذي ذكره الله في كتابه، ونص عليه في خطابه، فقال تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾؟ أليس هذا هو البيت التي عظمته الملوك، وأثنت عليه الرسل، وتليت فيه الكتب الأربعة؟!



المسجد الأقصى وقبة الصخرة

توحدوا ولا تتركوا الجهاد!

ثم يقول الخطيب رحمه الله: "واحذروا عباد الله بعد أن شرفكم الله بهذا الفتح الجليل، والمنح الجزيل، وأخصكم بهذا النصر المبين، وعلّق أيديكم بحبله المتين، احذروا أن تقترفوا كثيراً من مناهيه، وأن تأتوا عظيماً من معاصيه، فتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، أو كالذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، الجهاد الجهاد فهو أفضل عباداتكم، وأشرف عاداتكم، انصروا الله واذكروا الله يذكركم، اشكروا الله يزدكم، جدوا في حسم الداء، اقطعوا شأفة الأعداء، طهروا بقية الأرض التي أغضبت الله ورسوله، واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله، فقد نادت الأيام بالغارات الإسلامية، والهالة المحمدية، الله أكبر الله أكبر، فتح من الله ونصر مبين، الله أكبر فتح الله ونصر الله أكبر، غلب الله وقهر، الله أكبر، أذلّ الله من كفر.."

الدعاء لصلاح الدين

ثم إن الخطيب أتم الخطبة الأولى ثم جلس، وكانت العادة في الخطبة الثانية أن يدعو فيها للخليفة والإمام، ولكنه قال: "اللهم وأدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك، الشاكر لنعمتك، المعترف بموهبتك، سيفك القاطع، وشهابك اللامع، والحامي عن دينك الدافع، والذّابّ عن حرمك وحرم رسولك المانع، السيد الأجل الملك الناصر، جامع كلمة الإيمان، وقامع عبدة الصلبان، صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، مطهر بيت المقدس، أبي المظفر يوسف صلاح الدين بن أيوب، محيي دولة أمير المؤمنين، اللهم عمّ بدولته البسيطة، (يعني الأرض)، واجعل ملائكتك برايته محيطة، وأحسن عن الدين الحنيفي جزاءه، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه.

نهاية الخطبة

ثم قال: "اللهم كما فتحت على يديه بيت المقدس بعد أن ظنت به الظنون، وابتلي المؤمنون، فافتح على يديه داني الأرض ونواصيها، وملّكه صياصي الكفر ونواصيها، فلا لقيَ منهم كتيبة إلا فرّقها، ولا جماعة إلا فرّقها، ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها بمن سبقها.."

ثم قال: "اللهم ذلل به معاطف الكفار، وأرغم به أنوف الفجار، وانشر ذوائب ملكه على الأنصار، وأثبت سرايا جنوده في كل الأمصار.."

استمرار الفتوح

واستمر صلاح الدين رحمه الله تعالى عليه بعد القدس بفتح القلاع والمدن، وفتح اللاذقية، واستطاع ان يكسر حصن الكرك الذي أعجز المسلمين، وفتح صفد، وفرّ النصارى من أمامه فتجمعوا في صور، وكان صلاح الدين قد أمر ألا يقطع الطريق على النصارى الذين يجوبون الأرض ولا يتجمعون للقتال، وقد أخذ عليه أيضاً بعض المؤرخين هذا الفعل، إذ سمح للنصارى أن يتجمعوا في صور، ويعدُّ ذلك كثير من المؤرخين الخطأ الرئيسي لصلاح الدين، لأنه سمح بهذا التجمع في صور.

حصار صور

ثم إن صلاح الدين بأخلاقه السمحة الرائعة أطلق سراح الملك "جايلودنان" بعدما أقسم هذا الملك لصلاح الدين بعدم التعرض لقتال المسلمين، ولكن هذا الغادر قام فوراً بالتوجه إلى صور، وانضم وجمع القوات فيها مرة أخرى، وبدأت أوربا تتحرك أيضاً بإمدادات جديدة، ووصلت كثير من القوات من أوربا إلى صور، فأحس صلاح الدين بالخطأ الذي وقع فيه، فتحرك فوراً نحو صور وضرب عليها حصاراً، ودخلت أيام الشتاء، واشتد البرد ونزل الثلج، وتوافدت أساطيل النصارى إلى صور، وأرسل صلاح الدين أسطوله البحري، لكن أساطيل النصارى كانت أكثر عدة وعتاداً، فهزمت أسطوله البحري في صور، فقرر صلاح الدين أن يترك صور بعدما استمر حصارها لمدة سنتين كان القتال فيها مستمراً، فقرر التراجع ليجهز نفسه لفترة ما بعد الشتاء.

٤ مـعـركـة عكا الخطيـرة



عام ٥٨٥ هجري
عام ١١٨٩ ميلادي

ملوك أوربا يحاصرون عكا

زادت القـوة الصليبـيـة في صـور بسـبب توافـد الحـمـلات الصليبية، ثم انطلقت منها حملة صليبية نحو عكا، واختاروا هذه المدينة في وسط السـاحل، لأنهم منهـا يسـتطيعـون أن يتحـركوا ويسيطروا على كل فلسطين، ولأن عكا مـورد تجاري رئيسي، وفيها مصدر ثروة كبيرة، وتشتعل أوربا بالحماس لتجديد الحـروب الصليبـيـة، واسـتطاعـوا أن يحـاصـروا عكا، وكان مـلوك النصـارى قد بدؤوا بالتـوجـه نحـو بلاد الشـام، ولكنهم توقـفـوا في صـقـيلية فسيطروا عليـهـا، ووصل بعـد ذلك مـلوك النصـارى إلى فلسطين، فسميت حملتهم تلك حملة الملوك، بينما سميت الحملات السابقة حملة الأمراء، فجاء ملك ألمانيا "فادريك باربروسا" بحملة بريّة عظيمة، لكنه وبينما هو في الطريق إذ غرق عندما كان يغتسل في نهـر، ويقـول المؤرخـون المسلمـون: إنه لو وصلت هذه الحـملة الألمانية كـما خُطط لهـا لما صـمـدت عكا، ولكن هذه الحـمـلة تفـرقت، فبعـضهـا عـاد إلى ألمانيـا، وبعضها أكمل طريقه نحو عكا.



فريدريك الأول امبراطور ألمانيا



ريتشارد قلب الأسد في الكتب الغربية القديمة

"ريتشارد قلب الأسد" يقود النصارى

وجـاء ملك إنجلترا "ريتـشـارد قلب الأسـد" بقـوات بحـرية، وبينمـا هو في البحـر المتوسط في الطريق ضلت بعض سفنه فهجم عليهـا حـاكم صقيلية النصراني، فأخذها، فعاد "ريتشارد" فهاجم صقيلية فاحتلها وسيطر عليها، وبدأ يرتب قواته من هناك، فتأخر عن الوصول إلى عكا. وكذلك تحرك ملك فرنسا أيضاً في حملة بحرية نحو عكا، وبذلك بلغ تعداد القوات المتوجهة نحو عكا ٢٥٠ ألف مقاتل من أوربا.

صلاح الدين ينادي للجهاد

وكان صلاح الدين قد بدأ يجهز جيشه عندما وصلته الأخبار بتحرك الحملات الصليبية من أوربا، وجعل ينادي للجهاد في سبيل الله في أرض المسلمين، وبدأ الناس يتجمعون له، وجمع صلاح الدين كل قواته التي في حطين، وعددها ١٢ ألفاً، وضرب النصارى حصاراً على عكا من البحر والبر، وتحرك صلاح الدين نحو عكا بما تجمع له من جنود وهو ينادي في المسلمين بأرض الإسلام، فأرسل إلى الخليفة العباسي، وأرسل إلى كل قوات المسلمين في الشرق، حتى وصل نداؤه إلى ملك المغرب.

لقد كان النصارى الذين قد فروا أمام صلاح الدين، والذين أطلقهم بسماحته من الأسر في بيت المقدس قد تجمعوا في منطقة صور، ومنها بدؤوا يتحركون نحو عكا، وبدؤوا يحاصرونها، ووصلت الأخبار إلى صلاح الدين بحصار عكا، وتحرك الصليبيون في أوربا، وكان ملوك النصارى قد بدؤوا يفدون نحو عكا.

لقد أصبح وضع صلاح الدين خطراً لكثرة جيوش النصارى، فإنها لو تجمعت لبلغت نحواً من ٢٥٠ ألف مقاتل، في حين أن جيوش صلاح الدين لم تبلغ في أحسن أحوالها اثني عشر ألف مقاتل، فالفرق بين الطرفين كبير جداً.



المسجد الأقصى

موقف الخليفة العباسي

لهذا أخذ صلاح الدين ينادي في المسلمين، ويدعوهم للجهاد، وأرسل إلى الخليفة يدعوه إلى إرسال القوات العباسية من بغداد، وأرسل إليه يخبره باستعداده للتنازل عن كل ممتلكاته، وكل مملكته لتكون تحت حكم الخليفة مقابل أن ينصر الإسلام والمسلمين أمام هذا الزحف الصليبي، لكن الخليفة بدلاً من ذلك أرسل إلى صلاح الدين يعاتبه على أنه تلقب بالملك الناصر، وهو لقب الخليفة، فلم يرق له أن ينافسه فيه.

كان جواب الخليفة يدعو إلى الأسف أمام احتمال ضياع فلسطين، وتغلب الصليبيين عليها. إن صلاح الدين اضطر بما تيسر له من قوات أن يهاجم النصارى الذين كانوا يحاصرون عكا، وراح يحاول اختراق ذلك الحصار لإيصال المؤونة إلى داخل أهل عكا المحاصرين، وأرسل ينادي في بلاد الإسلام: يا للإسلام، وينذر أنه إن أتت تلك الجيوش فلا يستطيع أن يقف أمامها، وهي جيوش كثيرة تبلغ ٢٥٠ ألف مقاتل إضافي، وعندئذ ستتعرض فلسطين، بل كل بلاد المسلمين للخطر.

صلاح الدين ينتظر المدد

ثم إن صلاح الدين حرك جيشاً يريد أن ينقل به المعركة خارج عكا، وفعلاً حرك جيشه خارج عكا، وبدأ يتحرك من هناك، وانطلق إلى تل الخرُبة، ينتظر نجدة أخيه العادل والي مصر، وبدأ القتال خارج عكا، وظل النصارى محاصرين من جميع جهات عكا، ما عدا تلك الفتحة التي فتحها صلاح الدين في صفوفهم. واستطاع صلاح الدين أن يصمد أمامهم، لكن كثرة القتلى في عسكره اضطرته أن يتراجع بعض التراجع، فاستطاع النصارى عندها أن يغلقوا تلك الفتحة، ويحفروا الخنادق حول المناطق التي تواجه صلاح الدين، لكن صلاح الدين ظلّ صامداً ينتظر القوات أن تصل إليه، وكان أول من وصل الأسطول العسكري المصري، وكانت مصر ما زالت تحت يده، وقد توسع حكمه إلى أقصى مدى، فصارت بلاد الشام ومصر والحجاز واليمن، كلها خاضعة له، ما عدا صور، وعكا، وطرابلس، وانطاكية، هذه هي الخريطة التي نتحدث عنها.

وصول الأسطول المصري

وصل الأسطول المصري البحري، فتصدى له الأسطول العسكري الصليبي الذي خرج من عكا، لكنه كان أسطولاً صغيراً، استطاع الأسطول المصري أن يكسره، ووصل إلى عكا، ومعه الذخائر والمؤن، فانتعشت عكا أمام هذا الحصار، واستأنفت المعارك بين صلاح الدين والصليبيين، وانتشرت جثث الموتى في أرض المعركة، وانتشر العفن، وفاحت الروائح، حتى إن صلاح الدين أصيب بمرض نتيجة انتشار تلك الروائح المنبعثة من الجثث، ومع ذلك ظل يقاتل، ثم جاءه الأطباء وقالوا له: إنك لا تستطيع أن تقاتل وأنت مريض، فقال رحمه الله قولته العظيمة: "إذا ركبت إلى الجهاد زال الألم حتى أنزل".

لقد كانت همته للجهاد همة الأبطال، وكان شوقه لملاقاة الأعداء ينسيه الألم، فإذا عاد للراحة عاوده الألم واشتد عليه المرض، لكن الأطباء الحوا عليه أن يبتعد عن الجثث، مصدر الروائح والمرض، فرجع إلى معسكره، فاتسعت المسافة بينه وبين الصليبيين، ولكنه ظل يرسل إليهم بالمناوشات، وظلت المسألة بهذه الصورة عدةَ أشهر، لم تقم فيها معركة حاسمة.

وصول إمدادات حلب والموصل

وبعد فترة بدأت تصل القوات المساندة لصلاح الدين، فوصل جيش من حلب بقيادة ابن صلاح الدين الذي كان يسمى باسم "عماد الدين زنكي"، سماه بهذا الاسم تيمناً بنسبته إلى عماد الدين زنكي البطل العظيم. ثم لبى النداء صاحب الموصل، واسمه علاء الدين بن مسعود زنكي، أحد أبطال أسرة آل زنكي، ومعه نخبة من شجعانهم، وبدأت هذه القوات الصغيرة تتوافد من أماكن متفرقة، وكان يجيء كل من وجد في نفسه العزيمة والغيرة على ديار المسلمين وحماهم، بينما لم يحرك الخليفة في بغداد والحكام والولاة الكبار أي ساكن لنجدة جيش المسلمين في معركته المصيرية مع النصارى، ثم إن صلاح الدين جعل يهجم ويناوش بهذه القوات التي أضيفت إلى جيشه، واستطاع أن يكبد النصارى خسائر فادحة، ويضربهم ضربات قوية، وكانوا لا يزالون صامدين متماسكين، وكان النصارى خلال هذه الفترة يبنون أبراجاً عالية ليتمكنوا من دخول عكا واقتحام أسوارها، ومع أن عكا كانت حصينة جداً، وأسوارها بالغة الارتفاع، إلا أن النصارى بنوا أبراجاً أعلى منها واستعدوا لدفعها إلى السور، فدب الرعب في أهل عكا، وظنوا أن النصارى لا شك سيدخلون عليهم.

إبداع شاب مخلص

وأطرق صلاح الدين يفكر في طريقة لتدمير هذه الأبراج، واستشار أهل الخبرة والقتال، وطلب إلى الرماة أن يقذفوا الأبراج بالمنجنيق، فحاولوا فما استطاعوا، فجاء شاب صغير ابن لأحد النحاسين عمره ١٦ سنة فقال: أنا أحرقها لكم، فاستهزأ به الناس، وقالوا: أنت تحرقها، والأبطال والخبراء قد عجزوا عن ذلك؟!. فقال: نعم، أنا أحرقها لكم، فقال صلاح الدين: دعوه يجرِّب.

فأخذ هذا الغلام شيئاً من النفط، وخلطه ببعض المواد الكيماوية، فأصبح شعلة قوية شديدة الإحراق، وطويلة الأمد، فرماها على الأبراج فأحرقها، وأتلفها.

والنفط كان يومها معروفاً، ولكنهم لم يكونوا يحسنون استعماله في أكثر من النيران التي سرعان ما تنطفئ، لكنه بهذه الخلطة الكيماوية اتسع تأثيره، وأدى دوره كسلاح مدمر. فلمّا فعل ذلك قال صلاح الدين: ائتوني بهذا الشاب أكافئه، لقد أنقذ عكا، فجاء الشاب، فأمر له صلاح الدين بمكافأة، فرفض، وقال: إنما فعلته لله تعالى، ولا أريد المكافأة إلا منه.

وهكذا تكون نفوس الأبطال، والنفوس المؤمنة المخلصة لله تعالى، هكذا يكون الشباب الذي تربى على الدين الصادق، وبمثل هؤلاء يحارب المسلمون، وبمثلهم ينتصرون.

موقف ملك المغرب

وبعد هذا استطاع صلاح الدين أن يهجم هجوماً قوياً تسبب بخسائر فادحة في صفوف النصارى، لكنهم ظلوا صامدين، لأن أعدادهم كبيرة، تفوق أعداد جيش صلاح الدين بكثير، فاستنجد صلاح الدين بملك المغرب، لكن ملك المغرب كان بعيداً، ولا يستطيع أن يرسل قوات برية، فقال له صلاح الدين: تحرَّك بأي شيء، أترضى أن يعين الكفرُ الكفرَ، ولا يعين الإسلام الإسلام؟!.

الوقعة العادلية

فأرسل ملك المغرب الأساطيل لتعطيل أساطيل أوربا، وفعلاً بهذه الحركة استطاع أن يؤخر حركة أوربا قليلاً، وظلت مناوشات صلاح الدين تتوالى على النصارى، وبقي أولئك صامدين، وصاروا يزدادون في حفر الخنادق، ولهم أماكن معينة يخرجون منها ويعودون. وفي حركة مفاجئة خرجت القوات النصرانية من هذه الخنادق عندما وصلت القوات من مصر بقيادة العادل أخي صلاح الدين، باغتوا هذه القوات، ودارت معركة عظيمة بين الطرفين، فأمر صلاح الدين بالهجوم، وبالجهاد، فأوقع بالنصارى خسائر عظيمة في معركة كبيرة خارج عكا تُسمّى: الوقعة العادلية، نسبة إلى العادل، والي مصر، أخي صلاح الدين.

وبعدها اكتفى النصارى بحصار عكا، ورفضوا أن يواجهوا صلاح الدين، فتركوا صلاح الدين وتحصنوا بالخنادق، وصار التركيز على عكا، وصارت تُضرب بالمنجنيق ليل نهار، وقد نال أهل عكا أذى شديد.

هجوم أهل عكا

وحاول أهل عكا أن يفعلوا شيئاً من الداخل، ففتحوا الأبواب فجأة، وخرجوا بهجوم مباغت لم يتوقعه أعداؤهم، واستطاعوا أن يهزموا النصارى، وأن يصلوا إلى خيامهم فيحرقوها، لكن النصارى صمدوا، وصدوا هذا الهجوم، وعادوا فحاصروا عكا من جديد.

المعركة البحرية

وهنا فكَّر النصارى أن يهاجموا عكا من البحر، لكن كان يعترضهم برج كبير يحمي عكا، مبني داخل البحر على صخور عالية، فأي هجوم من البحر كان يعترضه الذين في البرج، فيرسلون على المهاجمين النيران، ويرمونهم بالنبال، فقرر النصارى أن يحرقوا هذا البرج، أو يكسروه، لعلهم يستطيعون الهجوم على عكا من البحر. فتحركت ثلاث سفن فدائية نصرانية:

بنوا على السفينة الأولى برجاً من أجل إشعال النار في برج عكا الذي هو في البحر.

وسفينة ثانية فيها النفط للالتصاق بسفن المسلمين التي في ميناء عكا، حتى يلتصقوا بها ويشعلوا النار بأنفسهم، فتنتقل النيران إلى ميناء عكا جميعاً.

والسفينة الثالثة بنوا فيها قبواً كبيراً ملؤوه بالجنود، فمهما جاءتهم النبال فلا تصيبهم لأنهم داخل السفينة.

وفعلاً تقدمت السفن الثلاث بحركة في منتهى الخطورة والفدائية على عكا، وأشعلوا النيران في البرج، وفي السفينة التي ستحرق سفن المسلمين، لكن الله عز وجل يقدر أن تعصف الرياح، فمنعت سفنهم من أن تقترب من سفن المسلمين، فاشتعلت سفنهم وهي في البحر، وهجم المسلمون على السفينة التي فيها النصارى فقتلوا كل من فيها، وأطفؤوا النار في البرج، ففشلت تلك الحملة التي كانت تشكل خطورة كبيرة على المسلمين.

كبش من حديد

ثم إن النصارى قرروا أن يهجموا مرة أخرى على البرج، فصنعوا كبشاً كبيراً من حديد، وقدموه على خشبة طويلة، ووضعوا هذه الخشبة بهذا الكبش على سفينة، وراحوا يقتربون من البرج يريدون أن يضربوه بالكبش. وفي الوقت نفسه أمروا بهجوم بري، فاندفعت قواتهم من البر والبحر.

وعندها شعر أهل عكا بالخطر الشديد، فهذا الكبش الحديدي يمكن أن يكسر برجهم. فنذروا أنفسهم، وهاجموا من البر والبحر، وبدأت سفنهم تقترب من السفينة التي فيها الكبش، واستطاع بعض المسلمين أن يتسلق السفينة التي فيها الكبش، ويحرق الكبش قبل أن يصل إلى البرج.

الهجوم بالدبابة

ولم ييأس النصارى، فصنعوا مجدداً ما يسمونه "دبابة" وهي آلة زاحفة، صنعوها من خشب، لكن فوقها ثلاث طبقات من المعادن حتى لا يستطيع المسلمون أن يحرقوها، وبدأت هذه الدبابة تقترب نحو سور عكا. فبدأ المسلمون يضربونها بالنفط المشتعل ليلاً نهاراً، وبالرغم أنها مغطاة بالمعادن القوية، إلا أن النفط تسرب أخيراً إلى داخلها، وأحرق الخشب فيها، فاشتعلت وسقطت.

وصول ملوك النصارى

لقد استمرت هذه الأعمال والحصار على عكا ستة شهور، وفي هذه الأثناء كانت القوات الأوربية قد وصلت، فوصل ملك فرنسا "فيليب اغسطس" بجيش من فرنسا، وجاء ملك ألمانيا "باربروسا"، وهذا كان مشهوراً في التاريخ الإسلامي والغربي بذي اللحية الحمراء، جاء بجيشه عن طريق البحر، لكنه غرق في الطريق فتمزق جيشه، ورجع معظمه، وأكمل باقي الجيش دربه نحو عكا. وجاء كذلك الجيش الإنجليزي بقيادة "ريتشارد قلب الأسد".

هذه الجيوش استغرقت رحلتها ستة أشهر، رغم تأخر الجيوش الإنجليزية والفرنسية التي جاءت عن طريق البحر بسبب مناوشات المغرب من جهة، وبسبب صقيلية التي سرقت بعض سفنهم من جهة أخرى، فاضطر "ريتشارد" أن يتوقف لتأديب صقيلية والسيطرة عليها. وبهذا سيطرت الجيوش الأوربية على صقيلية، وقبرص، وانطلقت نحو فلسطين، وأمدّ أهل قبرص هذه الجيوش بعشرة آلاف مقاتل، فتجمع لهم ٢٥٠ ألف مقاتل، وصلوا إلى عكا، ومعهم الرجال والذخائر، وصار الضرب عليها من جهة البر والبحر.

وظل صلاح الدين يحاول أن يخترق الحصار البري، ويضربهم ليل نهار بالمنجنيق، ويشدد الهجوم والضرب عليهم من غير راحة، لمدة يومين كاملين، عدا ساعتين أو ثلاثاً توقفوا للراحة، ولكن قوات النصارى ظلت صامدة، فما استطاع صلاح الدين أن يكسرهم.

وساءت الأحوال جداً داخل عكا لشدة الضرب والحصار، فما يستطيع أحد أن يدخل أو يخرج، وكان صلاح الدين لشدة الحصار يتراسل معهم بالحمام الزّاجل.



الصليبيون يتدربون على القتال

تزعزع أسوار عكا

واستطاع النصارى أن يقتربوا من سور عكا، ويكسروا جزءاً منه، فصار الخطر داهماً على المسلمين، وحاول أهل عكا أن يسدوا هذه الثغرة، وصار القتال مباشراً عندها، وصلاح الدين لا يزال يهاجم جيوش النصارى من الخلف، لكن عكا بدأت تتزعزع بعد أن انهدم جزء من السور، وشعر حاكمها المسلم بالخطر الشديد، فلو أنهم دخلوا عكا -وهم على وشك- سيفعلون بها مثل ما فعلوا في بيت المقدس، فخاف هذا الحاكم، وأرسل يفاوض النصارى -بدون إذن صلاح الدين- ليسلم لهم عكا بشرط أن يعطوا الأمان لأهلها، ولا يقتلوا منهم أحداً.

فرد عليه "ريتشارد قلب الأسد" و"فيليب اغسطس" برد عنيف، وقالا: بعد أن صارت عكا في أيدينا تريد أن تسلمها، إننا لن نعطيك الأمان!. فهنا نادى حاكم عكا في المسلمين، وقال: لا نسلم حتى نقتل جميعاً، وأرسل إلى النصارى وقال لهم: لا يقتل واحد منا حتى نقتل خمسين من اكابركم، ورجع إلى الجهاد بعد أن كاد يستسلم.

فشل المفاوضات

وهنا بدأ النصارى يتشاورون، ورأوا أنهم لن يفتحوا عكا إلا بخسائر فادحة جداً، لأن فتح مدينة من داخلها ليس أمراً هيناً، ففكروا في التفاوض، وأرسلوا وفدين، الأول إلى صلاح الدين، والثاني إلى حاكم عكا، فاشترط صلاح الدين أن يطلق جميع أهل عكا، وبالمقابل سيطلق الأسرى النصارى الذين عنده، وخلال هذا التفاوض جعل النصارى يماطلون بهدف كسب الوقت، ليرتبوا أكبر عدد من المواقع. وعرف صلاح الدين هذا منهم، فأمر -وهو يتفاوض- بالهجوم، ليكون تفاوضه تفاوض الشجعان، ومن مركز القوة، لا من مركز الضعف والاستسلام، لكن هذه المفاوضات فشلت، كما فشلت هجمات صلاح الدين، وأصبح أهل عكا في حرج شديد، فلا المفاوضات آتت أكلها، ولا الهجوم الذي شنه صلاح الدين استطاع أن يفعل شيئاً، ورفض النصارى إعطاء الأمان لهم، فأصابهم الضيق الشديد، وانتشرت المجاعة في أهل عكا. فتنادوا وبدؤوا يتبايعون على الموت، ورأوا في الموت الشريف في الجهاد خيراً من الموت بعد اقتحام عكا على أيدي النصارى، وصلاح الدين بجيشه الصغير ما زال يهاجم ٢٥٠ ألفاً من جيش النصارى، ويرسل الرسائل لتثبيت أهل عكا.

سنتان من الحصار

لقد استمرت معارك عكا هذه سنتين كاملتين، فجاع الناس جوعاً شديداً حتى أكلوا الكلاب، وهنا أرسل حاكم عكا يطلب التفاوض مرة أخرى حرصاً على أرواح المسلمين، وعرض على النصارى عروضاً مغرية، فأرسل إليهم قائلاً: أسلمكم عكا، وعندي خمسمائة أسير نصراني أطلقهم، وأعطيكم مائتي ألف دينار ذهبي، بشرط أن تسمحوا للمسلمين أن يخرجوا من عكا بأموالهم وأنفسهم. ووصلت هذه الأخبار إلى صلاح الدين، فأرسل إلى حاكم عكا يخبره برفضه لهذا العرض.

ولما كان النصارى قد قضوا في حصار عكا ما يقارب السنتين، وبلغ تعدادهم ٢٥٠ ألفاً ولم يستطيعوا بكل الوسائل والطرق اقتحام هذا الحصن، بدأت معنوياتهم تنهار، وآمالهم تتضاءل، وأمام عرض حاكم عكا وجدوا أنه من الحكمة قبول هذا العرض، فتشاوروا وقرروا الموافقة على العرض، وأرسلوا إلى حاكم عكا بذلك.



يوم ١٨ جمادى الأخرة ٥٨٧ هجري - ١١٩١/٧/١٢ ميلادي

هل يُلام حاكم عكا على ذلك بعد هذا الحصار الطويل وأمام تلك الحشود الكبيرة على أنه فتح أبواب عكا أمام النصارى بدون إذن صلاح الدين؟! انظر ماذا حدث:

في هذا اليوم دخل النصارى عكا، وفوجئ المسلمون بنقض العهد، فأسر النصارى جميع المسلمين، فأين العهود ؟ وأين الذمة؟ وصدق الله تعالى: (لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً). التوبة (١٠). وقال النصارى: لا نسمح لأحد أن يخرج إلا أن تسلموا لنا جميع الأموال، وتخرجوا بأنفسكم فقط، وكذلك يدفع لنا صلاح الدين مائتي ألف دينار.

مجزرة عكا

إنها خيانة كبيرة للاتفاق، وجناية عظيمة، لكن صلاح الدين أمر بجمع الأموال (٢٠٠) ألف دينار ذهبي رغبة منه في سلامة المسلمين، وأرسل إلى النصارى يخبرهم باستعداده لدفع هذا المبلغ على أن يتركوا المسلمين.

وبدأ النصارى يراسلونه بأنهم مستعدون، فقال لهم: أطلقوا المسلمين فنسلمكم الأموال. فقالوا: سلم الأموال نطلقهم!. قال : كيف نسلمكم الأموال وقد خنتم من قبل؟!، وأرسل إلى كبار القساوسة والمتدينين منهم قائلاً: أعطوني العهد بإطلاق المسلمين أعطكم الأموال. فأرسل إليه القساوسة -وهم أهل دين- بأنهم لا يثقون بعهود ملوكهم، وقالوا: نحن يمكن أن نعطيك الأمان، ولكن ملوكنا قد يخونون مرة أخرى. وأصر صلاح الدين بعد ذلك على موقفه قائلاً: أطلقوا الأسرى أعطكم الأموال.

لكن النصراني الصليبي الكبير قائد هذه القوات ملك إنجلترا "ريتشارد قلب الأسد"، وبعد توقف صلاح الدين عن إرسال الأموال أمر بذبح أسرى المسلمين، فاقتاد ثلاثة آلاف من الرجال خارج عكا، ثم أجلسهم على تلٍّ خارجها، وعلى نظر من صلاح الدين، فقال لهم: أطلقوهم ولكم المال. فأمر "ريتشارد" بقتلهم جميعاً! إنها مذبحة، ومجزرة فظيعة، وحدث لا يكاد يصدق، ومشهد تشمئز منه حتى القلوب المتحجرة، هكذا نقض هؤلاء الكفرة العهود، وهكذا قُتل أهل عكا، في جريمة عظيمة استنكرها حتى المؤرخون الأوربيون أنفسهم.

حصار عكا

وهنا أرسل صلاح الدين ينادي في المسلمين: إن هؤلاء النصارى لا ينوون إلا ذبح المسلمين، وراح منادي صلاح الدين ينادي في الآفاق الإسلامية، بأن فلسطين ستسقط مدينة تلو الأخرى إن لم تمدوا يد المساعدة، ولكنه لم يتلق رداً من أحد، إلا حاكم التركمان الذي وعد بإرسال قوات.

سقوط حيفا

بعد أن سيطر "ريتشارد" على عكا، أمر بتحريك الجيش نحو حيفا، وقد ترك حامية على عكا، وصلاح الدين يحاول أن يصدهم لكنه لم يصمد أمامهم، فاستطاعوا أن يدخلوا حيفا، وهي ليست محصنة مثل عكا، فدخلوها ثم تحركوا نحو "قيسارية"، والمسلمون يهجمون عليهم على شكل عمليات عصابية، لكنهم قلة لم يتجاوزوا ١٢ ألفاً، ولا قبل لهم بـ ٢٥٠ ألفاً، والنصارى كانوا لا يدخلون في معركة مواجهة، بل كانوا يتوجهون نحو المدن، واستمر صلاح الدين يهاجمهم، فجعلوا جزءاً من الجيش يصمد أمامه، وسار باقي الجيش إلى "قيسارية" ففتحوها، وأصيب "ريتشارد" نفسه في هذه الهجمات بجروح.

وجد "ريتشارد" أن حركته ما زالت بطيئة جداً، وصلاح الدين ما زال صامداً بجيشه، فأرسل إلى صلاح الدين يطلب المفاوضة. فوافق صلاح الدين على المفاوضة كسباً للوقت، وانتظاراً لباقي قوات المسلمين من التركمان وغيرهم، ، وأناب عنه أخاه العادل في المفاوضات.

معركة أرسوف

إن النصارى الآن قد سيطروا على ثلاث مدن رئيسية، وصلاح الدين ما زال مستمراً في مقاومتهم، ولكنهم - وأثناء المفاوضات- كانوا يحركون قواتهم نحو "أرسوف"، وفطن صلاح الدين لهذا فأرسل جيشه نحوها فسبقهم إليها وحصنها، ثم إنه التف حول النصارى، فأحاط بهم كما أحاط بهم في حطين، وقامت بينهم معركة تسمى معركة "أرسوف"، وجعل "ريتشارد" يحمس النصارى للانتقام، ونادى صلاح الدين بالجهاد، وتجديد أمجاد حطين، وبدأت المعركة العظيمة، ولكن النصارى استطاعوا أن يكسروا قوات صلاح الدين، وفرت قوات المسلمين أمام جحافل الجيوش الصليبية الأوروبية.



جندي نصراني

يروي ابن شداد من المؤرخين الذين كانوا يحضرون المعارك ويكتبون التاريخ، فكتب ما رأى بعينه، قال: فقتل من المسلمين سبعة آلاف من جيش صلاح الدين الذي فيه ١٢ ألفاً فقط، وتمزق الجيش، حتى إني رأيت صلاح الدين وحده ومعه مجموعة من الصبيان، والشباب الصغار، ورأيت العادل وحده ومعه مجموعة من الشباب.

سقوط أرسوف ويافا

لقد انكسر الجيش الإسلامي بالكامل، وتمزق أمام قوات "ريتشارد قلب الأسد" فأكمل النصارى طريقهم، وفتحوا "أرسوف" ثم أعلن "ريتشارد" التحرك نحو يافا ففتحها، ثم أعلن التوجه نحو القدس، وكانت هذه المدن التي فتحها صلاح الدين بعد حطين قد انهارت الواحدة تلو الأخرى، والمسلمون في العالم يتفرجون، لا أحد منهم يتحرك لنصرة صلاح الدين بعد النصر العظيم التي كان في حطين، والفتح العظيم لبيت المقدس.

سقوط اللد والرملة

ثم إن القوات النصرانية كانت قد بلغت ٢٥٠ ألفاً جاءت من أوربا، وانضم إليها ٢٥٠ ألفاً أخرى من النصارى الموجودين في بلاد الشام، وبدؤوا جميعاً يتحركون نحو القدس، فما كان من صلاح الدين إلا أن ترك كل شيء فوراً، وذهب نحو القدس، وأمر جميع القوات الإسلامية أن تترك المدن التي هي فيها وتتوجه نحو القدس، وبهذا سبق صلاح الدين بقواته النصارى إلى القدس، وتحصن فيها تحصناً عظيماً، ووصل "ريتشارد" إلى "الرملة"، وإذا بأسوارها قد خربت، وقد كان صلاح الدين قد أمر من كان فيها بتركها، وتخريب أسوارها حتى لا يستفيد منها النصارى، فأخذها "ريتشارد" بدون مقاومة، وتوجه نحو "اللد" فاستسلمت له، ووجد أسوارها مخربة كذلك.

أسوار القدس القديمة

٥ نحـو القـدس من جـديـد

إن صلاح الدين كان يعلم أن هدف النصارى الأول كان القدس، فركز كل قواته فيها، وبدأ يرسل من القدس وممن حولها الغارات على جيش "ريتشارد"، فدوّخوه، ثم حرك القبائل البدوية في فلسطين، فقامت تلك القبائل بحركات جهادية عظيمة على جيش النصارى المتوجه نحو القدس، فأتعبته، ووصل "ريتشارد" أخيراً إلى القدس منزعجاً من هذه الهجمات التي شغلته طوال الطريق، فوجد القدس محصنة بالكامل، وفيها صلاح الدين نفسه ومعه القوات الإسلامية، فبدأ يسأل عن أخبارها، أين حصونها، ومن أين تُؤتى؟!. فوجدها مدينة في منتهى الحصانة، فكان أمامه عدة خيارات:

١- إما أن يهجم من جهة واحدة، وفي هذه الحالة سيصده صلاح الدين من هذه الجهة.

٢- وإما أن يوزع قواته حول القدس، وفي هذه الحالة سيهجم صلاح الدين من أي جهة شاء.

ثم إن هجومه من جهة واحدة فيه فائدة له، لأن قواته تبقى قوة واحدة، ولكن في ذلك فائدة أيضاً لصلاح الدين، لأن الإمدادات يمكن أن تأتيه من الجهات الأخرى.

ودرس "ريتشارد" الوضع جيداً، وسأل كثيراً عن صلاح الدين وكيفية قتاله، وكيفية تحركاته، فانتهى إلى نتيجة أعلنها على القوات النصرانية حين قال: هذه مدينة لا يمكن فتحها مادام صلاح الدين فيها حياً، إن هذا الرجل الذي صمد هذا الصمود أمام القوات النصرانية خلال هذه السنوات الطويلة بهذه الروح الجهادية لا يجعل لنا أملاً في فتح هذه المدينة، ولا يمكن حصارها ما دام فيها، والمسلمون معه فيها غير متفرقين، لأننا إذا هجمنا من جانب جاءته الإمدادات من جانب آخر، وإذا توزعنا حولها هجم على أي جهة منا وهزمها، ونحن بعيدون عن إمداداتنا من البحر، وهو قريب من بلاده في الشام. فأمر "ريتشارد" بالانسحاب من القدس.



صلاح الدين كما صورته الكتب الغربية القديمة

انسحاب النصارى

هنا دبّ الخلاف بين النصارى، وقال بعضهم: نحن جئنا من أوربا من أجل القدس، فقال لهم: أنا أعرف المعارك، لا يمكن أن تفتح لنا القدس، فاشتد الخلاف بينهم واحتدم، وأصر قسم منهم على الاستمرار في الحصار، ولكن "ريتشارد" استطاع أن يغلب بأمره، فانسحب وعاد إلى الرملة، لكن الخلاف كان قوياً بينهم.

وشعر "كومراج" حاكم صور والذي كان طرفاً في هذه المعارك، وهو أول من حاصر عكا قبل مجيء "ريتشارد" بقواته، شعر أنه إذا انسحب "ريتشارد" من القدس، فإنه سينسحب من كل فلسطين، لأنه جاء من أجل القدس، وعندها سيتركه وحده مع صلاح الدين، الذي سينتقم منه أيما انتقام، فأرسل إلى صلاح الدين - قبل أن ينسحب "ريتشارد" يطلب منه المفاوضة، وقال له: أنا مستعد أن أتنازل لك عن صيدا وبيروت، وأبقى في صور مقابل أن تعطيني الأمان. فوافق صلاح الدين على شروطه، واشترط عليه أن يطلق كل أسرى المسلمين الذين عنده في مملكة صور.

الحشاشون من جديد

وبالرغم من كون هذه المفاوضات سرية، فقد وصلت الأخبار إلى "ريتشارد" فاشتد الخلاف بينه وبين "كومراج"، وقد كان غرض صلاح الدين أن يحتدم الخلاف بين النصارى، فتكون له فرصة أن يمزق بعضهم بعضاً، ولكن في هذه الأثناء حدث ما لم يكن بالحسبان، إذ قام "الحشاشون" باغتيال "كومراج"، وحاولوا اغتيال صلاح الدين، فلم ينجحوا. وباغتيالهم "كومراج" أضاعوا فرصة ثمينة على المسلمين بتفريق جمع النصارى، فخلا الجو لريتشارد، وتمت له السيطرة على الموقف، وما حدث يظهر بوضوح خطر الدعوات الباطنية على الإسلام والمسلمين.

حيرة ريتشارد

ظل صلاح الدين يرسل قواته إلى المدن المختلفة، ويحاول أن يحميها، واستطاع أن ينتصر في كل المعارك الجانبية. وظلَّ "ريتشارد" محتاراً ماذا يفعل: أينسحب ويعود إلى أوربا؟ وهذا فشل كبير، أم يبقى بدون أن يفتح القدس، وفي هذا أيضاً فشل كبير؟!..

أما اقتحام القدس فأمر مستحيل، فظل يناوش صلاح الدين ويفكر ماذا يفعل، لقد سيطر على كل فلسطين تقريباً إلا القدس، ويقدِّر الله تعالى في هذه الأثناء أن يصاب "ريتشارد" بمرض شديد، كاد يهلك منه، فأرسل صلاح الدين إليه بالأطباء والفاكهة والثلج، واستغرب



ريتشارد قلب الأسد ينسحب

الناس هذا الموقف من صلاح الدين، وعابوا عليه ذلك كيف يعين عدوه، ويسعى في شفائه، لكن المتأمل يرى غير ذلك، فقد كان صلاح الدين شديد الحكمة، ذا بصيرة نافذة، ففسر بعض المؤرخين فعله ذاك بأن "ريتشارد" الذي وصل إلى القدس ثم قرر الانسحاب عنها لقناعته باستحالة فتحها، أفضل له أن يبقى على قيد الحياة من أن يأتي قائد بدلاً عنه ويقرر أن يهاجم القدس، ورأى بعضهم أن هذا التصرف كان بسبب سماحة صلاح الدين الشديدة.

مفاوضات ريتشارد وصلاح الدين

وأياً كان الأمر فقد شُفي "ريتشارد" من مرضه، ووافق على المفاوضات مع صلاح الدين، وعرض الصلح على صلاح الدين لسببين:

الأول : أنه يستحيل عليه تحقيق أهدافه في فتح القدس.

والثاني: المعاملة العجيبة الكريمة التي تلقاها من صلاح الدين، فأرسل صلاح الدين أخاه العادل للمفاوضات، وهنا قصص خيالية كثيرة امتلأت بها كتب التاريخ، منها أن "ريتشارد" بارز صلاح الدين، ومنها أن صلاح الدين تنكر بصورة طبيب وذهب بنفسه ليشرف على علاج "ريتشارد"، وهذه كلها خيالات لا أساس لها من الصحة.والذي ثبت تاريخياً أن "ريتشارد" طلب لقاء صلاح الدين، ورفض صلاح الدين ذلك وأرسل أخاه العادل للمفاوضات.

والشرط الرئيسي الذي كان لدى النصارى أخذ القدس، مع إعطاء المسلمين حرية العبادة فيها، والإبقاء على الحرم الشريف، نفس المفاوضات التي تتكرر اليوم، وهو أن يأخذ اليهود القدس، وتكون لهم رسمياً، ويكون هناك حكم إداري للمسلمين على المسجد الأقصى.



نفس العرض قدمه "ريتشارد" للعادل، وأرسل العادل بهذا العرض إلى صلاح الدين، فردَّ صلاح الدين: القدس لنا كما هي لكم، وهي أعظم عندنا مما هي عندكم، فإنها مسرى نبينا، فلا يتصور أن نتنازل عنها، ولا يملك هذا القرار أحد من المسلمين، كائناً من كان، أما البلاد التي سيطرتم عليها من أجزاء فلسطين، فإن يدكم عليها مؤقتة بسبب ضعف من فيها من المسلمين، وإن المفاوضات معكم اليوم لا يمكن أن تكون سلاماً دائماً، ولكنها سلام مؤقت، ولا يمكن أن نسلم القدس.

وظلت المفاوضات فترة، والصليبيون مصممون على القدس، وصلاح الدين ثابت على موقفه، فلما أصروا على القدس أعلن صلاح الدين قطع المفاوضات، وأعلن الجهاد، وقال: لا يمكن التنازل عن القدس، أي مدينة أخرى قابلة للتفاوض إلى أن تنتهي الهدنة، أما القدس فلا تؤخذ إلا بالدم. ويقدِّر الله تعالى أن يحدث بعد قطع المفاوضات وإعلان الجهاد أن تأتي الأخبار من إنجلترا أن "يوحنا جون"، وهو أخو "ريتشارد" قد أخذ البلاد الإنجليزية لنفسه، وأعلن أنه ملك إنجلترا بدل "ريتشارد"، وعندها وقع "ريتشارد" في حيرة شديدة، جاء ليأخذ القدس فذهبت منه إنجلترا، فقرر العودة سريعاً إلى إنجلترا، فبقاء ملكه في بلده كان أهم عنده، وبدأ في استعداداته للرحيل إلى إنجلترا.

تحت هذه الظروف حرك صلاح الدين القوات نحو يافا، فاستطاع أن يفتحها رغم تحصيناتها، وكثافة القوات الصليبية التي فيها. أما "ريتشارد" فرأى أنه لم يعد الآن قادراً أن يستمر في القتال، وعليه أن يرجع إلى إنجلترا بسرعة، بينما صلاح الدين قد أعلن الجهاد، وبدأ فعلاً يهاجم، هنا طلب "ريتشارد" التفاوض مرة أخرى مع الموافقة على التنازل عن القدس، ووافق صلاح الدين على التفاوض إذا لم تدخل القدس في الموضوع، فأرسل العادل مرة أخرى.



عام ٥٨٨ هجري
١١٩٢ ميلادي

ريتشارد يتنازل عن القدس

في هذا العام وافق "ريتشارد" على شروط المسلمين، إلا أنه اختلف مع صلاح الدين حول بعض المدن، وفي النهاية اتفق الطرفان على أن تبقى مدن الساحل من صور إلى يافا بيد "ريتشارد"، لقاء اعترافه بالقدس مدينة إسلامية. وبالرغم من أن صلاح الدين كان يريد عقد هدنة مع ريتشارد دون تنازلات، وكان يكره أن تبقى مدن الساحل بيد الصليبيين، إلا أنه وبضغط من قواته وأقربائه ومساعديه، اضطر لقبول الاتفاق مع ريتشارد، ذلك أن جيش صلاح الدين قد خارت قواه بسبب طول الحرب التي استمرت أربع سنين متواصلة، وكانت الجنود متعبة ومنهكة، ورأى القادة العسكريين أن عودة ريتشارد وانسحابه عن القدس مغنم عظيم لا يجب أن يفوّت. فتحت هذه الظروف وافق صلاح الدين ووقع الهدنة مع ريتشارد مع أنه كان يرى الجهاد أولى. وتمت المعاهدة باسم "صلح الرملة". وأخذ النصارى الساحل، وأخذ المسلمون باقي مدن فلسطين، وكانت مدة الهدنة ثلاث سنين، وثلاثة شهور.

نهاية الحملة الصليبية الثالثة

كان النصارى يطالبون بسلام دائم، ولكن السلام الدائم يحرم عند علماء المسلمين، لأن معناه الاعتراف أن الأرض لهم، وليست لنا، وكيف نعترف بأرض ليست لهم؟!. أما هدنة مؤقتة فلا مانع منها بسبب ضعف المسلمين، أو قوة النصارى، ريثما يعيد المسلمون حساباتهم، ويصلحون أوضاعهم. وصلاح الدين وقوفاً عند الحكم الفقهي جعل الهدنة محددة الوقت بثلاث سنوات، وثلاثة أشهر.

ومن ضمن الهدنة أن يسمح للنصارى بأن يزوروا أماكنهم المقدسة، بشرط أن يأتوا بأعداد صغيرة لا كبيرة، وهدأت الأمور، وطلب "ريتشارد" السماح له بالحج إلى القدس، فسمح له صلاح الدين. وفعلاً ذهب "ريتشارد" بنفسه إلى القدس فزارها، ثم رجع فوراً إلى الساحل، ومنه انطلق نحو إنجلترا، وقصته في إنجلترا طويلة، وهي لا تعنينا هنا.

والذي يعنينا انتهاء الحملة الصليبية الثالثة التي شارك فيها أكثر من ٥٠٠ ألف صليبي بالفشل، قتل منهم في معركة حطين وما بعدها أكثر من ١٢٠ ألفاً، وهذه أعداد ليست بسيطة، حتى في مقاييس الحروب اليوم، فما بالنا بذلك الزمن.

لقد أصبح اسم صلاح الدين اسماً يهز أوربا، ويزلزل كيانها، ويخافه الناس، حتى كانت المرأة إذا أرادت أن تخوّف أولادها تقول: سيأتيكم صلادين!. هكذا كانوا يسمونه عندهم، كما تخوّفهم بالغول!.

الهدنة والأمان

وبعد هذه الهدنة هدأت الأمور في فلسطين، وانتشر الأمن بين الناس، وصار المسلمون يدخلون المدن المحتلة من قبل النصارى، والنصارى أيضاً يدخلون ويخرجون ويشترون من المسلمين، وعم الأمن والسلام في المناطق بسبب هذه الهدنة، كما حدث تماماً في صلح الحديبية بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركين في قريش، فكانت قريش تدخل المدينة، والمسلمون يدخلون مكة، هدنة كاملة، وسلام كامل. واستقر صلاح الدين الأيوبي بعد أن غادر "ريتشارد"، وأخذ يستعد للحج، وقد اقترب وقته.



انتشار التجارة في الحضارة الإسلامية

خريطة نادرة للقدس القديمة

٦ وداعاً صلاح الدين

ذكر ابن شداد، وكان ملازماً لصلاح الدين من المؤرخين، وكان قاضياً، وفقيهاً، أن صلاح الدين سأله: أيُّ موتة أشرف؟ فقال له: الموت في سبيل الله. فقال صلاح الدين: غاية الأماني أن أموت أشرف الممات، تمنيت من سنين أن يقتلني أحد وأنا أقاتل، والآن صارت الهدنة، وعم الهدوء، وإني أتمنى أن أموت في سبيل الله شهيداً.

صلاح الدين يلغي رحلته للحج

ولما بدأ يستعد للحج جاءته المراسلات من قاضي مصر: التفت لأحوال المسلمين، اترك الحج، البلاد خربت، والاقتصاد انهار، الفتن بدأت تشتعل، فلا تنشغل بالحج وتترك البلاد، فهذا أعظم من الحج. واستجاب صلاح الدين وترك الحج، فكان مثالاً رائعاً للحاكم الواعي، فقد قدَّم مصلحة المسلمين على الحج، فبدأ بتحسين القدس من جديد، وإصلاح المسجد الأقصى وتعميره، وأخذ يجول في بلاد الشام.

عظمة صلاح الدين

وفي شهر شوال من عام ٥٨٨ هجري والموافق الشهر العاشر من عام ١١٩٢ ميلادي زار بيروت، واستقبله أهلها استقبال الفاتحين باحتفالات عظيمة، وفي شهر ١١ من نفس العام عاد إلى دمشق عاصمته بعد غياب أربع سنين، فكان الاستقبال العظيم لصلاح الدين بعد هذا الغياب.

لقد حكم صلاح الدين مصر ٢٤ سنة، وحكم بلاد الشام ١٩ سنة، وكان خلال ست عشرة سنة منها راكباً على الخيل وهو يجاهد في سبيل الله، فاستطاع تغيير الجغرافيا السياسية للمنطقة، والوضع السياسي لفلسطين، وقضى على الحملة الصليبية الثالثة، وحصر النصارى في الشريط الساحلي، وأمَّن البلاد وعمرها، وأمَّن طريق الحجاج.



قبر صلاح الدين (رحمه الله) في دمشق

العفة عن المال العام

طلب منه أخوه العادل قطعة أرض في حلب، فرد عليه بكتاب قال فيه: "أظننت أن البلاد تباع؟ أو ما علمت أن البلاد لأهلها المرابطين بها، ونحن خزنة المسلمين وحرّاس أموالهم".

هكذا كان في عفته عن المال العام وأراضي المسلمين، كتسامحه ورحمته لما كثر عنده الأسرى في المعارك. وكان يأخذ معه أولاده حتى الصغار جداً في عمر العاشرة والثانية عشرة، وكان له من الولد سبعة عشر، كانوا يخرجون معه، وفي إحدى المعارك طلب منه بعض أولاده الصغار أن يسمح لهم بقتل أسير، فغضب ونهرهم وزجرهم، فتعجب منه الناس، لأن الأسير محكوم عليه بالموت، فلماذا لم يترك أولاده يقتلونه؟، فقال: "حتى لا يتعودوا على سفك الدماء، فنحن نقتل عند الضرورة، ولا نربي أولادنا على هذه الصورة". وهكذا كانت أخلاقه وسماحته.

المشاورة والأخلاق

وكان رحمه الله تعالى لا يتحرك إلا بالمشاورة، يشاور العلماء والأمراء، وقادة العسكر، وإذا اختلفوا معه، وأجمعوا على رأيٍ وافقهم، وسار معهم على رأيهم، كما رأينا في صلح الرملة. وكان طاهر اللسان، طاهر المجلس، حليماً لا يغضب، عطوفاً على الفقراء والمساكين، متواضعاً للناس بالإضافة إلى شجاعته في المعارك، والهمة والطموح. كان يتمنى أن يفتح الشام بأجمعها، ويخلصها من النصارى حتى يهاجم أوربا، هكذا كانت حياته، همة وشهامة ونبلاً وكرماً، لذلك أحبه الناس حباً عظيماً.



خريطة العالم
للإدريسي المغربي
١١٥٤ ميلادي



عام ٥٨٩ هجري
١١٩٣ ميلادي

أخلاق ملك مريض

وبعد عودته من استقبال الحجاج في الطريق شعر بالتعب الشديد، وأصابته الحمى، واشتد به الصداع، يقول ابن شداد: دخلت عليه أنا والقاضي الفاضل، فلما خرجنا قال لي القاضي الفاضل: أبشر بهذه الأخلاق. فقلت: وما ذاك؟! فقال: لقد رأيت صلاح الدين طلب ماء فاتراً، لأنه لا يقدر على الماء البارد بسبب مرضه، ولا الماء الحار، فجاؤوا له بماء حار جداً، فما استطاع شربه، فأخذوه وأتوه بماء بارد، فلم يستطع عليه، وقال: ائتوني بماء فاتر. لقد طلب ماء فاتراً، ولم يقل أكثر من ذلك. فيقول القاضي: والله، لو أن ملكاً آخر طلب مرتين، ولم يُفعل له لغضب وصرخ وربما عاقب، أبشر بهذه الأخلاق يا ابن شداد، فقد أشرف المسلمون على مفارقتها!.

وفاة البطل العظيم

في هذا العام ٥٨٩ هجري- ١١٩٣ ميلادي توفي صلاح الدين رحمه الله تعالى، بعد مرض استمر ١٢ يوماً فقط، ونزل في قبره القاضي ومعه في يده سيف جعله إلى جنب صلاح الدين في القبر، وقال كلمته: هذا السيف لتتوكأ عليه في الجنة، سيف يشهد لك بالجهاد ١٦ سنة في سبيل الله تعالى، بانتصارات عظيمة هزمت النصارى.

لقد اشتدت الكآبة في بلاد المسلمين، وانتشر الخبر في أوربا، فحزن عليه حتى النصارى، وقالوا: ما رأينا في كل من قاتلنا بين المسلمين والنصارى مثل أخلاق صلاح الدين، لقد حزن النصارى لموته، وألفوا فيه المؤلفات التي لا تزال موجودة تذكر أخلاقه، وحسن معاملته.

راية صلاح الدين

لقد نادى صلاح الدين قبل وفاته حامل الراية التي كان يحملها في كل معاركه، وقال له كلمته الخالدة: "أنت الذي حملت رايتي في الحرب، فاحمل رايتي بعد الموت، احملها على رأس رمح طويل، وطف بها في ربوع الشام، وناد الناس فلينظروا إليها، وقل لهم: هو ذا الملك قد مات، ولم يأخذ معه سوى خرقة واحدة، تلك التي كفنوه بها، وإنها لبالية كهذه الخرقة التي في يدي، وقل لهم: إن جميع الممالك المترامية التي ملكها صلاح الدين، والكنوز الهائلة التي كانت في يده، ورهن إشارته، لم يستطع أن يأخذ لنفسه أكثر من هذه الأذرع الثلاثة التي هي من نسيج الكتان الذي نعوه به".

وكانت الراية خرقة بالية، لأن صلاح الدين لم يغيرها في كل معاركه، حيث مرّ عليها ١٦ سنة من الجهاد، وهي تسقط وترتفع.

خرج صلاح الدين من الدنيا ولم يأخذ إلا الكفن، وترك وراءه راية الجهاد. صلاح الدين علم عظيم من أعلام المسلمين، تمثلت فيه النية الخالصة، والتوكل على الله عز وجل، وحب الشهادة والجهاد، وخوض المعارك بنفسه، والحرص على وحدة الأمة، إلى جانب علمه بالفقه، وفنون القيادة، ورغبته في تطهير الأرض، ونشر العدل، إلى جانب عفته عن المال العام، والبساطة في العيش في كل حياته.

حب الناس لصلاح الدين

يُروى أن أحد العلماء خطب في الحرم قبل حطين، فدعا للخليفة العباسي، ودعا لوالي مكة، ودعا لصلاح الدين، وكان الناس يؤمنون ويكبرون على دعائه، فلما دعا لصلاح الدين ارتج المسجد بالتكبير والتأمين. هكذا كان حب المسلمين لصلاح الدين قبل حطين، وقد زاد بعدها أضعافاً مضاعفة.

وصية صلاح الدين لابنه

لقد ترك صلاح الدين وصية عظيمة لابنه الملك الأفضل قال فيها: "أوصيك بتقوى الله تعالى فإنها رأس كل خير، وآمرك بما أمرك الله به، فإنه سبب نجاحك، وأحذرك من الدماء والدخول فيها، لا تقتل بالشبهة، لا تقتل بدون سبب، لا تقتل دون حاجة، فإن الدم لا ينام، أوصيك بحفظ قلوب الرعية، والنظر في أحوالهم، والاهتمام بهم دائماً، فأنت أميني وأمين الله عليهم، أوصيك بحفظك قلوب الأمراء وأرباب الدولة والأكابر، فما بلغتُ ما بلغتُ إلا بمجاراة الناس. لا تحقد على أحد، فإن الموت لا يبقي على أحد، واحذر ما بينك وبين الناس، فإنه تعالى لا يغفر إلا برضاهم. لا تظلم أحداً فإذا ظلمت فإنه لا يغفر لك إلا إذا عفا عنك صاحب الحق، أما ما بينك وبين الله، فإن الله واسع المغفرة، وكريم لا يخذل التائبين".

الحزن يعم المسلمين

حزنت بلاد المسلمين لوفاة صلاح الدين أيما حزن، وأصابها غم عظيم، ورثاه الناس في كل مكان، وقال فيه الأدباء أجمل الكلام، وأنشده الشعراء أجمل الشعر، منها:

أين الذي منْ لم يزَل مخفيَّةً ... مرجوةً رهباتُهُ وهباتُهُ
أين الذي كانت له طاعتُنا ... مبذولةً ولربّه طاعاتُهُ
أين الذي عنت الفرنجُ لبأسه ... ذُلاً ومنها أدركتْ شاراتُهُ
بالله أين الناصرُ الملكُ الذي ... لله خالصةً كفتْ نيّاتُهُ
في نصرةِ الإسلام يسهرُ دائماً ... ليطُول في روضِ الجنانِ سُباتُهُ
ملكٌ عن الإسلام كانَ محامياً ... أبداً إذا ما أسلمتهُ حُماتُهُ
ما كنتُ أعلمُ أنّ طوداً شامخاً ... يهوي ولا تهوي بنا مهواتُهُ
مَن لليتامَى والأرامل راحمٌ ... متعطّفٌ مغدوقةً صدقاتُهُ
لو كانَ في عصرِ النّبي لأنزلتْ ... في ذكرِهِ من ذكرِهِ آياتُهُ



رسم تصويري نادر لأرض فلسطين القديمة



الباب الثاني

فلسطين في العهد الإسلامي

الفصل السادس

بعد صلاح الدين

1- تمزق الدولة الأيوبية
2- سقوط القدس الثاني
3- السقوط الثالث للقدس
4- دولة المماليك

١ تمزق الدولة الأيوبيـــة

بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي تولى الملك من بعده أقاربه وأبناؤه، وقُسِّمت مملكة صلاح الدين الكبيرة بينهم، ومن بينهم الملك الأفضل علي بن صلاح الدين، وكان قد تولى دمشق والقدس وسوريا الغربية، والملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين، وتولى أمر مصر الملك العادل أخو صلاح الدين، وتولى الأردن والكرك، وأسماء كثيرة أخرى، تمزقت وتوزعت مملكة صلاح الدين رحمه الله تعالى بينهم، وزاد الأمر شدة أن بعض الولاة أعلنوا الاستقلال، مثل عز الدين مسعود والي الموصل، وقد حذر القضاة والعلماء من هذا التقسيم والتجزؤ، وحثوا الولاة على البقاء في وحدة كاملة، ولكنهم لم يتفقوا ولم يستمعوا لهم.

العزيز بن صلاح الدين يهاجم أخاه الأفضل !

أما الأفضل والي دمشق والقدس وسوريا الغربية فلم يكن محمود السيرة مثل والده، بل إنه أساء للناس والعلماء والأمراء، وظلم الناس، وفرض عليهم الضرائب الشديدة، حتى ضج الناس فبدؤوا يرسلون الرسل إلى أخيه والي مصر العزيز، ووجد هذا الأخير في ذلك فرصة ليضم حكم الشام إليه، فكان أن حرّك جيشاً نحو دمشق، لقد أعلن الحرب ضد أخيه الأفضل، غير أن الأفضل طلب المساندة من عمه العادل أخي صلاح الدين حاكم الأردن، وطلب نجدته وحمايته له من أخيه العزيز، فأرسل العادل إلى العزيز ينصحه بالبقاء في مصر، وعدم دخول الشام، وكان العزيز قد وصل وسيطر على الجزء الجنوبي من فلسطين، ولكنه استجاب لنصيحة عمه وعاد أدراجه إلى مصر.

العادل والعزيز يبرزان

ولم يكن "العزيز" ذا سيرة أحسن من "الأفضل" في الرعيّة، بل كانت طريقة حكمه أيضاً سيئة في مصر، فجعل يظلم الناس ويسيء إليهم، فالأفضل يظلم في دمشق والقدس، والعزيز يظلم في مصر وجنوب فلسطين، واستمرت النزاعات بينهما، وزاد البلاء على أهل الشام، وضاقوا ذرعاً بظلم الأفضل لهم، فطالبوا العزيز بالتدخل مرة أخرى، وفعلاً حرّك هذا جيشاً ثانياً وبدأ يهاجم دمشق، ويستعين الأفضل مرة أخرى بالعادل الذي كان أعقلهم، فحاول العادل أن يصلح بين الأخوين فما استطاع، فوجد أنه لابد من حسم هذا الخلاف، ووجد أن الأفضل هو أسوأ الرجلين، فقام بمساعدة العزيز على احتلال دمشق، ثم أمره أن يرجع إلى مصر وقال له: أنا سأتولى أمر دمشق الآن. فانضمت دمشق إلى ملك العادل بالإضافة إلى الأردن، وسيطر العزيز على مصر وفلسطين وتوسع ملكه إلى القدس، وصار العادل والعزيز هما الرجلين الرئيسيين اللذين يحكمان مصر وبلاد الشام، أما الأفضل فأعطوه "حوران" ترضية له حتى ينتهي هذا الخلاف بين الأخوة والأقارب.



عام ٥٩٤ هجري
١١٩٧ ميلادي

حملة صليبية جديدة

أثناء هذه الخلافات كان النصارى في ممالك عكا وصور وطرابلس وأنطاكية قد بدؤوا بالتنسيق فيما بينهم ومراسلة أوربا تمهيداً لاستعادة القدس من جديد، وجهّز لذلك الألمان جيشاً كبيراً ووصلوا إلى سواحل الشام، فاحتلوا بيروت بدون مقاومة تذكر، ولكن يقدّر الله عز وجل أن يدبّ الخلاف بين الممالك النصرانية وبين الجيش الألماني القادم، ثم احتدم هذا الخلاف بينهم، فما كان إلا أن عاد الألمان إلى ديارهم دون أن يفتحوا القدس، وكان ذلك من رحمة الله تعالى، وإلا فقد كانت الظروف مهيأة في ظل اختلاف الدولة الأيوبية.

قتال الأيوبيين فيما بينهم

وبعد رحيل الألمان شعر "إيموري" حاكم مملكة بيروت وما حولها بالضعف الذي دب في النصارى، فخاف على مملكته، فطلب من العادل الصلح، ووافق العادل على هذا الصلح لأنه أيضاً شعر بضعف المملكة الأيوبية بعد تمزقها، وتمت المعاهدة على الصلح لمدة ثلاث سنوات.وفي هذا العام ٥٩٥ هجرية أيضاً مات العزيز والي مصر وجنوب فلسطين، وتولى الحكم من بعده ابنه المنصور ابن العزيز، والمنصور هذا كان عمره عشر سنين فقط، ولا يستطيع أن يحكم، وبدأ الخلاف يدب بين الأيوبيين في مصر، فقرر أمراء الجيش أن يطالبوا الأيوبيين في الشام بأن يرسلوا وصياً منهم على المنصور، وذلك حفاظاً على وحدة مصر، فكان أول من استجاب لهم الأفضل الذي كان قد عزل عن دمشق وصار والي حوران، وتحرك الأفضل فوراً نحو مصر وتولى الوصاية على المنصور بن العزيز، ولكنه عاود سيرته السيئة في الحكم على أهل مصر من جديد. ثم إنه بدأ يتعاون مع بعض الأيوبيين الذي يحكمون ممالك صغيرة من أجل استرجاع دمشق التي كان يحكمها من قبل، وبعد فترة وجيزة تحرك جيش من مصر بقيادة الأفضل وجيش آخر من حلب بقيادة «الظاهر» نحو دمشق، وضرب الجيشان حصاراً حولها، وكان العادل في دمشق وقتها، فتحصّن فيها، وبدأ القتال بين الأيوبيين، واستمر هذا القتال على دمشق ٦ أشهر، ولكن هذا الحصار باء بالفشل، ورجع الظاهر إلى حلب، وكذلك الأفضل إلى مصر.

الملك العادل يسيطر

لقد شعر العادل بهذا الخطر، وشعر بتآمر الأفضل وخيانته، فأمر فوراً بتجهيز جيش يتبع جيش الأفضل المتراجع نحو مصر، واستطاع العادل أن يلحق بجيش الأفضل فيهزمه في الطريق، ويتولى العادل حكم مصر مجدداً، ويهرب الأفضل نحو حوران. وبذلك استطاع العادل السيطرة على معظم المملكة الأيوبية، ما عدا بعض الممالك التي استقلت عنه كاليمن والحجاز والموصل، وانتهج منهج صلاح الدين في الحكم، وولى أبناءه على الممالك، فأسند حكم مصر إلى ابنه الكامل محمد بن العادل، وجعل على دمشق ابنه المعظم عيسى بن العادل، ثم فتح حوران وولّى عليها ابنه الآخر الأشرف موسى بن العادل، ولما توطد الأمر له بهذا الشكل قامت الحجاز فأعلنت الولاء للعادل، وبدأ الناس يتذكرون أمجاد صلاح الدين على يد أخيه.



عــام ٦٠١ هجــري
١٢٠٥ مــيــلادي

هدنة جديدة

وتحت هذه السيطرة وهذا النفوذ الواسع خاف النصارى أن يمتد نفوذ العادل نحو مدنهم، فطلبوا منه تمديد الهدنة، ووجد العادل أن حكمه مازال يحتاج إلى تثبيت واستقرار، فوافق على الهدنة في عام ١٢٠٥ ميلادي، واتفق أن تكون لمدة ست سنوات، واستغل العادل هذه الهدنة لبناء مملكته والتوسع والسيطرة على الأمور.



عــام ٦٠٧ هجــري
١٢١٠ مــيــلادي

تمديد جديد للهدنة

انتهت الهدنة بعد مضي ست سنوات، فطلب النصارى تجديدها خوفاً من العادل، فوافق لهم على ذلك لأنه كان يشعر أنه بحاجة إلى مزيد من الاستقرار، وجددت الهدنة لسبع سنين أخرى حتى عام ٦١٥ هجرية حيث توفي العادل.

القدس القديمة داخل سورها الحصين

٢ سقوط القدس الثاني

النصارى نحو مصر

وبعد وفاته انقسمت مملكته بين أبنائه إلى ثلاث ممالك، بين الكامل، والمعظم، والأشرف، واستغل البابا هذا الظرف وبدأ يدعو إلى حملة صليبية لاسترداد القدس، وشكل جيشاً بقيادة الفارس "جونديبرين" وسماه "ملك القدس المرتقب"، وتحرك هذا الجيش من أوربا نحو قبرص ومنها إلى مصر، ولكنه دخلها من جهة دمياط، واختار قائد الجيش "جون" دخول مصر من جهة دمياط ليسهل على سفنه دخول القاهرة من جهة النيل، فلما أحس المسلمون هذا الخطر وضعوا سلسلة عظيمة على فرع دمياط من نهر النيل تمنع السفن من الدخول، وكانت هذه السلسلة محمية من قبل حصن على دمياط.

واحتل النصارى دمياط ولكنهم لم يستطيعوا التوجه نحو القاهرة، ولكنهم هددوا بدخول مصر، وأرسلوا إلى الكامل يهددونه باحتلال مصر، وأعلنوا استعدادهم للجلاء عنها مقابل أن يسلمهم القدس، وفي هذه الأثناء أرسل المعظم أخو الكامل والي دمشق جيشاً صغيراً لمساندة أخيه، وأخذ الكامل يراسل المسلمين لطلب المساندة.

التفاوض على القدس

وفي ذات الوقت أيضاً كان الهجوم المغولي التتري قد اكتسح العالم من جهة الشرق، وسيطر المغول على شرق آسيا والهند، وبدؤوا يتحركون حتى وصلوا إلى مشارف العراق، مهددين بذلك الخلافة العباسية، ولذلك كان الناس مشغولين عن مساندة الكامل ضد النصارى في مصر، ورأى الكامل أنه لن يستطيع طلب المساعدة في هذا الظرف، فوافق على تسليم القدس مقابل جلاء النصارى عن مصر.

وبعد موافقة الكامل أرسل النصارى المرابطون في دمياط إلى البابا لأخذ رأيه من جديد بنتيجة المفاوضات، فأرسل البابا أن لا تتنازلوا عن مصر، فليس لها حامية في ظل ظروف المسلمين الحالية، فأمرهم باحتلال مصر ثم التوجه لبيت المقدس. واستمر حصار دمياط ١٧ شهراً واشتد الحصار عليها كثيراً، حتى حدثت مجاعة عظيمة داخل حصنها، حتى قيل أن البيضة صارت بدينار من ذهب.



عام ٦١٦ هجري
١٢١٩ ميلادي

النصارى نحو القاهرة

سقطت أخيراً في هذا العام دمياط في أيدي النصارى، وبدأ أولئك يستعدون لاحتلال القاهرة، وأرسلوا إلى البابا يطلبون مزيداً من القوات، وفعلاً جاءت القوات المكثفة من أوروبا، وتحركت الجيوش براً وبحراً نحو القاهرة، ولكن أهل مصر من المسلمين استبسلوا وجعلوا يناوشون هذا الجيش في تقدمه، ثم إنهم كسروا القناطر التي كانت تحجز مياه النيل قبل الدلتا، فغرقت الدلتا بالمياه، فعرقلوا بذلك حركة الجيش النصراني نحو القاهرة كثيراً، وكان كلما حاول جنود النصارى سلك طريق جديد نحو القاهرة أغرقه أهل مصر بالمياه، ونصب الكمائن، واستمر هذا الوضع ثلاث سنين كاملة، لم يستطع فيها النصارى وصول القاهرة، حتى أصابهم الملل فقرروا الانسحاب إلى دمياط، ولكن أهل دمياط أيضاً كانوا ينصبون الكمائن والغارات والمناوشات على الجيش النصراني، فاضطر النصارى تحت حرب العصابات هذه أن ينسحبوا نحو عكا بعد ثلاث سنوات، وبذلك ارتفع التهديد عن مصر.

تحركات المغول

أما في الشرق فقد استمرت التهديدات المغولية على العراق، ولكن حدث أن مات "جنكيزخان" ملك المغول، فاضطر المغول لترتيب أمورهم الداخلية والتوقف عن غزو العراق مؤقتاً، ولكن المغول بعد برهة غيروا وجهتهم نحو الشمال فاحتلوا "موسكو" وحاولوا غزو بعض دول أوربا، وبعد ذلك عادوا نحو الجنوب فاحتلوا الهند وأفغانستان وفارس، ومن ثم بدأ تهديد العراق مرة أخرى، وكانت طريقتهم في دخول المدن همجية وحشية، يدمرون المدن ويحرقونها، ويقتلون أهلها.

لقد كانوا شعباً بلا حضارة أودين.



جنكيز خان



عام ٦٢٤ هجري
١٢٢٧ ميلادي

"فريدريك" ملك القدس المرتقب

بعد وفاة "جنكيزخان" هدأت هجمات المغول على الشرق الإسلامي، وكان امبراطور ألمانيا في ذاك الوقت يدعى "فريدريك الثاني" ويسمى أيضاً "طريد الكنيسة"، لأن البابا كان قد أعلن عليه الحرمان المقدس وحرمه من الجنة وسماه الزنديق الأعظم، وذلك بسبب رفضه القيام بحملة صليبية على القدس لما أمره بها.

وفي هذه الفترة أيضاً مات "جونديبرين" الذي كان قد رجع من مصر وسيطر على الممالك النصرانية، وصار ملك النصارى في فلسطين، وتولى حكم الممالك النصرانية من بعده ابنته "إزابيلا" وريثة عرش مملكة القدس كما يسمونها، وبالرغم من أن القدس لم تكن محتلة من النصارى حتى ذلك التاريخ.

عرض امبراطور ألمانيا "فريدريك" على "إزابيلا" الزواج به، فوافقت لأنه كان إمبراطوراً تطمع في الزواج منه أي امرأة، فتزوجها وأعلن نفسه ملكاً على القدس الشريف، وسمّى نفسه ملك القدس المرتقب، وفي نفس هذه السنة توفي الملك المعظم ابن العادل، وتولى الحكم على مملكة الشام والقدس من بعده أبناء العادل: الملك "الكامل" الذي كان حاكم مصر ضم إليه القدس، والملك "الأشرف" حاكم الأردن ضم إليه دمشق.



هولاكو المغولي



صراع الأيوبيين من جديد

تحرك "فريدريك" نحو الشام وصل عكا عام ١٢٢٨م ومعه ٥٠٠ فارس فقط كانت بداية حملته، وكان قدوم "فريديريك" بناء على طلب سابق من "الكامل" الذي طلب منه أن يعينه على إخوانه مقابل تسليمه القدس، ولكن "فريديريك" هذا كان قد تأخر في القدوم إلى حين أن سيطر الكامل على القدس بعد موت أخيه، فأسقط بيد الكامل، حيث أنه كان لا يريد تسليم القدس طالما أنه أحكم يده عليها، فبدأت المفاوضات بين"فريدريك" و"الكامل" سلطان مصر والشام.



التنازل عن القدس

أمام هذه الظروف الصعبة في المنطقة، وقدوم حملة النصارى بقيادة "فريدريك" رأى الكامل أنه لا يستطيع مواجهة النصارى، وطلب التفاوض معهم، وتوصل الطرفان إلى معاهدة جديدة مدتها عشر سنوات تعهد فيها النصارى بعدم مهاجمة مصر أو ممتلكات الكامل، وبالمقابل سلّم الكامل القدس والناصرة وبيت لحم واللد وصيدا لـ "فريدريك"، ولم يكن جيش "فريديريك" يتجاوز ٥٠٠ فارس كما أسلفنا، ولكن الكامل كان يريد أن يأمن جانب النصارى ويتفرغ لقتال إخوانه، فكان بذلك خائناً عظيماً لأمته ودينه.

كان هذا النصر للنصارى لا يصدق فقد نجح "فريديريك" بقوة بسيطة ودون قتال أن يعيد القدس، ثم إنه قام بنفسه وحج إلى القدس، وجعل القساوسة فيها يرمونه بالقاذورات وهو يدخلها، لأنه طريد البابا، ولكن "فريدريك" كان يطلب للنصارى أن يشكروا الله على ذلك، ورآها معجزة أن تسلّم لهم القدس بهذه السهولة، وكان السبب طبعاً هو ضعف الملك الكامل وخيانته، وحقق "فريدريك" بـ ٥٠٠ فارس ما لم يحققه "ريتشارد قلب الأسد" أيام صلاح الدين بـ ٥٠٠ الف فارس، وضجت بلاد المسلمين بهذا الحدث، وأعلنوا في كل مكان الإنكار على الكامل وتقبيحهم فعله الشنيع.



فريدريك الثاني امبراطور ألمانيا



عـام ٦٢٨ هجـري
١٢٣٠ مـيـلادي

المغول يهددون العراق

ولما طرقت أنباء رجوع القدس مسامع البابا رفع عن "فريدريك" الحرمان الإلهي، ومنحه الجنة، تقديراً لهذا العمل العظيم الذي قام به، وبقيت القدس بعدها بأيدي النصارى لمدة ١٠ سنين هي فترة المعاهدة بين النصارى والكامل، حاولوا خلالها إرسال القوات نحو القدس لإحكام السيطرة عليها، ولكن خلال هذه السنين حدثت معارك كثيرة في أوروبا نتيجة خلافات شديدة بين ملوكها، فشغلهم ذلك عن إرسال أي قوات لمساندة "فريدريك" في القدس، واضطر هذا أخيراً أن يرجع إلى ألمانيا، وبقيت الممالك النصرانية والقدس بيد النصارى لكن بدون ملك مقيم يحكمهم.

وفي هذه الأثناء بدأ الأيوبيين يتحالفون مع السلاجقة ضد الخوارزميين الذين بدؤوا يهددون الخلافة العباسية، إضافة إلى أن الخلافة مهددة أيضاً من قبل المغول، وخاف الأيوبيون أن يستولي الخوارزميون على العراق، وتطال سلطتهم الشام، فاستعانوا بالسلاجقة، وانشغلوا بذلك عن النصارى الذين كانوا يحكمون القدس، وفي الوقت نفسه كان المغول يطمعون في دخول العراق، ويتنافسون مع الخوارزميين على ذلك، فوقع القتال والحرب بينهم، وانتصر المغول على الخوارزميين وشردوهم في بلاد العرب وخصوصاً الشام، ولكنهم تجمعوا على شكل عصابات متفرقة في الشام، وضرب المغول حصاراً على العراق.

ورأى الأيوبيون ما كان من أمر الخوارزميين، وكيف انكسرت شوكتهم وزال تهديدهم، فلم يعد من معنى لتحالفهم مع السلاجقة، فدبت الخلافات بينهم، وقام قتال آخر بين الأيوبيين والسلاجقة.



جندي من المغول



عـام ٦٣٣ هجـري
١٢٣٦ مـيـلادي

التمزق يعم الأمة

وفي نفس الوقت لم تكن الأندلس بمنأى عن هذا الضعف الذي أصاب الأمة، فقد مارس النصارى في الأندلس كل قوتهم لاحتلال المدن، فكان أن سقطت في هذا العام قرطبة، وبدأت مسيرة الضعف والتشتت تجتاح أرجاء الدولة الإسلامية من جميع أطرافها.

وفي نفس هذا العام أيضاً توفي "الأشرف"، وبعد وفاته ما لبث أن دبّ النزاع بين ولديه "العادل الصغير" و"الصالح أيوب"، وانتشر هذا النزاع بين الأيوبيين حتى اشتد وشرعوا يقاتل بعضهم بعضاً، وجعلوا يستعينون بالعصابات الخوارزمية المتواجدة في الشام على بعضهم البعض.

نبذة عن حياة "الصالح أيوب"

اشتهر "الصالح أيوب" بأنه كان مهيباً عزيز النفس، كثير الصمت، شديد الميل إلى العزلة، على قدر من الكفاية والتدبير والهمة العالية، غير أنه كان ذا سطوة على أصحابه من أمراء دولته متعاظماً عليهم، ويعده بعض المؤرخين أنه أعظم سلاطين الأيوبيين بعد صلاح الدين.

والصالح أيوب هو أول من أكثر شراء المماليك الترك، وجعلهم أمراء دولته وأهم عناصر جيشه، وألف منهم حرسه والمحيطين به، ومن أجلهم شيد قلعة الروضة على النيل، فاستمدوا منه اسمهم الذي عرفوا به "المماليك البحرية" الذين أقاموا دولتهم بعد مقتل ابنه "توران شاه".

ويذكر المؤرخون أنه كان يميل إلى تشييد العمائر والمباني؛ فأقام في مصر مدينة عسكرية أطلق عليها اسم الصالحية، تقع على طرف الصحراء التي تفصل مصر عن الشام، وصارت مركزاً لحشد الجند، وشيد قصوراً عديدة، لكن لم يبق منها شيء.

على أن أثراً واحداً من آثار هذا السلطان لا يزال جانب منه قائماً، هو مدرسته المعروفة بالصالحية، وهي أول مدرسة تجمع بين مذاهب السنة الأربعة، وشيد بها مقبرته.



عام ٦٣٥ هجري
١٢٣٨ ميلادي

النصارى ينقضون الهدنة

توفي أيضاً في هذا العام الملك الكامل بعد وفاة الأشرف بعام واحد فقط، واختلف الأيوبيون وتمزقوا تمزقاً شديداً، وقد كان من ضمن الاتفاق عند تسليم القدس أن لا يبني النصارى فيها أي قلاع، بل تترك كمدينة دينية مفتوحة، ولكن النصارى استغلوا خلاف الأيوبيين وتقاتلهم هذا وشرعوا يبنون حصون القدس، فبنوا قلعة برج داود، فاعتبر "الناصر داود" من الأيوبيين هذا نقضاً للهدنة، وبدأ يعد للهجوم على القدس.

الجيش المغولي



عام ٦٣٦ هجري
١٢٣٩ ميلادي

استعادة القدس بالقوة

وفي نفس الفترة لما رأى البابا أن الهدنة مع الكامل قد انتهت بدأ يعد لحملة صليبية كبيرة لأخذ القدس، وبدأت القوات تتجه نحو عكا الحصينة التي كانت ما تزال بيد النصارى، فشعر الناصر داود الذي كان يحكم الأردن بخطورة الموقف، فاستعان بالخوارزميين، فتجمع له عدد كبير منهم يقارب ١٠ آلاف، وكانت معظم قواتهم من المرتزقة، فهجم بهم بقوة على القدس، واستطاع أن يسيطر عليها عام ٦٣٧ هجرية بعد ما سلمها الكامل سنة ٦٢٧ هجرية، وبذلك أعاد القدس بعد عشر سنين من الاحتلال الصليبي لها فرجعت القدس مرة أخرى للمسلمين على يد الناصر داود ومعه الخوارزميون.

ثم توجه الناصر داود نحو الأماكن التي احتلها النصارى والتي كان الكامل قد تنازل عنها لصالحهم، وبدأت المعارك تحدث بين الأيوبيين والنصارى من جديد، واستطاع المسلمون في مصر أن يهزموا النصارى في معركة صغيرة قتلوا فيها منهم ١٨٠٠ وأسروا عدداً آخر، ثم اقتادوهم إلى مصر والتي كان يحكمها العادل.

رسم تصويري نادر للقدس بريشة فنان أوربي

٣ السقوط الثالث للقدس


عام ٦٣٧ هجري
١٢٤٠ ميلادي

خيانات جديدة

في هذا العام تحدث مؤامرة على العادل والي مصر، ويتم عزله ويحكم مصر بدلاً عنه الملك الصالح نجم الدين أيوب، الذي له شأن خطير في التاريخ الإسلامي فيما بعد، وكان هذا الملك له جارية مملوكة يحبها حباً شديداً، فأعتقها وتزوجها، وأسماها "شجرة الدر"، فكانت هذه زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب.

فيما كانت الصراعات بين الأيوبيين في بلاد الشام مشتعلة مع النصارى، اختلف كل من الناصر داود حاكم القدس والصالح إسماعيل حاكم دمشق مع الملك الصالح نجم الدين أيوب حاكم مصر، واحتدم الخلاف بينهم لأنهم شعروا أن الملك الصالح نجم الدين يهدد وجودهم، فخافوا منه، فما كان منهما إلا أن استعانا بالنصارى ضد الملك الصالح نجم الدين، وأدرك النصارى فرصة هذا الخلاف بين المسلمين، فوافقوا على إعانتهما ضد ملك مصر بشرط أن يسلماهم القدس، وفعلاً وافق الملك الصالح إسماعيل والملك الناصر على تسليم القدس مرة أخرى للصليبيين مقابل أن يساعدوهما ضد ملك مصر.


عام ٦٤١ هجري
١٢٤٣ ميلادي

تسليم القدس بخيانة

وتعود القدس مرة ثالثة في هذا العام إلى يد النصارى، وتم تسليمهم عدة مدن أخرى إضافة لها، والحقيقة أن الذي تولى كِبْر هذه المسألة هو الملك الصالح إسماعيل حاكم دمشق ضد الملك الصالح نجم الدين أيوب حاكم مصر، فاشتد غضب الناس على الملك الصالح إسماعيل لخيانته وتسليم القدس للنصارى، فقام رجل من أعظم علماء الأمة آنذاك هو سلطان العلماء، العالم الدمشقي العز بن عبد السلام، وأعلن إلغاء البيعة للملك الصالح إسماعيل الذي سلم القدس، وأمر خطباء المساجد بعدم الخطبة باسمه، وبدأ يزعزع أركان حكمه بفعله ذاك.

عندما رأى الملك الصالح إسماعيل ما فعل العز بن عبد السلام أمر بنفيه خارج الشام، فخرج منها إلى مصر، ولكن ثورات عدة قامت في الشام على الملك الصالح إسماعيل بسبب تسليمه القدس وطرد العلماء، ولكنه سحق الثورات بالقوة، وعندها تجمعت في أحد الحصون التي تم الاتفاق على تسليمها للنصارى - وهو حصن الشُقيق - حامية إسلامية ثائرة رفضت الانصياع للملك الصالح حاكم دمشق، فتحرك المالك الصالح إسماعيل بجيش من دمشق ففتح الحصن وسلمه للنصارى، في ذهول من العالم الإسلامي لهذه الخيانة البشعة.

ودخل النصارى القدس بدون مقاومة، وسيطروا عليها وانتهكوا المحرمات الإسلامية، وأقاموا حفلة على الصخرة المشرفة تحت قبة الصخرة، وشربوا عليها الخمر، وكانت تلك من أشد الأحداث السوداء في تاريخ الأمة الإسلامية، وكان سببها هذا الملك الصالح إسماعيل الذي استعان بالنصارى ضد أقربائه من الأيوبيين وسلمهم القدس، وقاتل شعبه على ذلك.



عــام ٦٤٢ هجـري
١٢٤٤ مـيـلادي

حطين الثانية

وفي خيانة جديدة تشكل جيش واحد مجتمع من النصارى في فلسطين مع جيش الأردن وجيش دمشق، وانطلق هذا الجيش نحو مصر لقتال الملك الصالح أيوب، وفعلاً التقى الجيشان عند غزة، وكان الملك صالح أيوب يقود جيش مصر بنفسه، وتحدث معركة عظيمة عند غزة، ولكن المفاجأة الكبرى التي لم يتوقعها تقلب كل الموازين، فبينما كانت أعداد جيوش قوات النصارى كبيرة وهائلة، وكان جيش مصر ضعيفاً، قام أفراد جيش الشام قبل أن تبدأ المعركة مباشرة بإعلان العصيان على الملك الصالح إسماعيل، وإعلان الانشقاق والانضمام إلى الجيش المصري، فانقلبت كفة الأمور ضد النصارى، فانتصر جيش مصر والشام، وجرت مذبحة كبيرة للنصارى، فقتل منهم ٣٠ ألفاً، حتى سُميت هذه المعركة حطين الثانية، فقتل من قتل من النصارى، وفرّ من فرّ منهم، وأُخذ الباقون أسرى إلى مصر، ولكن الملك الصالح نجم الدين أيوب تبع المنهزمين من النصارى حتى دخلوا عكا، واستطاع هذا الملك أن يأخذ الشام والأردن وفلسطين، ثم حاصر القدس، وحاصر أيضاً الملك الصالح إسماعيل الذي فرّ من معركة غزة في دمشق، وتحصّن الملك إسماعيل بها، ثم تعهد بالخروج منها شريطة أن يدفعوا له أمواله، فوافق أهل دمشق على ذلك لأنهم لم يكونوا يريدون إقامة حرب مع أنصاره. وتم تسليم دمشق واستطاع الملك الصالح نجم الدين أيوب أن يفتح دمشق وعادت وحدة الدولة الأيوبية من جديد على يده.



السيف العربي سلاح استعمله المسلمون في حروبهم

إعادة تحرير القدس

ثم إن نجم الدين أيوب طلب من الخوارزمية الذين كانوا فتحوا القدس سابقاً أن يساعدوه ثانية في فتحها، فتجمعوا له، وبسهولة بالغة استطاعوا أن يدخلوا القدس بعد سنة من احتلالها، وقام الخوارزمية بحصار النصارى في القدس، وأسروا منهم ٦ آلاف، فتوسّط الملك الناصر داود لإطلاقهم، وقد كانت له مكانة في تلك الفترة عند الخوارزميين، وجعل يضغط على الخوارزمية حتى أطلقوهم ولكن لم يعطوهم الأمان، فخرج النصارى من القدس، ولكن الخوارزميين شعروا بخطأ صنيعهم، بأن أطلقوا النصارى بناء على طلب خائن من الملوك، فلحقوا بهم وأدركوهم قبل أن يصلوا عكا، وقتلوا منهم ٥٧٠٠ ، ولم ينجُ إلا ٣٠٠ مقاتل، وهكذا تعود القدس مرة بعد مرة إلى يد المسلمين، وبقيت القدس في يد المسلمين إلى أن دخلها الإنجليز في عام ١٩١٧ م في بداية القرن العشرين.

٤ دولة المماليك



عام ٦٤٦ هجري
١٢٤٨ ميلادي

حملة لويس التاسع على مصر

في هذا العام تحرك مجدداً الملك "لويس التاسع" ملك فرنسا الملقب بـ "الملك التقي" لتدينه الشديد نحو مصر بجيش كبير لاحتلال مصر واسترجاع القدس، وذلك إثر دعوة جديدة من البابا، ووصل هذا الجيش إلى مصر واحتل دمياط بعد قتال شديد مع أهلها، وشعر الملك الصالح نجم الدين أيوب بتهديد النصارى، فسارع إلى عرض القدس على النصارى مقابل مصر، وكأن التاريخ يعيد نفسه، فرفض "لويس" هذا العرض، كما رفض الذين سبقوه، لأنه كان يشعر أن القاهرة تحت يده بعد أن احتل دمياط، فعزم على احتلالها مستفيداً من درس الذين سبقوه، فلم يكن يريد أن يمشي في نفس الطريق حتى لا يغرق وجنوده في القناطر التي يدمرها المصريون، فبدأ يلتف متوجهاً نحو المنصورة، فتلقاه جنود مصر من مختلف الجهات، وبدؤوا يشنون عليه الحملات كما فعلوا بالسابقين، فأنهكته حرب العصابات هذه حتى وصل إلى بلدة بقرب المنصورة، ووقعت هناك معركة عظيمة سميت هذه بمعركة المنصورة، حيث تقابل جيش فرنسا بقيادة "لويس التاسع" مع جيش مصر بقيادة ملك مصر والشام الملك "الصالح نجم الدين أيوب"، ولكن ما إن بدأت المعركة حتى مات الملك "الصالح نجم الدين أيوب" موتة طبيعية في خيمته دون قتال، وقامت زوجته "شجرة الدر" التي لها شهرة عظيمة في التاريخ بتدبير عجيب، فقد أمرت الأطباء بإخفاء موته، وقامت تدير الأمور من داخل خيمة الملك، دون أن يعلم الناس بموته.

ثم إنها أرسلت تستدعي ولي عهد مصر "طوران شاه" ابن زوجها الملك الصالح الذي كان في الموصل ليتولى ملك أبيه، واستمرت في هذه الأثناء المعركة بقيادة شجرة الدر، وانتصر فيها المصريون انتصاراً عظيماً، وانهزم "لويس" وقتل عدد كبير من جيشه، ثم أسر "لويس التاسع" ملك فرنسا، واقتيد إلى شجرة الدر، فأمرت بسجنه في سجن المنصورة، فجعل "لويس" يفاوض على إطلاق سراحه، ويعرض لقاء ذلك مبالغ خيالية تقدر بالملايين، فوافقت أخيراً شجرة الدر بشرط أن يتم تسليم نصف المبلغ قبل إطلاقه والنصف بعد أن يطلق، وفعلاً جاء النصارى بالأموال وسلموها إلى شجرة الدر فأطلقته، فخرج "لويس" من مصر وأقسم لشجرة الدر بعدم العودة إليها مرة أخرى، ولكنه ما إن وصل عكا، حتى نكث عهده وقسمه، وبدأ يجهز جيشاً صليبياً لاستعادة القدس.



وجعل "لويس" يرسل في البلاد إلى كل من يعينه في حملته الجديدة، حتى إنه استعان بـ "الحشاشين" الإسماعيليين أعداء الخلافة العباسية، فأعانوه، وأرسل إلى حاكم المغول، غير أن المغول كانت تشغلهم خلافات داخلية محتدمة بينهم، فما استطاعوا أن يعينوه، فجمع النصارى في بلاد الشام والعراق فأعانوه، وطلب المدد من البابا، ولكن الأخير كان مشغولاً في حملة ضد ملك الرومان، واستمرت استعدادات "لويس" أربع سنين.



عام ٦٤٨ هجري
١٢٥٠ ميلادي

شجرة الدر

وفي هذه الفترة استلم "طوران شاه" حكم أبيه في مصر، وكان أول أمر أراد أن يقوم به هو القضاء على نفوذ المماليك، والمماليك هم عبيد جاء بهم الأيوبيون بأعداد كبيرة تشكلت منهم الجيوش لأجل القتال، ولكنهم مع الزمن صاروا قادة الجيوش، وبدأ نفوذهم يتسع، فخاف من ذلك "طوران شاه" ، ولكنه في ذات ليلة وبينما هو سكران لا يعقل، جعل يضرب بالسيف شموعاً كانت أمامه ويقول: هكذا سأفعل بالمماليك، وكان ذلك بحضور المماليك أنفسهم، وعلى مرأى منهم، فتآمروا مع شجرة الدر على قتل "طوران شاه" وتوليتها الحكم، وفعلاً تم قتل "طوران شاه" على يد القائد المملوكي الفارس "أكاي"، ولم يستمر حكم "طوران شاه" سوى سبعين يوماً فقط، وتولت بعده شجرة الدر مقاليد الأمور، وأعلن المماليك والأمراء في مصر بيعتهم لها، وهي أول امرأة تحكم في الإسلام.

أما في الشام التي كانت تتبع مصر وقتها، فرفض أهلها البيعة، وقالوا: لا نبايع امرأة على حكمنا. وأرسل الخليفة العباسي في بغداد رسالة إلى مصر يقول فيها: "إذا لم يكن لديكم ثمة رجال يحكمون فسنرسل لكم برجال من عندنا"، استهزاء بهم. وشعرت شجرة الدر أنها لن تكون مقبولة كحاكمة لمصر، وأدركت أن الأمور ستخرج عن سيطرتها، فقامت بأمر غريب، فاختارت أحد المماليك الضعاف فعرضت عليه الزواج منها، ثم تزوجته، وهو "عز الدين أيبك". وكان من أضعفهم، واختارته فقط لتكون مقاليد الأمور بيدها، ثم أعلنت تنازلها عن العرش له، وتمت البيعة لـ "أيبك" في مصر، أما الشام فرفضت البيعة له، وسمي هذا الحاكم الجديد: "الملك المعز لدين الله أيبك". فأقام دولة المماليك، وأعلن انتهاء الدولة الأيوبية في مصر، وبعدها بسنة واحدة انتهت أيضاً في الشام، وقامت بدلاً منها دولة المماليك. وبدأت شجرة الدر - والتي كانت تدير الأمور فعلياً - تعيد تنظيم البلاد، ونظمت قوة عسكرية ضخمة جداً في مصر، وأنشأت أسطولاً بحرياً قوياً.





عام ٦٤٩ هجري
١٢٥١ ميلادي

الصلح بين المماليك والأيوبيين

في هذه الأثناء كان الخلاف قد اشتعل بين الأيوبيين في الشام، فأعلنوا رفض الحكم المملوكي في مصر، بينما كان "لويس التاسع" يعمل على تجهيز الجيش لاستعادة القدس، وإدراكاً لخطر لويس هذا تدخلت الخلافة العباسية بين الأيوبيين والمماليك لإنهاء ما بينهم، حتى لا تقع الحروب وينشغل المسلمون عن خطر النصارى في المنطقة، وبهذه الوساطة العباسية هدأت الأمور، واستقر الصلح بين الأيوبيين والمماليك، واتفق على أن تبقى القدس وغزة ونابلس تحت حكم المماليك، وتبقى الشام وبقية المناطق بيد الأيوبيين.



عـام ٦٥٢ هجـري
١٢٥٤ مـيـلادي

نهاية لويس التاسع

وتحت هذا الوضع ظل "لويس يحاول جمع الجيوش من كل جانب، ولكن أوربا لم تستطع تقديم الدعم له للخلافات والحروب المشتعلة في أوربا وقتها، إلى أن فقد الأمل في تجميع جيش قوي يستطيع استعادة القدس، فاضطر أن ينسحب إلى أوروبا في عام ١٢٥٤ ميلادي، ولكن بقيت عكا بيد النصارى، وبذلك انتهت أكبر الحملات الصليبية وقتها لاستعادة القدس، ولم تقم بعد ذلك حملة أخرى مماثلة إلا في عام ١٢٧٠ عندما توجه "لويس نفسه" إلى تونس، ولكن "الحفصيون" في تونس استطاعوا مع قبائل الأعراب القوية العربية أن يردوه، ومات هناك وحمل جثمانه إلى فرنسا. وبانسحابه الأول من فلسطين انتهت هذه الحملات، لكن ظل الجزء الغربي منها وهو الساحل بيد النصارى.



لويس التاسع يناقش الهجوم على مصر



عـام ٦٥٥ هجـري
١٢٥٧ مـيـلادي

نهاية شجرة الدر

في هذا العام أراد الملك "أيبك" أن يمتلك زمام الأمور، لأنه كان يدرك أن شجرة الدر كانت تحكم البلاد فعلياً، فأرسل سراً إلى ملك الموصل يخطب ابنته، وكان يهدف إلى عقد تحالف مع ملك الموصل يعينه على استلام الأمور مستغلاً القوة خارج مصر، ولكن شجرة الدر اكتشفت هذه المؤامرة، فحركت بعض المماليك ضد زوجها، فقبضوا عليه، ثم أمرت بقتله، وتولت مرة أخرى بنفسها زمام الأمور، وجعلت تعرض على مماليك مصر الزواج منها، ولكن أحداً لم يقبل خوفاً من بطشها، ومن تكرار نفس التجربة التي جرت مع "أيبك".

ولما لم تجد أحداً يقبل بذلك، ولم تكن تستطيع تولية نفسها، عمدت فأعلنت المنصور ابن "أيبك" من زوجته الأخرى خليفة على مصر، وكان هذا المنصور لا يتجاوز عمره عشر سنوات، ورأت شجرة الدر ذلك مناسباً كي تستمر في التحكم بدفة الأمور وحدها، ولكن قائد جيشها "سيف الدين قطز" أعلن وصايته على الخليفة الجديد، واعترض على حكم شجرة الدر، ولما رأى المماليك ما جرى من أمر شجرة الدر وقائد جيشها أعلنوا الولاء لـ "سيف الدين قطز"، فأسقط في يد شجرة الدر، وأرسل "قطز" من يعتقلها، فبدأت تطلب أنصارها، ولكنهم تخلوا عنها، فما كان منها وقد أوشك الجند على اعتقالها إلا أن أمرت بجمع جميع جواهرها وحليها، ثم أخذت الهاون فكسرت كل الجواهر وفتتها، ثم ما لبث أن جاء حرس "قطز" فاعتقلوها، وعندئذ طلبت أم الملك المنصور من "قطز" أن يوليها أمرها، فوافق لها على ذلك، وأرسل لها بشجرة الدر، فأمرت أم المنصور الجواري أن يضربنها بالقباقيب، وما زلن بها حتى ماتت، ثم ألقينها من شرفة القصر إلى الخندق، وبقيت مرمية عدة أيام حتى أخذها الحراس فدفنوها، وهكذا كانت نهاية شجرة الدر.


عام ٦٥٦ هجري
١٢٥٨ ميلادي

المغول وسقوط الخلافة العباسية


صورة لحكم المغول

في هذا العام دخل المغول إلى بغداد، وقتلوا المستعصم آخر الخلفاء العباسيين، وقتلوا أولاده وجميع أهله، وأحدثوا مجزرة عظيمة في عاصمة الخلافة العباسية، ولم يسجل التاريخ قبل ذلك مجزرة كهذه أبداً، حتى قيل بلغ عدد القتلى من المسلمين على أقل تقدير عند المؤرخين ٨٠٠ ألف مسلم، حتى كان المغولي المحارب يأخذ أربعين من المسلمين، فيقول لهم انتظروا هنا حتى آتي بسيف أقتلكم به، فينتظرونه ولا يتحركون، حتى يأتي بالسيف ويذبحهم، واستمرت هذه المذبحة أربعين يوماً، ثم أخذوا مكتبة بغداد بما فيها من كتب قيمة، وقد كانت أعظم مكتبة في العالم، فرموها في النهر، حتى قيل إنها من كثرتها عبروا عليها بخيولهم إلى الضفة الأخرى، فكان ذلك قمة في الهمجية، ونتيجة الذل والترف والصراعات التي عمت المسلمين بسبب انحرافهم عن منهج الله تعالى، وحرصهم على الدنيا، وتركهم الجهاد في سبيل الله عز وجل.

مرة أخرى نرى حركة العلماء ودورها في إصلاح أمر الأمة والمحافظة على عزتها، فبدونهم تبقى الأمة نائمة خاملة.

كان حاكم المغول وقتها "هولاكو"، وكان قائد الجيوش التي فتحت بغداد رجلاً صنديداً يدعى "كتبغا" وكانوا يسمونه "شارب الدماء"، وخاف المسلمون في الشام ومصر من هذه الهجمة الشرسة التي لم يُشهد مثلها، فقام العالم العظيم "العز بن عبد السلام" سلطان العلماء في مصر فأعلن عزل الخليفة المنصور ابن العشر سنين، وأعلن الخلافة لـ "قطز" بشرط أن يعلن الجهاد، فأذعن "قطز" وأعلن الجهاد، وأفتى العز بن عبد السلام أن الجهاد صار فرض عين على كل مسلم ومسلمة.

وفي هذه الأثناء تحرك المغول نحو الشام، فاستسلمت لهم دمشق بدون قتال، فتوجهوا نحو حلب، فقاوم أهلها، ولكنهم فتحوها بالقوة والبطش، وقتلوا في حلب ١٠٠ ألف مسلم، واتجهت بعدها أطماع المغول نحو مصر، وأرسل "هولاكو" حاكم المغول عن طريق قائد جيشه "كتبغا" رسالة إلى الملك المظفر سيف الدين قطز يقول له فيها: "..اتعظوا بغيركم، وأسلموا لنا أموركم، فنحن لا نرحم من بكى، ولا نرق على من اشتكى، ليس لكم أرض تؤويكم، ولا طريق تنجيكم، ولا بلاد تحميكم، فما لكم من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص، الحصون عندنا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ودعاؤكم علينا لا يسمع.."

ولما تلقى "قطز" رحمه الله رسالة "هولاكو" أخذ هؤلاء الرسل الذين جاؤوا بالرسالة، فقتلهم ومزقهم، ثم قطع رؤوسهم وعلقها على باب زويلة، واستعان بالله تعالى وتوكل عليه، ونشر العلماء والدعاة في مصر يعلنون الجهاد، ويطلبون من الناس الاستعداد لملاقاة الأعداء، وبدأ الناس يتجمعون من كل مكان، وتحرك قطز نحو فلسطين، وكان المغول قد نشروا قواتهم فيها وسيطروا على كامل أجزائها، ولكن قطز وصل غزة، ولقي مقاومة مغولية صغيرة فيها، فقضى عليها بسرعة، وفي اليوم التالي تحرك نحو عين جالوت.


المغول يحتلون بغداد ويظهر في الصورة عمود مصنوع من الجماجم



عـام ٦٥٨ هـجـري
١٢٦٠ مـيـلادي

معركة عين جالوت

في يوم الجمعة ٢٥ رمضان من عام ٦٥٨ هجري الموافق ١٢٦٠/٩/٦ ميلادي، وفي مكان يدعى عين جالوت شمال شرق فلسطين، التقى جيش قطز بجيش المغول، وكان المغول أكثر خبرة وبطشاً وعتاداً، أضف إلى ذلك المعنويات العالية التي كانوا يتمتعون بها، حيث أنهم لم يهزموا في معركة قط، وكانت أعدادهم تفوق أعداد المسلمين بفارق كبير، وكانت طرق إمداداتهم قريبة وميسرة، ومواضعهم العسكرية أفضل، بينما كان قطز بعيداً عن إمداداته، متوغلاً في فلسطين، ليس معه إلا جيش متواضع من المسلمين، من بينهم العلماء والدعاة، ولكنه كان جيشاً مؤمناً تائباً، أعمل فيه العلماء الوعظ والتوبة إلى الله تعالى، بالإضافة إلى قائد مؤمن حريص على نصرة دين الله، والجيش كله هدفه الجهاد في سبيل الله تعالى ونيل الشهادة أو العزة والنصر.

ولما استعد الجيشان في يوم الجمعة للقتال، توقف "قطز" عن القتال، فاستغرب الناس، ثم أعلن قائلاً: إننا لن نقاتل إلا بعد صلاة الجمعة، ولم تكن عليهم صلاة جمعة حينها، ولكنه قال: نقاتل بعد صلاة الجمعة حتى يكون لنا دعاء المسلمين في الأرض، وهذا ما حدث فعلاً فقد قام المسلمون في شتى الأرجاء يدعون لجيش المسلمين.

وبدأ القتال العنيف، واحمرت الحدق، وثار الغبار يعلو رؤوس المقاتلين، ودخل المغول في جيش المسلمين حتى وصلوا إلى خيمة قطز، وضربوا زوجته "جلنار حب الرمان"، فصدهم المسلمون فتراجعوا عنها، وطار قطز نحو زوجته فرآها تكاد تموت، فقال: "وا حبيبتاه"، فقالت: "لا تقل وا حبيبتاه، بل قل: وا إسلاماه"!

رحم الله تلك المرأة العظيمة، فقد أدركت أن الحب الأعظم هو حب الله تعالى وهذا الدين العظيم، فصارت قولتها تلك خالدة تحرك الرجال قبل النساء، وعسى الله أن

يجعل النساء المسلمات يقتدين بها في تعليم الشباب والفتيات قول: "وا إسلاماه" بدل قول: "واحبيبتاه".

ثم إن قطز قام من فوره فقاتل قتالاً شديداً حتى سقط فرسه، فاستمر يقاتل على رجليه، فجاءه أحد أبطال المسلمين من المماليك، وعرض عليه أن ينزل عن فرسه ليركبه قطز، فرفض وقال له أن يبقى ويأتيه بفرس آخر، فأصر عليه الفارس أن يركب مشيراً أنه إذا قتل انهارت معنويات الجند، فقال له قطز قولته العظيمة: "أما أنا إن قتلت فمآلي إلى الجنة، وأما الإسلام فإن له رباً لا يضيّعه". وأتاه الرجل بفرس آخر فركبه.

واستمر قطز يقاتل بهذا الإيمان والشجاعة حتى قدّر الله له النصر، وقتل المسلمون قائد المغول "كتبغا"، فلما سمع قطز بمقتل "كتبغا" نزل ومرغ وجهه بالتراب شكراً وحمداً لله رب العالمين على هذا النصر المبين، وبدأ يتبع المغول في الشام، وأصاب المغول الهلع والخوف الشديد من جيش المسلمين الذي دب فيه الحماس والإيمان لقتال الكفار، واستمر يتبعهم نحو دمشق خمسة أيام، وظل المغول في فرار مستمر أمامه، حتى تركوا كل شيء من خوفهم، تركوا أموالهم وأسراهم وكل ما يملكونه، وكانوا فقط يريدون النجاة بأنفسهم، وخلال شهر واحد فقط استعاد قطز كل بلاد الشام وفر المغول أمامه، ولم يتوقفوا إلا في بخارى، وهكذا امتن الله تعالى عليهم بهذا النصر المؤزر، وخلّص الله بلاد المسلمين من شر المغول وهمجيتهم.

وبعد هذا النصر العظيم، بدأ قطز يعدّ العدة لتحرير الممالك النصرانية الساحلية، وهي عكا وبيروت وطرابلس وأنطاكيا، ولكنه وفي طريق عودته من بلاد الشام مات مقتولاً، اغتاله أحد الخونة، قيل إنه نائبه "بيبرس"، غير أن الدلائل تشير أنه لا علاقة لـ "بيبرس" بذلك، ولم يُعلم قاتله.



المماليك



جندي مغولي



عـام ٦٦٢ هجـري
١٢٦٤ مـيـلادي

المماليك يحررون المدن من النصارى

بعد وفاة "قطز" تولى أمور الحكم من بعده نائبه القائد "بيبرس"، وبدأ هذا مباشرة بالتوجه نحو فلسطين من جديد، وفي عام ٦٦٣ هجرية استطاع أن يحرر قيسارية وحيفا، وحاصر في العام التالي عكا عاصمة النصارى، ولكنها صمدت أمامه لقوة حصونها وشدة قتال النصارى فيها، وبعد عدة محاولات فاشلة قرر تركها والتوجه نحو صفد، وتم له فتحها، وتابع القتال حتى وصل يافا في عام ٦٦٦ هجرية، ففتحها، ثم توجه نحو الشام.

لقد ترك "بيبرس" عكا وبعض الممالك النصرانية وراءه واتجه شمالاً نحو أنطاكية بهدف زعزعة ملك النصارى في بلاد الشام، وفعلاً وصل أنطاكية وأسقطها في خمسة أيام فقط، وكانت أنطاكية تعتبر أكبر الممالك النصرانية في الشام، وحدثت بسقوط أنطاكية هزة عظيمة في أوروبا وفي الممالك النصرانية في فلسطين، فما كان من النصارى إلا أن أرسلوا إلى المغول يطلبون مساعدتهم، كما أرسلوا إلى أوربا يطلبون الإمدادات، أما المغول فما استطاعوا سوى إرسال قوات صغيرة بسبب مشاكلهم الداخلية، وبسبب خوفهم من المسلمين لقرب الهزيمة المنكرة التي ألحقها بهم الملك "قطز".

وأما أوربا فقررت إرسال الإمدادات، ولكن "بيبرس" استمر في فتوحاته، فحرر حصن الكرك، وكان هذا الحصن من أمنع حصون طرابلس وأقواها، وبعد فترة وجيزة وصلت الإمدادات من أوروبا، ووصلت أيضاً القوات المغولية لمساندة النصارى، وتجمعت قوى الشر ضد المسلمين.



عـام ٦٧٠ هجـري
١٢٧٢ مـيـلادي

الهدنة مع النصارى

أدرك "بيبرس" أنه لا بد من المفاوضات بعدما وصلت الإمدادات للنصارى من أوربا والمغول، فطلب التفاوض مع النصارى، ووافق الطرفان على هدنة لعشر سنوات، يُبقي كل من الطرفين ما تحت يده من البلدان أثناءها، وهدأت الأمور ووضعت الحرب أوزارها بهذه الهدنة، غير أن "بيبرس" توفي بعد الهدنة بست سنوات رحمه الله تعالى بعد أن أعاد معظم فلسطين.

ترك "بيبرس" بعد وفاته مملكة شاسعة تمتد من البحر الأسود إلى المحيط الهندي، ومن الفرات إلى تونس، وتولى الحكم من بعده مملوك آخر هو "قلاوون"، ثم انتهت الهدنة بين المسلمين والنصارى عام ٦٨٢ هجرية، فطلب "قلاوون" تجديد الهدنة مرة أخرى من جديد، لأن المغول عادوا للهجوم مجدداً على أطراف المملكة الإسلامية، فخشي "قلاوون" من عقد تحالف جديد بين النصارى والمغول.

مئذنة من العهد المملوكي



عـام ٦٨٨ هجـري
١٢٨٩ مـيـلادي

تحالف الخونة والنصارى والمغول

ولم يخب ظن قلاوون ، ففي عام ٦٨٨ هجرية اتفق النصارى مع المغول في السر، وساعدهم حاكم دمشق الذي عينه المماليك والياً عليها، فخانهم وتحالف هذا المسلم مع النصارى والمغول، وتجمع جيش من أعظم الجيوش يبلغ تعداده ٨٠ ألف مقاتل من النصارى والمغول، وتوجه هذا الجيش لملاقاة "قلاوون".

ووقعت معركة عظيمة بين الجيشين، وينصر الله جيش المسلمين، وانكسر هذا التحالف، ولاحق "قلاوون" فلول الجند، وفتح إمارة طرابلس، ولكنه لم يستطع دخول عكا أيضاً لقوة حصونها، وشعر النصارى في عكا بقوة جيش "قلاوون" وخطره عليهم، فجعلوا يخرجون من حصونهم ويعتدون على المسلمين في كل مكان، ثم يعودون سريعاً للتحصن في عكا، ولما رأى "قلاوون" ذلك أصر على أن يفتح عكا لأن كل خطر النصارى كان يكمن فيها.



المغول المفسدون في الأرض



عـام ٦٨٩ هجـري
١٢٩٠ مـيـلادي

تحرير عكا وانتهاء الحروب الصليبية

أعلن "قلاوون" الجهاد في سبيل الله لفتح عكا، وأعلن النصارى بالمقابل الحرب الصليبية على المسلمين، وتوجه "قلاوون" بجيش عظيم من مصر نحو عكا، وتجمع النصارى من الممالك النصرانية في عكا لحمايتها، ولكن "قلاوون" توفي في الطريق قبل أن يصل إلى فلسطين، وتولى الحكم من بعده ابنه "الأشرف خليل" والذي أسماه قلاوون: "خليل صلاح الدين" تيمناً بصلاح الدين الأيوبي.

وشعر النصارى بالخطر يحدق بهم، فأرسلوا إليه يفاوضونه لعقد هدنة، فرفض واستمر بالزحف نحوهم، وأرسل إلى أهل الشام لمساندته، فجاءته جموع منهم، وبدأ حصار عكا في عام ٦٩٠ هجرية والموافق ١٢٩١/٥/١٨ ميلادية، وبعد حصار قوي بإذن الله تعالى فتفتح عكا على يد "الأشرف خليل صلاح الدين" ابن "قلاوون"، ويحرر هذا القائد عكا وكذلك باقي أرض فلسطين، معلناً بذلك إنهاء الوجود الصليبي في فلسطين بعد ٢٠٠ سنة من دخولهم إليها، وبقيت فلسطين تحت حكم أسرة "قلاوون".



عام ٦٩٠ هجري
١٢٩٠ ميلادي

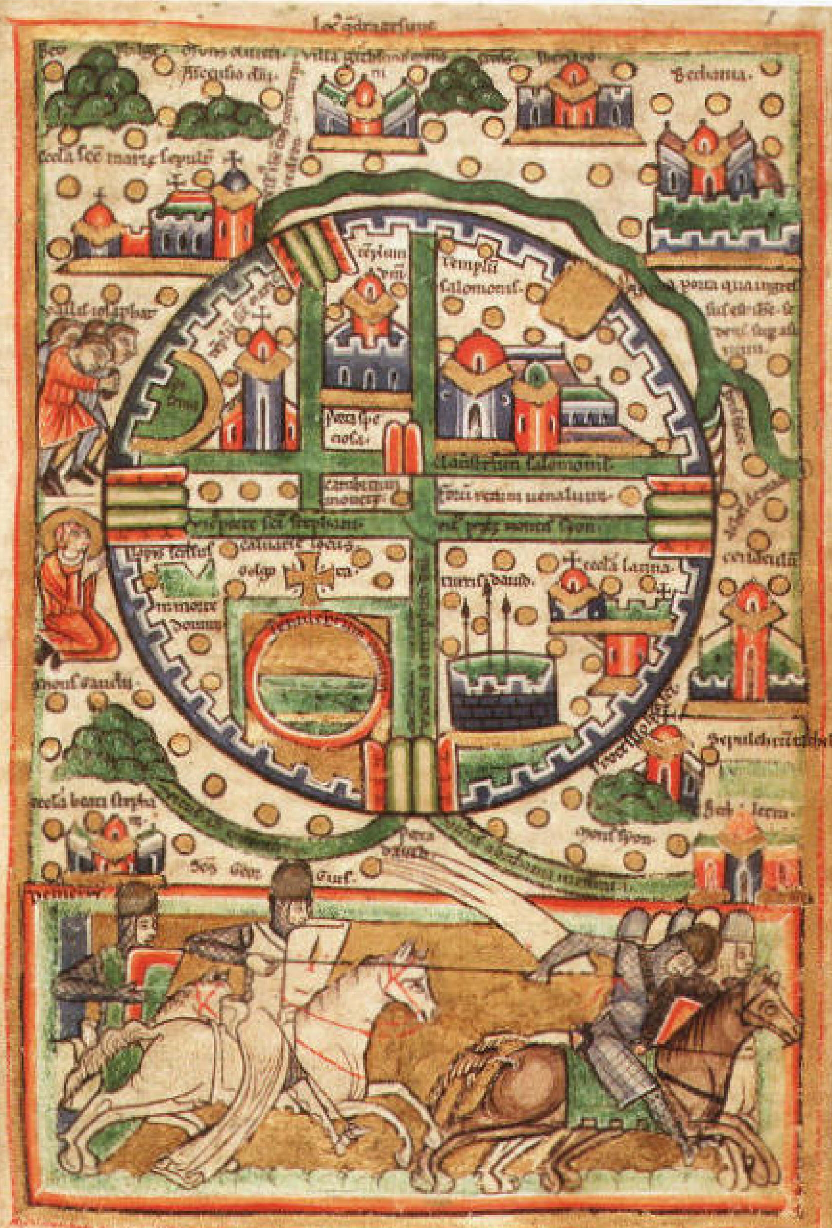
اضطهاد اليهود في أوربا

في هذا العام أمر الملك "إدوارد الأول" بطرد اليهود (الكفار) من بريطانيا، ولعل هذا يدفعنا إلى الإشارة أن اليهود لم يحكموا فلسطين سوى ٩٩ عاماً، أما المسلمون فقد حكموها لأكثر من ١٢٠٠ عام، أضف إلى ذلك بأن فترات حكم المسلمين للأرض المقدسة كانت دوماً فترات ازدهار وانتعاش للحضارة والناس، أما فترات اليهود البسيطة فقد كانت فترات دمار وتشريد ونكبات شهدتها الأرض المباركة، وإننا نضيف إلى ذلك أيضاً أن الفترات التي عاشها اليهود في فلسطين في ظل الإسلام إلى جانب المسلمين والمسيحيين كانت جميعها فترات اتسمت بالتسامح الديني، بينما كان اليهود يعيشون في أوربا فترة اضطهاد ديني وتعذيب وإذلال كبير.

ظهور العثمانيين

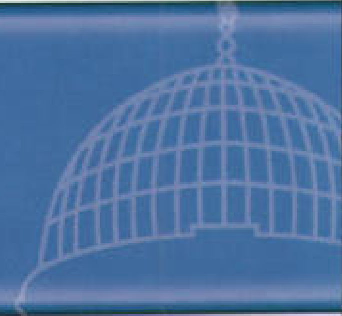
في هذه الأونة بدأت مملكة دولة المماليك تضعف بعد أن كانت قد توسعت توسعاً عظيماً، فشملت الحجاز ومصر والشام وبلاد المغرب العربي، وامتدت سيطرتها إلى معظم أجزاء الوطن العربي، وفي نفس الوقت كانت الدولة البيزنطية المسيحية أيضاً بدأت تضعف، وبدأ ظهور العثمانيين لأول مرة بقيادة ملكهم "عثمان" واستقروا في آسيا الوسطى التي هي تركيا وما حولها، ثم ما لبثوا أن سيطروا على تلك المناطق.

خريطة نادرة للقدس بريشة فنانين أوربيين


Koninklijke Bibliotheek © National Library of the Netherlands

خريطة تعبيرية تصف الحروب الصليبية كما يتخيلها فنان يوناني





الباب الثالث

العهد العثماني وحكم الإنجليز



الباب الثالث

العهد العثماني وحكم الإنجليز

الفصل الأول

فلسطين في العهد العثماني

١- العهد العثماني الأول

٢- الثورة الفرنسية وعهد نابليون

٣- الخديوي محمد علي باشا

١ العهد العثماني الأول



عام ٧٠٠ هجري
١٣٠٠ ميلادي

بداية العثمانيين

في هذا العام استطاع الأتراك العثمانيون أن يحلوا محل الأتراك السلاجقة، حيث أسلفنا أن تركيا كانت تحت حكم السلاجقة، فاستطاع هؤلاء أن يسيطروا على آسيا الوسطى ويحكموا دولة الترك، ولكن بقي المماليك يسيطرون على مصر والشام وفلسطين.



مسجد عثماني في إسطنبول



عام ٧٠٦ هجري
١٣٠٦ ميلادي

فرنسا واليهود

أما في أوربا فقد استمر اضطهاد اليهود ففي عام ١٣٠٦ م قام "فيليب" ملك فرنسا بطرد اليهود من فرنسا، وخيَّرهم بين الدخول في النصرانية أو القتل أو السجن أو النفي، فقام حاخام يهود فرنسا بإصدار أوامره لليهود في فرنسا بالتظاهر بالنصرانية، فكان لذلك عظيم الأثر في تغيير حياة اليهود في أوربا، حيث بدأ اليهود بالتظاهر بالنصرانية، وجعلوا يرتقون في مجتمع النصارى، وتعمقوا بين الكاثوليك، وتقلَّد كثير منهم المناصب النصرانية الهامة، فأمرهم الحاخام اليهودي أن ينصرفوا عن الزراعة والصناعة، ويصبُّوا جلَّ اهتمامهم على التجارة، لأنه علم أن المال هو العصب المسيطر والضمانة الأكيدة لبقائهم في أوربا.

ومنذ ذاك الوقت واليهود يعملون على جمع المال واحتكار أسواق التجارة الرابحة في البلدان التي يقطنون بها، لعلمهم بأن المال مصدر القوة، وبه يتمكنون من تحقيق غاياتهم في السيطرة.

أما في فلسطين فقد استمر المماليك في السيطرة عليها، وكانت لهم فيها أعمال عظيمة، منها أنهم جعلوا طلاء قبة الصخرة من الذهب على عهد الملك الناصر "محمد قلاوون"، وفي عهد هذا الملك بلغ حكم المماليك أوجه، وكذلك بلغت الدولة العثمانية أوجها أيضاً.



السلاجقة الأتراك



عام ٨٥٥ هجري
١٤٥١ ميلادي

السلطان محمد الفاتح

لقد كان يحكم الدولة العثمانية في هذا العام السلطان "محمد الفاتح" رحمه الله تعالى، والذي شن هجوماً على الدولة القسطنطينية بعد اعتلائه للعرش في عام ١٤٥١ م، وفي عام ١٤٥٤ م استطاع هذا الملك أن يفتح القسطنطينية استانبول التي استعصت على المسلمين لأكثر من ستمائة سنة، وكان هذا يعد نصراً إسلامياً مؤزراً، ولو كان على يد العثمانيين، فقد كان انتماؤهم كلياً للإسلام، وبهذا الفتح بدأ التوسع الإسلامي في أوروبا، ودخل العثمانيون عدداً من دول أوروبا، كاليونان وبلغاريا والبوسنة والهرسك، وأخذ السلطان محمد الفاتح يوسع ملكه في أوروبا.



السلطان محمد الفاتح



عام ٨٧٨ هجري
١٤٧٣ ميلادي

التسامح الإسلامي

في هذا العام وقع خلاف بين المسلمين واليهود في عهد السلطان "قايتباي" المملوكي، وكان هذا الخلاف محتدماً حول ملكية دار واقعة بين كنيس لليهود ومسجد للمسلمين في حارة اليهود، حيث ادعى المسلمون أن هذه الدار من حقوق المسجد، وزعم اليهود أنها للكنيس، ورفع الأمر إلى القضاء الإسلامي، وسجل أروع الأمثلة التاريخية في نزاهة القضاء الإسلامي حين حكم أن هذه الدار لليهود، وسجلت هذه الدار من أوقاف اليهود.

لقد شاهد اليهود هذا التسامح الإسلامي والعدل والرحمة في أرض المسلمين، بينما كانوا مضطهدين وملاحقين في أوروبا، غير أنهم على مر العصور لم يقيموا لهذا وزناً أو يعرفوا له قيمة.



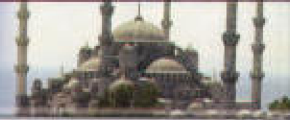
عام ٨٨٦ هجري
١٤٨١ ميلادي

صراع المماليك والعثمانيين

في هذا العام توفي السلطان محمد الفاتح رحمه الله، وتولى السلطان "بايزيد" العثماني حكم العثمانيين، واحتدم خلاف شديد بين هذا الأخير والسلطان "قايتباي" المملوكي، ولم تنجح كل الوساطات الرامية لتهدئة الطرفين، فكان من أثر ذلك أن جهز المماليك حملة ضد العثمانيين في عام ٨٩٠ هجرية الموافق ١٤٨٥ ميلادي تم فيها تجنيد أهالي المدن الفلسطينية وتم مصادرة الأموال والدواب، مما أدى إلى إثارة نقمة شديدة من الفلسطينيين على المماليك، وزاد من هذه النقمة أن أمر السلطان المملوكي في عام ٨٩٨ هـ بزيادة حسن التعامل مع اليهود وليس فقط في فلسطين ولكن في كل الأرجاء، فزاد ذلك من نقمة أهل فلسطين على المماليك، واستعدادهم لقبول الحكم العثماني.



فتح القسطنطينية





عام ٩٢٠ هجري
١٥١٤ ميلادي

هزيمة الصفويين والمماليك

وفي نفس الوقت قام صراع آخر بين العثمانيين والصفويين الذين كانوا في العراق وإيران، واستطاع العثمانيون في عام ١٥١٤ ميلادي أن يهزموا الصفويين، وصارت الدولة العثمانية تحيط بالدولة المملوكية من كل اتجاه. وفي عام ٩٢٢ هجري الموافق ١٥١٦ ميلادي حصلت المعركة المشهورة في التاريخ والتي تسمى "مرج دابق" بين العثمانيين والمماليك، واستطاع العثمانيون في عهد السلطان سليم الأول أن يهزموا المماليك ويفتحوا الشام وفلسطين، وتمت لهم السيطرة على معظم بلاد الشام والعراق، لذا انحصر المماليك في مصر.

وبعد هذا الانتصار انتبه السلطان سليم الأول لتحركات اليهود الخطيرة في فلسطين، فأصدر فرماناً (قانوناً) في سنة ١٥١٦ م يحرم هجرة اليهود إلى سيناء وإلى فلسطين، لأنه أحس بتوجههم للسيطرة مجدداً على الأرض المقدسة، وسمح لهم بأن يسكنوا ما شاؤوا من الأراضي العثمانية فيما عدا منطقتي سيناء وفلسطين.



خوذة تركية



عام ٩٢٣ هجري
١٥١٧ ميلادي

انتهاء دولة المماليك

في هذا العام هاجم السلطان سليم الأول المماليك في عقر دارهم، فشن هجوماً عليهم في مصر، وهزمهم في معركة "الريدانية" معلناً بذلك سقوط دولة المماليك وانتهاءها، ثم دخل السلطان القاهرة وضم أملاك المماليك إلى ملك الدولة العثمانية، فبلغت بذلك الدولة العثمانية أوج توسعها، وصارت أعظم دولة في العالم وقتها.



قلعة في العهد المملوكي



عام ٩٤٣ هجري
١٥٣٧ ميلادي

السلطان سليمان القانوني

تولى حكم الدولة العثمانية في هذا العام السلطان سليمان الثاني المسمى والشهير في التاريخ بـ "سليمان القانوني"، والذي بنى أسوار القدس ورمم الصخرة، فكان من أعظم السلاطين العثمانيين، ولكنه استمر على سياسة من سبقه في منع سكنى اليهود في فلسطين وسيناء، لقد غدا واضحاً عند القادة العثمانيين قضية طمع اليهود في ارض فلسطين، لذلك حرصوا على منعهم من ذلك.

وبالرغم من أن اليهود كانوا في هذا الوقت قد طردوا من إسبانيا، وزاد اضطهادهم في أوربا، فإن العثمانيين قد سمحوا لليهود بالسكن والإقامة في أي مكان شاؤوا من الأرض العثمانية عدا الأرض المقدسة، فكان ذلك منتهى التسامح والعدالة، ولكن مع وعي كامل لسياسات اليهود القديمة الطامعة في احتلال القدس، وتجدر ملاحظة تعامل اليهود معنا اليوم بالرغم من السجل الحافل التاريخي لتسامح المسلمين معهم، واضطهاد الغرب لهم.



العثمانيون يفتحون أوربا



معركة من حروب العثمانين



سليمان القانوني يفتح أوربا



عام ١٠٧٥ هجري
١٦٦٥ ميلادي

يهود "الدونمة"

لكن اليهود لم يركنوا طويلاً لهذا الوضع الذي فرضه عليهم العثمانيون، وظهر أول تنظيم جديد لهم في عام ١٦٦٥ م على يد يهودي تركي اسمه "شبتاي تاسفي" بتوجيه فكري خاص، فأعلن هذا اليهودي بداية حركة يهودية في تركيا، وبدأ يجمع اليهود الأتراك في تركيا وينظمهم، وجعل يطالب بعودة اليهود إلى فلسطين، ثم تجرأ هذا التنظيم للخروج في مظاهرات صاخبة في تركيا. عندها أمر السلطان بالقضاء على هذه الحركة اليهودية، وفعلاً قمعت هذه الحركة بعنف، ولما رأى اليهودي "شبتاي تاسفي" رئيس الحركة ذلك القمع، أمر اليهود الأتراك أن يفعلوا مثل ما فعل قرناؤهم في أوربا، فأمرهم بالتظاهر بالإسلام، ونشأت حركة جديدة يهودية سرية خبيثة باسم "يهود الدونمة"، وسارع أتباع هذه الحركة بمساعدة رجال الأعمال والمال بالتغلغل في المناصب العثمانية حتى وصلوا إلى مناصب عظيمة في الدولة العثمانية.



السلطان العثماني

٢ الثورة الفرنسية وعهد نابليون



عام ١٢٠٣ هجري
١٧٨٩ ميلادي

البروتستانت وحركة إصلاح المسيحية

وفي هذه الأثناء انتشرت في أوربا حركة الإصلاح الديني المسيحي باسم حركة البروتوستانت، والتي تشكل منها فيما بعد المذهب الديني المسيحي البروتوستانتي، وهو المذهب المسيطر على أمريكا وكثير من دول أوروبا اليوم، وقد أسسها القسيس الشهير "مارتن لوثر".

هذه الحركة أنشأها اليهود ونظموا لانتشارها وتوسعها، وكانت فكرتها التركيز على الإيمان بالعهد القديم، ومن المعلوم أن الإنجيل يحتوي على العهد القديم والعهد الجديد، أما العهد القديم فيحمل تعاليم موسى عليه السلام، والعهد الجديد يحمل تعاليم الحواريين، وكلاهما وقع فيه تحريف شديد، أما هدف هذه الحركة الإصلاحية فقد كان ينصب على التركيز على أن الدين الحقيقي هو في العهد القديم أكثر من العهد الجديد لكثرة الانحرافات فيه، وأشاع أتباع هذه الحركة أنهم يستعدون لعودة المسيح، وتزعم هذه الحركة يهود تظاهروا بالنصرانية، ومن هذا المنطلق دعا أولئك للعودة للتوراة لكونها تهتم بالعهد القديم، وروّجوا فكرة أن أهل فلسطين الحقيقيين هم اليهود، وأن دور النصارى مساعدة اليهود في العودة إلى فلسطين، وانتشرت هذه الحركة الإصلاحية سريعاً في بريطانيا وفي ألمانيا وهولندا، ثم انتقلت إلى أمريكا، وظهرت طبقة جديدة من الناس يسمون بالنصارى الصهاينة، وهؤلاء هم نصارى على الحركة البروتوستانتية يدعون إلى التمسك بالعهد القديم ويدعون إلى عودة اليهود إلى فلسطين، ويعتبرون أن هذا الأمر هو من أصول دين النصارى، وهو ليس كذلك أبداً ولكن اليهود الذين تظاهروا بالنصرانية وتغلغلوا بينهم أشاعوا هذه الفكرة واختلقوها، وتوّج هذا الأمر وتطورت هذه الأحداث إلى أن وصلت مداها في عهد الثورة الفرنسية التي قامت سنة ١٢٠٣ هجري الموافق ١٧٨٩ ميلادي وقضت على الحكم الملكي في فرنسا، ثم تبنت هذه الثورة المذهب البروتوستانتي وأيدت أفكاره.

كانت نتائج الثورة الفرنسية كبيرة على أوربا، ويعتبر البعض أن هذه الثورة هي بداية أوربا الحديثة، فانتشرت الفكرة القومية، وانتشرت أيضاً الأنظمة العلمانية التي تفصل الدين عن الدولة، وانتشرت من فرنسا هذه الحركة إلى أنحاء أوروبا، ثم بدأت الثورة الصناعية وبرزت الفكرة العلمانية بشكل كبير، تحت شعار: "حكم الشعب للشعب بالشعب، وعزل الدين عن الدولة".



مارتن لوثر - المصلح النصراني كان في البداية متعاطفاً مع اليهود ثم انقلب عليهم ودعا لتدمير معابدهم ونشر كتابه: كذب اليهود



عام ١٢٠٥ هجري
١٧٩١ ميلادي

إصلاح اليهودية والنصرانية

غير أن أهم ما جاءت به هذه الثورة هو ما أصدره قادة الثورة الفرنسية في هذا العام من قوانين تنص على إعطاء اليهود حق المساواة، وهم الذين كانوا مضطهدين قروناً عدة في أوروبا، والذين يعتبرهم النصارى قتلة المسيح، وإن كان ذلك من كذبهم فإن المسيح عليه السلام لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله إليه، ولكن النصارى يعتقدون أن اليهود قتلوه، وبعد أن كان العداء شديداً بين النصارى واليهود، بدأت تظهر وتنمو العلاقات الوثيقة بين النصارى واليهود، وما زالت تنمو حتى اليوم، بدأت هذه العلاقات بالحركة الفرنسية، وأعطي اليهود كافة حقوق المواطنة في أوروبا، وخاصة في أوروبا الغربية، وبرزوا سياسياً واقتصادياً وإعلامياً، حتى وصل أحدهم ليكون رئيساً لوزراء فرنسا.

وهكذا نجحت حركة التظاهر بالنصرانية والتغلغل من خلال النصرانية في الوصول إلى المناصب العليا، وأعاد اليهود مكانتهم السابقة في أوروبا بعد اضطهاد وحرب طويلة عانى منها اليهود كثيراً، على عكس قرنائهم في بلاد المسلمين حيث يسود التسامح معهم وحرية الاعتقاد والإقامة في ظل الحكم العثماني.

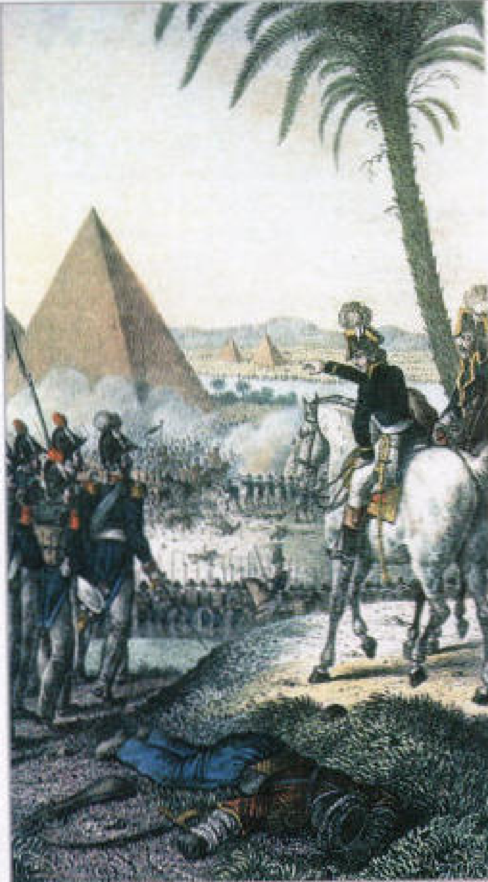


عام ١٢١٣ هجري
١٧٩٨ ميلادي

نابليون يتوجه إلى مصر

وفي الشهر السابع من سنة ١٧٩٨ م استطاع "نابليون" الفرنسي أن يكتسح أوروبا وتوجه بعدها إلى مصر التي كانت تحت حكم العثمانيين، وبفترة وجيزة جداً، وبدون مقاومة، استطاع "نابليون" أن يحتل مصر، وانكشف بهذا الضعف الشديد الذي حل بالعثمانيين، ولما رأى "نابليون" هذا الضعف تحرك فوراً لاحتلال فلسطين، ولم يجد أيضاً مقاومة تذكر.

غير أن بريطانيا التي كانت ذات نفوذ واسع في العالم آنذاك، بدأت تخشى من هذا التوغل والتوسع الفرنسي، فحركت أسطولها المعروف بأنه أعظم أسطول في العالم نحو فلسطين، واحتدم الصراع على فلسطين من ثلاث قوى، العثمانيون الذين كانت لهم السيطرة الأولى على المنطقة، وفرنسا بقيادة "نابليون" الذي جاء من مصر قاصداً احتلال فلسطين، وبريطانيا بأسطولها البحري التي جاءت لإيقاف التوسع والخطر الفرنسي، والتي كانت لها أيضاً مطامعها الخاصة بهذه المنطقة من العالم.



نابليون يدخل مصر



عام ١٢١٤ هجري
١٧٩٩ ميـــلادي

نابليون في فلسطين


نابليون بونابرت

ولما أدرك "نابليون" هذا التسابق نحو المنطقة استعجل وبدأ يحتل قرى فلسطين قرية تلو الأخرى حتى وصل في ١٧٩٩/ ٣/١٨م إلى عكا وضرب حولها حصاراً، ووصل البريطانيون في هذا الوقت ليشاهدوا أن الصراع قد وقع بين العثمانيين والفرنسيين، فقرروا أن يتركوهم ويراقبوا هذا الصراع عن كثب، ولما كانت الجهة الأضعف هي العثمانيين، جعل الأسطول البريطاني يدعم العثمانيين ضد الفرنسيين، وذلك بغية إضعاف الطرفين، وقدموا المساعدة لقائد عكا "أحمد باشا الجزار" لتحصين عكا، فاستطاع بذلك أن يصمد أمام الفرنسيين، واستمر حصار عكا ثلاثة أشهر ما استطاع "نابليون" خلالها أن يفتح عكا، بل سقط له خمسة جنرالات من قادة جيشه، وكذلك ٢٢٠٠ قتيل، و ٢٥٠ جريحاً، ففكر "نابليون" عندها في حيلة عظيمة فأصدر في ٤/٤ من نفس العام وأثناء حصار عكا بياناً يدعو فيه اليهود في العالم للاستيطان في فرنسا، وكان يقصد من وراء ذلك أن يكسب الدعم اليهودي، وفعلاً دعمه اليهود في أوربا وفي أنحاء العالم، ذلك أن "نابليون" كان أول من وعدهم أن يأخذوا فلسطين، وذلك قبل وعد بلفور.

وجعل اليهود بعد ذلك يتحركون لدعم نابليون، فترك عكا وبدأ بهذا الدعم المالي والمعنوي اليهودي في العالم وخصوصاً تركيا، بدأ بالتوسع في المنطقة، فقام باحتلال نابلس والرملة وسار مسافات كثيرة في فلسطين، لكن عكا ظلت وراءه، غير أنه خشي من التوغل كثيراً خوفاً من الإنجليز الذين كانوا وراء حصون عكا البحرية.

ثم إن نابليون بدأ يدعو اليهود في العالم للانضمام إلى جيشه في حملته على مصر لأنه كان ينوي أن يستمر بالتقدم نحو الشرق بعد أن ينتهي من مصر وفلسطين، وبدأ اليهود يستجيبون لهذه الدعوة الفرنسية بالانضمام إلى نابليون، غير أن هذا الأمر لم يكتمل، فقد أصاب جيش نابليون وباء خطير فتك بأعداد كبيرة من جيشه، بالإضافة إلى أن عكا ظلت غير مفتوحة، فاضطر في ١٧٩٩/٥/١٧ أن ينسحب من فلسطين إلى مصر، كما أنه خشي من الإنجليز الذين كانوا يتربصون به في


نابليون بونابرت يراقب موت جنوده في حصار عكا

المنطقة من جانب، والعثمانيين من جانب آخر، ففضل بناء على هذه الظروف الانسحاب، وكان لديه أثناء هذا الانسحاب ٣٠٠٠ أسير عثماني، ولم يكن يستطيع أن يتدبر أمرهم، فما كان منه إلا أن أطلق عليهم النار في يوم واحد، وبكل بساطة وبلا قوانين تحكم هذه الحروب أو اتفاقيات أو أخلاقيات.

وهكذا انتهى الوجود الفرنسي في فلسطين، وعاد نابليون إلى مصر وبقي فيها، ولكن ليس طويلاً، فقد قامت في وجهه ثورات قام بها علماء المسلمين من أئمة الأزهر، وكذلك وصلت الأنباء بوجود اضطرابات وأحداث خطيرة في فرنسا، اضطر معها نابليون إلى الانسحاب أيضاً من مصر.

وبذلك انتهت الحملة الفرنسية على المشرق، ولكن هذا كان بداية الوعد لليهود بالرجوع إلى فلسطين، ولم يكن عددهم في هذا العام يتجاوز خمسة آلاف يهودي في أرض فلسطين، ولكنهم تلقوا دعماً كبيراً من نابليون، وعادت آمالهم وطمعهم يتجلى في الأرض المقدسة.



نابليون بونابرت يواجه خلافات حكومته حول حملته على مصر

٣ الخديوي محمد علي باشا


البنادق من العهد العثماني

وبعد خروج الفرنسيين عاد الأتراك مرة أخرى إلى فلسطين، وتم تعيين التركي "محمد علي باشا" ذو الأصل الألباني والياً على مصر وسُمي بالخديوي، و"الخديوي" لقب لحكام مصر الذين يعينهم الأتراك، وطبعاً الخديوي يجب أن يكون تركياً، ولما تمت سيطرة محمد علي باشا على مصر، وكان يعلم بضعف الدولة العثمانية، توجهت أطماعه الشخصية لتوسيع ملكه نحو فلسطين، وليستقل عن الأتراك، واخترع حججاً واهية، وتحرك فوراً نحو فلسطين.

أما العثمانيون فقد حركوا فوراً جيشاً لمواجهة محمد علي باشا، وقام القتال بين الأتراك في فلسطين ومصر، واستطاع محمد علي باشا أن يهزم العثمانيين ويسيطر على فلسطين ويضمها إلى مصر، فدخلت فلسطين في حكم الخديوي محمد علي باشا، ولكنه أعلن أنه مازال تابعاً للدولة العثمانية، وذلك إدراكاً منه بخطورة المواجهة، ولكن هذه التبعية كانت شكلية، غير أن الخطباء كانوا يخطبون باسم الخليفة على المنابر، ويدعون للسلطان العثماني، ولكن دولة محمد علي باشا كانت في حقيقة الأمر دولة مستقلة حقيقة في مصر وفلسطين.

لم تتوقف أطماع محمد علي باشا عند هذا الحد، فقام بفرض التجنيد الإلزامي على أهل مصر وفلسطين، وفرض الضرائب والرسوم الكثيرة، واستعان باليهود كي يدعموه، لأنهم كانوا يملكون المال الكثير، وكذلك استعان أيضاً بالنصارى، فقدموا له الدعم، وكذلك وجدوا في ذلك فرصة للتغلغل في جسد هذه الدولة المسلمة.

ولكن المسلمين من أهل فلسطين ومصر لما رأوا شدة ظلم الخديوي محمد علي باشا، واستعانته باليهود والنصارى، قاموا بثورة عظيمة عليه، ولكنه استطاع أن يهزمهم ويقمع ثورتهم، وبسط سيطرته وملكه حتى بلغت أطراف الشام.


محمد علي الخديوي يحكم مصر ويقمع ثوراتها


عام ١٢١٩ هجري
١٨٠٤ ميلادي

بريطانيا والخديوي واليهود

وشعرت بريطانيا من طرفها بهذه القوة الجديدة في منطقة الشام ومصر، وكانت بريطانيا تخطط لانهيار الدولة العثمانية، ولكنها ما كانت تريد أن تستبدل الدولة العثمانية بدولة عثمانية جديدة، أو دولة خديوية، فتدخلت بريطانيا لحماية العثمانيين من الخديوي محمد علي باشا، وفعلاً تدخلت في هذا العام عسكرياً في سوريا للضغط على الحكم المصري حتى لا يتوسع أكثر من ذلك، وكان ذلك تخطيطاً في منتهى الخبث على عادة بريطانيا، فهم دائماً يدعمون الضعيف ضد القوي حتى ينهار الطرفان.

غير أن أحداثاً عظيمة كانت تدور في بريطانيا في نفس الفترة، حيث ظهر رجل اسمه "موشيه مونتيبوري" وهو ضابط في قصر الملكة "فكتوريا" ملكة إنجلترا، وكان لهذا الضابط رجل أعمال يهودي اسمه "روتيالد"، ومازال آل روتيالد وحكمهم المالي لبريطانيا ظاهراً حتى اليوم، لقد صاهر آل روتيالد هذا الضابط صاحب الرتبة العالية، وتم بهذه المصاهرة عقد التحالف بين المال والسلطة في بريطانيا، وبذلك بدأ هذا الضابط ينظم أول حملة ظاهرة لاستيطان اليهود في فلسطين.



عام ١٢٤٣ هجري
١٨٢٨ ميلادي

مشروع "مونتيبوري"

في هذا العام ظهر ما يسمى بمشروع "موشيه مونتيبوري"، حيث استطاع هذا الضابط البريطاني، وبمساعدة من الدولة البريطانية من جهة والجمهورية الفرنسية من جهة أخرى، استطاع الضغط على الدولة العثمانية كي تصدر فرمانات عثمانية تسمح لليهود بالاستقرار في فلسطين وإنشاء مؤسسات لليهود في فلسطين.



عام ١٢٤٤ هجري
١٨٢٩ ميلادي

مخطط اليهود لاستيطان فلسطين

ثم إن هذا اليهودي وفي هذا العام اتفق مع زعماء اليهود في إنجلترا وإيطاليا ورومانيا والمغرب وروسيا للتعاون على قيام المشروع اليهودي لجعل فلسطين موطناً لليهود، وفي هذه الفترة كانت الدولة الخديوية قد بدأت تقوى أركانها أكثر، ولكنه قام صراع بينها وبين أنصار محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في الجزيرة العربية، وكان القائد العسكري الرئيسي لمحمد علي باشا هو ابنه إبراهيم.



عام ١٢٤٧ هجري
١٨٣١ ميلادي

الخديوي يوسع ملكه

قام إبراهيم محمد علي باشا بتوسيع ملك أبيه وسيطر على الشام والحجاز وجزء من الجزيرة، وتوسعت الدولة الخديوية كثيراً على حساب الدولة العثمانية، وكذلك زاد النفوذ اليهودي بمساعدة الخديوي، لأنه كان يستعين بهم وبمالهم، وبدأ الضغط على مسلمي الشام وفلسطين بفرض المزيد من الضرائب وفرض التجنيد الإلزامي.

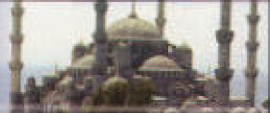


عام ١٢٥٠ هجري
١٨٣٤ ميلادي

ثورة القدس على الخديوي

وفي هذا العام قام عشرة آلاف من أهل القدس بثورة على حكم إبراهيم محمد علي باشا الذي كان يحكمهم نيابة عن أبيه، وقامت حامية القدس الخديوية بقمع أهل فلسطين، وحدثت معارك هائلة، فتحصن إبراهيم محمد علي باشا بحصون القدس، وضاق الحصار على إبراهيم، فاستعان بأبيه في مصر، فحرك محمد علي باشا ثلاث كتائب من مشاة، وكتيبتين من الفرسان قادها بنفسه نحو فلسطين، وسانده اليهود والنصارى، وبالتعاون بين الحامية الخديوية في داخل القدس والجيش المصري استطاع أن يقضي على هذه الثورة، ولكنها بلا شك أحدثت زعزعة عظيمة لحكم الخديوي في فلسطين.

قدمت بريطانيا في هذه الفترة طلباً للدولة العثمانية لإنشاء قنصلية لها في القدس، واستخدمت نفوذها السياسي كي تقنع الخديوي بالموافقة على هذا الطلب، وتم افتتاح القنصلية فعلاً في القدس، وكانت أول رسالة وجهتها الحكومة البريطانية إلى القنصلية البريطانية تقضي بتقديم الحماية لليهود في القدس.



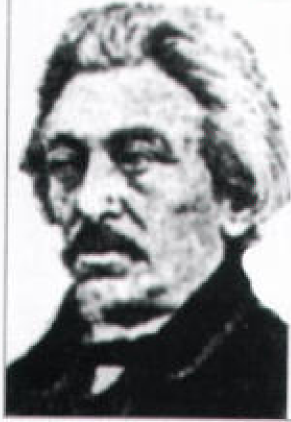


عام ١٢٦١ هجري
١٨٤٥ ميلادي

بريطانيا وفرنسا تدعم اليهود

وعقب ذلك تجرأت بريطانيا وبدأت تطالب الدولة العثمانية أن تستخدم نفوذها لإقناع الخديوي لطرد سكان فلسطين وإسكان اليهود مكانهم علناً، ولكن الخديوي بدا يقظاً لتحركات البريطانيين واليهود، وعقد العزم ألا يسمح بازدياد التوسع اليهودي في فلسطين.

وفي هذه الأثناء كان اليهود يزداد نفوذهم في الوصول للمناصب في أوروبا، واستطاع اليهود أن يؤسسوا جمعية التحالف الإسرائيلي العالمي في فرنسا بشكل علني، ونشأ النظام العالمي اليهودي، وبعد ذلك بعامين قام اليهودي الألماني "موسيه هس"، وهو من الأسماء الشهيرة في التاريخ اليهودي، قام بنشر كتابه "روما والقدس" ودعا فيه إلى ما سماه بالقومية اليهودية، وقد كانت اليهودية حتى ذلك الوقت ما تزال مجرد دين، ولكنها الآن بدأت تعتبر قومية يهودية.



موسيه هس المبشر بالدولة اليهودية ١٨٦٢

صورة من أحد الأفلام لتجمع يهودي يسمى شتلت في بولندا التي تسامحت مع اليهود في القرن السابع عشر فتجمع فيها نصف مليون من فقراء اليهود



الباب الثالث

العهد العثماني وحكم الإنجليز

الفصل الثاني

عهد السلطان عبد الحميد الثاني

١ السلطان يواجه اليهود



عام ١٢٩١ هجري
١٨٧٤ ميلادي

حكم السلطان عبد الحميد الثاني


السلطان عبد الحميد الثاني

وازداد النفوذ اليهودي في فرنسا وانتشر من فرنسا إلى عدة دول أخرى، وفي عام ١٨٧٤ م نال اليهود كامل حقوقهم السياسية في معظم أوروبا بعد أن نالوها في الثورة الفرنسية، وفي هذا العام تولى حكم الدولة العثمانية السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله تعالى، واستطاع أن يمد نفوذه إلى فلسطين، وتقهقر الخديوي إلى مصر وانحصر حكمه فيها، وقام السلطان عبد الحميد الثاني بتنظيم الدولة، فأصدر الدستور العثماني، وعقد البرلمان، وأقام الشورى، وأشرك العرب في الحكم، ولكن مع بقاء السيطرة بيد الأتراك، وعقد أول مجلس نواب عثماني في عام ١٨٦٧ م - ١٢٧٠ هـ وشارك العرب لأول مرة بقوة فيه، ولأول مرة يشارك نائبان من القدس، حيث انتخبا للمشاركة في البرلمان التركي الذي يحكم الدولة العثمانية.



عام ١٢٩٣ هجري
١٨٧٦ ميلادي

وفي هذا العام كان عدد اليهود قد ازداد حتى وصل إلى ١٤٠٠٠ يهودي، واستطاعوا بعد ذلك بعامين (١٨٧٨ م) أن ينشؤوا أول مستعمرة لهم في "بيتاح تكا"، إلا أن السلطان العثماني بعد أن استقر له الحكم بدأ يراقب حركة اليهود عن كثب.

ظهور اللاسامية في روسيا

وفي بقعة أخرى من العالم، وتحديداً في روسيا، والتي كانت تحت حكم قيصر روسيا الإسكندر الثاني، حصلت هناك مؤامرات خطيرة جداً، ذلك أن اليهود في روسيا كانوا يدبرون لاغتيال قيصر روسيا الإسكندر، ولكنه استطاع أن ينجو من عملية الاغتيال هذه، وقام على أعقابها بحركة قمع وانتقام شديد من اليهود، ومارس عليهم ضغطاً شديداً لإجبارهم على الهجرة من روسيا، وظهرت حركة تسمى "اللاسامية" أي العداء لأي شيء من أصل سامي، والأصل السامي هو أصل اليهود، وكذلك هو أصل العرب، ولكن اليهود كانوا أكثر شهرة بهذا الأصل في روسيا، فمن هنا بدأ ظهور وذكر هذه الحركة التي سميت "اللاسامية" .

وكانت أعداد اليهود في روسيا كبيرة جداً تقدر بالملايين، ولكن العدد الأكبر منهم كان في أوربا، وظهرت مشكلة كبيرة في مكان لجوء هؤلاء اليهود، وقامت إثر ذلك جماعة تسمى حركة "أحباء صهيون"، وكان من جهودها قيام الدول الأوروبية وخاصة فرنسا وبريطانيا باسترحام الدولة العثمانية التي كانت مجاورة للدولة الروسية لكي تسمح لليهود بالهجرة إلى الامبراطورية العثمانية، وتحت هذا الاسترحام وتحت التسامح الإسلامي سمح السلطان عبد الحميد الثاني لليهود بسكنى الدولة العثمانية، ما عدا فلسطين، والتي كان مسموحاً لهم من قبل الإقامة فيها، ولكن السلطان عبدالحميد الثاني لم يسمح لهم بالسكنى في فلسطين.

أمريكا تظهر على الساحة

وفي أول ظهور لدولة أمريكا على الساحة السياسية العالمية، يتدخل السفير الأمريكي لدى السلطان عبدالحميد ويعاتبه على هذا الشرط في منع اليهود من الإقامة في فلسطين، ولم تكن أمريكا حتى ذلك الوقت سوى دولة معزولة ليس لها أي نشاط عسكري أو سياسي في العالم، ولكنها تدخلت لصالح اليهود في أول ظهور لها، ولكن السلطان عبد الحميد رحمه الله تعالى رد على طلب السفير الأمريكي بقولته الشهيرة:

(إنني لن أسمح لليهود بالاستقرار في فلسطين مادامت دولة الخلافة العثمانية قائمة)



عام ١٢٩٨ هجري
١٨٨١ ميلادي

منع اليهود من السكن في فلسطين

وبناء على قرار الدولة العثمانية زحف اليهود نحو أرض الدولة العثمانية، ولكن لم يسمح لهم بدخول فلسطين من عام ١٨٨١ م وحتى عام ١٩١٤ وقت نشوء مشكلة اليهود في روسيا، وقد هاجر في هذه الفترة ما يقارب ٢,٥ مليون يهودي جاؤوا من روسيا وأروبا، وسكن هؤلاء في الدولة العثمانية وبالذات في تركيا، وهاجر بعضهم إلى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، ولم يتسلل نحو فلسطين سوى ١٥٥ ألف يهودي، يشكلون نسبة ٢ ٪ من مجموع اليهود الذين هاجروا، وعلى ذلك فإن سياسة السلطان عبد الحميد رحمه الله تعالى في منع اليهود من سكنى فلسطين تعتبر ناجحة، ولكنه أيضاً سمح لليهود في العام التالي بزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين دون استيطانها، ونظراً لاضطهاد اليهود في بعض الدول الأوروبية، فقد استطاع جماعة منهم أن يهاجروا إلى شمال فلسطين ويؤسسوا أول مستعمرة لهم هناك، وتم ذلك بسرية وبهدوء شديدين.



عام ١٢٩٩ هجري
١٨٨٢ ميلادي

نمو الحركة الصهيونية

تحركت بريطانيا في هذا العام نحو مصر، والتي كان يحميها الخديوي وتتبع رسمياً للدولة العثمانية، واستطاع البريطانيون احتلال مصر.

وفي هذه الفترة أيضاً أسس المليونير اليهودي الفرنسي "ادمن ديروتشالد" حركة دعم مالي للاستيطان اليهودي في فلسطين.

وفي هذا العام كذلك نشر "ليوب نسكر" وهو يهودي كتاباً بعنوان: "التحرر الذاتي" دعا فيه اليهود لرفض فكرة الانصهار في الدول التي يعيشون فيها، وحارب هذه الفكرة التي كانت بدأت بالرواج في أوساط اليهود، وقال في كتابه إن التحرر الحقيقي لليهود يكون في إنشاء مركز قومي لليهود يكون دولة ووطناً لهم، فظهرت فكرة إنشاء دولة لليهود.

وبذلك تزايدت أعداد اليهود المتسللين إلى فلسطين، وظهرت بعض المستعمرات، ولكنها كانت بعيدة عن الأنظار، إلا أن أهل فلسطين انتبهوا لهذا التحرك اليهودي، وبدأت حركة مقاومة له من داخل فلسطين.


عام ١٣٠٣ هجري
١٨٨٦ ميلادي

السلطان يدير فلسطين مباشرة

وعلى أثر ذلك حدث أول صدام مسلح بين الفلاحين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود، وبدأت بعض الصحف العربية تنشر تحذيرات من خطر اليهود في فلسطين، وتشدد على خطر نيّتهم في الاستيطان في فلسطين، وأحسّ السلطان عبد الحميد بهذا الخطر، ولكن فلسطين كانت تابعة للشام في نظام الحكم العثماني، وكانت تسمى "سنجق"، فأصدر السلطان مرسوماً يقضي بفصل "سنجق" أي فلسطين عن الشام، بحيث تتبع له مباشرة، فصارت بذلك تحت إشراف الحكومة العثمانية التركية، والتي كانت تسمى آنذاك "الباب العالي"، وباشر السلطان عبد الحميد إدارة فلسطين بنفسه، وعلم السلطان بأن هذا الاستيطان ما كان ليزداد لو أنه روقب مراقبة دقيقة.

ثم إن السلطان عبد الحميد بدأ يضغط على اليهود لحملهم على مغادرة فلسطين، غير أن بعض الدول الأوروبية جعلت تمارس ضغوطاً عليه للسماح لهم بالاستقرار في فلسطين، ولكن بدون إنشاء مستعمرات، بل بشكل فردي.


عام ١٣٠٥ هجري
١٨٨٨ ميلادي

منع الهجرة اليهودية

وتحت هذه الظروف قام السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله في هذا العام بإصدار القانون العثماني والذي يقضي بمنع الهجرة اليهودية الجماعية إلى الأراضي العثمانية ومنع الزائرين من البقاء في فلسطين أكثر من ثلاثة أشهر حتى الفرادى منهم.


عام ١٣٠٨ هجري
١٨٩١ ميلادي

منع بيع الأراضي لليهود

وبعد هذه السياسة الناجحة التي اتبعها السلطان عبدالحميد، واستقرار الأمر في فلسطين أمر الخديوي "عباس حلمي" في مصر أن يتابع شؤون الساحل في فلسطين نظراً لانشغال السلطان بقضايا أخرى هامة.

ومن جهة أخرى قامت ردود فعل في أوربا تجاه قرار السلطان، ففي ألمانيا قام البارون "مورس بيهرش" الألماني اليهودي بتأسيس رابطة الاستعمار اليهودي، وأعلن بدء الهجرة اليهودية إلى فلسطين، واستغل اليهود الألمان ضعف الخديوي في مراقبة الساحل، وبدؤوا يهاجرون نحو فلسطين، وشرعوا في بناء مستوطنات يهودية فيه.

وعاد السلطان عبد الحميد فانتبه إلى تحرك اليهود الجديد، فأمر بإعادة تبعية فلسطين والساحل إليه مباشرة، وأرسل قوة عثمانية من تركيا لطرد اليهود الألمان من الساحل الفلسطيني، وأتبع ذلك بأن أصدر في عام ١٨٩٢ م - ١٢٨٦ هـ مرسوماً يقضي بمنع بيع الأراضي لليهود حتى ولو كانوا من أهل فلسطين.

ولكن الدول الأوربية عادت لتمارس الضغوط الشديدة على السلطان كي يسمح لليهود بشراء الأراضي ولكن بشرط عدم التجمع في مستعمرات، ولكنه لم يخضع لهذا الضغط أو يغير شيئاً من مواقفه لأنه كان يعلم نيّة اليهود المبيتة في استيطان فلسطين والسيطرة عليها.



إمبراطور ألمانيا ويلهيلم الثاني، يتفقد مسجد قبة الصخرة المشرفة أثناء زيارته للقدس عام ١٨٩٨ م

٢ "هرتزل" والحركة الصهيونية



عام ١٣١٤ هجري
١٨٩٦ ميلادي

كتاب الدولة اليهودية لهرتزل

وبقي هذا الوضع قائماً بمنع اليهود من سكنى فلسطين حتى عام ١٨٩٦ م حيث ظهر إلى الساحة السياسية اسم "ثيودور هرتزل" اليهودي ذي الأصل المجري، والذي أعلن تأسيس رابطة الاستعمار اليهودي في فلسطين، وأصدر كتابه "الدولة اليهودية" ، ودعا فيه إلى إقامة دولة في فلسطين، فإن لم يتمكن اليهود من أمر فلسطين، فستكون الدولة اليهودية الجديدة في الأرجنتين.

وهنا تجدر ملاحظة أمر هام جداً، وهو أن كتاب "الدولة اليهودية" قد وضع خياراً آخر لدولة اليهود غير فلسطين، وهو الأرجنتين، وهذا يشير إلى أمرين هامين:

١- أن اليهود لم يكونوا واثقين من قدرتهم على التغلب على ثبات موقف الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد في منعهم من دخول فلسطين والإقامة فيها، وهذا يشير إلى قوة نوايا السلطان العثماني وصدقه وصلابة موقفه من القضية الإسلامية واليهود.

٢- أن أرض فلسطين لم تكن ذات قداسة مخصوصة لدى اليهود، فهم وضعوا اختياراً آخر بديلاً عنها، بل كانت غايتهم إقامة دولة فقط، وهذا يسقط دعواهم بأحقيتهم بأرض فلسطين وأنهم السكان الأصليون لها، وإلا لما وضعوا لهم اختياراً آخر غيرها.



ثيودور هرتزل زعيم الحركة الصهيونية



عام ١٣١٥ هجري
١٨٩٧ ميلادي

هرتزل يعرض شراء فلسطين

وفي العام التالي حدثت الحرب العثمانية اليونانية وأفلست الدولة العثمانية، وأمام هذه الأزمات الخانقة، تحرك "هرتزل" فجمع ملايين اليهود في أوروبا، وعرض على السلطان عبد الحميد عبر السفير العثماني في فيينا تبرعاً يهودياً ضخماً نظير السماح بهجرة اليهود إلى فلسطين، فجاء رد السلطان قوياً وصارماً، حين قال:

"إنني لا أستطيع التخلي عن شبر واحد من فلسطين لأنها ليست ملك يميني بل ملك شعبي، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه".



الحاخام صمويل موهيلفير مؤسس الصهيونية الحديثة ١٨٩٧

هذا الرد أفجع اليهود في كل العالم، وخلد التاريخ هذه العبارة التي أصبحت فيما بعد مقرونة باسم السلطان عبد الحميد رحمه الله تعالى.

أدرك "هرتزل" أنه لا يمكن دخول فلسطين في ظل وجود السلطان عبد الحميد، فأعلن عن عقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة "بازل" في سويسرا برئاسة هرتزل نفسه، وأنشأ فيه المنظمة الصهيونية العالمية، ومن قراراته أنه ليس لليهود سوى وطن قومي في فلسطين، وليس في الأرجنتين أو في غيرها، ومن ضمن قراراته الخطيرة أيضاً أنه في حالة استمرار رفض السلطان عبد الحميد المطالب الصهيونية فإن اليهود سيعملون على تحطيم الدولة العثمانية.

وكانت صحيفة "المنار" التي تصدر في القاهرة لصاحبها الشيخ "محمد رشيد رضا" اللبناني الأصل الذي استقر في مصر، كانت أول صحيفة تنبهت لخطر هذا المؤتمر الصهيوني، وبدأت تنشر المقالات المتتابعة للتحذير من خطر استقرار اليهود ونيتهم في إقامة دولة في فلسطين.

ثم توالت المؤتمرات الصهيونية فعقد في عام ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م المؤتمر الصهيوني الثاني في "بازل" بسويسرا مرة أخرى، وخرج بعدة قرارات منها: إنشاء البنك اليهودي، وتشجيع تعلم اللغة العبرية، وتفويض "هرتزل" في كيفية حمل الدول الأوروبية على مساعدة اليهود لإقامة دولة في فلسطين.



هرتزل يصافح مستشاره والمفكر الصهيوني الدكتور نورادو في المؤتمر الصهيوني الأول في بازل في سويسرا ١٨٩٧



عام ١٣١٦ هجري
١٨٩٨ ميلادي

ولم يكن السلطان عبد الحميد غافلاً عن كل هذه التحركات، فقد أصدر في هذا العام قانوناً يمنع اليهود من غير العثمانيين من زيارة فلسطين لأكثر من ثلاثين يوماً، وأمر باستخدام القوة لإخراج من يتجاوز هذه المدة منهم.

السلطان يواجه اليهود وبريطانيا

وقد أدرك اليهود كما أسلفنا أن السلطان عبد الحميد يشكل عقبة كبيرة تحول دون تنفيذ مخططاتهم، فأقاموا المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن، وأعلن "هرتزل" في خطابه الافتتاحي أن إنجلترا العظمى التي تطل بأراضيها على جميع بحار العالم هي الدولة التي تفهم حركة اليهود، وهي الدولة الأولى التي تمد يد العون والمساندة لهم.

واستجابت بريطانيا لممارسات اليهود، ومارست ضغطاً شديداً على السلطان عبد الحميد لإلغاء قانون منع الهجرة اليهودية إلى القدس، ولكنه أصدر قانوناً باستمرار هذه القوانين ومنع اليهود من الاستيطان بفلسطين، غير أنه سمح لهم بالاستيطان في شمال فلسطين فقط.



عام ١٣٢٢ هجري
١٩٠٤ ميلادي

هلاك هرتزل

استغل اليهود قانون السلطان بالسماح لهم بالاستيطان في شمال فلسطين، وقامت موجة هجرة يهودية في عام ١٩٠٣ واستقرت في فلسطين، واستمرت محاولات "هرتزل" المتكررة لثني السلطان عبد الحميد عن عزمه، ولكن "هرتزل" مات في عام ١٩٠٤ قبل أن يحقق مآربه.



قبر هرتزل زعيم الحركة الصهيونية (الذي نقل من أوربا إلى فلسطين)

٣ نهاية السلطان عبد الحميد



عام ١٣٢٣ هجري
١٩٠٥ ميلادي

الدولة الحاجزة

من ناحية أخرى عقدت الدول الاستعمارية (بريطانيا، فرنسا، هولندا، إيطاليا ...) في هذا العام مؤتمراً للدول الاستعمارية في العالم، وأصدر المؤتمر قراراً يعد من أخطر القرارات، فبعد أن اطلع المؤتمرون على تاريخ الأمم السابقة، ولاحظوا الانتصارات السابقة للمسلمين في الأرض، وسيطرتهم المطلقة، ولاحظوا أيضاً ضعف المسلمين وتقهقرهم، فاتفقوا على إنشاء ما يسمى بـ "الدولة الحاجزة" وهي التي تفصل دولة المسلمين إلى قسمين آسيوي وأفريقي، ودعمها بكل أشكال المساندة، وحتى يستمر التفرق في دولة الإسلام، ولا تقوم لهم وحدة صف جديدة، وكان الاقتراح منصباً على إنشاء دولة فلسطين كدولة تشطر الأمة الإسلامية، وتدعم استمرار خلافاتهم، وتضمن بقاء ضعفها وتفرقها. وبهذا نستبين المخطط الاستعماري في المنطقة العربية منذ ذاك التاريخ.

الكيبوتز - المستوطنات الأولى لليهود في فلسطين



عام ١٣٢٥ هجري
١٩٠٧ ميلادي

أتاتورك والاتحاد والترقي

وفي أثناء ذلك استمر اليهود في هجرتهم إلى شمال فلسطين، وفي هذا العام تمت إقامة أول "كيبوتز"، وهو نظام إستعماري زراعي تعاوني يقوم على مبدأ المشاركة في العمل والانتاج، ثم تحول إلى نظام يهودي انحلالي يُسمح فيه بالتعاشر الجنسي بلا زواج، وتم إنشاء مستعمرة كبيرة لذلك في شمال فلسطين.

لقد كان السلطان عبد الحميد يحاول بكل جهده أن ينهض بالدولة العثمانية، ومن خلال إدراكه لحركة اليهود ومساندة أوربا لهم، كان يحاول النهوض بأجزاء العالم العربي وربطه ببعضه، فقام بإنشاء سكك حديدية تربط بين مختلف المناطق، وتم في عام ١٩٠٨ م إكمال خط سكة الحديد الذي يبدأ من المدينة المنورة ويمر بفلسطين والشام إلى تركيا، واستطاع بهذه الطريقة أن يربط بين أجزاء الدولة العثمانية الهامة.

وضاق اليهود ذرعاً بتصرفات السلطان، فقرروا التآمر ضده والقضاء عليه، فتحرك اليهود من داخل الدولة التركية نفسها من خلال جمعية تسمى "جمعية تركيا الفتاة"، والتي كان لها ذراع اسمه "جمعية أو حزب الاتحاد والترقي" وكان من زعماء هذه الجمعية "مصطفى كمال أتاتورك" الذي كان يلقب بالغازي، والذي ظهر نجمه إبان الحرب العالمية الأولى في معارك "الدردنيل"، ثم بعد الحرب لما انتصر على اليونانيين (أو هكذا زعموا)، والاتحاد والترقي كان حزباً مستقلاً وحده.



كمال أتاتورك





عام ١٣٢٧ هجري
١٩٠٩ ميلادي

عزل السلطان عبدالحميد

استطاعت هذه الجمعية ومن خلال البرلمان التركي أن تجمع حولها مجموعة من زعماء العثمانيين، وبعد فترة قصيرة وصلت إلى الحكم فعلياً، وعزلت السلطان عبد الحميد، وصدر في الشهر السابع من هذا العام قرار من المفتي يقضي بعزل السلطان عبد الحميد، وحكمت تركيا لجنة الاتحاد والترقي، وعينت هذه اللجنة سلطاناً آخر يدعى "محمد رشاد" ثم جاء سلطان آخر يسمى "عبد المجيد محمد وحيد الدين"، وهو ابن السلطان محمد رشاد، غير أن الحكم الفعلي كان بيد لجنة الاتحاد والترقي، وتركّز النفوذ في الحكومة التركية بأيدي ثلاثة وزراء يهود من أصل ثلاثة عشر وزيراً، بينما يمثل العرب الذين يشكلون نصف سكان الدولة التركية وزير واحد فقط.

أتاتورك يحتل العاصمة

وبعد ذلك بستة أشهر قامت عدة ثورات شعبية تعترض على هذا التشكيل اليهودي الواضح، وقامت تلك الثورات ضد السلطان محمد رشاد وحزب الاتحاد والترقي، وقامت الثورة بقتل بعض زعماء الحزب، وإعادة السلطان، غير أن اليهود أوعزوا لـ "مصطفى كمال" الذي كان يدير الجيش للتحرك لقمع الثورة، فقام هذا الأخير بتسيير جيش عسكري من منطقة "سلانيك" إحدى القرى التركية، واحتل الجيش عاصمة الخلافة وأسقط السلطان مرة ثانية، وتم نفيه خارج الدولة العثمانية، وكان قائد هذا الجيش التركي عربي من العراق اسمه "محمود شوكت باشا" ويرأس أركانه "مصطفى كمال أتاتورك"، وهكذا تم تثبيت حكم اليهود في تركيا.

وبدأ حزب الاتحاد والترقي الحاكم بإصدار مجموعة قوانين، أولها طبعاً السماح بالهجرة اليهودية، وصدر هذا القرار في بلدة تل الربيع (تل أبيب حالياً) شمال يافا، ويقضي بالسماح لليهود بشراء الأراضي والسماح بالهجرة اليهودية.

وقامت الصحف العربية تعلن معارضتها لحصول اليهود على شيء في فلسطين، غير أن ذهاب السلطان عبدالحميد ترك المجال فارغاً وراءه لليهود ليعبثوا في مقدرات الأمة.

يقول السلطان عبد الحميد في مذكراته: "إن سبب خلعي هو إصراري على منع اليهود وإصرار اليهود على تأسيس وطن قومي لهم في الأرض المقدسة".



بدء انشاء مستوطنات اليهود في فلسطين



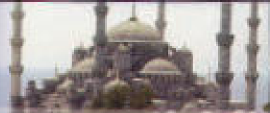
عام ١٣٢٩ هجري
١٩١١ ميلادي

صحيفة فلسطين

صدرت في هذا العام صحيفة فلسطين، ودأبت في مقالاتها تحذر من خطر وجود اليهود وأطماعهم في فلسطين، كما أنها كانت موجهة لعرب فلسطين بالذات، ومنذ ذاك الوقت المبكر أشارت الصحيفة أن الصهاينة يريدون السيطرة على أرض المعراج قرية بعد أخرى.

واستمرت جمعية الاتحاد والترقي تتحكم وتسيطر على مقاليد الحكم في الدولة العثمانية، كما استمر تحت رعايتها تغلغل اليهود وهجرتهم نحو فلسطين وإقامة مستوطنات متفرقة فيها، وإن كان البعض قد انتبه لهذا التحرك، غير أن الكثيرين كانوا في غفلة عن ذلك.

المسلمون في شوارع القدس
أثناء الحكم العثماني ١٩٠٨



قافلة من المسلمين في يافا في طريقهم إلى القدس ١٩٠٨



الباب الثالث

العهد العثماني وحكم الإنجليز

الفصل الثالث

الحرب العالمية الأولى وحكم الإنجليز

١ حركة الشريف حسين



عام ١٣٣٢ هجري
١٩١٤ ميلادي

العثمانيون يدخلون الحرب

في الشهر الثامن من عام ١٩١٤ م بدأت الحرب العالمية الأولى، ودخلت الدولة العثمانية حليفة في الحرب إلى جانب ألمانيا، ولم يكن ثمة مصلحة لتركيا في هذه الحرب، إلا أنها اشتركت فيها بغير حنكة أو سياسة، وقد أدخل الاتحاديون والضباط الاتحاديون الدولةَ العثمانية في الحرب بإيعاز من يهود الدونمة لإسقاطها. واشتعلت الحرب لتعم أنحاء أوروبا، ثم انتقلت إلى المشرق الإسلامي والعربي، ووقف العرب المسلمون إلى جانب العثمانيين على الرغم من العداء الذي كان مستفحلاً بين العرب والأتراك.

اليهود في فلسطين

وقبل أن نتحدث عن الحرب العالمية ونتائجها، يجب الوقوف هنا وقفة بسيطة لتبيان وضع اليهود في فلسطين حتى تاريخه:

١- في عام ١٨٥٠ م كان إجمالي عدد السكان حوالي ٥٠٠ ألف، وكان المسلمون يشكلون ٨٤ ٪ من هذا العدد، أما اليهود فكانت نسبتهم تعادل ٦ ٪ إلى مجموع السكان، وكانت نسبة النصارى ١٠ ٪.

٢- مع بداية الحرب العالمية الأولى كان عدد السكان قد وصل إلى ٦٩٠ ألف، وكان المسلمون لا يزالون أغلبية، وتشكل نسبتهم ٨٠ ٪، وازدادت نسبة اليهود لتصبح حتى ذلك الحين ٩ ٪، ولم تزد هذه النسبة كثيراً بالرغم من كل التسهيلات التي قدمها اليهود بمساعدة جمعية اليهود في الاتحاد والترقي، وأما النصارى فلم تزد نسبتهم عن ١١ ٪.

وبعد دخول العرب والأتراك في خضم الحرب العالمية، أدرك العرب أن الاتحاد والترقي ما هي إلا جمعية يهودية ماسونية، سيطرت على مقدرات الدولة العثمانية، وأن الحكم لم يعد حقيقة للإسلام، وشعروا بخطأ وقوفهم إلى جانب الأتراك في هذه الحرب، لأن الذي يدير أمور الدولة العثمانية الآن هم اليهود أنفسهم، والوقوف إلى جانب الدولة العثمانية في الحرب يعني الوقوف إلى جانب اليهود بشكل أو بآخر.



يهود يصلون عند حائط البراق أثناء الحكم العثماني ١٩٠٨



عام ١٣٣٣ هجري
الشهر الثالث من
١٩١٥ ميلادي



الشريف حسين

حركة الشريف حسين

وبناء على هذا الوعي العربي قامت تحركات يقودها الشريف حسين أمير الحجاز، وتعني كلمة الشريف أنه من النسب الشريف المنتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي من الأشراف.

فأرسل الشريف حسين ابنه فيصل إلى دمشق، وهناك انضم إلى جمعية مضادة للجمعية التركية، تدعى الجمعية العربية الفتاة، وكان موطن هذه الجمعية المناهضة للأتراك في سوريا، والتقى فيصل مع اتحادات الجمعية العربية الفتاة، ثم إنه انضم إليهم، وصار الاتفاق بين الطرفين على إعلان الثورة على الحكم التركي وإرجاع الخلافة للعرب، وجعلها في الأشراف سلالة النبي ولم يكن ثمة ما يدعوهم للقيام بالثورة سوى علمهم بوجود اليهود الأتراك على قمة الهرم في الدولة العثمانية، وعداء هؤلاء اليهود للإسلام والعرب والخلافة الإسلامية، هذا العداء الرهيب كان وراء هذه التحركات.

وفعلاً نجح الفيصل بن الشريف حسين في مهمته هذه، واستطاع الحصول على موافقة



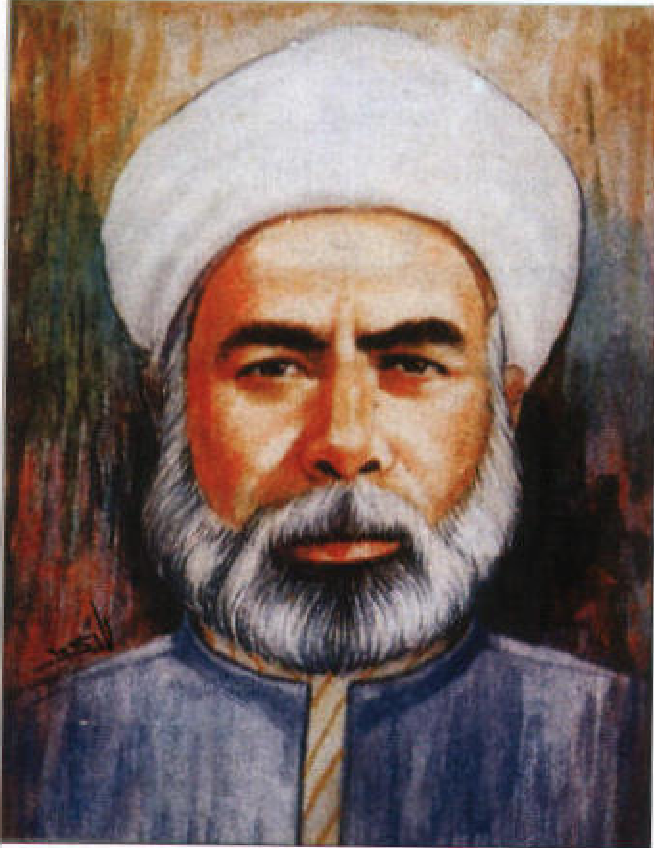
جمال باشا (السفاح) وهيئة أركان حربه



الشيخ جمال الدين الأفغاني

قيادات الشام لتأييده فيما لو أعلن أبوه الثورة على الأتراك، غير أن جمال الدين باشا، الوالي العثماني، كان قد أحس بهذه التحركات، فما كان منه إلا أن قبض على عدد من قيادات العرب في الشام، وعلقهم على المشانق فوراً، مما زاد موجة السخط والعداء عند العرب ضد الأتراك، لأن عموم العرب ما كانوا على دراية بتحركات الشريف حسين والاستعداد للثورة، فكان إعدام قيادات العرب سابقة خطيرة، وانتشرت الشائعات أن العثمانيين يقتلون القيادات العربية، ولما ذاع خبر الثورة انضمت أعداد كبيرة لها، وانضم إليها شخصيات عربية وإسلامية معتبرة في العالم العربي، ونذكر منهم هنا :

١- الشيخ محمد رشيد رضا، اللبناني الأصل، وصاحب جريدة المنار.
٢- الشيخ محمد عبده في مصر.
٣- الشيخ جمال الدين الأفغاني.
٤- الشيخ محب الدين الخطيب الشهير المعروف، صاحب المؤلفات الشهيرة.
٥- الحاج أمين الحسيني، والذي استطاع أن يحرك الآلاف في فلسطين والشام للانضمام إلى الثورة.
٦- الحاج سعيد الكرمي، مفتي طولكرم.



الشيخ محمد عبده

٧- الحاج سعيد الدين الخطيب، إمام المسجد الأقصى.
٨- وانضم إلى الثورة كذلك أعداد كبيرة من الإسلاميين في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

وبدأ التحضير لإعلان الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين، ولكنه أصر على إعطائها طابعاً عربياً، وليس طابعاً إسلامياً، ورفض تحويلها إلى ثورة إسلامية، وكان سئل عن سبب ذلك فقال: نحن عرب قبل أن نكون مسلمين.

وهو على الرغم من ذلك لم يتبنَّ المنهج العلماني في قضية فصل الدين عن الدولة، ولكنه قال: نحن نجاهد في سبيل الله وسبيل المحافظة على أحكام الدين الإسلامي من التحريف، ولتحرير العرب من الأتراك، فجمع بذلك الدين مع القومية، ولكنه استطاع أن يجمع العرب تحت قيادته.

٢ الثورة العربية الكبرى



١٣٣٣ هجري
الشهر السابع من
عام ١٩١٥ ميلادي

بدأت بريطانيا التي كانت تخوض الحرب العالمية ضد الألمان والأتراك، وفي الوقت نفسه تفاوض الشريف حسين للاستعجال بإعلان الثورة، وجعلت ترسل له الوفود، وتعده بقيام دولة عربية مستقلة تحت إمرته عند انتهاء الحرب.

ثم إنها أرسلت إليه أحد أخبث قيادات الإنجليز في ذلك الحين، وهو المشهور "لورنس العرب"، والذي استمر يحاول إقناع الشريف حسين بالاستعجال بقيام الثورة، ولكن الشريف حسين رفض القيام بأي تحرك عسكري إلى أن يصل إلى اتفاق مع بريطانيا ليعرف تفاصيل الدولة العربية التي سوف تقوم بعد الأتراك، وما هي حدودها وما هي المناطق التي ستدخل تحت إمرته.

لورنس العرب

غير أن بريطانيا جعلت تماطل في تزويد الشريف حسين بهذه المعلومات، وأصر هو على موقفه بعدم التحرك بالثورة حتى يتلقى جواباً شافياً لأسئلته، فقدمت أخيراً بريطانيا توضيحاً له كالتالي:

أعلنت بريطانيا له أن جنوب اليمن وإمارات الخليج تبقى في حكم بريطانيا، ولن تنضم إلى الدولة العربية المقترحة.

وأما جنوب العراق فسيكون له وضع إداري خاص يتبع بريطانيا أيضاً، وأما مناطق غرب الشام ما عدا لبنان (ولم تكن تسمى لبنان حتى ذلك الوقت) فتعود للشريف حسين.

واستثنت بريطانيا لبنان لوجود عدد كبير من النصارى فيه، وأرادت أن يكون لبنان موطئ قدم لها في هذه المنطقة.

الشريف حسين لم يعترض على إيضاحات بريطانيا إلا فيما يخص لبنان حيث أصر على بقائها ضمن المنطقة العربية، وتحت السيادة العربية لكونها تقع في قلب المنطقة، غير أن بريطانيا طلبت تأجيل المباحثات في هذا الأمر إلى حين انتهاء الثورة والقضاء على الوجود التركي في المنطقة.

ثم إن بريطانيا وبواسطة موفدها من المخابرات "لورنس العرب" طلبت الاستعجال مجدداً بإعلان الثورة، وبينما كانت تقوم بمباحثاتها مع الشريف حسين كانت تدبر أمراً آخر في السر ودون علم الطرف العربي.



موفد المخابرات البريطانية "لورنس العرب" إلى ديار العرب تمهيداً للحملة البريطانية على الوطن العربي

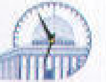


عام ١٣٣٤ هجري
١٩١٦ ميلادي

اتفاقية "سايكس بيكو"

كانت بريطانيا دولة استعمارية تعمل بخبث ودهاء شديدين، فقد كانت تفاوض الشريف حسين على المنطقة العربية، وفي نفس الوقت أبرمت اتفاقية أخرى مع فرنسا، وتعدّ هذه الاتفاقية من أخطر المؤامرات التي مرت على العالم العربي، وعقدت بين وزير الخارجية البريطاني "سايكس" ووزير الخارجية الفرنسي "بيكو"، وسميت فيما بعد باتفاقية "سايكس بيكو" نسبة لاسمي الوزيرين، وهذه الاتفاقية سرية تم فيها الاتفاق على التالي:

يتم تقسيم المنطقة العربية بحيث تكون العراق لبريطانيا، وكذلك الأردن ومنطقة حيفا وما حولها في فلسطين، وأما سوريا ولبنان فستكونان لفرنسا، وأما فلسطين فستوضع تحت إشراف دولي.



١٣٣٤/٧/٣٠ هجري
١٩١٦/٦/١ ميلادي

إعلان الثورة العربية الكبرى

وبينما هذه الاتفاقية تجري وافق الشريف حسين على إعلان الثورة في هذا التاريخ، وتم ذلك بتحالف معلن بين العرب والإنجليز ضد الدولة العثمانية واستطاع "لورنس العرب" أن يرتب جميع أمور الإعلان عن الثورة بالتنسيق مع المخابرات البريطانية.

ثم أعلنت الجمعيات العربية في الشام تأييدها للثورة، مثل جمعية العربية الفتاة، وعدد كبير كما ذكرنا من الرموز العربية والدينية في العالم العربي، وتحت الظلم التركي المحكوم باليهود، وانحرافات الحكومات التركية ومناهضتها وتحريفها للشريعة الإسلامية، قامت الجماهير العربية بالانخراط في هذه الثورة، أضف إلى ذلك علم العرب بأصول جمعية الاتحاد والترقي التركية، والتي كان يسيطر عليها كما أسلفنا الماسونيون ويهود الدونمة، الذين فتحوا باب الهجرة لليهود.

لم يكن أمر الثورة مستغرباً ولا منكراً على المسلمين والعرب، غير أن الخطأ الكبير الذي وقع فيه العرب هو ثقتهم في بريطانيا، وأملهم بها لتعطيهم الحرية من الأتراك، ولكنها كانت في الوقت نفسه تخطط لاحتلال الأرض العربية.

لم تبق اتفاقية "سايكس بيكو" سرية لفترة طويلة، فقد استطاعت الصحف المصرية أن تكشف هذه الاتفاقية وأعلنتها، وأصيب العرب بصدمة كبيرة، وكانت الثورة العربية قد بدأت، فأرسلت بريطانيا تطمئن الشريف حسين وتنفي كلام الصحف المصرية، غير أن الشريف حسين لم يكن يعوّل كثيراً على مصداقية هذا الكلام، لأنه كان قد ابتدأ الثورة ضد الأتراك، ولا مجال للتراجع بعد إعلان الثورة.



ضباط في الثورة العربية الكبرى

بداية الثورة العربية الكبرى



وتحركت الثورة، واستطاع "لورنس العرب" مع مجموعة من القوات العربية بقيادة الشريف فيصل بن الشريف حسين أن يقطعوا الصحراء العربية، وانضمت إليهم مجموعة من القبائل العربية المسلحة، فهاجمت ميناء العقبة.

وميناء العقبة كان ما يزال في يد الأتراك، وكان يشكل العقبة الرئيسية أمام دخول الإنجليز الذين سيطروا على مصر في ذلك الوقت بعد انتهاء معركة العلمين، وكانوا سابقاً يريدون احتلال فلسطين والشام، لكن الأتراك تصدوا لهم، وكان المعقل الأساسي للأتراك هو العقبة ، فاستطاع "لورنس العرب" مع هذه القبائل العربية والشريف فيصل أن يهاجموا العقبة من جهة البر، ولم يتوقع الأتراك هجوماً عربياً من الصحراء التي خلفهم، وسقطت العقبة في يد الثورة.

فوجئ الإنجليز بسقوط العقبة، وسارع "لورنس" إلى القاهرة ليخبر الجنرال "اللنبي" بسقوط العقبة، وأصبح الطريق ممهداً أمام الإنجليز إلى فلسطين والشام، وبدا السباق بين الجيش العربي وبين الجيش البريطاني لدخولها.

وفي هذه الأثناء، كانت بريطانيا تعقد حلفاً ثالثاً - إضافة إلى حلفها المعلن مع العرب والسري مع الفرنسيين- مع المنظمة الصهيونية العالمية للاتفاق على مستقبل فلسطين، وبسرية تامة، وبمنتهى الخبث والدهاء كانت بريطانيا تخطط على ثلاثة محاور.

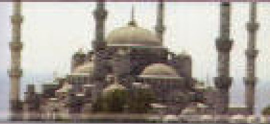
لقد كانت بريطانيا بحاجة للتحالف مع المنظمة الصهيونية لأسباب منها:

١- حاجة بريطانيا للنفوذ اليهودي في أمريكا بغية دفع أمريكا للمشاركة في الحرب العالمية الأولى.

٢- وجود نفوذ يهودي كبير وقوي ونصارى متصهينين في الحكومة البريطانية، وهذا النفوذ كان متمثلاً في رئيس الوزراء "جورج لويد" أو "اللورد جورج"، ووزير الخارجية "بلفور" وهذان الاثنان نصرانيان متصهينان، ووزير الداخلية "هربرت صمويل" اليهودي البريطاني، وتحت ضغط هؤلاء وافقت الحكومة البريطانية على إعطاء وعد بفلسطين للمنظمة الصهيونية .



السير هربرت صموئيل (صاحب الخوذة البيضاء) يطأ أرض فلسطين لأول مرة





عام ١٣٣٥ هجري
الشهر العاشر من
عام ١٩١٧ ميلادي

لينين والثورة الشيوعية

في هذه الأثناء كانت روسيا قد دخلت الحرب العالمية وبدأت تقاتل الألمان من جهة والعثمانيين من جهة، وخلال الحرب العالمية الأولى وفي الشهر العاشر من عام ١٩١٧ م استطاع "لينين" أن يقيم الدولة الشيوعية بمساندة يهودية كبيرة، ثم قام بإسقاط الحكم القيصري في روسيا . وتحت هذه الظروف الطارئة داخل روسيا والحاجة إلى ترتيب الوضع الداخلي، أعلن انسحاب روسيا من الحرب العالمية.



لينين يعلن قيام الدولة الشيوعية

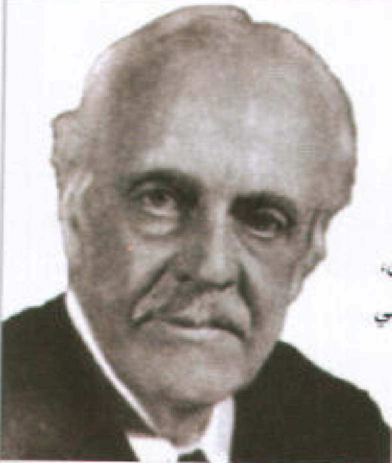


عام ١٣٣٥ هجري
١٩١٧/١١/٢ ميلادي

وعد بلفور

أما في المشرق العربي فقد قلنا إن الجيش العربي والجيش البريطاني قد تسابقا لدخول الشام، وقد استطاع الجيش العربي بقيادة الشريف فيصل والجيش البريطاني بقيادة "اللنبي" أن يدخلا فلسطين معاً، ثم تسابقا نحو دمشق ودخلا دمشق في يوم واحد أيضاً.

وكانت هذه الفتوحات بوادر خير للعرب الذين كانوا يتطلعون إلى إقامة دولتهم العربية الكبرى، وإعادة الخلافة إليهم، غير أنه في هذه الأثناء تصدر بريطانيا على لسان وزير خارجيتها الصهيوني النصراني "بلفور" وعده المشئوم في ١٩١٧/١١/٢ م - ١٣٣٥ هـ معلنة بذلك التزامها تجاه المنظمة الصهيونية العالمية بإقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين.



بلفور وزير الخارجية البريطاني

لقد أعطت بريطانيا هذا الوعد قبل أن تدخل القدس أو أن تنهي احتلالها لفلسطين، فكان أمراً عجيباً ومذهلاً للعرب، ولكن بريطانيا سارعت بعد ذلك فدخلت القدس واستولت على بئر سبع، وفي شهر ١٢ من عام ١٩١٧ م احتلت جنوب ووسط فلسطين ودخلت القدس.

وقال الجنرال " اللنبي " قائد القوات الإنجليزية في ١٩١٧/١٢/٩ م عندما دخل القدس: "الآن انتهت الحروب الصليبية"!

وبالرغم من أن الحروب الصليبية قد انتهت قبل ٨٠٠ سنة، إلا أنها بقيت مستمرة في قلوب الأوربيين طوال هذه الفترة، وعندما احتلوا القدس مرة أخرى اعتبروا أن الحروب الصليبية انتهت!

لم يكتم العرب غضبهم لسياسة وتصريح بريطانيا عن نواياها في المنطقة، وبعد تعيين الشريف فيصل ملكاً، قام بمفاوضات شديدة مع الإنكليز للتراجع عن التصريحات التي أطلقتها، وتبرير النوايا التي بدت ظاهرة للعيان، خصوصاً مع وجود الجيش العربي والجيش الإنجليزي كحلفاء في منطقة الشام.



ضباط صف بريطانيون يتوسطهم الجنرال اللنبي في فلسطين

٣ بريطانيا تخدع العرب



عام ١٣٣٦ هجري
١٩١٨ ميلادي

المؤامرات البريطانية

وعادت بريطانيا لتلعب لعبة جديدة، فصرحت للقادة العرب في شهر ٦ سنة ١٩١٨ أن الأراضي العربية التي تحتلها وهي فلسطين وجنوب العراق سوف تحكم وفق رغبات السكان، وأنها ستمنح الاستقرار للدول العربية التي كانت تحت السيادة العثمانية، وهي مناطق شمال فلسطين والأردن وسوريا ولبنان وشمال العراق.

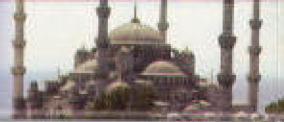
وانطلت هذه الأكذوبة الجديدة على العرب، وزاد تصديقهم لبريطانيا حينما سمحت للملك فيصل بن الشريف حسين بإعلان الدولة العربية من دمشق، بعد أن قامت بريطانيا باحتلال شمال فلسطين والأردن ولبنان وسوريا.

ولم يكن هذا الإعلان إلا إعلاناً شكلياً، إذ أن حقيقة الأمر أن القوة الحقيقية ما زالت بيد الإنجليز، ففي شهر ٩ من نفس العام أقنعت بريطانيا فرنسا بالتخلي عن تدويل فلسطين، حسب اتفاق "سايكس بيكو" الذي كان يقضي بأن تكون فلسطين تحت الحكم الدولي، وذلك بمقابل أن ترفع بريطانيا دعمها للملك فيصل زعيم الدولة العربية الجديدة، وتخلّي بين فرنسا وبين احتلال سوريا ولبنان.

وهنا يظهر المكر البريطاني، فقد كانت سوريا ولبنان المعقل الرئيسي للملك فيصل، فآثرت بريطانيا أن تترك الصراع حول المنطقة لفرنسا، وتخرج هي بسلام بما حظيت به من أملاك في المنطقة.

وشعر الملك فيصل بهذه المؤامرة، فسارعت بريطانيا مع فرنسا في ١٩١٨/١١/٧ م في إعلان ما يسمى بتصريح "الأنجلو فرنس" وتتعهد فيه الدولتان - فرنسا وبريطانيا - للعرب بالحرية والاستقلال!!.

معاهدة فرساي ١٩١٩ تعلن نهاية الحرب العالمية الأولى



نهاية الحرب العالمية الأولى

وفي نهاية هذا العام (١٩١٨ م) انتهت الحرب العالمية الأولى لتترك وراءها العالم العربي وقد مزقته الدول الاستعمارية، وتمزقت الدولة التركية أيضاً، وازداد النفوذ الصهيوني على مستوى العالم، وأضحت الدول الأوروبية ترعى المصالح اليهودية. وبقي العرب يطالبون بالاستقلال وإلغاء وعد بلفور، وإيقاف الهجرة اليهودية، وتحرير الأراضي العربية من كل استعمار أجنبي.

ورسمت الخارطة الجديدة لبلاد الشام، فاحتلت فرنسا سوريا ولبنان، وسيطرت بريطانيا على فلسطين، وسمحت لليهود بإنشاء الجامعة العبرية، وألقى الجنرال اللورد " اللنبي" بيانه الشهير بأن فلسطين لليهود.



الوفد اليهودي لمؤتمر فرساي للسلام ١٩١٩



عام ١٣٣٧ هجري
١٩١٩ ميلادي

المؤتمر العربي الفلسطيني الأول

وبعد أن تكشفت تماماً النوايا الاستعمارية لبريطانيا وفرنسا، تحرك العرب وأقاموا مؤتمرهم العربي الفلسطيني في ٢٧/١/١٩١٩ م للدفاع عن أرضهم، وصدرت عن هذا المؤتمر مجموعة من القرارات الرئيسية:

القرار الأول: رفض تقسيم الشام إلى دويلات حسب اتفاقية "سايكس بيكو".

القرار الثاني: اعتبار فلسطين جزءاً من بلاد الشام، وليست دولة مستقلة.

القرار الثالث: إعلان سوريا دولة مستقلة ضمن الوحدة العربية.

القرار الرابع: تشكيل حكومة وطنية فلسطينية.

ثم قررت الحركة الوطنية الفلسطينية بعد هذا المؤتمر أنها لن تلجأ للخيار العسكري المسلح، وأنهم سيقاومون المشروع الصهيوني وبريطانيا بالخيار السلمي، وذلك في محاولة إقناع بريطانيا بالعدول عن وعد بلفور بعد انتهاء الحرب العالمية.

ورغم كل هذه التصريحات العربية، إلا أن الوضع استقر تماماً لبريطانيا وفرنسا، ثم دعت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى إلى عقد مؤتمر للسلم.

العرب يتخلون عن فلسطين

وفي باريس عقد في ١٩١٩/٢/٦ م مؤتمر سمي مؤتمر الصلح، وشارك الملك فيصل بن الشريف حسين قائد الثورة العربية الكبرى في هذا المؤتمر، وقامت المفاوضات مع الشريف حسين لإقناعه بالتخلي عن مطالبته بفلسطين مقابل إعطائه دولة على الأرض العربية.

ووافق الشريف حسين على اعتبار فلسطين تحت وضع عالمي، وليس بالضرورة تابعة للدولة العربية الجديدة، وهكذا تم أول تنازل عربي عن أرض فلسطين في ذلك المؤتمر الخطير الذي عقد في باريس.

ويحلل السياسيون والمؤرخون الموقف العربي آنذاك بعدة أسباب:

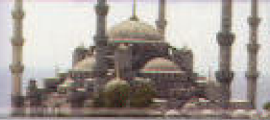
١- ضعف وضع العرب العسكري والسياسي واضطرارهم للجوء إلى الحلول السلمية.

٢- كان العرب يعتبرون بريطانيا حليفة لهم، لكونها شاركت في طرد الأتراك من أرضهم، فكانت بقية من أمل متعلقة بها، ولم يكن المشروع الصهيوني في فلسطين ظاهر المعالم بعد.

٣- خرجت بريطانيا من الحرب العالمية الأولى كأعظم دولة في العالم، ولم يكن للعرب قدرة على مواجهتها بعد هذه الحرب الكبيرة وإعلان السلم في أنحاء العالم.



من اليمين إلى اليسار تحسين قدري - لورنس العرب عضو المخابرات البريطانية - الكولونيل بيزاني - الملك فيصل - نوري السعيد - رستم حيدر .. في مؤتمر الصلح في باريس



فوجه رسالة إلى الزعيم الصهيوني الأمريكي "فرانك فورتر" يقول فيها:

"نحن العرب وخاصة المثقفين منا ننظر برغبة شديدة إلى النهضة الصهيونية، ولسوف نعمل كل ما في وسعنا لمساعدة اليهود، ونتمنى لهم وطناً ينزلون فيه على الرحب والسعة"!

وظهر بعد ذلك نوع من التحرك السياسي الشديد، وجاءت لجنة تسمى لجنة "كنج كرين" لتقصي الحقائق لإنشاء وضع عالمي لفلسطين، ولكن عمل اللجنة كان جس نبض الناس ومدى قبولهم لقيام دولة يهودية في فلسطين، فوجدت الناس يرفضون وعد بلفور وقيام أي شكل من اشكال الاستيطان اليهودي في فلسطين، ووجدت الشعب الفلسطيني على وشك الغليان، فرفعت تقريرها إلى دول العالم بأن فلسطين ستشتعل لو استمر التوجه لاستقرار اليهود بفلسطين.



بلدة القدس القديمة وقد وضعت الأعلام السوداء وأعلنت الحداد السنوي بذكرى وعد بلفور المشؤوم

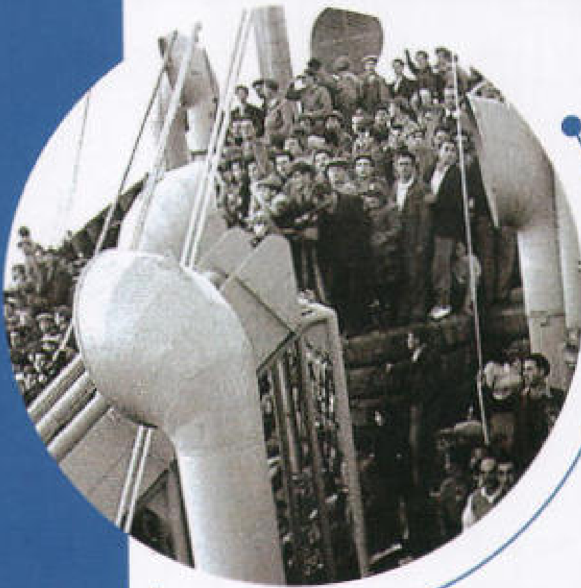
٤- إن العرب رزخوا تحت الحكم العثماني فترة طويلة، ولم تكن لهم تجربة بالحكم وإدارة الدولة، ولم يتعودوا على السياسة والخداع السياسي.

٥- استغلت بريطانيا الخلاف والتنافس الشديد الذي كان قائماً بين العائلات الكبرى في فلسطين بالذات "الحسينين" و"النشاشيبيين"، فأججت بريطانيا هذا الخلاف العائلي وأشعلته لتضعف الفلسطينيين وتنفذ مخططاتها.

لهذه الأسباب مجتمعة وجد الملك فيصل او الأمير فيصل أن خياره الأفضل هو اللجوء للحل السلمي، وآثر أن يخرج بشيء أفضل من ألا يخرج بشيء،



الملك فيصل الأول ملك العراق



الباب الثالث

العهد العثماني وحكم الإنجليز

الفصل الرابع

الثورات وحركات المقاومة

١- بروز الحاج أمين الحسيني

٢- بروز عز الدين القسام

٣- كتائب القسام تشعل الثورة

٤- الحرب العالمية الثانية

٥- الثورة والمؤامرات

١ بروز الحاج أمين الحسيني


عام ١٣٣٨ هجري
١٩٢٠ ميلادي

ثورة موسم النبي موسى عليه السلام


الحاج أمين الحسيني مع الملك فيصل الأول ملك العراق في ميناء يافا

وفي هذا العام قامت أثناء موسم فلسطيني إسلامي يسمى موسم النبي موسى ثورة عظيمة بدأت تهاجم الإنجليز وتهاجم اليهود، وسميت "ثورة العشرين" ولها اسم آخر في التاريخ هو "ثورة موسم النبي موسى"، وهذه الثورة قامت ضد اليهود الذين بدؤوا يستفزّون العرب والمسلمين، ويتبجحون بأن فلسطين لهم، وأدت هذه الثورة إلى مقتل ٥ من اليهود وجرح ٢١١، وبالمقابل قامت بريطانيا بسحق هذه الثورة وقتلت ٤ من العرب وجرحت ٢٤، وبرز في هذه الثورة دور لشخص عظيم في التاريخ الفلسطيني هو الشيخ الحاج أمين الحسيني، مفتي القدس فيما بعد.

وقضي على الثورة وحُكم على زعمائها من قبل الإنجليز بالسجن لمدة ١٥ عاماً، وكان من نتائجها أيضاً أن عزلت بريطانيا الحاكم العسكري البريطاني، وذلك لأنه رفع تقريراً إلى بريطانيا يشير فيه إلى أن سبب الثورة هو استفزاز اليهود للعرب.

وزادت الأمور شدة وبغضاً حين قام مؤتمر يسمى مؤتمر "سان ريمون" وانهى أعماله بالمصادقة على وعد بلفور بدل تأييد الحق العربي، وكلّف المؤتمر بريطانيا بالانتداب على فلسطين، فانقلب نظام الحكم في فلسطين من حكم عسكري إلى إدارة مدنية، وعُين وزير الداخلية البريطاني اليهودي السير "هيربرت صموئيل" باسم أول مندوب سامي بريطاني على فلسطين بحكم أنه من أصل يهودي وصهيوني، فشرع فوراً بتنفيذ المشروع الصهيوني في فلسطين.

وفوراً أعلن " هيربرت صمويل" في ٢٠/١٠/١٩٢٠ م السماح ببيع الأراضي لليهود، وبدأ المشروع الصهيوني على يد المندوب السامي البريطاني يأخذ شكله الأول، وأصدر "صمويل" طوابع فلسطينية كتب عليها باللغة العبرية والعربية والإنجليزية، وصدر قرار بريطاني سابق لهذا سمح لليهود بالهجرة بمعدل ١٦٥٠٠ مهاجر يهودي إلى فلسطين كل سنة.

وفي أثناء ذلك تم تعيين الحاج أمين الحسيني مفتياً للقدس، فقام الشيخ مباشرة بمجموعة إجراءات لتثبيت الوضع الإسلامي والعربي في القدس، وبالذات في الأقصى، فبدأ بحائط البراق، وهو الحائط الغربي من المسجد، والذي يسميه اليهود حائط المبكى، وهو من أعظم المقدسات عند اليهود كما يدعون، فقام الشيخ بإصلاح الحائط الغربي وتبليط الساحة حوله ليثبت أنه جزء من الأقصى وأنه حق للمسلمين وليس حقاً لليهود. وعندما قام اليهود وبكل جرأة على أهل فلسطين بالاحتجاج لدى حاكم القدس البريطاني على قيام المفتي بهذه الإجراءات بدون إذن اليهود!.



الخارطة السياسية لفلسطين في عام ١٩٢٠
• مستوطنات يهودية • مدن وقرى فلسطينية





عام ١٣٣٩ هجري
١٩٢١ ميلادي

ثورة يافا

وعندما زادت استفزازات اليهود وبلغت الأمور حدّها قامت في ١٩٢١/٥/١ م ثورة إسلامية كبرى في يافا، وانتشرت من يافا إلى شمال فلسطين، وصار المسلمون يهاجمون اليهود في كل مكان، فقتلوا منهم ٤٧ يهودياً وجرحوا ١٤٦، وقام الإنجليز بقمع الثورة مرة أخرى بالقوة، فقتلوا ٤٨ وجرحوا ٧٣ من الفلسطينيين، وأخمدت ثورة يافا بعد أسبوع فقط من قيامها على يد الإنجليز، لقد كان اليهود آنذاك أقل شأناً من أن يواجهوا العرب والمسلمين.

وقام على صعيد آخر تحرك سياسي دبلوماسي، فقامت القيادة الفلسطينية السياسية بإرسال وفدها الأول إلى "تشرشل" وزير المستعمرات الإنجليزية، للتفاوض معه على إلغاء وعد بلفور، لكن ذلك لم يجد نفعاً، كما لم تجد نفعاً كل التحركات السياسية السابقة واللاحقة منذ دخل اليهود فلسطين لأول مرة.

صورة لمدينة يافا من البحر



عـام ١٣٤٠ هجري
١٩٢٢ مـيـلادي

بعد هذا الجهد السياسي تحرك المسلمون لتجميع صفوفهم، وكان ذلك على يد الشيخ أمين الحسيني رحمه الله تعالى، فأسس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، وصار هذا المجلس أهم قلعة للحركة الوطنية.

الانتداب البريطاني

وقابلت بريطانيا هذا بإصدار الكتاب الأبيض في شهر ٦ سنة ١٩٢٢ م، بعد أن عرضته على المنظمة الصهيونية العالمية وأخذت موافقتها عليه، ويشمل هذا الكتاب الأبيض دستوراً لفلسطين وسياسات عامة، ومن أهم البنود في هذا الدستور أن الانتداب البريطاني على فلسطين غير قابل للتغيير، كما أن وعد بلفور بإنشاء وطن يهودي لليهود في فلسطين ثابت ولا يقبل التفاوض.

وبعد أن صار الأمر رسمياً تم رفعه إلى عصبة الأمم -والتي كانت مقدمة لهيئة الأمم المتحدة- فأصدرت عصبة الأمم في ٢٢/٧/١٩٢٢ م صك الانتداب البريطاني العالمي على فلسطين، وتم بذلك توقيع عالمي على أن بريطانيا هي التي تحكم فلسطين.



الحاج أمين الحسيني

وقامت بريطانيا بتزيين صورتها في فلسطين وذلك بإنشاء مجلس تشريعي فلسطيني، ولكن ليس له الحق في الاعتراض على الانتداب البريطاني أو وعد بلفور، كما أنه ليس له حق الاعتراض على الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وليس له شأن في القضايا المالية، وبمعنى آخر ليس له أية صلاحيات عملية.

ويحوي هذا المجلس ٢٣ نائباً يشكل العرب منهم ١٠ نواب فقط، مع أن العرب كانوا يشكلون في ذلك الوقت ما نسبته ٧٨٪ من السكان، ورحب اليهود بهذا المجلس، ورفض العرب ذلك رفضاً قاطعاً.

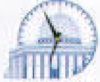
وضع القدس حتى عام ١٩٢٢ ميلادي

وحتى هذا التاريخ الذي وصلنا إليه، تطور عدد السكان حتى صار ٧٥٧ ألف مواطن في فلسطين في عام ١٩٢٢ م ومازال العرب يشكلون أغلبية ساحقة بنسبة ٧٨ ٪، بينما لم تتجاوز نسبة اليهود ١١ ٪، وشكل النصارى حوالي ١٠ ٪، وهكذا لا تزال الأغلبية الساحقة للمسلمين وللفلسطينيين.



الوفد الفلسطيني الأول إلى تشرشل وزير المستعمرات الإنكليزية ويظهر بينهم موسى الكاظم الحسيني

٢ بروز عز الدين القسام



ذو الحجة ١٣٤٠ هجرية - الشهر الثامن ١٩٢٢ ميلادي

عقد المسلمون المؤتمر الفلسطيني الثاني والثالث والرابع، وفي الشهر الثامن من عام ١٩٢٢ م كان المؤتمر الفلسطيني الخامس في نابلس يعلن استمرار الجهاد لاستقلال فلسطين والعمل على قيام الوحدة العربية، ورفض الوطن القومي اليهودي ورفض الهجرة اليهودية إلى فلسطين بكل صورها.

استمرار العمل السياسي

وعلى صعيد آخر غير السلك السياسي كان الشيخ السوري عز الدين القسام رحمه الله تعالى يعمل على رفع وتيرة الجهاد والقتال ضد المستعمر البريطاني، والهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين.

المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث



عام ١٣٤٣ هجرية
١٩٢٥ ميلادي

انتهى بناء الجامعة العبرية في هذا العام، وقدم "بلفور" وزير الخارجية البريطاني لافتتاح الجامعة، فثار الشعب الفلسطيني، وعم إضراب شامل كل فلسطين احتجاجاً على هذه الزيارة، واحتجاجاً على إنشاء الجامعة العبرية في فلسطين.

الحركة الجهادية الإسلامية

وأعلن الشيخ عز الدين القسام أنه لن يجدي أي حل مع الإنجليز واليهود سوى الحل الذي مارسه مع فرنسا في سوريا، فقام رحمه الله تعالى بتأسيس الحركة الجهادية الإسلامية في عام ١٩٢٥ م - ١٣١٩ هـ وشعارها: "هذا جهاد نصر أو استشهاد".

المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث

عز الدين القسام يقاوم فرنسا

والشيخ عز الدين القسام من مواليد سوريا ١٨٧١ م، قام بمقاومة الاحتلال الفرنسي في سورية وقاتل ضد الإنجليز ثلاث سنوات متتالية من عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٢٠، وأصدرت عليه فرنسا حكم الإعدام، وبدأ يُطارد من مكان إلى مكان، حتى اضطر إلى مغادرة سوريا، ولجأ إلى فلسطين فاستقر في قرية الياجور قرب حيفا، وهناك صار شيخاً لهذه القرية، ثم أصبح خطيباً ومأذوناً شرعياً، وبدأ الشيخ ينشر الوعي الإسلامي في تلك المناطق، فصارت له شعبية كبيرة جداً.





عام ١٣٤٦ هجري
١٩٢٨ ميلادي

القسام رمز الجهاد


أعضاء جمعية الشبان المسلمين ١٩٢٨

وفي هذا العام تأسست جمعية الشبان المسلمين في فلسطين، وهي فرع عن جمعية الشبان المسلمين المصرية، وشرعت في عملها داخل الأرض المحتلة، ثم أعلنت هذه الجمعية اختيارها للشيخ عز الدين القسام رئيساً لجمعية الشبان المسلمين، إضافة إلى كونه رئيساً للحركة الجهادية التي أسسها.

لقد أصبح الشيخ عز الدين القسام رمزاً للجهاد، وصاحب فكرة رفض الحلول السلمية، لكن هذه الحلول السلمية استمرت من أطراف أخرى.
وأما الشيخ أمين الحسيني مفتي فلسطين فمازالت لديه بعض الآمال للتوصل إلى حل سلمي لحل المشكلة، فعقد في هذا العام المؤتمر السابع والأخير للمؤتمر العربي الفلسطيني، وتمت فيه مطالبة بريطانيا بالتخلي عن المشروع الصهيوني، لكن المؤتمر لم يتلق جواباً من بريطانيا.



١٠ ربيع الأول
١٣٤٨ هجري
١٩٢٩/٨/١٥ ميلادي

ثورة البراق


عرض عسكري بريطاني يعرض القوة العسكرية في القدس

وتحت ظل الحماية البريطانية تجرأ اليهود وهجموا على المسجد الأقصى واحتلوا الجانب الغربي عند حائط البراق، وأعلنوا أن هذا الحائط لهم لأنه من مقدساتهم، عندئذ قامت ثورة عظمى في فلسطين في ١٩٢٩/٨/١٥ م تسمى "ثورة البراق"، وانتشرت الثورة في كل أرجاء فلسطين، وقتل فيها ١٣٣ يهودياً وجرح ٣٦٩، ومرة أخرى قام الإنجليز بقمع الثورة، فقاموا بقتل ١١٦ شهيداً عربياً وجرحوا ٢٣٢ منهم.
وتحت هذا التوتر تحركت القيادة السياسية العربية لتهدئة الأوضاع، وطالبت الفلسطينيين بالتهدئة، وتحت قوة البطش والقمع البريطاني انتهت الثورة، وسيطر الإنجليز مرة أخرى على مجريات الأمور.
وقد كان، لكن الاسم الأبرز في ثورة البراق اسم الشيخ الحاج أمين الحسيني الذي كان أتباعه يضربون بقوة في أرجاء الأرض المقدسة.



عام ١٣٤٩ هجري
١٩٣٠ ميلادي

مخطط جهادي عالمي

ولم تعمد بريطانيا إلى التهدئة، ولكنها بدلاً من ذلك قامت بعقد محاكمات صورية لأبطال ثورة البراق، وأصدرت أحكاماً بالسجن المؤبد على قادة الثورة، وأحكمت سيطرتها على الشعب بعد قمع الثورة، ثم سمحت بازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين بشكل مكثف، وقد أدت هذه الأحداث إلى أمرين رئيسيين:

الأول : اشتعال العداء بشكل كبير لبريطانيا واليهود، وإقبال الشباب بشكل متزايد على الانخراط في الدعوات الجهادية.

موسى الكاظم الحسيني

الثاني : فقدان الأمل في تخلي بريطانيا عن المشروع الصهيوني وإيقاف هجرة اليهود إلى فلسطين.

لكن على الرغم من ذلك استمرت الحركة السياسية، وانتقل الوفد العربي إلى لندن لمزيد من المفاوضات بقيادة الحاج موسى كاظم الحسيني كبير الرجالات في فلسطين، وهو والد الشيخ عبد القادر الحسيني، وقد حاول الحاج موسى إقناع الإنجليز بضبط الهجرة، وتحت هذا الضغط الشديد من رجالات فلسطين، وتحت التهديد بقيام الثورة على الإنجليز وإعلان الجهاد، وافق الإنجليز على إعلان إلغاء وعد بلفور، وأعلن ذلك رسمياً، ولكن الهجرة استمرت، واستمر إنشاء المستعمرات اليهودية، كما لم ينقطع التسليح المكثف لليهود.

ولم تتوقف حركة الجهاد أمام هذا المكر البريطاني، فقامت مجموعة من زعماء المسلمين بقيادة



المجاهد العظيم الأمير "شكيب أرسلان" من لبنان، الذي ألّف كتابه المشهور "حاضر العالم الإسلامي"، وهو من أعظم الكتب التي كتبت في أوائل القرن العشرين، وقد حلل فيه وضع العالم الإسلامي، وبيّن بعمق نظرته لمستقبل المنطقة، ولخّص ذلك بأن المخطط الإنجليزي واليهودي هو من أخطر المؤامرات التي تحاك ضد المسلمين.

ثم قام بمراسلات سرية إلى المجموعات والجيوب الجهادية جعل يدعو فيها إلى إعلان مخطط جهادي، ليس لإنقاذ فلسطين فقط، بل لجميع البلاد العربية المستعمرة، وتم الاتفاق على هذا المخطط الثوري الجهادي الإسلامي، وخاصة لتحرير سورية وفلسطين بقيادة الأمير "شكيب أرسلان" وبمشاركة الحاج أمين الحسيني من فلسطين، وشارك في هذا المخطط عدد كبير من الزعماء، حتى وصلت المشاركة إلى الهند، وشارك "مولانا شوكت" من قادة الحركة الإسلامية في الهند، وتم الاتصال بزعماء الحركة الإسلامية والعربية في الجزيرة العربية، وفي مصر والشام والعراق.

غير أنه وبسبب ضعف الإمكانات من جهة، وبسبب السيطرة الاستعمارية من جهة أخرى، وكذلك بسبب عدم التخطيط المتقن لهذه الثورة، لم يكتب النجاح لهذا المخطط الكبير.



صورة تعبر عن التلاحم الفلسطيني بين المسلمين والمسيحيين أمام مؤامرات اليهود



المؤتمر الإسلامي العام في القدس ١٩٣١



عام ١٣٥٠ هجري
١٩٣١ ميلادي

المؤتمر الاسلامي العام في القدس



الشيخ محمد رشيد رضا

ثم أقيم في هذا العام المؤتمر الإسلامي العام في القدس، وهو من أعظم المؤتمرات التي أقيمت لتنبيه الأمة الإسلامية لخطر اليهود، وتكريس البعد الإسلامي الاستراتيجي لقضية فلسطين، وجعلها قضية إسلامية عربية، وليست محصورة بالشعب الفلسطيني فقط، وأقيم هذا المؤتمر في القدس في ١٩٣١/١٢/١٧ م بقيادة الحاج أمين الحسيني مفتي القدس، وبحضور ٢٢ بلد عربي وإسلامي.

ومن أبرز الأسماء التي حضرت المؤتمر: الشيخ "محمد رشيد رضا" الشيخ اللبناني الشهير في مصر، والمفكر والشاعر الهندي "محمد إقبال"، والزعيم الهندي "مولانا شوكت علي"، والزعيم التونسي "عبد العزيز الثعالبي"، ورئيس وزراء إيران الأسبق "ضياء الدين الطبطباي"، والزعيم السوري المشهور "شكري القوتلي".

ومن جراء هذا المؤتمر الضخم تشكلت لجنة دولية للتحقيق في المشاكل بين العرب واليهود، وجاءت لجنة تسمى "لجنة البراق الدولية" للتحقيق في أسباب ثورة البراق وما تلاها من انفجار الوضع في فلسطين، ثم أصدرت هذه اللجنة قرارها الشهير بأن حائط البراق هو حق للمسلمين وحدهم وليس لليهود فيه نصيب.

غير أن بريطانيا رفضت هذا التقرير، وأعلنت مجدداً تأييدها لليهود، وأكّدت حق اليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، فقامت الثورات مرة أخرى في فلسطين، فقابلتها بريطانيا بالبطش المسلح، واستطاعت أن تقبض على مجموعة من زعماء الثورة وعلى رأسهم "أحمد طافش"، ثم قامت بطردهم إلى جزر "سيشل" وسيطرت على فلسطين بالقوة.



الزعيم السوري المشهور "شكري القوتلي".



الشاعر والمفكر المسلم الهندي محمد أقبال



عام ١٣٥١ هجري
الشهر الثامن
١٩٣٢ ميلادي

القسام يحرك الجهاد

وفقد الفلسطينيون الأمل مجدداً بالتحركات السلمية، ونشأ أول حزب فلسطيني باسم حزب الاستقلال، وأعلن العداء لبريطانيا ، لكن لم يستمر طويلا وفشل في تحريك الجهود، فتحرك الحاج أمين الحسيني رحمه الله تعالى وأعلن إعلانه الشهير:

"إنه كنا ما نزال على شيء من الأمل، ولكن لم يعد أمامنا سوى الشهادة في سبيل رب العالمين".

وبذلك يعلن الزعيم الفلسطيني أمين الحسيني الجهاد، ولكن بقي بعض الزعماء الآخرين مثل موسى كاظم الحسيني قائماً على التحركات السلمية، ونشطت الحركات الجهادية، وشارك الشيخ عز الدين القسام وبدأ ينظم كل من يرغب في الجهاد بتشكيلات سرية جهادية، ونشطت أيضاً جمعية الشبان المسلمين التي يرأسها، وأيضاً انضمت إليه الحركات الكشفية، ولكنها كانت جميعاً حركات جهادية سرية بقيادة الشيخ عز الدين القسام.



أعضاء حزب الاستقلال

قمع الثورات والمظاهرات الفلسطينية عام ١٩٣٣


عام ١٣٥٢ هجري
الشهر العاشر
١٩٣٣ ميلادي

الإضراب الشامل

واستمرت بريطانيا لا تعبأ بكل هذا، واستمرت بدعم الهجرة اليهودية وتسليح اليهود، فقامت في هذا الشهر مظاهرات ضخمة في القدس ويافا، وأعلن إضراب شامل عمّ كل فلسطين، وعادت بريطانيا فألغت الإضراب وقمعت الثورة، وقتل في ذلك ٣٥ فلسطينياً وجرح ٢٥٥ آخرين، غير أن المظاهرات توسعت حتى شملت كل فلسطين، وازدادت بريطانيا شراسة، فاعتقلت الزعماء وضربت أحد المشاركين في المظاهرات السلمية، حتى أن موسى كاظم الحسيني، زعيم فلسطين ومن أكبر رجالاتها، كان عمره آنذاك ٨٠ سنة، ضُرب بالهراوات، فسقط متأثراً بجراحه ثم في شهر ٣ من عام ١٩٣٤ م توفى متأثراً بإصابته.


رفاق موسى كاظم الحسيني يحاولون حمايته من هروات ضباط الشرطة البريطانية وكان لهذه الحادثة تأثير على صحته ومن ثم موته


عام ١٣٥٤ هجري
١٩٣٤ ميلادي

الحركة القسامية

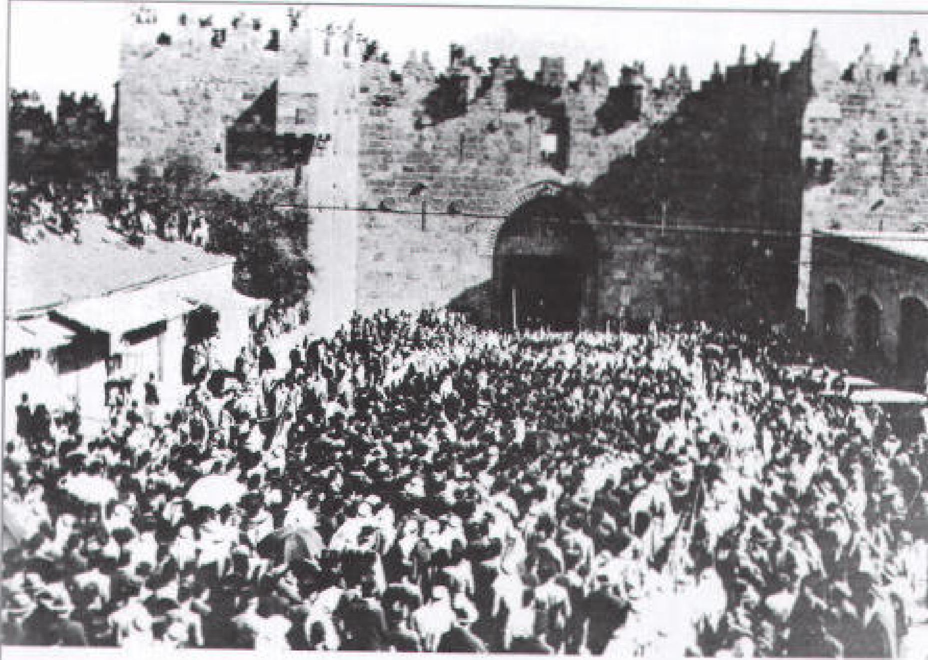
وتحت هذا القمع والتهديد البريطاني شكّل هذا العام البداية الحقيقية لتهويد القدس، وتم الاتفاق الكامل على خطة تفصيلية بين الإنجليز وبين اليهود لاستيطان القدس، وقمع أي محاولة لتهديد هذا المخطط أو إفشاله.

وبدأ الشيخ أمين الحسيني رحمه الله تعالى يقود الحركة الجهادية علناً في فلسطين، وفي هذه الأثناء كانت حركة جهادية سرية تبدأ انتشارها في الريف الفلسطيني، وتزداد قوة بقيادة الشيخ عز الدين القسام الذي أنشأ كما أسلفنا الحركة الجهادية، ولكنها عرفت بعد وفاته باسم "الحركة القسامية" أو "حركة عز الدين القسام".



عام ١٣٥٥ هجري
١٩٣٥ ميلادي

ثورة القسام



جنازة موسى كاظم الحسيني عند باب العمود بالقدس وقد عجل في وفاته الاصابات والرضوض التي تلقاها على يد الضباط البريطانين في يافا

وفي هذه الآونة كان لا يزال الشيخ أمين الحسيني يحاول أن يمزج ما بين العمل السلمي والجهادي، وإن كان بدأ يميل نحو العمل الجهادي، وفي هذا العام استطاع الشيخ أمين الحسيني بقيادة مؤتمر علماء فلسطين في مدينة القدس أن يجمع علماء فلسطين تحت إمرته، وبدأ بمزيد من التحرك السلمي من جهة، لكنه ومن جهة أخرى أنشأ حركة جهادية سرية، ففي تحركه السلمي استطاع أن يجمع الأحزاب الفلسطينية في مذكرة واحدة قدمت للمندوب السامي البريطاني حاكم فلسطين تدعوه فيه إلى وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ومنع نقل الأراضي الفلسطينية، كما طلبت منه المذكرة إعادة تشكيل البرلمان، وإنشاء حكومة فلسطينية مستقلة.

وفي أثناء ذلك كان الشيخ عز الدين القسام قد أكمل استعداداته لإعلان ثورته، بعد أن أتم تجهيزها وتنظيمها، وكان من ضمن المنتسبين إليها ٢٠٠ عضو منتظم معه بشكل مباشر، وكذلك ٨٠٠ عضو نصير.

وفي شهر ١٠ من عام ١٩٣٥ م بدأ الشيخ عز الدين القسام حركته الجهادية، وابتدأ الثورة من جبال جنين قرب حيفا، حيث خطط للانطلاق من الجبال حتى يصعب القضاء عليها، ثم يتم إعلان الثورة في عدة مدن في نفس الوقت، وبعدها تقوم هذه القوات بتحرير حيفا وتعلن منها الحكومة الوطنية، ثم تنطلق إلى باقي فلسطين.

لقد كان هذا هو مخطط الشيخ عز الدين القسام، والذي استمر بالتخطيط له حوالي عشر سنوات، شكل خلالها عدة لجان، منها لجنة للدعوة للثورة وجمع المتطوعين، ولجنة أخرى متخصصة بالتدريب العسكري السري في جبال فلسطين، ولجنة ثالثة مخصصة للتموين، ولجنة رابعة مهمتها الاستخبارات وجمع الأخبار، ولجنة خامسة للعلاقات الدولية والخارجية لتمهيد الاعتراف العربي والدولي بالدولة الجديدة.

لقد كان مخطط الشيخ عز الدين القسام في منتهى الإحكام، وقد وزع المهام وأمر الجميع بعدم اتخاذ أي إجراء لحين إعطائه إشارة البدء، وجعل الشيخ عز الدين ينتظر لحظة غفلة أو انشغال من بريطانيا ليعلن ثورته المسلحة.

غير أن هذا لم يتم له، إذ قام أحد أنصاره بخطأ فادح، وذلك عندما كان مرابطاً هو وزملاؤه في موقعهم، فمرت بهم دورية صغيرة فيها ضابط إنجليزي وآخر يهودي، فاشتعل الحماس بقلب هذا الشاب فقام بالهجوم على الدورية وقتل الضابط اليهودي.

أثار هذا التحرك حفيظة بريطانيا وشعرت بنذير الخطر المسلح،

فحركت قوتها إلى المناطق الجبلية حيث تعرضت الدورية للهجوم، واضطرت قوات المجاهدين أن تصطدم بالقوات البريطانية، ولم يكن الموعد قد حان بعد لإعلان الثورة، ولم يكن الوقت والمكان مناسبين البتة، وتخبطت القوات القسامية لعدم وجود اتفاق أو خطة للبدء.

وأدركت بريطانيا بعد هذا حجم الترتيبات العسكرية المسلحة التي تتخفى في المنطقة، فاستدعت قواتها من كل أنحاء فلسطين، وقصفت بالطائرات وقنابل الدبابات المناطق الجبلية التي كان يتمركز بها المجاهدون، وطوقت الجبال بعملية عسكرية ضخمة، وقاتل عز الدين القسام وأتباعه قتالاً عظيماً، غير أن قواته كانت تحصد حصداً جراء هذا الهجوم الشامل.

وفي ١٩٣٥/١١/٢٠ م طلب البريطانيون من القسام الاستسلام، فرفض وقال لهم عبارته الشهيرة: هذا جهاد نصرٌ أو استشهاد، وبقي صامداً مع خمسة عشر من أصحابه ودارت معركة غير متكافئة بين الطرفين لمدة ست ساعات، وسقط الشيخ القسام وبعض رفاقه شهداء في نهايتها وجرح وأسر الباقون من أصحابه، وقضي على هذه الثورة في مهدها، ولم يكتب لها النجاح، وكل ذلك يعود إلى استعجال وتصرف خاطئ قام به أحد أفراد الثورة.

وهكذا استشهد القسام رحمه الله تعالى، بعد أن أشعل جذوة الجهاد، فظلت بعده خالدة، رحم الله تعالى البطل العظيم عز الدين القسام، الذي جمع بين العلم والجهاد، حتى نال الشهادة في سبيل ربه.



الشيخ عز الدين القسام

عبد القادر الحسيني

لكن هذا الحدث أشعل فلسطين، وأحس الناس بضرورة القيام بواجب الجهاد، فقام الشيخ أمين الحسيني فأعلن "الحزب العربي الفلسطيني"، ثم قام بإنشاء جناح سري لهذا الحزب، ثم قامت منظمة أخرى باسم "الجهاد المقدس" بقيادة عبد القادر موسى كاظم الحسيني، وبدعم مباشر من الشيخ أمين الحسيني.

ولم يقف اليهود موقف المتفرج من هذه الحشود والتنظيمات العربية، فقد قام أحد اليهود ويدعى "جابوت سكيب" بإنشاء منظمة يهودية باسم "الأرجون"، وهي منظمة عسكرية قومية يهودية، انشقت عن الهاجاناة، والهاجاناة هو اسم للقوات المسلحة العسكرية اليهودية التي شكلها ودعمها الإنجليز، غير أن هذه المنظمة كانت أكثر تطرفاً وتعصباً، وبدأت بجمع المزيد من الأسلحة والعتاد، حتى أنه في هذا العام كشف في ميناء يافا عن كميات كبيرة جداً من الأسلحة التي هربتها بلجيكا إلى المنظمات اليهودية في فلسطين.



عبد القادر الحسيني



عام ١٣٥٥ هجري
١٩٣٦ ميلادي

اللجنة العربية العليا

في هذا العام أعلن الاضراب العام الكبير الذي بدأ في نابلس وانتشر ليشمل كل فلسطين واستمر لمدة ستة أشهر كاملة احتجاجاً على الهجرة اليهودية لفلسطين وقام الشيخ أمين الحسيني في هذا العام بتوحيد الأحزاب الفلسطينية في لجنة تسمى اللجنة العربية العليا، ضمت كل الأحزاب الفلسطينية، وذلك إدراكاً منه بضرورة العمل تحت لواء موحد، ثم أعلن الإضراب العام في فلسطين، وطالبت هذه اللجنة بإنشاء حكومة فلسطينية وبرلمان فلسطيني، وأصدرت مجموعة من القرارات الرئيسية في أول بيان لها، حددت فيه ثلاثة أهداف رئيسية للجنة العربية العليا هي:

أولاً : إيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومنعها منعاً باتاً.

ثانياً : منع نقل الأراضي العربية إلى اليهود.

ثالثاً : إنشاء حكومة وطنية فلسطينية مسؤولة أمام برلمان فلسطيني منتخب.



أعضاء اللجنة العربية العليا التي تأسست عام ١٩٣٦ ويظهر الحاج أمين الحسيني (صاحب العمامة)

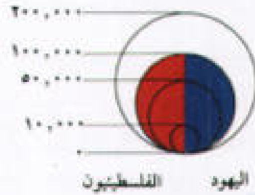
السعدي يقود القساميين

هذا على الصعيد السياسي، أما على الصعيد العسكري فقد تجمع أنصار عز الدين القسام من جديد، وعاد التنظيم القسامي للظهور مرة أخرى، وتولى قيادة هذا التجمع خليفة الشيخ عز الدين القسام وصديقه الحميم الشيخ "فرحان السعدي"، ولأن التنظيم كان جيداً ومحكماً، لم يطل الوقت حتى استطاع الشيخ السعدي إعادة ترتيب صفوف هذا الجيش المسلح، وقامت مجموعة من الشبان من كتائب عز الدين القسام بالهجوم الصاعق على مجموعة وقافلة من السيارات اليهودية المسلحة على طريق نابلس - طولكرم التي كانت تسير بحراسة بريطانية، واستطاع أنصار القسام أن يقتلوا ثلاثة من اليهود ويجرحوا سبعة منها.

فلسطين

٤. توزيع الكثافة السكانية اليهودية والفلسطينية مع النسب المئوية لكل من الطرفين، في كل قضاء من أقضية فلسطين الستة عشر، سنة ١٩٤٦.

عدد السكان بالنسبة الى حجم الدائرة





تستند هذه الخريطة الى تقرير الحكومة البريطانية الرسمي بعنوان «ملحق للعرض العام لفلسطين» (القدس: مطبعة الحكومة، حزيران/ يونيو ١٩٤٧) [*Supplement to a Survey of Palestine* (Jerusalem: Government Printer, June 1947)].

وقد نُشرت هذه الخريطة كوثيقة رسمية صادرة عن هيئة الأمم رقم ٩٣(ب) في آب/ أغسطس ١٩٥٠ [UN map no. 93(b), August 1950].

قدّرت الحكومة البريطانية عدد البدو في منطقة النقب الجنوبية بنحو ١٠٠,٠٠٠، سنة ١٩٤٦.

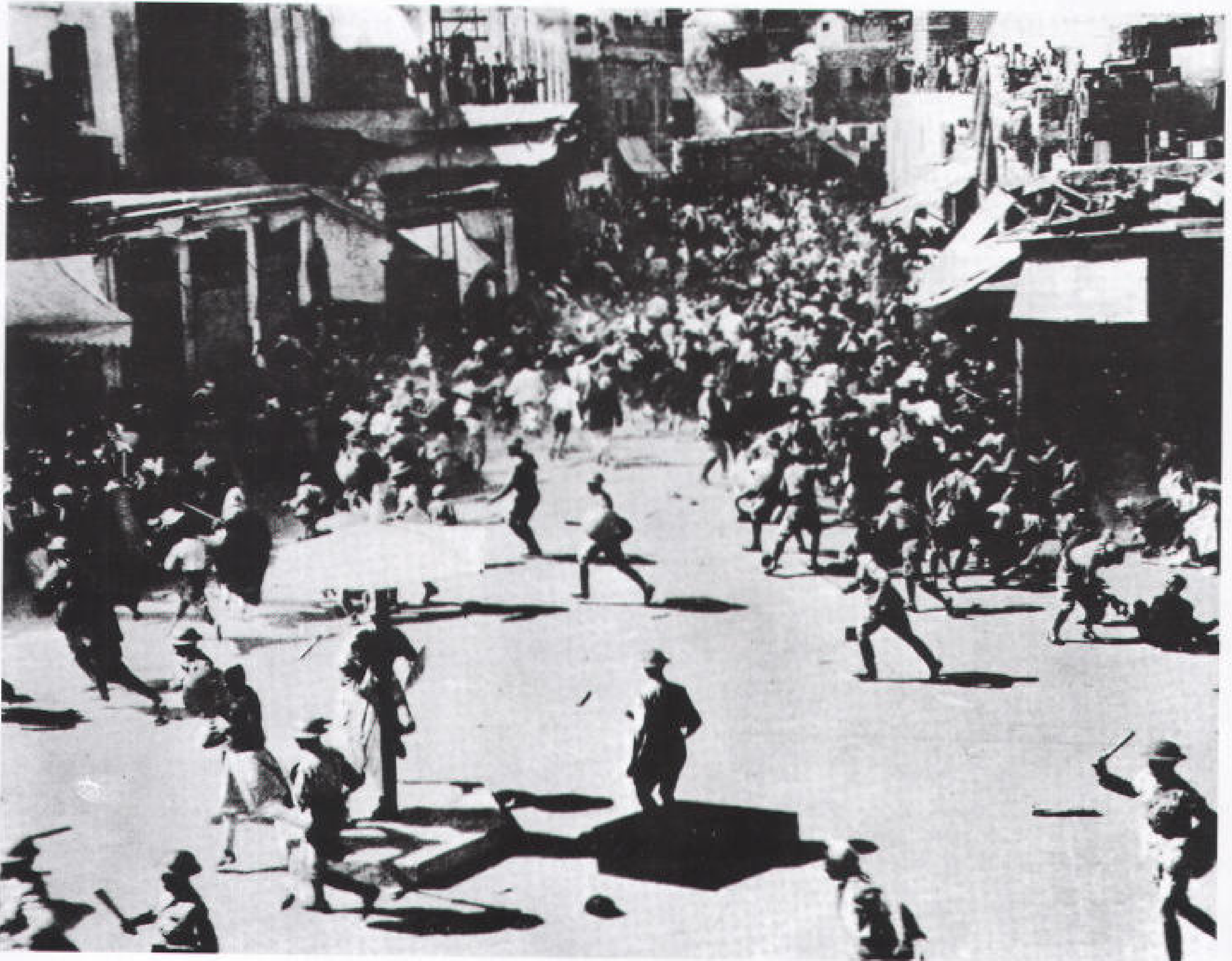
صفد ٪١٣ ٪٨٧
عكا ٪٤ ٪٩٦
حيفا ٪٥٣ ٪٤٧
الناصرة ٪١٦ ٪٨٤
طبرية ٪٣٣ ٪٦٧
بحيرة طبرية
بيسان ٪٣٠ ٪٧٠
جنين ٪١٠٠
طولكرم ٪١٧ ٪٨٣
نابلس ٪١٠٠
يافا ٪٢٩ ٪٧١
رام الله ٪١٠٠
الرملة ٪٢٢ ٪٧٨
القدس ٪٦٢ ٪٣٨
غزة ٪٢ ٪٩٨
الخليل أقل من ١ ٪
بئر السبع أقل من ١ ٪
البحر الأبيض المتوسط
البحر الميت

الخارطة السكانية لفلسطين في عام ١٩٤٥

٣ كـتـائب القـسـام تـشـعل الثـورة

وبعد هذه العملية أعلن الشيخ فرحان السعدي الجهاد في كتائب عز الدين القسام، واستمرت العمليات القوية إلى أن قبضت عليه بريطانيا واعتقلته وأعدمته شنقاً وهو صائم، وكان شيخاً كبيراً يجاوز عمره الثمانين عاماً.

ولكن هذه الحركة الصغيرة أشعلت الجهاد من جديد، فقامت على إثرها الثورة الكبرى في فلسطين، وعمت الثورات و المظاهرات والإضرابات جميع أنحاء فلسطين، وأعلنت الدعوة للقتال في ١٩٣٦/٥/١٩ م، وقامت كتائب عز الدين القسام بتدمير الطرق العسكرية وطرق المواصلات وهدم الجسور ونسف المراكز اليهودية والهجوم على المراكز البريطانية وقطع أسلاك الكهرباء وقطع أسلاك الهاتف والبرق، حتى وصل معدل العمليات إلى ٥٠ عملية في اليوم.



كتائب القسام تشعل الثورة عام ١٩٣٦

عبد القادر الحسيني يقود المجاهدين


فوزي القاوقجي (في الوسط)

وفي نفس الوقت قام عبد القادر الحسيني بإدارة العمليات العسكرية بالمجموعة الجهادية التي يقودها من مركزه في بير زيت، فقامت مجموعته بضرب مركز للاقتصاد اليهودي والاقتصاد البريطاني، ووجهت ضربات موجعة لمعسكرات الإنجليز ومراكز الهاجاناة والمواصلات البريطانية.

وتحت هذا التطور الرهيب قامت قوات الإنجليز بحملات ضخمة جداً من الهجوم المسلح على جميع الأصعدة، وصارت تنسف المباني والمنازل في أي مكان تنطلق منه الحركات الجهادية، وساندتها في ذلك حركة الهاجاناة وحركة الأرجون اليهوديتان، وتطورت الأحداث حتى طارت الأخبار إلى أرجاء الوطن العربي، فأعلن الجهاد ضد اليهود والبريطانيين، وهرع المتطوعون من أرجاء العالم الإسلامي، فجاء متطوعون من العراق والأردن وسوريا، واستطاع "فوزي القاوقجي" اللبناني أن يقود ١٥٠ مسلحاً من البلاد العربية، ودخل فلسطين بهم.

وبلغت الأمور أشدها، حتى جاء الشهر الثامن من صيف عام ١٩٣٦ م، حيث بلغ عدد العمليات الجهادية داخل فلسطين حوالي أربعة آلاف عملية، سقط فيها أكثر من ثلاثة آلاف شهيد واعتقل ثلاثة آلاف، وقتل فيها من اليهود والإنجليز أربعمائة.

لقد استخدمت بريطانيا جميع الوسائل لقمع هذه الثورات العارمة، ولجأت إلى القمع بكل وحشية ولكنها لم تستطع إخمادها، فأوعزت إلى الحكام العرب، والذين بدورهم وجهوا نداء في الشهر العاشر من عام ١٩٣٦ إلى قيادة الثورة والشيخ أمين الحسيني واللجنة العربية العليا للتهدئة، وجاء في النداء العربي:


عصابات الهاجاناه يتدربون على السلاح قبيل تأسيس إسرائيل



العرب يوقفون الجهاد !

"لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين، نحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله أمير الأردن، ندعوكم إلى الإخلاد إلى السكينة حقناً للدماء، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل في فلسطين".

وكان أن استجابت اللجنة العربية العليا بعد يومين من التدخل الحكومي العربي وقامت بإيقاف العمليات العسكرية، ويتوقع المحللون أنه لولا هذا التدخل لكان في ذلك نهاية للوجود الإنجليزي واليهودي في فلسطين، غير أن نقص الخبرة السياسية لدى المجاهدين جعلتهم يوافقون على مطالب الحكومات العربية، وركنوا للوعود العربية بخروج بريطانيا وتحقيق العدل والحل السلمي.

وأوقف المجاهدون والثوار عملياتهم العسكرية، وتلقوا وعوداً عربية بأن بريطانيا ستحقق بالأمر وستعيد النظر بالموضوع، ولم يشأ المجاهدون التوقف عن القتال والثورة، غير أنهم خافوا أن يشق الصف الفلسطيني بعدما صار الاتفاق إلى وقف القتال، فأعلنوا الهدنة المؤقتة لحين الاطلاع على نتائج هذه الوعود.

وفي الشهر التالي وتحديداً في يوم ١٩٣٦/١١/١١ م جاءت لجنة ملكية بريطانية باسم لجنة "بيل" إلى فلسطين للتحقيق في أسباب الثورة العربية الكبرى، واستمرت اللجنة في أعمالها في لقاء الزعماء والقادة العسكريين من الطرفين العربي واليهودي، وكذلك قادة المجاهدين العرب، حتى قضت في عملها هذا ثمانية أشهر كاملة هدأت فيها الثورة تماماً.



عبد القادر الحسيني (في الوسط) مع قادة الثورة.



عام ١٣٥٦ هجري
١٩٣٧ ميلادي

قرار تقسيم فلسطين

وفي ١٩٣٧/٧/٧ م أصدرت اللجنة الملكية توصياتها بتقسيم فلسطين إلى دولتين واحدة يهودية والثانية عربية تدمج مع الأردن، وكان قرار اللجنة متناقضاً جداً مع توقعات العرب، حيث كانت توقعاتهم أن يؤسس برلمان فلسطيني ودولة فلسطينية، وتضمن فيه لليهود بعض حقوقهم، ولكن بشرط أن تبقى السيادة على فلسطين للعرب والمسلمين، وحاولت اللجنة العربية العليا إقناع بريطانيا بالعدول عن قرار التقسيم، ولكن من غير جدوى.

وفي ١٩٣٧/٧/٢٣ م أعلنت اللجنة العليا رفضها لتقسيم فلسطين، واستمرار مطالبتها بإنشاء دولة عربية فلسطينية موحدة، مع إعطاء ضمانات لليهود بصيانة حقوقهم الدينية في فلسطين، ولكن بريطانيا لم تلتفت لهذا الإعلان بعدما تأكدت من هدوء الثورة، فقام العرب بالدعوة إلى مؤتمر في سورية في شهر ٩، وعقد هذا المؤتمر باسم "المؤتمر العربي العام" في بلودان، وحضره ٤٥٠ مندوباً عربياً، وقرر المؤتمر أن جميع العرب يعلنون رفضهم لفكرة التقسيم، ويطالبون بإنهاء الانتداب البريطاني، وإيقاف الهجرة اليهودية ونقل الأراضي لليهود، لكن بريطانيا أيضاً لم تعر لهذا المؤتمر أي أذن، أو تقم له أي وزن.



لجنة بيل

كتائب القسام تشعل الجهاد

وعادت كتائب القسام إلى إعلان الجهاد من جديد بعد تخاذل بريطانيا ونكثها بوعودها، وفي ١٩٣٧/٩/٢٦ م اغتال القساميون اللواء "أندروز" حاكم الجليل البريطاني، وحرك عبد القادر الحسيني كتائبه بعد ذلك فقاد في ١٩٣٧/١٠/١ عملية هجوم مسلح على مراكز الجيش البريطاني وثكناته في القدس والطرق بين القدس والساحل، وأعلن الجهاد في كل أرجاء فلسطين التي اشتعلت مرة أخرى.

مطاردة أمين الحسيني

وأسقط بيد بريطانيا أمام هذه الثورات، فقامت في ١٠/١ بإصدار قرارها بحل اللجنة العربية العليا وجميع التنظيمات السياسية والجهادية، وقامت بنفي خمسة من كبار الشخصيات الفلسطينية إلى خارج فلسطين، ثم حاولت القبض على أمين الحسيني، ولاحقته في كل مكان، فهرب إلى لبنان وقاد الثورة من هناك، واستعرت المواجهة الآن مع بريطانيا نفسها.

وكانت بريطانيا أثناء فترة الهدنة والمفاوضات هذه قد سمحت بتوسيع الهجرة اليهودية، وخصوصاً الهجرة من أوروبا، واهتمت بالسماح لفئة الشباب اليهود، وجعلت تدعم المنظمات اليهودية العسكرية، وبالذات منظمة الهاجاناة ومنظمة الأرجون، وبدأت الاستعدادات العسكرية لمواجهة الجهاد الفلسطيني، وقامت بعد ذلك منظمة الأرجون بعمليات اغتيال الفلسطينيين، وأعلنت منظمة الهاجاناة أن أي مستعمرة يهودية في أي مكان في فلسطين تتعرض للهجوم ستقوم بنفسها بحمايتها، كما قامت بريطانيا بتخصيص الضابط الصهيوني البريطاني "أوردي وينغات" لتدريب اليهود في منظمة الهاجاناة تمهيداً لإنشاء الجيش الإسرائيلي.

وفي ١١/١١ أنشأت بريطانيا المحاكم التفتيشية العسكرية البريطانية، وقامت بتفتيش البيوت، فإذا عثر على أي سلاح في المنزل دمر البيت وقتل الشباب الذين فيه، وقام العرب بالرد بعمليات موجهة وشديدة.



الحاج أمين الحسيني



حل اللجنة العربية العليا



عام ١٣٥٧ هجري
١٩٣٨ ميلادي

بريطانيا تجلب قواتها

وزاد حجم العمليات العسكرية في هذا العام، فدفعت بريطانيا بمزيد من القوات، غير أن حجم الثورة كان كبيراً، فجاءت بقوات من بريطانيا، واستدعت بعض قواتها من مصر، وذلك في محاولة كبيرة لقمع الثورة الفلسطينية الكبرى، وقام الضابط "أوردونجيت" بتنظيم وحدات ليلية من الهاجاناة للقيام بعمليات اغتيال للشباب الفلسطيني، وقام الإنجليز و"الأرجون" بالهجوم على الأسواق وتفجير القنابل بالفلسطينيين، فقام الفلسطينيون بالرد بتفجير قنابل في الأسواق والمستعمرات اليهودية، وفي المعسكرات الإنجليزية؛ إلا أن اليهود هم أول من استخدم القنابل في التفجيرات بين السكان.

وأمام هذا الضغط القتالي عملت بريطانيا على استدعاء مزيد من المهاجرين اليهود، وطلبت التمويل من المنظمات اليهودية في الخارج، وابتدأ تدفق الأموال والأسلحة بشكل علني إلى اليهود، وارتفع وطيس المعارك بين الطرفين حتى بلغ أشده في هذا العام، حتى أحصي عدد العمليات بخمسة آلاف وسبعمائة وثمانية عمليات شنها الفلسطينيون ضد الإنجليز واليهود، وارتفع عدد المجاهدين إلى حوالي عشرة آلاف مجاهد ، ووصل عدد القتلى والجرحى الإنجليز إلى أكثر من عشرة آلاف قتيل وجريح، ومثلهم أو أقل قليلاً من اليهود، كما بلغ عدد الشهداء الفلسطينيين في هذا العام أكثر من اثني عشر ألف شهيد، واستشهد أكثرهم على يد الإنجليز.

وفي تحرك شامل للجيش الإنجليزي الذي بلغ تعداده ٤٢ ألف جندي يسندهم ٢٠ ألف شرطي، و١٨ ألف من حرس المستعمرات، مع ما يزيد عن ٦٠ ألف يهودي، بدأت عمليات تمشيط كاملة لفلسطين، حتى وصل عدد المعتقلين الفلسطينيين إلى أكثر من ٥٠ ألف معتقل، نسفت بريطانيا خلالها خمسة آلاف منزل فلسطيني.

وكانت بريطانيا وقتها أعظم دولة في العالم، تقاتل شعباً أعزل يدفع عن نفسه الاحتلال والعدوان، قامت بذلك بمساندة يهودية وصهيونية عالمية، وبمشهد من العالم والدول العربية، ولم تقم الدول العربية بتقديم أي دعم أو إرسال أي قوة لمساندة فلسطين.

التعزيزات البريطانية في فلسطين







عام ١٣٥٨ هجري
١٩٣٩ ميلادي

خدعة (فصائل السلام) الفلسطينية

واستمرت الثورة، فقامت بريطانيا - وبمكر شديد - بإنشاء تنظيم فلسطيني جديد باسم "الفصائل الفلسطينية"، حيث أقنعت مجموعة من أهل فلسطين أن الثورة لا فائدة منها، وأنه لا قبل لهم بمواجهة أعظم دولة، وعرضت عليهم السلام، فقامت مجموعة من الفلسطينيين باسم "فصائل السلام" جعلت تدعو للسلام مع بريطانيا واليهود، وتنتقد أمين الحسيني ومجموعة عبدالقادر الحسيني وقوات القسام، وتدعو إلى تهدئة الأوضاع، لكن الشعب الفلسطيني لم تنطلِ عليه هذه الخدعة واستمر في جهاده ضد المحتلين، غير أن عدد القتلى والأسرى ازداد كثيراً.









بريطانيا "تخدع" من جديد

ومع مطلع هذا العام دخلت الثورة في عامها الرابع، وشعرت بريطانيا أن الأمور تكاد تفلت من سيطرتها، فقامت بحركة سياسية لمحاولة تخفيف شدة الثورة، ففي شهر ١٩٣٩/٢ م أعلنت إلغاء مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين وإبقاء فلسطين دولة واحدة موحدة، وأعلنت الإفراج عن قادة الثورات الماضية الذين نفوا إلى جزر سيشل بشرط ألا يعودوا إلى فلسطين، وأعلنت مؤتمر المائدة المستديرة في لندن بحضور وفود الدول العربية والقيادات الفلسطينية والقيادات اليهودية، لكن هذا المؤتمر فشل فيما بعد، بيد أن الثورة هدأت قليلاً بعد أن وجد العرب أن سياسة بريطانيا بدأت ببعض التغير، وخصوصاً بعد أن قامت بريطانيا مجدداً في شهر ١٩٣٩/٥ م بالإعلان أنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية، والإعلان عن إلغاء وعد بلفور، ولكنها استمرت تسحق أي عمل جهادي في فلسطين.

وشعرت القيادة الإنجليزية أن العرب استجابوا لسياستها الجديدة، وهدأت الثورات داخل الأرض المقدسة، فأعلنت مجدداً عن نيتها إنشاء دولة فلسطينية موحدة يقودها الفلسطينيون خلال عشر سنوات، وتحديد الهجرة اليهودية إلى فلسطين خلال خمس سنوات بحيث لا تزيد عن ٧٥ ألف يهودي، وبعد ذلك لن يسمح لليهود بالدخول إلا بإذن العرب.

وكان من جراء ذلك أن هذا الصخب والقتال كثيراً، واستمرت هذه السياسة البريطانية، فأعلنت بريطانيا أنها ستمنع بيع الأراضي لليهود بعد خمس سنوات أيضاً. ولكن اليهود أعربوا عن رفضهم لهذه السياسة، وأبدوا إصرارهم على إقامة وطن قومي يهودي لهم.

لم يدرك اليهود مآرب بريطانيا في سياستها هذه، وهدفها في إخماد الثورة بالطرق السياسية، فأبدوا استنكارهم ورفضهم للمشروع الإنجليزي، ولما رأى العرب رفض اليهود هذا أحسوا بأن الأمر لا يتجاوز خدعة جديدة، فأعلنوا رفضهم للمشروع البريطاني، وشكهم في النوايا اليهودية، وطلبوا من بريطانيا أن تظهر نواياها بالإعلان بالإفراج عن جميع المعتقلين، والسماح لثوار فلسطين بالعودة، وكذلك السماح لأمين الحسيني بالعودة إلى فلسطين.

مشروع الدولة الفلسطينية البريطاني

ورداً على ذلك قام وزير المستعمرات البريطاني "مالكوم ماكدولز" في ٥/١٧ بطرح مشروع للدولة الفلسطينية، ولكن بشرط أن هذا لن يتحقق إلا بعد عشر سنوات من السماح باستمرار الهجرة اليهودية، فأثار هذا استفزاز اليهود، ووقع فيهم الخوف من النوايا البريطانية، فعندها قامت المنظمات العسكرية اليهودية بعمليات اغتيالات لترغم بريطانيا وتضعها أمام الأمر الواقع، وأعلنت منظمة الأرجون أن إقامة دولة يهودية لن يكون على يد الإنجليز، وسيتم هذا الأمر بالقوة اليهودية، ثم دعت للاستيلاء على فلسطين بالقوة، وهذا يشير إلى مدى القوة التي وصل إليها اليهود حتى هذا التاريخ.

بعد هذا التصعيد أرسلت بريطانيا إلى منظمة الأرجون بشرح عن سياستها في المنطقة لتهدئة الثورة الفلسطينية وعدم نكثها للوعود التي قطعتها بشأن اليهود، فهدأ أمر هذه المنظمة، غير أن طرفاً من المنظمة كان أشد تعصباً، فانشقت مجموعة من الأرجون أسست ما يسمى بـ "عصب شتيرن" بقيادة "إبراهام شتيرن" وذلك احتجاجا على المشروع البريطاني، ودعت هذه المجموعة لشن حرب ضد الإنجليز في فلسطين، مدعية أن لليهود حق القرار الكامل في اختيار موعد ومكان إقامة وطن لليهود في فلسطين دون تدخل من جانب بريطانيا.

٤ الحرب العالمية الثانية

في هذه الأثناء أشعلت ألمانيا الحرب العالمية الثانية بقيادة "هتلر" وبدأت حربها ضد الدول الأوربية التي كانت تنهار أمام قوة النازيين، فسقطت "تشيكوسلوفاكيا" وسقطت عدة دول أخرى، وسقطت كذلك فرنسا، وأحدق الخطر ببريطانيا، ولكنها تصدت للألمان وأشركت معها في الحرب بعض دول العالم وبالذات أمريكا، وأعلنت إيطاليا بقيادة "موسوليني" انضمامها للألمان، ودخلت روسيا في حلف الإنجليز، واشتعل العالم، ثم دخلت اليابان الحرب وانضمت لألمانيا، واستعرت الحرب الملتهبة في أصقاع العالم، حرب لم تشهد لها البشرية مثيلاً، مات فيها أكثر من ٢٥ مليون إنسان.

وتعرض اليهود للضغط النازي في ألمانيا وقتل الملايين منهم (وكتبت عليهم الذلة والمسكنة)، وانشغلت بريطانيا عن قضية فلسطين بحربها ضد الألمان، فحاولت تهدئة الجبهة العربية والتخلي بعض الشيء عن اليهود، وحاولت توجيه المهاجرين الجدد الهاربين من الضغط النازي إلى مكان غير فلسطين، وأوجس اليهود خيفة وشكاً من المخطط البريطاني، وخافوا أن تكون قد عدلت عن فكرة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فقاموا بعمل خطير، وهو تفجير الباخرة التي تحمل اليهود إلى مكان آخر غير فلسطين حتى يظهروا لبريطانيا أنهم لم يسمحوا بأي وطن آخر غير فلسطين.


اضطهاد اليهود على يد هتلر


أدولوف هتلر يعلن الحرب


عام ١٣٦٠ هجري
١٩٤١ ميلادي

الحسيني يلتقي بهتلر

أما الشيخ أمين الحسيني فقد اضطر بعد ملاحقته طويلاً في لبنان أن يهرب إلى العراق، ومن العراق هرب إلى إيران لما سقط النظام العراقي المعادي لبريطانيا ونشأت حكومة موالية لبريطانيا، ثم تحت الضغط هرب إلى تركيا ومن تركيا هرب إلى ألمانيا.

وفي هذا العام التقى الشيخ أمين الحسيني مع "هتلر" وطلب منه أن يدعم الثورة الفلسطينية ضد الإنجليز، فوافقه على ذلك، فقامت دول المحور ألمانيا وإيطاليا التي كانت تحارب دول الحلفاء بإعلان تأييدها للثورة الفلسطينية واستقلال العرب من الإنجليز، لم يكن ذلك حباً في العرب، ولكنه كان عداء لبريطانيا وحلفائها من اليهود لا غير.



عام ١٣٦١ هجري
١٩٤٢ ميلادي

الألمان يدربون الجيش العربي

وبناء على هذا التقارب قام الشيخ أمين الحسيني بتشجيع العرب الموجودين في أوروبا ودول المحور للتجمع بجيش عربي يدربه الألمان، وفعلاً نشأ هذا الجيش المدرب بمئات من العرب، وذلك بغرض مواجهة جيش اليهود ، وجعل الألمان يسلحون هذا الجيش لزعزعة الوجود الإنجليزي في المشرق الإسلامي.



الزعيم الألماني أدولوف هتلر يقلد وساماً لأحد الضباط



الزعيم الإيطالي موسوليني يدخل الحرب العالمية الثانية

أمريكا تدعم اليهود

ومن جانب اليهود بدأ هؤلاء بالتهويل والدعاية لما حدث لهم من مقتلة على يد الألمان، وعقدوا مؤتمراً عالمياً في أمريكا في "بالتيمور"، وأعلنوا فيه أنه لا بديل لليهود سوى إنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين، وانعقد في أمريكا الحزبان الديمقراطي والجمهوري وأعلنا دعمهما الكامل لليهود، وأوعزت أمريكا إلى بريطانيا بعدم التخلي عن اليهود، وإلغاء اتفاقها مع الفلسطينيين القاضي بعدم تقسيم فلسطين.

ولما كانت بريطانيا تخوض حرباً شرسة وبحاجة إلى كل مساعدة من أمريكا، وافقت على إلغاء تعهداتها للعرب، وسمحت للهجرة اليهودية، فانفجرت الجموع اليهودية الفارة من أوربا بالهجرة إلى فلسطين، فهاجر خلال الحرب ٩٠ ألف يهودي إلى فلسطين.

هتلر يدعم الحسيني

ثم لما رأى أمين الحسيني هذه الهجرة المكثفة، طالب بمزيد من المساندة الألمانية، فاستجاب له "هتلر" وأرسل القوات الألمانية عبر ليبيا متجهة نحو فلسطين، وتم تهريب السلاح الألماني إلى ليبيا، فهرب في الدفعات الأولى ٣٠ ألف قطعة سلاح.



أدولوف هتلر

اليهود يخططون لإخراج بريطانيا

وفي هذه الآونة، كان اليهود يخططون لإخراج بريطانيا من فلسطين، وممارسة الحكم المباشر عليها، خصوصاً بعدما بلغ تعداد جيشهم حوالي ٦٠ ألفاً، فقام اليهود بعمليات اغتيال للضباط الإنجليز ونسف للمراكز البريطانية، فزعزع هذا الأمر الانتداب البريطاني، خصوصاً مع ما كانت تعانيه بريطانيا من وضع متأزم في الحرب في أوربا.

وزاد الأمر سوءاً عندما قام زعيم الهاجاناة اليهودي "بن غوريون" في ١٩٤٢/٥/١٩ بالإعلان الخطير الذي ينص على تحديد الأرض اليهودية: **أرضك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل**، وذلك كما يدعي اليهود وجود ذلك في التوراة، وطلب "بن غوريون" من شباب اليهود في أنحاء العالم أن يتوجهوا لدعم هذه الدولة الناشئة.



عام ١٣٦٣ هجري
١٩٤٤ ميلادي

أمريكا وبريطانيا تدعمان دولة لليهود

وشعرت بريطانيا بانتهاء مصالحها في فلسطين، وأحست قدرة اليهود على إقامة دولة مستقلة خاصة بهم، فقام حزب العمل البريطاني في الشهر الخامس من هذا العام ١٩٤٤ بإصدار قرار لتشجيع الفلسطينيين على مغادرة فلسطين، وإعطاء مكافآت مالية للمهاجرين العرب من فلسطين، وذلك لإفساح المجال أمام الهجرة اليهودية، وفي أمريكا تم في هذا العام إعلان البرنامج الانتخابي في انتخابات أمريكا، والذي تضمن دعوة الحزبين الديمقراطي والجمهوري لمساندة الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإقامة الدولة الإسرائيلية على كامل فلسطين.

ورفع لأول مرة علم إسرائيل في الشهر العاشر من هذا العام على أرض فلسطين، وفي الشهر التالي قام اليهود باغتيال "اللورد موين" وزير الدولة البريطاني أثناء زيارته للقاهرة، ليزيدوا الضغط على بريطانيا كي تغادر فلسطين.



هجرة اليهود من ألمانيا إلى فلسطين



عام ١٣٦٤ هجري
١٩٤٥ ميلادي

انتهاء الحرب العالمية الثانية



ترومان (رئيس أمريكا)

انتهت الحرب العالمية الثانية بهزيمة ألمانيا ودول المحور، وانتهى معها الجيش العربي المستورد من ألمانيا، وتحطمت آماله في قتال اليهود في فلسطين بمساعدة الألمان، وفي هذا العام اجتمع "بن غوريون" بقادة اليهود في أمريكا وحصل منهم على تعهد بشراء السلاح لليهود، وصار المال الأمريكي الضخم يتسرب إلى اليهود في فلسطين، وقام "ترومان" رئيس أمريكا بمطالبة "إيتلي" رئيس وزراء بريطانيا بالسماح بهجرة ١٠٠ ألف يهودي إلى فلسطين، ووافق الأخير على ذلك، فقامت هجرة مكثفة نحو فلسطين، وقام الهاجاناة بممارسة مزيد من العمليات للضغط على بريطانيا التي كانت ما زالت تتمسك بالبقاء في فلسطين، وقام "الأرجون" بالمشاركة في ذلك، فكان أن ضربوا سكك الحديد التي يستعملها الإنجليز، وقاموا بعدة عمليات لإجبار البريطانيين على المغادرة.

وفي ظل هذه الظروف قامت جامعة الدول العربية بالاحتجاج على الهجرة اليهودية عند الحكومتين الأمريكية والبريطانية، وأعلنت بريطانيا ردا على المذكرة العربية إعلانها الشهير باستمرار الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ثم أعلنت تخليها الرسمي عن الكتاب الأبيض البريطاني، الذي كان ينص على الوعد بإنشاء دولة فلسطينية موحدة والتخلي عن وعد بلفور، كما أعلنت بريطانيا عن إعادة وعد بلفور في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، إلا أنه تشكلت لجنة إنجليزية أمريكية للتحقيق في قضية فلسطين واقتراح الحلول المناسبة لها.



نهاية الحرب العالمية الثانية



ديفيد بن غوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل ١٩٤٨

٥ الثورة والمؤامرات


عام ١٣٦٥ هجري
١٩٤٦ ميلادي

الثورة والإضراب من جديد

وفي أثر ذلك اشتعلت الثورة الفلسطينية من جديد، وبدأ إضراب عام يشمل فلسطين في الشهر الثاني من هذا العام، وقامت جامعة الدول العربية بإنشاء الهيئة العربية العليا لفلسطين، وجعلتها الممثل الرسمي للشعب الفلسطيني، ومع ملاحظة أن الدول العربية كان معظمها لا يزال قابعاً تحت الاحتلال الإنجليزي والفرنسي، فقد كانت قرارات جامعة الدول العربية هزيلة وضعيفة.

اشتداد المقاومة الفلسطينية

الحسيني يظهر في مصر

واستمرت الثورة والإضرابات، ولكنها كانت غير محكمة ولا منظمة، ويظهر إلى المسرح السياسي من جديد الحاج أمين الحسيني، والذي فر من فرنسا بعد اعتقاله، فظهر فجأة في مصر، وعمت الأفراح فلسطين بظهور الزعيم الفلسطيني، وأقيمت الزينات والمواكب في فلسطين احتفالاً بعودة الحاج أمين الحسيني، وقامت جامعة الدول العربية بتعيينه رئيساً للهيئة العربية العليا، لكن أمين الحسيني كانت له مشاكل كثيرة مع العراق التي فر منها، ومشاكل أخرى مع الأردن التي كان رئيس أركانها ضابط بريطاني، وأخرى مع مصر بسبب النفوذ البريطاني الضخم هناك فلم تصدر عنه أي تحركات ظاهرة.

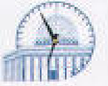
الهجرة اليهودية تشتد

وفي هذه الأثناء أصدرت لجنة "الأنجلو" الأمريكية قرارها بالسماح بمزيد من الهجرة اليهودية وأعلنت حرية بيع الأراضي لليهود، فاشتدت الهجرة نحو فلسطين حتى بلغت في هذا العام ٦١ ألف يهودي، فكان رد جامعة الدول العربية إصدار مذكرة تقضي بتسليح الفلسطينيين، وردت بريطانيا من طرفها على المذكرات العربية الهزيلة بإحالة قضية فلسطين في ١٩٤٦/٢/١٨ إلى الأمم المتحدة، موكلة هذه القضية إلى العالم.

ورفعت في مقابل ذلك جامعة الدول العربية مذكرة إلى الأمم المتحدة تحمل فيها أمريكا وبريطانيا مسؤولية تردي الأوضاع في فلسطين، وردت بريطانيا على المذكرة بطلب إدراج قضية فلسطين على جدول الأعمال، وتشكيل لجنة دولية خاصة لفلسطين، وتقديم توصياتها للأمم المتحدة لإصدار قرارها بشأنها.



٤٠ ألف يهودي من اليمن هاجر لإسرائيل خلال سنة



عام ١٣٦٦ هجرية
١٩٤٧ ميلادي

التوصية بتقسيم فلسطين

وفي ١٩٤٧/٧/٣ م أصدرت لجنة الأمم المتحدة توصياتها بإنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية ووضع القدس تحت إشراف دولي، وقوبل هذا القرار برفض شديد من الطرفين اليهودي والفلسطيني العربي، وكان اعتراض اليهود على القرار من جهة وضع القدس تحت إشراف دولي، ولم يكن لديهم اعتراض على التقسيم، فقام الهاجاناة بعمليات إرهابية، وبدأت مهاجمة العرب في كل أنحاء فلسطين.

وفي ١٩٤٧/٩/٦ م عقد مؤتمر للدول العربية، وقرر مقاومة مقترحات الأمم المتحدة، ورفض تقسيم فلسطين، وقرر كذلك دعم فلسطين بالسلاح والرجال، وتنظيم العمل العسكري الفلسطيني، وقامت دول أوربا بتسليح اليهود، وبالذات تشيكوسلوفاكيا التي كانت مصنع السلاح الأوروبي، فعادت الأمم المتحدة تناقش التوصية بتقسيم فلسطين.

وفي ١٩٤٧/٩/٢٦ م أعلنت بريطانيا إنهاء انتدابها لفلسطين، على أن تسحب قواتها في ١٩٤٨/٥/١٥ من العام القادم، وأعلنت الهيئة العربية العليا التي شكلتها الدول العربية لقضية فلسطين رفضها للإعلان، بيد أن الوكالة اليهودية وافقت على قرار التقسيم في ١٩٤٧/١٠/٢م، وأعلنت أمريكا موافقتها كذلك، وأعلنت بعدها روسيا الموافقة، فحرك ذلك العمليات الجهادية من جديد في الأرض المقدسة.

حسن البنا يحرك الجهاد

وفي مصر قام الإمام الشهيد حسن البنا قائد حركة الإخوان المسلمين بتحريك المجاهدين من مصر إلى فلسطين من متطوعي الإخوان المسلمين، وكان هذا في زمن حكم الملك فاروق، فاتجه قرابة ١٠ آلاف متطوع مسلح من الإخوان المسلمين من مصر إلى فلسطين، فتصدى لهم الجيش المصري ومنعهم من دخول فلسطين، وتراجع الشيخ حسن البنا خوفاً من حدوث صدام بين جيشين مسلمين، لكنه بعد ذلك سرب المجاهدين بالسر إلى فلسطين، وقامت في فلسطين ثورة عارمة ، وكثرت عمليات الاغتيال للإنجليز واليهود، وبدأ ترتيب عمليات اغتيال للإنجليز في قناة السويس في مصر نفسها من قبل حركة الإخوان المسلمين، وسجل التاريخ عمليات بطولية غير عادية للحركات الإسلامية في تلك الفترة.



الإمام الشهيد حسن البنا قائد حركة الإخوان المسلمين



قرار التقسيم

وفي ١٩٤٧/١١/٢٩ أصدرت الأمم المتحدة قرارها المشؤوم رقم ١٨١ في نيويورك بتقسيم فلسطين إلى دولتين وبدعم من أغلبية الأمم المتحدة، حيث وافق الثلثان على هذا القرار بدعم أمريكي وروسي قوي جداً، ورسمت خريطة التقسيم لتجعل لليهود ٥٤ ٪ من أرض فلسطين، و ٤٦٪ للعرب، بينما كانت نسبة اليهود سكانياً لا تتجاوز في ذلك الوقت ٣٢ ٪، أما العرب فكانوا يشكلون ٦٨ ٪ من السكان، وكان الفلسطينيين وقتها يملكون ٩٣,٥ ٪ من أرض فلسطين.

ثم أعلنت منظمة الهاجاناة دعوة جميع الشباب اليهودي في العالم للالتحاق بالخدمة العسكرية واحتلال المناصب الاستراتيجية في البلاد، واحتدمت الصدامات بين الطرفين اليهودي والفلسطيني، فقامت أمريكا بإعلان حظر السلاح على الدول العربية حتى لا يتسرب السلاح للفلسطينيين، وصادقت بريطانيا على قرارات الأمم المتحدة بانسحابها تماماً في ١٩٤٨/٥/١٥ .

وقامت مظاهرات واحتجاجات عارمة في أرجاء الوطن العربي، وقررت جامعة الدول العربية صرف مساعدة عسكرية للجنة العسكرية التابعة للهيئة العربية العليا تقدر بعشرة آلاف بندقية وأربعة آلاف متطوع فقط!، وفي مقابل التبرع العربي قام اليهود الأمريكان بالتبرع لليهود في فلسطين بمبلغ ٢٥٠ مليون دولار.

اللاجئون اليهود يتدفقون على حيفا قبيل إعلان اسرائيل ١٩٤٨



الباب الثالث

العهد العثماني وحكم الإنجليز

الفصل الخامس

عام النكبة

١- عبد القادر الحسيني في معركة القسطل

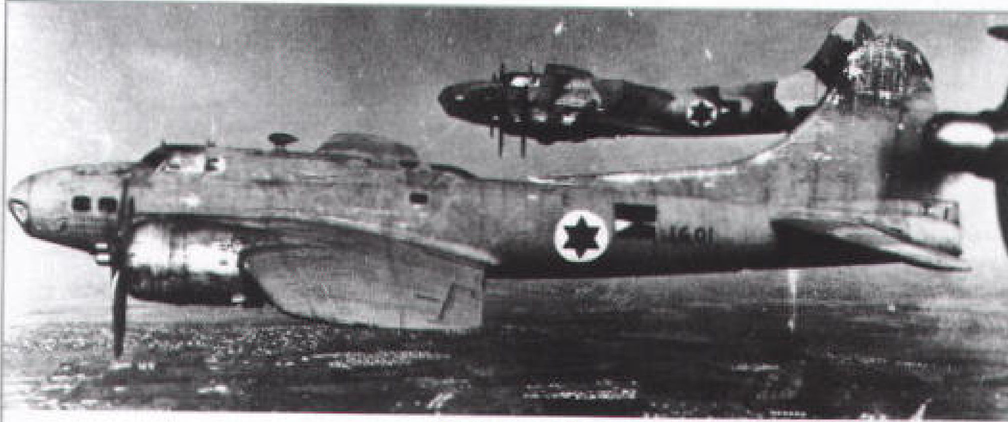
٢- مذبحة دير ياسين

٣- مقدمات إعلان إسرائيل



عام ١٣٦٧ هجري
١٩٤٨ ميلادي

أحداث النكبة



طائرات البوينغ B-117 الأمريكية التي أعطيت لليهود في حرب ١٩٤٨

إن مجموعة الأحداث المتعاقبة على الأمة العربية مهدت في مجموعها لحدوث النكبة في هذا العام، بداية من دخول الاستعمار إلى الأرض العربية واحتلال الأراضي والمدن، إلى وعد بلفور في عام ١٩١٧ م ، ومن ثم إنشاء الجيش اليهودي ومنظمات الهاجانة الأرجون وأشتان وتسليحها وتدريبها عسكرياً، ودعم الهجرة اليهودية المكثفة نحو الأرض الفلسطينية، وانتهاء بالقضاء على الثورة الفلسطينية في عام ١٩٣٩ م واغتيال أعداد كبيرة من القادة الفلسطينيين وعلى رأسهم الشهيد عز الدين القسام.

وبينما كان اليهود لا يشكلون حتى وقتها دولة ولا جيشاً رسمياً، قامت بريطانيا ببيع اليهود في الشهر الأول من عام ١٩٤٨م عشرين طائرة عسكرية، مما مهّد الطريق لقيام الجيش الإسرائيلي وتسليم فلسطين لليهود، وقامت كذلك أمريكا بإرسال عربات مجنزرة من أمريكا إلى فلسطين لمساندة اليهود.



أوردي وينغات الضابط الصهيوني البريطاني لتدريب اليهود



قوات الدفاع العربية ١٩٤٩

١ عبد القادر الحسيني في معركة القسطل

وفي ١٩٤٨/٤/٢ م قامت قوات الهاجانة اليهودية بمهاجمة قرية "القسطل" غربي القدس، واستولت عليها وطردت كل سكانها منها، و"القسطل" هي ترجمة لكلمة Castle وتعني: الحصن أو القلعة، وهي واحدة من أخطر الأماكن في فلسطين، وكانت القسطل تشكل في الحقيقة بداية لخطة يهودية لاحتلال الجزء الأكبر من فلسطين قبل إنهاء الانتداب البريطاني في ١٩٤٨/٥/١٥، وقام القائد عبد القادر الحسيني بمواجهة هذا الهجوم، غير أن القوات اليهودية التي كانت مدربة ومدججة بالسلاح البريطاني والتشيكي والأمريكي والفرنسي كانت تشكل قوة ضاربة كبيرة، بينما لا تعدو القوات الفلسطينية كونها جماعات متفرقة ومجاهدين بأسلحة قليلة الفعالية في الحروب، ولم تتلق هذه الجماعات المقاومة أي دعم من البلدان العربية التي كان بعضها لا يزال يعاني وطأة الاستعمار، ويناضل الآخر للحصول على حريته واستقلاله.

لكن القائد عبد القادر أخذ الأمور على عاتقه، وفي ١٩٤٨/٤/٥ توجه بقواته البسيطة نحو القسطل، وليس معه سوى ٥٦ مناضلاً من المجاهدين، واستطاع فعلاً أن يحاصر القسطل، لكن



انفجار في سوق اليهود في القدس يقتل ٥٧ ويجرح أكثر من ١٠٠ شهر ١٩٤٨/٢

قبل أن يضرب حصاره على القسطل توجه إلى جامعة الدول العربية ليلتقي باللجنة العربية العسكرية العليا، وطالبهم بمساندته، وتتحدث كتب التاريخ عن هذا اللقاء بين عبدالقادر الحسيني واللجنة العسكرية:

يقول الحسيني رحمه الله أن اللجنة العسكرية طالبته بعدم افتعال تصرفات فردية، وأن جامعة الدول العربية قد أوكلت قضية فلسطين إلى لجنة عربية عسكرية عليا، وطالبوه بعدم الذهاب نحو القسطل، فقال رداً عليهم:

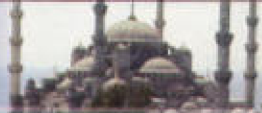
"إنني ذاهب إلى القسطل وسأقتحمها وسأحتلها ولو أدى ذلك إلى موتي، والله لقد سئمت الحياة وأصبح الموت أحب إليّ من نفسي من هذه المعاملة التي تعاملنا بها الجامعة. إنني أصبحت أتمنى الموت قبل أن أرى اليهود يحتلون فلسطين، إن رجال الجامعة والقيادة يخونون فلسطين".

ثم إنه توجه نحو القسطل بقواته وأسلحته البسيطة، وقد صادف أن كانت إحدى الجيوش العربية بقيادة إنجليزية موجودة ومتمركزة في رام الله، فطلب عبدالقادر من هذا الجيش مساندته، فاعتذر قادة الجيش وطلبوا تأجيل القتال حتى يحدث الانسحاب العسكري البريطاني في ١٩٤٨/٥/١٥ م.

ولم تكن الدول العربية تريد مواجهة مع بريطانيا، ورأت أن أي عمل عسكري الآن سيعني مواجهة حتمية مع بريطانيا، ولكن الحسيني بدأ يرسل إلى المتطوعين من الحركات الإسلامية في فلسطين و مصر وما حولها، ثم إنه طوّق القسطل وبدأ يستنجد مرة أخرى بالقيادة العسكرية، وأرسل إليهم بأنه بمساعدتهم سينهي الوجود اليهودي فيها، بيد أن القيادة العسكرية للجامعة العربية أصرت على موقفها.

وأثار ذلك الترنح في مواقف الجامعة العربية حفيظة الحسيني، وثارت ثائرته فأطلق صيحته قائلاً:

"نحن أحق بالسلاح المخزّن من المزابل، إن التاريخ سيتهمكم بإضاعة فلسطين، وإنني سأموت في القسطل قبل أن أرى تقصيركم وتواطؤكم".



ويافا وحيفا وطبرية، وأقسام أخرى من فلسطين".

ولكن أعضاء اللجنة لم يهتموا لقوله وسخروا من حماسه واندفاعه، فاستشاط عبد القادر غضباً، ورمى بدبارة كانت في يده في وجوههم وقال:

"إنكم تخونون فلسطين.. إنكم تريدون قتلنا وذبحنا!".

أما صديقه "قاسم الرمادي" فقد قال:

"ليسقط دمي على رأس عبد الرحمن عزام (أمين الجامعة العربية)، وطه الهاشمي وإسماعيل صفوت (قادة القوات العسكرية التابعة للجامعة العربية) الذين يريدون تسليمنا لأعدائنا لكي يذبحونا ذبح النعاج، لكننا سنقاتل بدمائنا وأجسادنا، وليبقَ السلاح مكدساً في عنابر اللجنة العربية، وفي مزابلها، سنرجع إلى فلسطين لنحقق أمنيتنا بالفوز بإحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة". وقرأ قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾. النساء (٧٤).

ثم قفل عائداً إلى القسطل، وجعل يردد قول أخيه القائد الشاعر عبد الرحيم محمود الذي استشهد في معركة الشجرة:

فقلبي حديد وناري لظى ... بقلبي سأرمي وجوه العداة

فيعلم قومي بأني الفتى ... وأحمي حماي بحد الحسام

أذلاً وإني لربي أبي؟! ... أخوفاً وعندي تهون الحياة؟!

ثم تجمع من المتطوعين مع عبد القادر الحسيني ٥٠٠ رجل مجاهد انضموا إليه في حصار القسطل، في ١٩٤٨/٤/٨ م وبدأ الهجوم الشامل على القرية، وانتهت المعركة بمقتل ١٥٠ يهودياً وجرح ٨٠ منهم، وتم تحرير القسطل، ولكن بعد استشهاد البطل العظيم عبد القادر الحسيني رحمه الله تعالى.

وبعد سقوط القائد الحسيني بادرت قوات الهاجانة في اليوم التالي فاستعادت احتلال القسطل من جديد، واحتلت معها عدة قرى أخرى، ولم تستطع قوات الجهاد المقدس من بعده التصدي للقوات اليهودية، لكونها غير منظمة أو مهيأة للقتال مع فرقة مدربة مثل الهاجانة، فأسقط في يدها.



امرأة فلسطينية تنظف قطعة من السلاح في القدس

وقد ذكرت "جريدة المصري" أن اللجنة العسكرية العليا التابعة للجامعة العربية جعلت تسخر من عبدالقادر الحسيني وضعف قوته وعتاده اللذين يحملهما لمواجهة اليهود، وهزأ منه طه الهاشمي وأخبره أن لدى اللجنة العتاد والسلاح، ولكنها لن تعطيه لعبد القادر، ولكنها ستنتظر بالأمر بعد ١٩٤٨/٥/١٥ فكان رد الحسيني عليه:

"والله يا باشا إذا ترددتم وتقاعستم عن العمل فإنكم ستحتاجون بعد ٥/١٥ إلى عشرة أضعاف ما أطلبه منكم الآن، ومع ذلك فإنكم لن تتمكنوا من هؤلاء اليهود، إني أشهد الله على ما أقول، وأحملكم سلفاً مسؤولية ضياع القدس

٢ مذبحة دير ياسين

وفي نفس هذا اليوم قامت عصابات الهاجانة بقيادة "بيجن" الذي صار فيما بعد رئيساً لوزراء إسرائيل بمهاجمة قرية دير ياسين قرب القسطل، وبعد قتال عنيف استطاعت الهاجاناة احتلالها، وأحدثت فيها مجزرة عظيمة يندى لها جبين البشرية، ولا بد من الوقوف هنا لعرض أمثلة للفظائع التي ارتكبت في هذه المذبحة:

يقول شهود العيان في وصف مجزرة دير ياسين: كان هناك عرس، وكان العروسان في حفلتهما الكبيرة أول الضحايا، فقد قذف بهما مع ٣٣ من الجيران على الأرض، ثم أسندوا ووجوههم إلى الحائط، وانهال رصاص الرشاشات عليهم وأيديهم مكشوفة.

ويروي "زيدان" وهو الناجي الوحيد بين أفراد عائلة أبيدت بكاملها، وكان عمره وقتها ١٢ سنة فيقول: أمر اليهود أفراد أسرتي جميعاً بأن يقفوا ووجوههم إلى الحائط، ثم أخذوا يطلقون عليهم النار، فأصبت في جنبي، واستطعنا نحن الأطفال أن ننجو بمعظمنا، لأننا اختبأنا تحت جثث أهالينا، ولكن الرصاص مزق رأس أختي البالغة أربع سنوات، أما بقية أسرتي وأمي وأبي وجدي وجدتي وأعمامي وعماتي وعدد من أولادهم فقد ماتوا جميعاً.

وتقول "حليمة عيد" التي كانت عند وقوع المجزرة امرأة شابة في الثلاثين من عمرها، وتنتمي إلى أكبر أسرة في قرية دير ياسين: رأيت يهودياً يطلق الرصاص فيصيب عنق زوجة أخي "خالدية" التي كانت موشكة على الوضع، ثم هجم عليها فشق بطنها بسكينه الحادة، ولما حاولت إحدى النساء إخراج الطفل من أحشاء الحامل المقتولة قاموا بقتل هذه المرأة أيضاً، واسمها "عائشة رضوان".

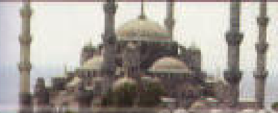
وفي منزل آخر تروي الشاهدة "حنان خليل" وعمرها آنذاك ١٦ عاماً، أنها شاهدت إرهابياً صهيونياً يستل سكيناً كبيراً ويشق بها من الرأس إلى القدم جسم جارتها "جميلة حبش"، ثم يقتل بنفس الطريقة جاراً آخر يدعى "فتحي".

وتتكرر هذه المشاهد من منزل إلى منزل، وقد شارك في هذه الجريمة إلى جانب الجنود اليهود مجموعة من الإرهابيات الصهيونيات من أعضاء منظمة "لاحي وآتو"، ويصف "دي رينيه" - رئيس بعثة الصليب الأحمر في فلسطين عام ١٩٤٨ - الإرهابيين الذين شاهدهم في مذبحة دير ياسين قائلاً:

رأيت شباناً ومراهقين ذكوراً وإناثاً مدججين بالسلاح والرشاشات والقنابل اليدوية، وأكثرهم لا يزال ملطخاً بالدماء، وخناجرهم الكبيرة في أيديهم وقد شاهدت فتاة من أفراد العصابة اليهودية تطفح عيناها بالجريمة، عرضت لي يديها وهما تقطران دماً،



حيفا عند إعلان إسرائيل في ١٩٤٨



وكانت تحركهما وكأنهما ميداليتا حرب.

ويضيف: دخلت أحد المنازل فوجدته مليئاً بالأثاث الممزق وكافة أنواع الشظايا، ورأيت بعض الجثث الباردة، ورأيت بأن التصفية تمت بواسطة الرشاشات والقنابل اليدوية والسكاكين، وعندما هممت بالمغادرة سمعت أصوات تنهدات عميقة، فبحثت عن المصدر، فإذا بقدم صغيرة حارة، فتقدمت إليها وإذ بفتاة في العاشرة من عمرها مُزقت بقنبلة يدوية، ومازالت على قيد الحياة، وعندما هممت بحملها حاول أحد الضباط الإسرائيليين منعي، فدفعته جانباً وأكملت عملي، غير أنه لم يكن من الأحياء في كل الجثث التي رأيتها إلا امرأتان إحداهما عجوز اختفت خلف كومة من الحطب، وكانت القرية تضم حوالي ٤٠٠ شخص.

أما قائد هذه المجزرة ورئيس وزراء الكيان الصهيوني فيما بعد "مناحم بيجن" فيقول متفاخراً: كان لعملية دير ياسين نتائج كبيرة غير متوقعة، فقد أصيب العرب بعد أخبار دير ياسين بهلع قوي، وأخذوا يفرّون مذعورين أمامنا كلما سمعوا بقدومنا، فمن أصل ٨٠٠ ألف عربي كانوا يعيشون على أرض إسرائيل في ذلك الوقت، لم يبقَ سوى ١٦٥ ألف بسبب الذعر الذي أصابهم في دير ياسين.

ويقول "بيجن" أيضاً: مذبحة دير ياسين كانت السبب الأكبر في انتصاراتنا في ميدان المعركة.

لقد قتل في دير ياسين أكثر من ٢٥٠ من الرجال والنساء والأطفال، وعلى الرغم من بشاعة هذه الجريمة لم يصدر عن العالم كله آية ردة فعل، سوى ما قامت به قوات الإخوان المسلمين، والتي انطلقت من مصر تهاجم اليهود في منطقة النقب في صحراء النقب في جنوب فلسطين في اليوم التالي بتاريخ ١ جمادى الآخرة ١٣٦٧ هجري الموافق ١٩٤٨/٤/١٠ م، فقتلوا عدداً من اليهود وجرحوا عدداً آخر.

القوات اليهودية في صفد

٣ مقدمات إعلان إسرائيل

اليهود يصدرون قرار إنشاء دولتهم

وفي نفس هذا اليوم قام المجلس الوطني اليهودي بإعلان قرار إنشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين بتاريخ ٥/١٦، أي في اليوم التالي للانسحاب البريطاني المتوقع، ولكن خلال هذه الفترة استمرت المعارك والثورات، واستمر كذلك تسليح اليهود من أوروبا وأمريكا بشكل خاص.



ديفيد بن غوريون أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني شهر ١٩٤٨/٥

بريطانيا تدعم

وفي ٤/١٨ تعمد بريطانيا إلى إخلاء عدة قرى فلسطينية، وتفتح أبوابها أمام اليهود، وذلك بعد فرار من فيها من السكان، وفي ٤/٢٢ تمكن الهاجانة من احتلال "حيفا" وطردوا من فيها من السكان الفلسطينيين، ثم في ٤/٣٠ تقوم الهاجانة أيضاً باحتلال القدس الغربية وطرد من فيها من العرب المسلمين.



يهود يتدربون على قنابل الهاون

العرب يقررون منع الدولة اليهودية

ومن أعمال الاحتلال هذه اشتعلت المظاهرات في العالم العربي والإسلامي، وتحت هذا الضغط الشعبي قامت لبنان وسورية في ٥/١ بإصدار قرار بإرسال قوات إلى فلسطين فور انتهاء الانتداب البريطاني، ولكن ليس قبل ذلك، وتبعتهما العراق بإعلان إرسال الجنود إلى الأردن لدخول فلسطين، ولكن أيضاً بعد ٥/١٥، وأكدت اللجنة السياسية للجامعة العربية عدم دخول جيوشها إلى فلسطين قبل ١٥ مايو موعد انسحاب القوات البريطانية.

فرنسا تدعم اليهود

وفي هذه الأثناء كانت الطائرات الفرنسية المحملة بالسلاح تصل إلى الهاجاناة، واستمرت القوات اليهودية باحتلال المناطق وطرد العرب منها، حتى وصل عدد المطرودين إلى ٢٠٠ الف من المناطق الفلسطينية، واستمرت المقاومة لهذا الاحتلال ولكن التسليح المستمر والهجرة المكثفة لليهود أضعفت من شدة المقاومة.



هجرة الفلسطينيين من ديارهم

الإسلاميون في مصر يجاهدون

وفي ٥/١٠ يدخل اليهود يافا، فتتحرك القوات الإسلامية من مصر وتقوم بمهاجمة القوات اليهودية في النقب للمرة الثانية، وتستطيع تدميرها، ويفر اليهود أمامهم، لكن النقب لا يعتبر مركزاً استراتيجياً، كما أن المسافة بعيدة بين مصر وبين المناطق المحتلة.

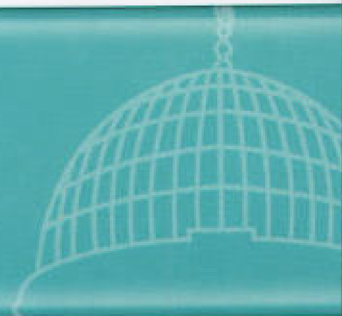
حالة الطوارئ العربية

وفي ٥/١١ قامت الهاجاناة باحتلال صفد وما حولها، فأعلنت حالة الطوارئ في البلاد العربية، ومنع الذكور الأصحاء من دخول أي بلد عربي بحجة أنهم لابد أن يتوجهوا إلى فلسطين لتحريرها، وفي ٥/١٢ فقط أعلنت مصر أنها سترسل قواتها بعد ٥/١٥، وأما الجيش الأردني فقد بادر قبل ٥/١٥ بمهاجمة إحدى المعسكرات، ولكن ذلك كان هشاً وضعيفاً أمام العمليات العسكرية والاحتلال الذي تقوم به الهاجاناة، والتي ضاعفت من سرعتها واحتلت عدة مدن من أهمها بيسان ومهدت لاحتلال باقي مدن فلسطين وبالذات القدس.

سقوط يافا

وقامت ثورة عظيمة في يافا، وحمل السلاح كل مستطيع، حتى السلاح الخفيف من سكاكين وغيرها، ولكن بدون دعم عربي حقيقي سقطت يافا للمرة الثانية ولكن بعد سقوط ٧٧٠ قتيل وجريح فلسطيني في يافا.





الباب الرابع

فلسطين تحت الاحتلال اليهودي



الباب الرابع

فلسطين تحت الاحتلال اليهودي

الفصل الأول

ضياع فلسطين

١ العرب يدخلون الحرب

في ١٩٤٨/٥/١٤م تدخلت القوات الأردنية وهاجمت عدة مستعمرات يهودية، فاستسلمت هذه المستعمرات مباشرة للعرب الأردنيين، ويتحدث المحللون عن قدرة الجيش العربي على استعادة فلسطين بسرعة لو أنه قام باقتحام مبكر للأرض الفلسطينية.



بن جوريون يعلن قيام اسرائيل في تل أبيب عام ١٩٤٨

إعلان إسرائيل

وفي هذا اليوم غادر المندوب السامي البريطاني القدس إلى بريطانيا، وذلك تمهيداً لإعلان دولة إسرائيل في اليوم التالي، ولكن اليهود لم ينتظروا ١٩٤٨/٥/١٥ م، ففور مغادرة المندوب السامي البريطاني في ٥/١٤ في الساعة الرابعة بعد الظهر، وفي تل أبيب أعلن "بن جوريون" إقامة دولة إسرائيل، وبعد ١١ دقيقة من هذا الإعلان قام الرئيس الأمريكي "ترومان" بإعلان اعتراف أمريكا بقيام دولة إسرائيل. مما يدل بوضوح على تنظيم الأمر قبل مدة من حدوثه.

حال الجيوش العربية

وجاء يوم ٥/١٥ وانتهى الانتداب البريطاني، وكان هذا موعد دخول القوات العربية، وتم الاتفاق على أن تدخل القوات السورية واللبنانية والعراقية والأردنية إلى وسط فلسطين، بينما يتحرك الجيش المصري نحو عسقلان، ويتوجه الجيش الأردني نحو رام الله والقدس.

وقبل الدخول في تفاصيل هذه المعركة لابد من بيان بعض النقاط:

١- معظم هذه الدول العربية كانت خاضعة أصلاً لبريطانيا، وأحد جيوش هذه الدول العربية كان رئيس أركانها ضابطاً بريطانياً.

٢- عدد من قوات هذه الجيوش كان في تنسيق مباشر مع الإنجليز لترتيب شؤون مستقبل فلسطين.

٣- أحد الجيوش العربية كان يرأسه ٥٠ ضابطاً بالقيادة العليا، من بينهم ٤٥ ضابطاً إنجليزياً.

غير أنه وقبل بداية المعركة أصدرت القوات العربية المسلحة الداخلة إلى فلسطين قرارات رسمية هي:

١- إلغاء منظمة الجهاد المقدس التي يرأسها أمين الحسيني.

٢- إلغاء جيش الإنقاذ وإلغاء الهيئة العربية العليا التي تمثل الفلسطينيين في فلسطين.

٣- نزع السلاح من جميع الفلسطينيين، وذلك لحصر المعركة في القوات الرسمية فقط.

العرب ينزعون السلاح الفلسطيني

وبدأت القوات العربية بتطبيق قرار نزع سلاح الفلسطينيين، وانشغلت بذلك عن البدء بالمعركة الحقيقية ضد اليهود، أضف إلى ذلك أنه كان مجموع هذه القوات العربية المشتركة من الجيش السوري والمصري والأردني واللبناني والعراقي التي دخلت فلسطين عدداً لم يتجاوز ٢٤ ألف مقاتل، كما أن هذه القوات كانت ضعيفة في التنسيق بينها، ومتخلفة في سلاحها، كما أن السلاح كان مهترئاً وصدئاً وينفجر في وجه الجندي أحياناً.

وبالمقابل، كان الجيش اليهودي قد وصل تعداده إلى ٧٠ ألف مقاتل، وكان جيشاً مدرباً ومسلحاً تسليحاً كاملاً من قبل أوروبا وأمريكا، ومدرباً تدريباً إنجليزياً عالياً جداً، ولذلك فقد كانت هذه معركة غير متكافئة من جميع النواحي. ولكن يجب أن يعلم أنه وحتى ذلك الوقت وبالرغم من كل العمليات العسكرية التي قام بها الهاجانة بمساندة الإنجليز، كان مازال بيد الفلسطينيين ٨٢ ٪ من أرض فلسطين.



تهجير سكان الفالوجا إلى غزة تحت إشراف الأمم المتحدة ١٩٤٩

قيام الحرب

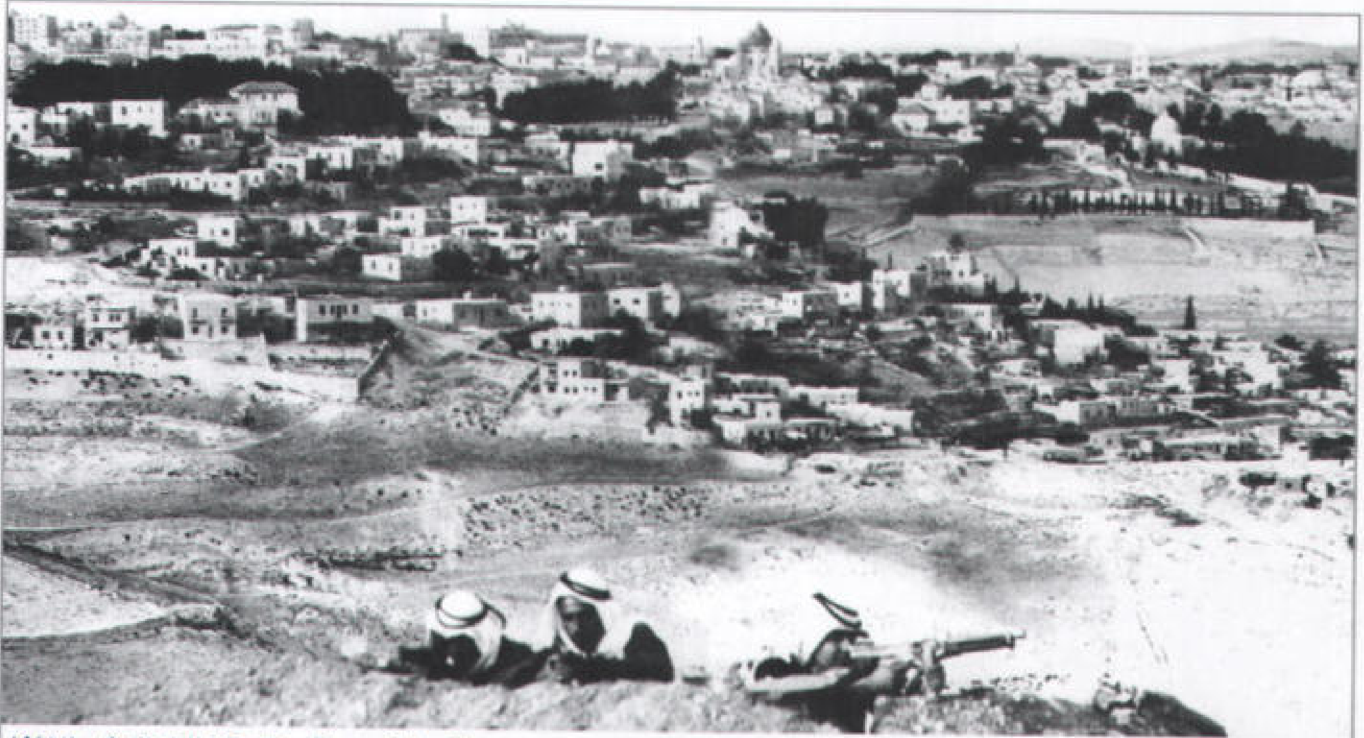
وفي ١٩٤٨/٥/١٥ قامت حرب ٤٨، وأعلن عن قيام إسرائيل وانسحاب بريطانيا، منتهياً بذلك الانتداب البريطاني، وانسحبت القوات البريطانية بكاملها، ولكنها كانت كلما انسحبت من منطقة سلمتها لليهود، وهكذا حتى أتمت الانسحاب الكامل من الأرض الفلسطينية.



جندي مصري جريح

مصر تدخل فلسطين

ثم دخلت القوات العربية المسلحة لتحرير فلسطين، وكانت القوات المصرية في طليعة الجيوش التي دخلت، وتلتها القوات الأردنية التي كانت موجودة أصلاً بعد أن عبرت الحدود كما أسلفنا، ثم عبرت القوات اللبنانية نحو فلسطين واستطاعت أن تحرر عدداً من القرى الفلسطينية على الحدود مع لبنان.


الفلسطينيون يراقبون تحركات الهاجاناه شهر ١٩٤٨/١

الإخوان المسلمون يجاهدون

ومن جهتها قامت الحركات الإسلامية ومنها قوات الإخوان المسلمين المتطوعة من سورية بقيادة القائد العالم "مصطفى السباعي" رحمه الله تعالى بالدخول إلى فلسطين، وكذلك قام الشيخ "محمد محمود الصواف" قائد الإخوان المسلمين في العراق بتحريك الشعب العراقي، واستطاع أن يشكل جمعية إنقاذ فلسطين، وتجمع لها حتى ذلك التاريخ ١٥ ألف متطوع للقتال في فلسطين، في حين كان تعداد الجيوش العربية لا يجاوز ٢٤ ألفاً !.

ولكن قوات الشيخ الصواف منعتها الحكومة العراقية من دخول فلسطين، وأمرت الشيخ بالانضمام إلى جيش الإنقاذ بقيادة أمين الحسيني، وعندما همّ بذلك جاء قرار الجيوش العربية بحل جيش الإنقاذ، وبذلك تبددت محاولات الدخول من جهة قوات الشيخ الصواف العراقية.

ثم قامت قوات الإخوان المسلمين في الأردن بقيادة مراقب الإخوان "عبد اللطيف أبو قورة" بدخول فلسطين، وعبرت النهر وعسكرت قرب القدس، وقامت كذلك قوات الإخوان المسلمين من مصر بقيادة أحمد عبد العزيز بدخول فلسطين بموافقة الحكومة المصرية بعد الضغط الشعبي الكبير، وكانت هذه القوات قد أشرف على تدريبها الضابط العسكري المصري من الإخوان المسلمين محمود لبيب.

وبدأت الحرب وأبلى الشباب المتطوع بلاء عظيماً جداً في هذه المعركة، وبالرغم من مواقف الجيوش العربية الضعيفة، فقد قامت تلك القوات بمشاركة قوية، وشارك في المعركة ٢٥٠ شاباً متطوعاً جاؤوا من البوسنة، كما ثار الشعب الفلسطيني داخل فلسطين، واستطاع القساميون أن ينظموا أنفسهم ودخلوا تحت جيش الجهاد المقدس.

٢ العرب يوقفون الحرب

وفي ٥/١٧ أي بعد يومين فقط سقطت عكا في يد اليهود، وفي ٥/١٩ توجه اليهود إلى القدس القديمة، فتحرك الجيش الأردني لإنقاذها، وسارعت قوات الإخوان المسلمين الأردنية كذلك وشاركت بقية الجيش في حصار القوات اليهودية في القدس.

وفي ٥/٢٢ وجه مجلس الأمن نداء لوقف إطلاق النار، ومارست الدول الكبرى ضغطها على الدول العربية لوقف إطلاق النار، فأذعنت تلك الأخيرة، وتم إيقاف إطلاق النار، بينما كانت القوات الإسلامية تحاصر ١٠٠ ألف يهودي في القدس، ومع إعلان وقف إطلاق النار انسحب جيش الإنقاذ التابع لجامعة الدول العربية من فلسطين، ولكن المعركة استمرت بالمجاهدين والمتطوعين الإسلاميين.

وكانت نتائج المعركة واضحة، فقد تحققت مجموعة من الانتصارات الضخمة مع نهاية هذا العام، فقد سيطرت القوات المصرية على بئر السبع وغزة وجزء من النقب، وشاركت قوات الإخوان المسلمين المصرية في حصار القدس وقتال اليهود، وكذلك قبل إعلان توقف الحرب كان الجيش العراقي قد استرد جنين، واستطاعت الكتائب الأردنية دخول القدس القديمة والسيطرة عليها ومحاصرة اليهود في القدس الغربية، وكذلك تمكنت من تحرير أريحا، ثم هاجمت القدس الجديدة وعسكرت حول اللد والرملة.

يقول "كلوب باشا" القائد الإنجليزي قائد القوات الأردنية والقائد العام للجيوش العربية الداخلة لفلسطين بتعليقه على وقف إطلاق النار:

"لو سمح العرب لقواتهم في ٥/١٥ بإتمام العمل ومتابعة القتال، لنجحوا على الأرجح في اجتياح الدولة اليهودية الجديدة".

وأمرت الدول العربية قواتها وجميع المجاهدين بالهدنة، فكانت الهدنة الأولى في ١٩٤٨/٦/١١م، وقضت هذه الهدنة بإيقاف إطلاق النار مدة أربعة أسابيع، ينظر بعدها في نتائج المفاوضات.



اليهود اليمنيون المهاجرون عام ١٩٤٩-١٩٥٠ في ساحة احدى المدن الفلسطينية



الهجرة اليهودية القادمة من أوروبا ١٩٤٨

أثناء المفاوضات

وفي اليوم التالي في ٦/١٢ افتتح اليهود في أوروبا ٧٥ مركزاً للتدريب القتالي المكثف، ثم أرسل المتدربون خلال فترة الأسابيع الأربعة إلى فلسطين، وفي ٦/٢٧ توحدت كل القوات اليهودية في فلسطين والقادمة من أوروبا باسم جيش الدفاع الإسرائيلي، والذي تجاوز عدده ٧٠ ألفاً.

وبينما استمرت القوات العربية بانتظار نتائج المفاوضات استمر التسليح اليهودي والتدريب على أعلى المستويات، وجاءت الطائرات الأمريكية بالإمداد والأسلحة الجديدة، وكذلك وصلت إمدادات جديدة من أوربا.

وجاءت نتيجة المفاوضات بإعلان من "الكونت برنادوت" وسيط الأمم المتحدة، حيث وضع حلاً سياسياً لتقسيم فلسطين بطريقة أخرى، لكن اليهود والعرب رفضوا، وتجددت المفاوضات من جديد، بينما استمر التسليح اليهودي، في وقت لم تزدد عدد القوات أو الأسلحة العربية في الأرض الفلسطينية خلال فترة الهدنة.

استئناف القتال

وفي ٧/٩ وبعد انتهاء الهدنة استأنف القتال من قبل الفلسطينيين والجنود العرب، ولكن تفاجأ الجميع بالأسلحة المتطورة والضخمة التي بحوزة اليهود، استخدمت فيها الطائرات والمدفعية الثقيلة، واستطاع اليهود بهجوم كاسح استطاعوا فك الحصار عن القدس وإنقاذ ١٠٠ ألف يهودي، ثم ازداد نفوذهم فقامت الطائرات اليهودية بشن غارات على القاهرة ودمشق وعمان، وصدرت الأوامر للقوات العراقية بالانسحاب من الأماكن التي تسيطر عليها، وأمر "كلوب باشا" القوات الأردنية بالانسحاب من حصارها للرملة واللد، وتم الأمر برمته بدون قتال يذكر، ثم ما لبثت أن انسحبت جميع القوات العربية.



تدمير مصفحة يهودية في حرب ١٩٤٨

الهدنة الثانية

وفي ٧/١٥ كانت الهدنة الثانية بقرار من مجلس الأمن، وعمت المظاهرات العالم العربي، وتوسطت بريطانيا لإيجاد اتفاق بين الطرفين، فقام اليهود في ٧/١٧ باغتيال "الكونت برنادوت" وسيط الأمم المتحدة في القدس، واعترفت منظمة شتيرن اليهودية بقتله.

حكومة عموم فلسطين

وهكذا كانت النكبة، وسقطت فلسطين، ولكن الفلسطينيين رفضوا الاعتراف بسقوط فلسطين، وقاموا بتحركات سياسية هدفها الإبقاء على الحكومة الفلسطينية، ثم أعلنوا حكومة عموم فلسطين بقيادة الشيخ أمين الحسيني في مؤتمر غزة، ولكن الدول العربية أعلنت رفضها لحكومة عموم فلسطين، وأجبرت الحاج أمين الحسيني على مغادرة غزة تحت تهديد السلاح الملكي المصري، وكانت مصر في ذلك التاريخ تحت حكم الملك فاروق، وضمن السيطرة البريطانية.



جندي إسرائيلي من أوائل من وصل إلى حائط البراق عند احتلال القدس

سقوط المدن الفلسطينية

ثم قامت عمليات عسكرية فلسطينية ضد اليهود، ورد أولئك بتكثيف هجماتهم على النقب، وساندت اليهود أعداد كبيرة من المرتزقة، وهم أوروبيون ليسوا يهوداً، ولكن جاؤوا للقتال مقابل المال في فلسطين، وكانت أعدادهم كبيرة، ودفعت إسرائيل مكافأة ٥٠٠٠ جنيه إسترليني كراتب شهري لكل مرتزق من الطيارين، وكان هذا المبلغ ضخماً جداً في ذلك الوقت. ذلك إن اليهود كانوا يملكون الطائرات ولا يجدون من يقودها، كما دفعت إسرائيل مكافأة ٥٠ جنيه لكل طلعة جوية يقوم بها هذا الطيار.

وفي هذه الحرب الشرسة جعلت المدن المسلمة التي تم تحريرها أو تلك الأخرى تسقط واحدة تلو الأخرى، ففي ١٠/٢٢ سقطت بئر السبع، وفي ١١/٥ سقطت المجدل وعسقلان، ودمر اليهود ٤٧٨ قرية من أصل ٥٨٥ في فلسطين، وارتكبوا ٣٤ مجزرة للأطفال وللنساء، وسيطروا على ٧٨ ٪ من الأرض الفلسطينية، في حين أن قرار الأمم المتحدة يعطيهم فقط ٥٤ ٪ من فلسطين.

ومن النتائج الخطيرة لهذه النكبة تشريد ٥٠٠ ألف فلسطيني خارج أرضهم، وأصدر مجلس الأمن قرار الهدنة الدائمة، وقامت الدول العربية بالموافقة عليها بعدما أعلنت مجتمعة في ٧/١٥ إيقاف جميع عملياتها العسكرية، وهكذا كانت النكبة العظمى، وتمت عملية بيع فلسطين!.

هجرة الفلسطينين من ديارهم



٣ النتائج المباشرة لحرب ١٩٤٨


اليهود يستولون على بقايا طائرة مصرية مدمرة ١٩٤٨


عام ١٣٦٨ هجري
١٩٤٩ ميلادي

الهدنة والاعتراف بإسرائيل

وفي ١٩٤٩/٢/٢٤ تم الاتفاق الرسمي على الهدنة بين مصر وإسرائيل، ولكن سوريا رفضت توقيع أي اتفاق هدنة مع اليهود، بيد أن لبنان والأردن وقعتا الاتفاق، وبقيت سوريا على موقفها إلى أن قام انقلاب عسكري في ٣/٢٣ بقيادة حسني الزعيم، ووقع الهدنة فوراً مع إسرائيل، ثم في ٤/٤ وقعت الأردن الاتفاق، واعترفت معظم دول العالم بإسرائيل، وانضمت إسرائيل رسمياً للأمم المتحدة، وبذلك قامت دولة إسرائيل أمام الضعف العربي وبدأ بناء إسرائيل على أنقاض القرى الفلسطينية.

تدمير المدن العربية

يقول "موشي ديّان" وزير الدفاع الإسرائيلي فيما بعد: ليس هناك قرية يهودية واحدة في هذه البلاد لم يتم بناؤها فوق موقع لقرية عربية، كانت كل قرية عربية يشرد أهلها ويقام مكانها قرية إسرائيلية.


موشي ديان وزير الدفاع الإسرائيلي


قوات إسرائيلية في حرب ١٩٤٨

هجرة الشعب الفلسطيني

وتشتت الشعب الفلسطيني بين الداخل والخارج، أما الشعب في الداخل فاصطدم مع ضخامة تسليح وشراسة الجيش الإسرائيلي، وأما في الخارج فقد انتشرت المنظمات والأحزاب والتشكيلات والكتائب المسلحة، حتى قيل: إن كل فلسطيني قد انضم إلى منظمتين لكثرة المنظمات المعلنة.

وتحت الضغط اليهودي على الشعب الفلسطيني، هاجرت أعداد كبيرة إلى الأردن ودول الخليج العربي، وانفصل أتباع وأنصار الحاج أمين الحسيني عنه تدريجياً بعد سلسلة النكبات والهزائم، ولم يكن بمقدوره رغم إخلاصه وصموده أن يقوم بفعل شيء أمام التخاذل العربي.

التغييرات في الشعب الفلسطيني

ومن نتائج هذه الأزمة كذلك أن الشعب الفلسطيني شعر بأنه لابد أن يعتمد على نفسه، فتحول نحو التعليم والثقافة، وتعلم الصناعات والحرف، وصار الشعب الفلسطيني اليوم من الناحية الإحصائية أعلى الشعوب العربية تعليماً وثقافة وتدريباً، لقد أدرك المشردون الفلسطينيون أنهم لابد لهم من تعليم أبنائهم، لأنه لا توجد دول ترعاهم أو تدافع عنهم وتتبنى قضيتهم.

الملك عبدالله ملك الأردن

وفي شهر ١٢ من عام ١٩٤٩ أقيم مؤتمر أريحا بتشجيع من الأردن، وحضره وجهاء من فلسطين المؤيدين للأردن، وبايعوا الملك عبد الله بن الحسين ملكاً على الأردن.



دبابة سورية مدمرة في حرب ١٩٤٨



الملك عبد الله بن الحسين

قرار تعويض الفلسطينيين

وفي ١٢/١١ من عام ١٩٤٩ أصدرت الأمم المتحدة قرارها رقم ١٩٤ الذي يكفل حق عودة اللاجئين إلى فلسطين، ولكن تحت مظلة الحكم اليهودي، وتضمن القرار تعويض غير الراغبين بالعودة بمبلغ مالي مقابل إعلان عدم عودتهم، وبالطبع قوبل هذا القرار بالرفض الفلسطيني، لأن ذلك يعني بالنسبة لهم بيع الأرض والوطنية والهوية.



عام ١٣٦٩ هجري
١٩٥٠ ميلادي

ضم الضفة الغربية إلى الأردن

وأعلن عن ضم الضفة الغربية إلى الأردن رسمياً في شهر ٤ من عام ١٩٥٠ وصارت ٢٢ ٪ من فلسطين، أو ما يسمى بالضفة الغربية تابعة للأردن، وأعلنت مصر إدارتها للمنطقة التي بقيت مسيطرة عليها وهي غزة، وهي المنطقة الكثيفة جداً بالسكان، رغم أنها لا تشكل سوى ١,٥ ٪ من أرض فلسطين.

اليهود نساءً ورجالاً في مستعمرة في النقب في جنوب فلسطين ١٩٤٨

استمرار الانحياز الغربي لليهود

وفي ١٩٥٠/٥/٢٥ أعلنت أمريكا وبريطانيا وفرنسا بيانها الثلاثي بالتزامها بحماية إسرائيل، وأكدت أنها ستعاقب من ينقض الهدنة، وكذلك معارضتها للتسليح من الطرفين اليهودي والفلسطيني والعربي، وبالتالي أوقف السلاح عن العالم العربي، لكنه استمر ينصب على إسرائيل، ثم في ١٩٥٠/٧/٥ أعلنت إسرائيل فتح الجنسية لأي يهودي في العالم يهاجر إلى فلسطين.

هجرة يهود اليمن إلى فلسطين بدعم الأموال اليهودية

٤ الإسلاميون يتحركون من جديد

حرب قناة السويس

في هذه الفترة نشط الإخوان المسلمون من جديد في مصر، ومارسوا عملياتهم المكثفة في قناة السويس ضد الوجود الإنجليزي، وفي هذه الفترة كان الضابط العسكري الإسلامي عبدالمنعم عبدالرؤوف قد توجه إلى غزة التي كانت تحت الإدارة المصرية، وبدأ بتدريب أعداد كبيرة جداً من الشعب الفلسطيني على السلاح استعداداً للجهاد ضد اليهود من جديد، واستمر هذا الجهاد أربع سنوات حتى وقت انتهاء الملكية في مصر واستلام عبدالناصر دفة الرئاسة.



عام ١٣٧١ هجري
١٩٥٢ ميلادي

ثورة يوليو

وفي هذا العام قامت ثورة يوليو وألغيت الملكية في مصر، وتولى الضباط الأحرار الحكم بقيادة اللواء محمد نجيب المقرب جداً من الإخوان المسلمين، والذين بدورهم أيدوا هذه الثورة ودعموها دعماً كبيراً، وكذلك كان عبدالناصر مقرباً إلى الإخوان أيضاً شأنه شأن غالب قيادي الثورة، ثم إن عبد الناصر فيما بعد استطاع أن ينحّي محمد نجيب ويسيطر على مقاليد الأمور في مصر، وبقيت العلاقة بينه وبين الإخوان علاقة وطيدة.



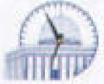
بن غوريون وأبا ايبان عند خروجهما من مبنى الأمم المتحدة ١٩٥١



حَايم ويزمان أول رئيس لاسرئيل

مشاريع السلام

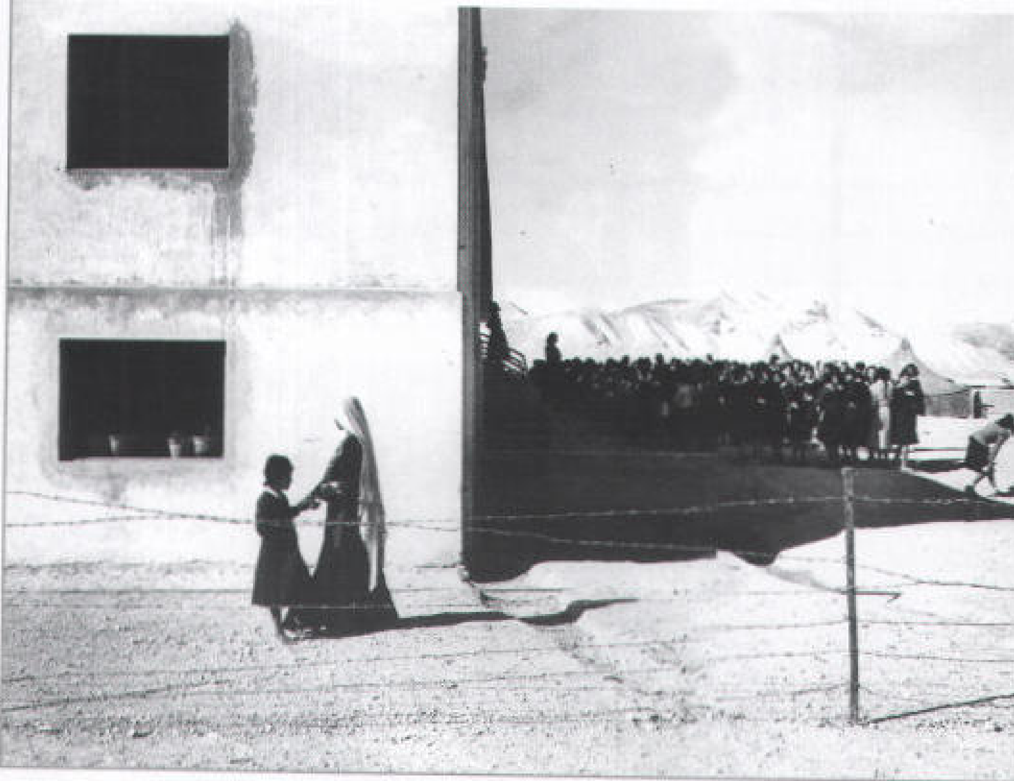
في هذه الفترة كان العالم يبحث عن صيغة للسلام الدائم في المنطقة فظهرت عدة مشروعات للسلام، وأدلت دول كثيرة بدلوها في هذا المجال، وكان أولها المشروع النرويجي للسلام، لكن الإسلاميين وغيرهم استمروا في رفض كل عمليات السلام التي تعني التنازل عن أرض فلسطين أو أجزاء منها.



عام ١٣٧٢ هجري
١٩٥٣ ميلادي

الجهاد الإسلامي ضد اليهود

وشهد هذا العام استئناف المقاومة والعمليات الجهادية من جديد، وكانت بشارتها عملية الحافلة اليهودية التي دمرها الإسلاميون والبدو المسلحون في فلسطين قرب بئر السبع، وقتل فيها ١٣ إسرائيلياً، وانتبهت إسرائيل إلى هذه الصحوة والخطر القادم، فبدأت تضغط بشدة على الشعب الفلسطيني لتهجيره خارج فلسطين، فكانت مذبحة "قبية" في ١٤/١٠/١٩٥٣، والتي استشهد فيها ٦٧ فلسطينياً، ونسف اليهود فيها ٣٤ بيتاً.



مدرسة للاجئين أنشأتها الأمم المتحدة ١٩٥٣



تيزياك زيفي ثاني رئيس لإسرائيل

مشروع جونسون للسلام

بعد هذه المذبحة أعلن "جونسون" مشروعه للسلام الدائم في المنطقة، ولم يلتفت الإسلاميون لهذا المشروع، وقاموا بمزيد من العمليات في فلسطين.

٥ جمال عبد الناصر



الامام حسن الهضيبي مرشد الاخوان المسلمين

مذبحة غزة ومشاريع السلام

واستمرت مشروعات السلام تطرح، فكان مشروع جاما للسلام، لكن الإسلاميين رفضوه أيضاً، ورفضته كذلك الدول العربية، واستمرت كذلك إسرائيل في قمع الشعب الفلسطيني وتهجيره، فكانت مذبحة غزة في ١٩٥٥/٢/٢٨ والتي استشهد فيها ٤٩ مسلماً.

ثم جاء بعد ذلك مشروع "دالس" للسلام، وتبعه مشروع "عيدن" للسلام ، ثم أعيد تقديم مشروع "جاما" للسلام مرة أخرى، وظلت الدول العربية ترى أن هذه المشاريع لا تلبي مطامحها وكذلك الشعب الفلسطيني، فكانت كلها مشروعات مرفوضة من قبل العرب.

جمال عبدالناصر



عام ١٣٧٥ هجري
١٩٥٦ ميلادي

حرب ٥٦

ولمع نجم عبد الناصر عندما قام في ١٩٥٦/٧/٢٧ بالإعلان عن تأميم قناة السويس، وكانت تديرها حتى تاريخه شركة تابعة لبريطانيا، وتذهب أرباحها كلها إليها، فأعلن عبد الناصر عن تأميم هذه الشركة وجعلها شركة قومية عربية تابعة لمصر، غير أن ذلك أثار أزمة ضخمة جداً بين عبد الناصر وإنجلترا، تم بعده عقد اتفاق سري بين إسرائيل وفرنسا وبريطانيا على الهجوم المشترك على مصر.

لقد توافقت مصالح الدول الثلاث في هذا الهجوم، وكان لكل طرف منفعته الخاصة :

١- فمصلحة إسرائيل هو القضاء على الوجود الإسلامي والمصري في غزة التي كانت تؤرقها وتشكل مصدر مقاومة فعالة، وكذلك كانت تهدف إلى احتلال سيناء وفرض نفوذها حتى قناة السويس.

٢- وأما مصلحة الإنجليز فهي استعادة السيطرة على قناة السويس ذات العوائد المالية الضخمة، والتي كانت تصب جميعها في بنوك بريطانيا.

٣- وأما مصلحة فرنسا فكانت تتمثل في إيقاف الدعم المصري للثورة الجزائرية ضد فرنسا، وتثبيت أركان احتلالها وسيطرتها على الأرض الجزائرية.

وهكذا اجتمعت هذه المصالح في التخطيط للعدوان الثلاثي على مصر، وبناء عليه زودت فرنسا إسرائيل بكميات هائلة من السلاح.

وفي ١٠/٢٩ قامت إسرائيل بمذبحة عظيمة في كفر قاسم، استشهد فيها ٤٩ فلسطينياً، وفي نفس هذا اليوم، قامت إسرائيل بعملية مفاجئة ضربت فيها المطارات المصرية واحتلت غزة وسيناء بسهولة بالغة، وانكشف ضعف الجيش المصري وتحطمت هيبته في سيناء، ثم قامت حرب عام ١٩٥٦ ووصلت إسرائيل إلى قناة السويس.



احتلال غزة وسيناء والقناة

وتستكمل الدول الثلاث اللعبة بأن توجه فرنسا وبريطانيا إنذاراً لإسرائيل ومصر أن يبتعد كل منهما عن ضفة القناة مسافة ١٠ كيلو متر، ورفضت مصر طبعاً ذلك، أما إسرائيل فقامت مباشرة بسحب جيشها إلى المسافة المطلوبة، ثم سارعت فرنسا وبريطانيا بحجة عدم استجابة المصريين إلى قصف بور سعيد واحتلال القناة بكاملها. وتم احتلال غزة وسيناء وقناة السويس، وانكشف الضعف العربي.

ومن جانب آخر تدخلت أمريكا في هذه المعمعة، لأنها أصبحت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية دولة عظمى، غير أنها لم تحصل على شيء يخدم مصالحها بعد هذه المعركة، فوجهت إنذاراً شديداً إلى العدوان الثلاثي الإسرائيلي الفرنسي البريطاني تطلب فيه الانسحاب والعودة إلى المواقع التي كانت قبل هذا الاعتداء، فقامت إسرائيل رداً على ذلك بمجزرة مروّعة في خان يونس، تم فيها ذبح ٢٧٥ فلسطينياً ذبح الخراف.



قناة السويس وهي مدمرة



عام ١٣٧٦ هجري
١٩٥٧ ميلادي

الانسحاب من سيناء وغزة

واشتعلت المقاومة الإسلامية في غزة للاحتلال الصهيوني، وفي غزة كان الشباب قد قضى وقتاً جيداً في التدريب والإعداد على يد المجاهدين، وتحت ضغط المقاومة وإنذار أمريكا والضغط العالمي اضطرت القوات الإسرائيلية والبريطانية والفرنسية للانسحاب في ١٩٥٧/٣/٦ لكن بعد ضمان حرية تحرك الدول الثلاث في قناة السويس وخليج العقبة، وعادت سيناء وغزة إلى مصر مرة أخرى.

واعتبر عبدالناصر والجيش المصري هذا الانسحاب نصراً عظيماً، فأقيمت الاحتفالات بانتصار مصر على إسرائيل، وبرز صمود القيادة المصرية، ولمع نجم عبد الناصر مجدداً، ومن ثم عادت القوات المصرية إلى غزة وضغطت على التيار الإسلامي من جديد، وتحت هذا الضغط انقسم التيار الإسلامي إلى فريقين: الأول يرى التريث والتركيز على التربية الإيمانية، والثاني أعلن أنه لا بديل للجهاد ولا فائدة من كل الدول العربية. ولكن الفريق الثاني آثر الظهور بمظهر عمل مسلح لا يحمل صبغة إسلامية، وذلك دفعاً لعمليات الاعتقال والقمع التي توجه ضده في حال تبني المقاومة الإسلامية.

عودة المصريين إلى العريش بعد الانسحاب اليهودي ١٩٥٧م

الأسرى المصريون في شرم الشيخ ١٩٥٦



القوات الفرنسية تتقدم لاحتلال بور فؤاد في مصر ٥/١١/١٩٥٦

٦ التنظيمات الفلسطينية

حركة فتح

وتحت هذا التيار نشأت حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح في الكويت، نشأت بين أحضان الإسلاميين، وانضم إليها عدد كبير من قيادات الإسلاميين، وتم اختيار ياسر عرفات المقرب للإخوان المسلمين رئيساً لها، وكان من بين المؤسسين لحركة فتح: سليمان حمد، الذي ما زال موجوداً في الهيئة الخيرية العالمية في الكويت حتى أيامنا أطال الله تعالى في عمره وبارك في جهوده، وكذلك من المؤسسين أبو جهاد خليل الوزير، ومن بين قيادي فتح الخمسة كان أربعة منهم من الإخوان المسلمين.


(أبو جهاد) خليل الوزير


(أبو مازن) محمود عباس


هاني الحسن


عام ١٣٧٨ هجري
١٩٥٩ ميلادي

حركة القوميين العرب

وفي هذا العام نشأت حركة القوميين العرب في الجامعة الأمريكية بقيادة جورج حبش في بيروت، وكان الخمسة مؤسسو هذه الحركة من بينهم الدكتور أحمد الخطيب من الكويت، وتشكلت لجنة فلسطين، وعندما فشلت الوحدة بين مصر وسوريا تبنت هذه الحركة الفكر الشيوعي الماركسي، وتبنت فكر العمل الشعبي والثورة الشعبية، وفي هذا العام أيضاً تأسس الاتحاد العام لطلبة فلسطين، وبدأت كثير من المنظمات والحركات الفكرية وغيرها تظهر من هنا وهناك.

وتحت هذا الازدياد للأنشطة السرية والحركات والتنظيمات، قامت جامعة الدول العربية بالإعلان عن ضرورة قيام كيان رسمي للشعب الفلسطيني يضم كافة التنظيمات، وذلك حتى تضمن مراقبة جميع هذه التنظيمات.


جورج حبش



عام ١٣٨١ هجري
١٩٦٢ ميــــلادي

توحد فتح

حتى هذا العام كانت فتح مقسمة إلى مجموعات وخلايا في أنحاء العالم، ثم توحدت بقيادة مركزية واحدة برئاسة ياسر عرفات، ومن الأسماء البارزة التي انضمت إليها «كمال عدوان، و «أبو يوسف النجار» و «هاني الحسن» و «صلاح خلف أبو إياد» و«خالد الحسن» و«خليل الوزير أبو جهاد» و«محمود عباس أبو مازن» و«سليم الزعنون» الذي أسس مكتب فتح في الكويت.



ياسر عرفات



(أبو إياد) صلاح خلف



ليفي أشكول



عام ١٣٨٢ هجري
١٩٦٣ ميــــلادي

فتح تتجه يساراً

وفي ١٦/٦/١٩٦٣ استقال مؤسس إسرائيل "بن غوريون" تحت ضغط شعبي مضاد لسياساته، وتولى "ليفي أشكول" حكم إسرائيل، أما حركة فتح فقد زادت انفتاحاً نحو التيارات غير الإسلامية، وخصوصاً عندما طلبت الحركة من أعضائها الاختيار بين الانضمام إلى الحركة الإسلامية، أو البقاء في منظمة فتح ولكن تحت مسمى وطني غير إسلامي، فاختار الأغلبية الانضمام للحركة الإسلامية، فزادت حركة فتح عزلة واتجهت أكثر نحو التيارات العلمانية، ولعل هذا كان من أخطاء الحركة الإسلامية في ظني، لأنها أفسحت المجال للتيار المضاد للعمل الإسلامي.

وفي هذا العام أيضاً توفي "أحمد حلمي عبد الباقي" ممثل حكومة عموم فلسطين لدى الجامعة العربية، ولم تكن تلك الحكومة سوى حكومة شكلية، ثم اختير "أحمد الشقيري" مكانه.



عام ١٣٨٣ هجري
١٩٦٤ ميلادي

الجبهة القومية لتحرير فلسطين

وفي هذا العام نشأ تنظيم فلسطيني جديد، هو الجبهة القومية لتحرير فلسطين، وكان جناحها العسكري يسمى شباب الثأر، وتبنى هذا التنظيم فيما بعد الفكر الماركسي الشيوعي اللينيني.

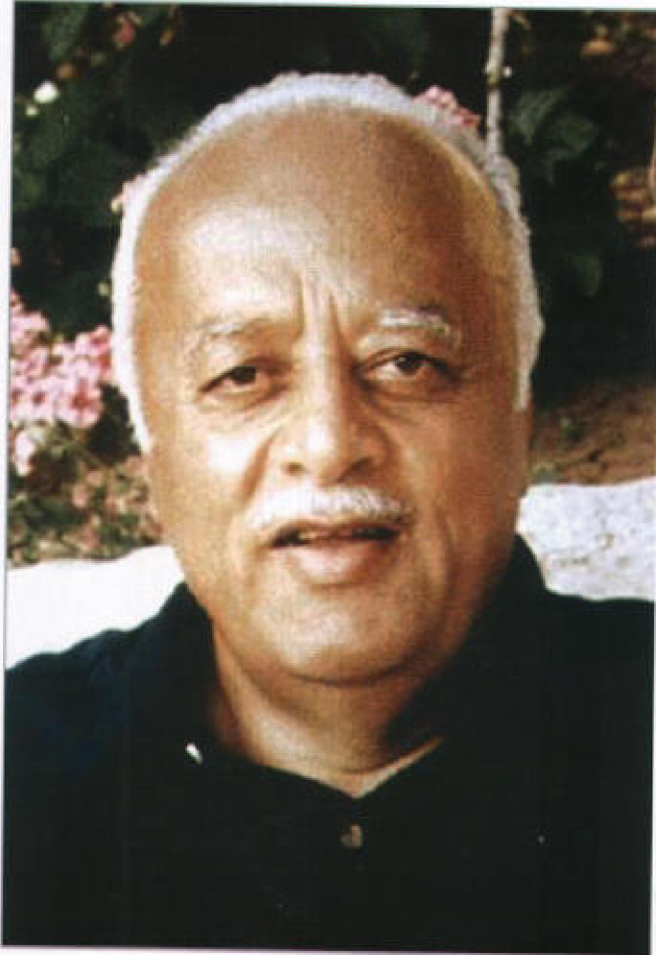
منظمة التحرير الفلسطينية

ثم عقد في هذا العام أيضاً مؤتمر القمة العربي، ومن ضمن قراراته الاستعجال بتنظيم الشعب الفلسطيني، ذلك أن كثرة هذه التنظيمات الفلسطينية يمكن أن توقع الحكومات العربية في حرج ويخرج الأمر عن نطاق السيطرة، فقرر المؤتمر تكليف "أحمد الشقيري" بتنظيم الشعب الفلسطيني.

وبدعم مباشر من جمال عبد الناصر قام الشقيري في ١٩٦٤/٥/٢٨ بإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية بحضور ٤٢٢ ممثلاً عن الشعب الفلسطيني، وأصدر مجموعة من القرارات كانت كالتالي :

١- المصادقة على الميثاق القومي الفلسطيني واختيار أحمد الشقيري رئيساً.
٢- التأكيد على الخيار المسلح لتحرير الأرض الفلسطينية.
٣- عدم التنازل عن أي جزء من فلسطين.
٤- تشكيل جيش التحرير الفلسطيني.
٥- تطوير العمل الإعلامي لمناصرة القضية الفلسطينية عالمياً .

ورحب الشعب الفلسطيني ترحيباً كبيراً بالمنظمة عندما قرأ قراراتها القوية والواضحة في مواجهة اليهود.



أحمد الشقيري

منظمة العاصفة

في ١٩٦٤/٦/١٧ قررت منظمة فتح بداية العمل العسكري ضد إسرائيل، وكان مقرها لا يزال في الكويت، ولكن بشرط أن ينسب العمل العسكري لمنظمة وهمية تسمى "العاصفة" حتى لا يتم ضرب فتح مباشرة، وفي ١٩٦٤/١٢/٣١ بدأت العمليات العسكرية لفتح، فقامت بشن أول عملياتها العسكرية، ووجهت فتح مذكرة باسم العاصفة إلى الأمم المتحدة تعلن فيها بدأ العمل العسكري بصفتها القوة المسلحة للشعب الفلسطيني.

مشروع (أبو رقيبة) للسلام

وفي هذا العام طرح أول مشروع عربي للسلام مع إسرائيل، لم يتجرأ العرب من قبل أن يطرحوا مشروعاً مع إسرائيل قبل ذلك، وكان هذا المشروع مقدماً من الرئيس التونسي أبي رقيبة، وفيه دعوة للاعتراف بإسرائيل كدولة مستقلة.



بورقيبة

العرب يعتقلون الفدائيين

وفي نفس الوقت قام تحرك حكومي عربي مضاد لحركة فتح وأعضائها، وشنت بعض الحكومات حملة اعتقالات شملت أعضاء من حركة فتح، فوجهت تلك الأخيرة مذكرة عنيفة إلى القمة العربية تطالبهم بالتوقف عن اعتقال الفدائيين وإطلاق سراح المعتقلين، ورفع الحظر الإعلامي على فتح، ولكنها استمرت في عملياتها الفدائية. وردت إسرائيل على ذلك بعمليات قمع شديدة ونسف للمنازل.



الملك الحسين يستقبل الفريق عامر عامر عبد الحكيم قائد القوات العربية المشتركة ١٩٦٤

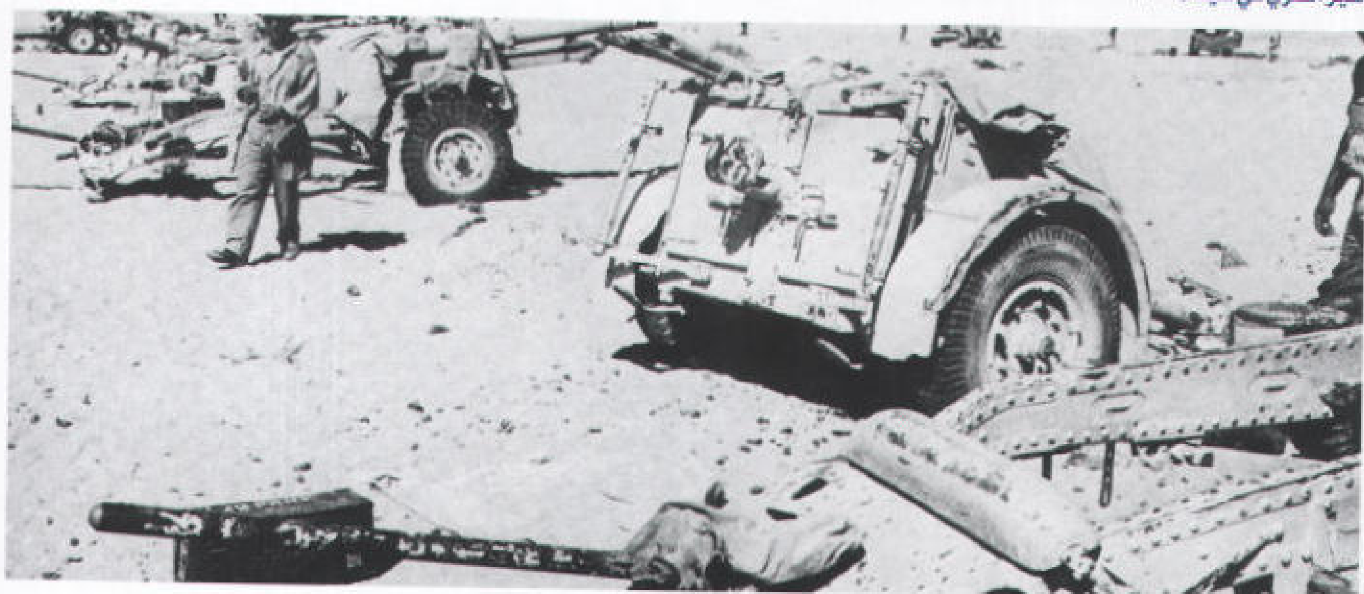


عام ١٣٨٦ هجري
١٩٦٦ ميلادي

توسع عمليات فتح

وفي ١٩٦٦/١١/١٣ قامت إسرائيل بمهاجمة عدة قرى فلسطينية، تم فيها قتل ١٨ فلسطينياً وجرح ٥٤ وهدم ١٢٥ بيتاً، فردت فتح بعمليات عسكرية ضخمة استمرت لسنتين وكانت حصيلتها ٢٠٠ عملية عسكرية ضد القوات الإسرائيلية في فلسطين.

أسير مصري في سيناء ١٩٥٦



مصفحات مصرية مهجورة في أبي عجيلة في سيناء ١٩٥٦



الباب الرابع

فلسطين تحت الاحتلال اليهودي

الفصل الثاني

كارثة ٦٧ وتوسع العمل الفدائي

١- مقدمات حرب ١٩٦٧

٢- نتائج حرب ١٩٦٧

٣- الأحداث الخطيرة

١ مقدمات حرب ١٩٦٧



عام ١٣٨٧ هجري
١٩٦٧ ميلادي

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

تحالفت الجبهة القومية لتحرير فلسطين الماركسية مع مجموعة من القوى الأخرى فأنشأت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وأثناء ذلك لمع نجم جمال عبد الناصر، ومجّدته إذاعة صوت العرب، واشتهر عنه بأنه القائد الذي سيحرر فلسطين وسيلقي إسرائيل في البحر، وأنه سيصل بنفسه إلى تل أبيب ويرجع فلسطين إلى العرب.

الاقتحام الإسرائيلي للقدس أثناء احتلالها ١٩٦٧

إسرائيل تهدد الفدائيين

أزعج إسرائيل كثيراً استمرار تسلل الفدائيين من سوريا ومصر إلى أراضيها، وقيامهم بعمليات فدائية، فهددت النظام السوري وأعلنت بأنها ستدخل دمشق وتتخذ إجراءات رادعة ضد النظام السوري إذا استمر تسلل الفدائيين، وقد جاء ذلك في تاريخ ١٩٦٧/٥/١٠ على لسان رابين الذي كان رئيس أركان الجيش في ذلك الوقت. وقال "ليفي أشكول" رئيس وزراء إسرائيل بأن اسرائيل ستتخذ إجراءات رادعة تجاه تسلل الفدائيين.

عبد الناصر يتحدى !

في هذه الفترة كان جمال عبد الناصر يمثل الزعيم العربي الأكبر على مستوى العالم العربي، وطلب عبدالناصر في ١٩٦٧/٥/٢٢ من الأمم المتحدة أن تسحب قواتها من سيناء، وأعلن أنه سيغلق مضائق تيران البحرية التي هي المدخل الوحيد لإسرائيل إلى البحر الأحمر، وهذا الإعلان شكل خطورة شديدة على إسرائيل لكونه أغلق عليها منفذي البحر الأحمر، قناة السويس ومضائق تيران، وأغلق بذلك المنافذ التجارية عليها والإمدادات البحرية وغيرها، وجعلت تصدر تصريحات تعتبر فيها إجراءات عبدالناصر بمثابة إعلان للحرب.

وكانت ردود عبدالناصر على تهديدات إسرائيل شديدة وفيها دعوات صريحة للحرب، وقال "أبا إيبان" وزير خارجية إسرائيل في لقائه مع الرئيس الأمريكي في ٥/٢٦: إن هذا الإغلاق لمضائق تيران البحرية هو بمثابة إعلان حرب، ومن شروطنا للانسحاب من سيناء سنة ٥٦ بعد احتلال سيناء أن تبقى المضائق البحرية مفتوحة، فنحن نعتبر أن هذا إلغاء لاتفاقية الهدنة التي حدثت في سنة ٥٦ ونعتبر هذا إعلان حرب.



الملك حسين ملك الأردن وجمال عبدالناصر رئيس جمهورية مصر وياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية

تحالف دول الطوق

وفي ٥/٣٠ زار الملك حسين القاهرة ووقع اتفاقية دفاع مشترك مع مصر، وتم بذلك تحالف سوري مصري أردني معلن ضد إسرائيل، وطلب عبد الناصر من مراقبي الأمم المتحدة أن يغادروا فوراً، فغادرت على الفور هذه القوات، وبدأت بذلك إنذارات الحرب، وأعلنت الدول العربية استعدادها لمعركة المصير وتحرير فلسطين، واستنفرت الجيوش العربية في دول الطوق (مصر وسوريا والأردن ولبنان)، وأرسلت عدة دول عربية قواتها للمساندة ، كما أرسلت العراق بعض القوات، وأرسلت الكويت أيضاً قوات إلى مصر.



جمال عبدالناصر يتجه نحو الاشتراكية السوفيتية في لقائه مع الرئيس الروسي لبريجينيف

القوات العربية المسلحة

وفي هذه الأجواء كانت المؤشرات مرتفعة لصالح الدول العربية، فقد كانت في مجموعها أكثر قوة وتعداداً وعتاداً، وخصوصاً أنها كانت بقيادة عبدالناصر الزعيم الذي كسب ثقة الجماهير في تحرير فلسطين وطرد اليهود، وكانت مصر وحدها تملك قوة عسكرية أضخم من إسرائيل، فكانت مصر تمتلك ٤٥٠ طائرة و ١٢٠٠ دبابة، بينما تمتلك إسرائيل ٣٠٠ طائرة و٨٠٠ دبابة، وكان تعداد الجيش المصري يقدر بـ ٢٤٦ ألف جندي، وهذا فقط في الجيش المصري، ناهيك عن القوات الأردنية والسورية واللبنانية الأخرى المساندة من الدول العربية.



دبابات روسية اشترتها مصر من الاتحاد السوفيتي

٢ نتـــائج حـــرب ١٩٦٧

واندلعت في ٥ يونيو/حزيران ١٩٦٧ الحرب، والتي سميت فيما بعد النكسة الكبرى، وبالرغم من أن إذاعة صوت العرب في الأيام الستة الأولى كانت تذيع أخبار انتصارات الجيوش العربية، وأخبار إسقاط الطائرات الإسرائيلية بالمئات، إلا أن أرض المعركة تحكي واقعاً آخر، فمنذ أول ليلة لاندلاع الحرب، ولما كانت الجيوش العربية في تلك الليلة تعيش ليلة أنس وسهر، قام الطيران الإسرائيلي بحركة مباغتة، وقام بتدمير الطائرات المصرية والأردنية والسورية وهي مازالت على مدرجاتها، ثم تتالت الخسائر العسكرية الكبيرة، والاندحار العسكري المروّع، وبعد انتهاء الأيام الستة، تظهر الكارثة، وتنكشف المعركة عن هزيمة نكراء، تحتل فيها إسرائيل الضفة الغربية وغزة والنسبة المتبقية للعرب من فلسطين (٢٣ ٪).



حرب ٦٧ أو حرب الأيام الستة بدأت بهجوم جوي كاسح على القواعد المصرية الجوية يوم ٦٧/٦/٥ في الصورة ثلاث طائرات ميغ ٢١ مصرية مدمرة وهي في قواعدها

احتلال سيناء والجولان

كما احتلت سيناء التي تبلغ مساحتها ٦١ ألف كيلو متر مربع، وهي أكبر من مساحة فلسطين، ذهبت فقط في ستة أيام، واحتلت إسرائيل كذلك مرتفعات الجولان، وهي جبال عظيمة يصل ارتفاعها إلى ١١٥٠ متر، كانت إسرائيل تقول عنها: الجولان أخطر علينا من مصر، وهي أخطر موقع استراتيجي يهدد إسرائيل، حيث يمكن من الجولان قصف تل أبيب، ومنها يستطيع المسيطر أن يرى معظم أرض فلسطين أمامه سهلاً مكشوفاً.



احتلال اليهود للجولان

اليهود في الأقصى

وسارع اليهود فدخلوا المسجد الأقصى وهم يصرخون بكل صلافة ووقاحة وغرور:

"حط المشمش على التفاح.. دين محمد ولّى وراح"..

ويهزجون:

"محمد مات.. وخلّف بنات.." .. استهزاء بالعرب وضعفهم وهزيمتهم..

ويصرخون:

"خيبر.. خيبر.." .. أي انتقاماً لأنفسهم من غزوة خيبر!.



أوائل طلائع الجيوش اليهودية تدخل القدس



الجنود اليهود قرب حائط البراق عند احتلاله عام ١٩٦٧



شارون يتفقد أحد قطاعات المعركة

ملخص النتائج

لقد كانت نتائج هذه النكسة كبيرة وموجعة للجيوش العربية، ويمكن تلخيص بعضها بالتالي:

١- تدمير سلاح الطيران المصري والأردني والسوري، حيث دمرت ٣٩٣ طائرة من أصل ٤١٦ طائرة وهي مازالت على الأرض خلال الثمانين دقيقة الأولى من المعركة.

٢- تدمير ٨٠ ٪ من عتاد الجيش المصري.

٣- استشهاد ١٠ الاف مقاتل مصري، و ٦١٠٠ مقاتل أردني، و ١٠٠٠ مقاتل سوري، ووقوع الآف الجرحى.

قائد القوات المصرية يستسلم للجيش الإسرائيلي

٤- تشريد ٣٣٠ ألف فلسطيني، ومصادرة إسرائيل لأراضيهم وتوزيعها على اليهود.

٥- إتاحة المجال لإسرائيل للتوسع بحرية في بناء المستوطنات.

٦- خفوت نجم جمال عبد الناصر، وتغيّر المعادلة العربية، فبعد أن كان العرب ينادون بتحرير أرض فلسطين التي احتلت في سنة ٤٨، صار النداء الآن لتحرير الأراضي المحتلة سنة ٦٧، وتم نسيان أو تجاهل النداء الأول بتحرير كامل الأرض الفلسطينية.

وقامت مظاهرات وشجب وتنديد من الشارع العربي بالأنظمة العربية وجيوشها المتخاذلة، واضطرت الأنظمة تحت هذا الضغط الشعبي، وفي محاولة لكسب الشعوب من جديد، أن تفسح المجال للعمل الفدائي الفلسطيني الذي بدأ فترته الذهبية بعد ٦٧، ولكن بعد أن احتلت إسرائيل القدس ودنست المسجد الأقصى.

لقد كانت هذه النكسة فضيحة عظمى، وكارثة شديدة الوطأة على الأمة العربية، لكن المتأمل للتاريخ العربي والإسلامي خلال الخمس قرون الماضية يجد أن نكسة ٦٧ رغم فداحتها كانت السبب في إيقاظ الأمة الإسلامية والعربية، وبدأت الأمة تلتفت إلى حقيقة الإسلام بعد نكسة ٦٧، وربما كان الوعي الحقيقي للأمة كان قد بدأ بشكل بارز بعد هذه النكسة.



الجيش الإسرائيلي يتقدم في الجولان



دمار الدبابات والآليات المصرية في سيناء خلال حرب ١٩٦٧

إسرائيل تتغطرس

أما إسرائيل فقد ازدادت غطرسة بعد انتصارها هذا، فقامت في ٦/٢٧ بالإعلان عن توحيد القدس الشرقية والغربية وإعلانها عاصمة لإسرائيل أبدية غير قابلة للتفاوض، فقامت القيادة الفلسطينية بعقد اجتماع طارئ في دمشق وقررت فتح المجال للتسلل الفدائي من جديد، واختيار حرب التحرير الشعبية لمواجهة التحدي اليهودي، وكانت باكورة أعمالها عندما قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعملية اختطاف طائرة، ثم انتشرت العمليات الفدائية في فلسطين، ورغم أن العمليات كانت ضعيفة في بدايتها بمعدل ١٢ عملية شهرياً، إلا أنه كان عملاً جيداً بالمقارنة بالفترة ما قبل حرب ٦٧ .



مجموعة من الأسرى العرب بين أيدي القوات الاسرائيلية



جنود يهود ينظفون أسلحتهم في سيناء عند احتلالها عام ١٩٥٦


الجنود الصهاينة يتقدمون باتجاه المدن الفلسطينية عام ٦٧

مؤتمر اللاءات

وفي شهر ١٩٦٧/٧ اجتمع الرؤساء والملوك العرب وقرروا في مؤتمر القمة الذي أقيم في الخرطوم لاءات العرب المشهورة:

- لا للصلح.
- لا للتفاوض.
- لا للاستسلام.

هذه كانت قرارات القمة العربية، والتي ألغيت جميعها فيما بعد، واجتمع مجلس الأمن في ١١/٢ سنة ١٩٦٧ وأصدر مجموعة من القرارات، وهي وجوب انسحاب إسرائيل من أراضٍ احتلتها، هكذا كان القرار، ولكنه لم يصدر القرار بالخروج من جميع الأراضي التي احتلتها، أو من الأراضي التي احتلتها، وإنما من أراضٍ احتلتها، أي بدون الألف واللام.

وصارت معركة العرب الدبلوماسية الكبيرة إضافة الألف واللام إلى الأراضي حتى لا تبقى منكرة دون تعريف، ويقصد بها الأراضي جميعها. فسميت هذه المعركة بمعركة الألف واللام، ولكن قرارات الأمم المتحدة أنهت هذا الخلاف بوجوب إنهاء حالة الحرب، وأصدرت قرارها بوجوب احترام سيادة كل دولة في المنطقة، مضمّنة بذلك دولة إسرائيل التي لم يعترف العرب بسيادتها أصلاً.


استعداد الجيش الأسرائيلي للتقدم عام ٦٧

٣ الأحداث الخطيرة



عام ١٣٨٨ هجري
١٩٦٨ ميلادي

مشاريع السلام

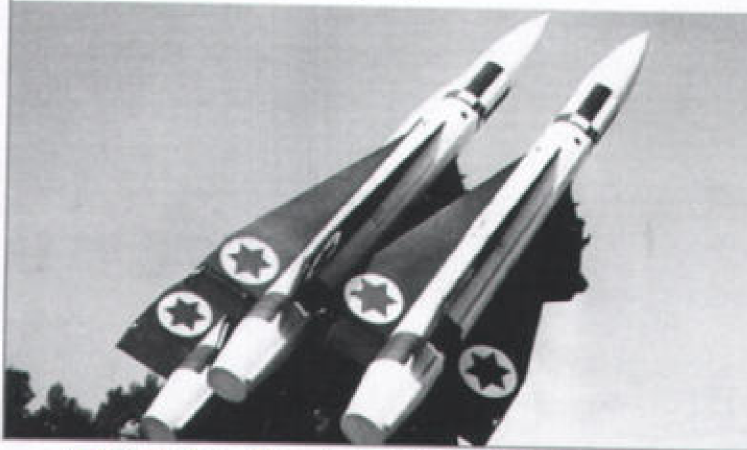
وقامت مشاريع جديدة للسلام، منها مشروع الزعيم "تيتو" رئيس يوغسلافيا بمشروعه للسلام، ولكن هذا المشروع باء بالفشل أمام التعنت الإسرائيلي الرافض لجميع حلول السلام، لأن إسرائيل كانت تعتبر خروجها منتصرة من الحرب أمراً لا يقبل تفاوضاً جديداً مع العرب، أو تنازلاً عن مكتسبات الحرب التي خاضتها.



الزعيم "تيتو" رئيس يوغسلافيا

إسرائيل تهاجم

ثم قامت إسرائيل في ١٩٦٨/٢/١٥ بمهاجمة ٢٥ قرية ومخيماً للاجئين في الأردن، وألقت عليهم قنابل "النابلم" المحرمة دولياً، واستشهد في هذه العمليات ٥٦ فلسطينياً وجرح ٨٢ آخرين، وردت فتح على هذه المجازر بتصعيد عملياتها ضد اليهود..



الصواريخ الإسرائيلية المتطورة المضادة للطائرات على حاملة صواريخ متنقلة ١٩٦٧

معركة الكرامة

ولم تخل هذه الفترة المظلمة من بعض النور، والذي تجلى عندما وصلت أنباء إلى حركة فتح أن إسرائيل تنوي شن هجوم ضد فصائل المقاومة في مخيم الكرامة، ووصل هذا الخبر عن طريق المخابرات الأردنية، التي أوعزت إلى فتح أن تسحب قواتها من هذه القرية، فأصرت فتح على المواجهة، وفي يوم الهجوم الإسرائيلي تصدت القوات الأردنية وقوات فتح لليهود، واستطاعت أن تلحق بها خسائر وتقتل عدداً من الجنود الإسرائيليين، واخترقت الحصار الإسرائيلي المفروض على القرية.

معسكرات الشيوخ

وسرعان ما انتشر هذا الخبر الذي كان صداه يعني كسر حاجز الخوف من القوة الإسرائيلية، وأن باستطاعة العرب قهر الجيش الإسرائيلي، وبدأ بناء على ذلك العمل الفدائي يتوسع ويبني له قواعد كبيرة في الأردن وفي لبنان، وشاركت الحركة الإسلامية في هذه القواعد، لكنها لم تنضم إلى فتح وإنما بقيت فقط تحت مظلتها. وكانت للحركة الإسلامية معسكراتها الخاصة باسم معسكرات الشيوخ، وظهرت طريقة حرب العصابات، وازدادت العمليات بمشاركة الحركة الإسلامية وحركة فتح، حتى وصلت إلى ٥٢ عملية عسكرية ضد اليهود في الشهر الواحد.

اشتداد زخم العمل الفدائي

بينما كانت هذه المواجهات محتدمة، كانت الحفريات الإسرائيلية تحت المسجد الأقصى قد بدأت بحثاً عن الهيكل المزعوم، هيكل سليمان عليه السلام، وكانت الأنظمة العربية حتى عام ١٩٦٧ لا تعترف بحركة فتح، بل كانت تعتقل أفرادها وتودعهم السجون، ولكن بعد حرب ١٩٦٧ اعترفت بها رسمياً وأفسحت لها المجال، وذلك الأمر زاد الحركة قوة حتى تمكنت من الوصول إلى قيادة منظمة التحرير التي أنشأتها جامعة الدول العربية بقيادة ياسر عرفات، وتوسع على إثر ذلك العمل الفدائي، فكانت الفترة الذهبية للعمليات الفدائية ضد إسرائيل، حتى وصلت إلى ١٩٩ عملية فدائية شهرياً، أي ما يقارب ٧ عمليات باليوم الواحد، فكان عملاً ضخماً ومركزاً.



عام ١٣٨٩ هجري
١٩٦٩ ميلادي

فتح تقود الفلسطينيين

وعقب ذلك صارت فتح هي زعيمة التصدي لإسرائيل، وخفت نجم عبد الناصر بعد النكسة الكبرى في ١٩٦٧، وقامت فتح بالدعوة للكفاح المسلح كطريق وحيد لإنشاء دولة فلسطينية وظلت فتح تنمو، واستمرت في عملياتها ضد إسرائيل، غير أنها كانت قد تخلت على إعلان المنهج الإسلامي كشعار لها، وانتهجت تيارات أخرى.

عناصر من حركة فتح تتدرب على استخدام السلاح

إحراق المسجد الأقصى

وكذلك استمرت إسرائيل في دعم جيشها وقوتها الداخلية لمواجهة فتح، وظهرت المجموعات المتطرفة اليهودية، وساندتها مجموعات النصارى المتصهينين، حتى أن أحد النصارى المتصهينين واسمه "وينس مايكل" وأصله من استراليا قام في ١٩٦٩/٨/٢١ بعملية إحراق المسجد الأقصى، وأخذ الحريق أجزاء مهمة منه، وليس جميعه، ولكن احترق منبر نور الدين الذي وضعه صلاح الدين الأيوبي، والذي كان رمزاً للصمود العربي وقتاً طويلاً، وكذلك احترقت القبة الخشبية، واحترق شيء من الجدران وشيء من الأثاث. وثار العالم الإسلامي وقامت المظاهرات في كل مكان، واكتفى القادة العرب بالاستنكار لدى الأمم المتحدة، ثم تداعت الدول العربية والإسلامية إلى مؤتمر قمة (عربي وإسلامي)، ومن نتائج هذا المؤتمر إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي التي هي قائمة إلى اليوم، وتشمل جميع الدول الإسلامية وتصدر مئات القرارات منذ ذلك الوقت لأجل إعطاء القضية الفلسطينية بعدها الاستراتيجي الإسلامي، ولكن لم يكن لهذه المنظمة أي أدوات لتنفيذ قراراتها.

عملية الحزام الأخضر

وتولى المجاهدون في معسكرات الشيوخ بالتعاون مع فتح محاولة إرجاع شيء من الكرامة العربية المهدورة بحريق المسجد الأقصى، فقامت عملية الحزام الأخضر المشتركة بين معسكرات الشيوخ وفتح، فهاجموا ثلاث معسكرات صهيونية في نفس الوقت، فقتلوا من اليهود وجرحوا أعداداً كبيرة، ثم رد اليهود بعملية دير ياسين، فقام الإسلاميون بعملية مضادة في دير ياسين نفذتها أيضاً فتح مع القوات الإسلامية، ودمروا نادياً للضباط هناك، وأحرقوا سيارات عسكرية ومحطات وقود وغيرها، وسقط في هذه المعارك ٦٠ قتيلاً إسرائيلياً.

اختطاف الطائرات

وفي نفس الوقت استمرت عمليات اختطاف الطائرات من قبل الجبهة الشعبية، فاختطفت طائرة إسرائيلية إلى الجزائر، وردت إسرائيل بتدمير ١٣ طائرة قابعة في مطار بيروت، وكانت معظم التحركات والعمليات تبدأ من من الأردن ولبنان، أما مصر فكان هناك تضييق شديد على العمل الفدائي، أضف إلى ذلك الوجود الفلسطيني الكبير في الأردن، والمعسكرات الكثيرة التي أنشأت فيه، حتى صار الفلسطينيون داخل الأردن دولة داخل دولة كما يقال، وصارت لهم استعراضات عسكرية في عمان بدون إذن الحكومة الأردنية، ونفس الشيء فعلوه في لبنان، فاحتجت لبنان وحاولت أن تقاوم هذا الوجود الفلسطيني، وحدثت صدامات بين القوات اللبنانية والقوات الفلسطينية في لبنان، فعندها تداعت الدول العربية إلى مؤتمر قمة، وتم فيه الاتفاق بين المقاومة الفلسطينية والحكومة اللبنانية على السماح للمقاومة الفلسطينية بالتحرك من لبنان، شريطة أن تمارس نشاطها من جنوب لبنان فقط، دون بيروت والمناطق الداخلية الأخرى، ووقع بهذا اتفاق بين شارل الحلو وياسر عرفات.

جنوب لبنان

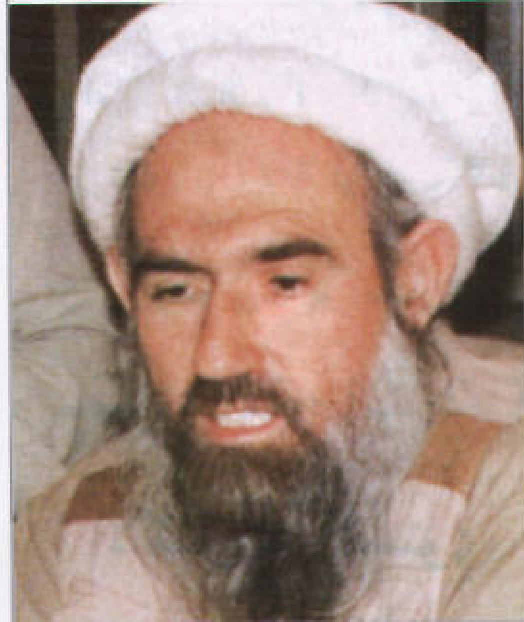
وتركزت المقاومة الفلسطينية في جنوب لبنان، وسميت هذه المنطقة أرض الفتح، وتسيطر عليها منظمة التحرير الفلسطينية، وكانت فيها بعد حرب ٦٧ أعداد كبيرة من مخيمات اللاجئين، وفيها كثافة سكانية عالية جداً، فكانت هذه المخيمات هي التي تغذي المقاومة الفلسطينية في لبنان.



عام ١٣٩٠ هجري
١٩٧٠ ميلادي

(٩) عمليات فدائية في اليوم

وكل هذا أدى في عام ١٩٧٠ إلى ازدياد شديد في العمليات الفدائية ضد إسرائيل حتى وصلت إلى ٢٧٩ عملية شهرياً، أي حوالي ٩ عمليات في اليوم، وأنشئت القواعد الكثيرة في لبنان والأردن، ومن أهمها قاعدة بيت المقدس في الأردن، والتي يقودها الشيخ عبد الله عزام رحمه الله تعالى، حيث قامت في ١٩٧٠/٦/٥ بتدمير دبابتين وكاسحة ألغام، وجعلت هذه القواعد تضرب في العمق الإسرائيلي، وبلغت الحركة الجهادية عزها ومجدها.



الشيخ عبد الله عزام

إسرائيل تقصف الأردن

وفي هذه الفترة وفي الشهر التاسع من هذا العام قامت محاولة لاغتيال الملك حسين، واتهم بها الفلسطينيون، وفي نفس الفترة مات عبد الناصر، وقامت الجبهة الشعبية باختطاف أربع طائرات مدنية غربية متجهة إلى الأردن وأحرقتها هناك، فأثار ذلك غضب وحنق إسرائيل الشديدين، فقامت بقصف شديد للأردن، ولم تستهدف فقط مخيمات الفلسطينيين، بل قصفت المطارات الأردنية والجسور والبنية التحتية في الأردن.



مخيمات للاجئين الفلسطينيين ١٩٧٢

أيلول الأسود في الأردن

وضاق الملك حسين ذرعاً بالعمل الفدائي الفلسطيني، وما جرّه على الأردن من مصائب، فقرر إنهاء الوجود الفلسطيني المسلح في الأردن، ووقعت أحداث شهر سبتمبر، والمشهور بـ "أيلول الأسود" حيث حدث صدام مسلح بين الجيش الأردني والقوات الفدائية الفلسطينية، راح ضحيته ٣٠٠٠ فلسطيني، وتدمير مخيمات اللاجئين، وإغلاق معسكرات الفدائيين في الأردن بما فيها معسكرات الشيوخ، وأدت هذه الصدامات إلى خروج العمل الفدائي من أهم ساحاته من الأردن، والتي تمتلك أطول حدود مع إسرائيل كان ينطلق منها العمل الفدائي، وخرج ياسر عرفات من الأردن مختبئاً في زي امرأة وبمساعدة من الحكام العرب الذين كانوا في مؤتمر قمة لهم.



وصفي التل رئيس الوزراء الأردني

وفاة عبدالناصر

وفي هذه الفترة حدث تغيير جذري في العالم العربي بوفاة عبد الناصر، وانتهى ما كان يسمى بالحركة الناصرية، وعقب أيلول الأسود قامت منظمة تسمى أيلول الأسود، فقامت ابتداء باغتيال رئيس الوزراء الأردني وصفي التل أثناء وجوده في القاهرة، ثم قامت نفس هذه المنظمة بعملية حجز الفريق الأولمبي الإسرائيلي أثناء الدورة الأولمبية في ميونخ - ألمانيا عام ١٩٧٢، ولما فشلت محاولة فك احتجاز الرهائن قتل جميع أفراد الفريق الرياضي الإسرائيلي أثناء محاولة الأمن الألماني تحريرهم.



جنود يهود يستولون على صورة الزعيم المصري جمال عبدالناصر

إغلاق الجبهات

كل هذه الأحداث أدت إلى تحول الصراع من أراضي الدول العربية المجاورة إلى إسرائيل لتنحصر في جنوب لبنان، وذلك بعد أن أغلقت الجبهات الأردنية والسورية والمصرية بوجه العمل الفدائي الفلسطيني، وأصبحت لبنان هي المركز الرئيسي للعمل الفدائي، ودخلت المقاومة أيضاً في صراع مع الجيش اللبناني، لكن الجيش اللبناني كان أضعف من أن يوقف المنظمات الفدائية الفلسطينية، وفي النتيجة أصبح العمل الفدائي من غير لبنان مستحيلاً، وذلك لإحكام سيطرة الدول العربية (دول الطوق) على العمل الفدائي.



جنود يهود يحتفلون بانتصاراتهم عند حائط البراق



عام ١٣٩١ هجري
١٩٧١ ميلادي

إسرائيل تنتقم

وفي هذا العام قامت إسرائيل بالانتقام من الدول التي ينطلق منها العمل الفدائي، وبعضها ما زال ينطلق من الأردن، ولكن بشكل ضعيف، فقصفت إسرائيل المدنيين في لبنان وفي الأردن، وقصفت المصانع والجسور ومحطات الكهرباء، وتحت هذا الضغط العسكري قام الملك حسين بمحاولة للخروج بحل سياسي، فقام باقتراح مشروع ضم الضفة الغربية إلى الأردن، وفعلاً تم الإعلان عن ذلك بشكل رسمي.



ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل أثناء نكبة ١٩٦٧



مضادات الطيران العربية في حرب ١٩٦٧



الباب الرابع

فلسطين تحت الاحتلال اليهودي

الفصل الثالث

حرب (٧٣) وعهد المصائب

١- مقدمات الحرب
٢- حرب العاشر من رمضان
٣- السلام والاستسلام
٤- فتح تضعف
٥- الاجتياح الإسرائيلي للبنان
٦- مذبحة صبرا وشاتيلا

١ مقدمات الحرب


عام ١٣٩٣ هجري
١٩٧٣ ميلادي

استمرت الجبهة الشعبية بالذات تركز على قضية الطائرات، وتشعل العمل الفدائي خارج فلسطين، وقامت بهجوم مسلح على مطار اللد قتل فيه ٣١ إسرائيلياً وجرح ٨٠، وترد إسرائيل على ذلك بعملية إنزال بحري عجيب، حيث قامت في شهر ١٩٧٣/٤ بإنزال بحري على ساحل بيروت لمجموعة مسلحة خاصة، وقامت هذه المجموعة بالتسلل إلى داخل بيروت، ووصلت إلى مقر فتح، ثم اغتالت ثلاثة من كبار قياديها هم: محمد يوسف النجار وزير الخارجية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وكمال ناصر الناطق الرسمي للمنظمة، وكمال عدوان أحد قيادي المنظمة.

وفي هذه الفترة كان السادات رئيس مصر بعد عبدالناصر قد بدأ يعد العدة لتحرير سيناء مستغلاً انشغال إسرائيل بمقاومة العمل الفدائي الكبير الذي يجري داخل فلسطين، والذي ينطلق من لبنان خاصة، واستطاع السادات أن يتفق مع سورية على تخطيط محكم ودقيق للقيام بعملية سرية، هدفها الهجوم المشترك في لحظة واحدة لتحرير سيناء وغزة من طرف مصر، وتحرير الجولان السورية من قبل الجيش السوري، ولم يشركوا الأردن أو لبنان في هذا التخطيط.

لقد كانت مرتفعات الجولان ذات الطبيعة الاستيراتيجية العسكرية الهامة تشكل قلقاً وهاجساً أمام سوريا، وفي ذات الوقت كان اقتحامها مخاطرة كبيرة لأنها منطقة حصينة، وذلك فقد كانت إسرائيل تطمئن إلى عدم قدرة سوريا على اقتحام هذه المنطقة.

أما في الجانب المصري، فقد كان الأمر أسهل، ولكن إسرائيل كانت قد أنشأت بعد حرب ٦٧ خطاً دفاعياً صناعياً قوياً، وسمي هذا الخط "خط بارليف" وكانت إسرائيل تدعي أنه لا يمكن اختراق هذا الخط أبداً، وتقول وتتفاخر بأن اختراق خط بارليف يحتاج إلى تعاون المهندسين الروس مع المهندسين الأمريكان مع سلاح الهندسة المصري.


غولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل من ٦٩ إلى ١٩٧٤


القوات السورية في الجولان


أنور السادات

خط بارليف

وخط بارليف هذا هو مانع مائي صناعي بعد قناة السويس عليه زيت يشتعل باستمرار، فلا يمكن عبوره أو السباحة فيه أو القفز فوقه، ويبلغ عرضه ٢٠٠ متر، وعلى ضفته الشرقية سد ترابي ارتفاعه ٢٠ متراً، يوجد فيه ٣٥ حصناً مدفوناً في الأرض مقاوم لقصف الطائرات والمدافع، وتحيط بهذا الخط حقول ألغام واسعة وأسلاك كثيفة ومرابض دبابات للدفاع عنه، وتوجد منصات لصواريخ مضادة للطائرات على امتداد هذا الخط، ولذلك فقد كانت إسرائيل مطمئنة لعدم قدرة المصريين لاختراق هذا الحاجز.

سلاح النفط

وزاد الغضب الشعبي العربي ضد اليهود، وقام الملك فيصل رحمه الله تعالى بالتلويح بسلاح النفط في المعركة، وأرسل دعماً إلى مصر بمبلغ ٦٠٠ مليون دولار تشجيعاً لها على دخول المعركة، وبدأت مناوشات متفرقة بين سلاح الطيران السوري وسلاح الطيران الإسرائيلي، وقامت معركة جوية بين السلاحين سقطت فيها ١٣ طائرة سورية في البحر، فعندها طلبت سورية من مصر تعجيل موعد الحرب، والتي كان مخططاً لها نهاية شهر أكتوبر، ولكن سوريا ضغطت لاستعجال الموعد.



٢ حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ هجري



٦ أكتوبر من عام ١٩٧٣ ميلادي

وهكذا اتفقت مصر وسورية على بدء الحرب في ٦ أكتوبر، وكان ذلك في العاشر من رمضان، فسميت حرب العاشر من رمضان، وسميت كذلك حرب أكتوبر، وبعملية مفاجئة قامت مصر وسوريا بمفاجأة إسرائيل في يوم مقدس لدى اليهود، حيث كانت معظم القوات الإسرائيلية في عطلة، وكان الجيش الإسرائيلي في حالة استرخاء شديد، بالإضافة إلى ما ذكرنا من اطمئنان إسرائيل لعدم مقدرة الجيش المصري والسوري على اختراق الحواجز التي وضعتها.

سقوط خط بارليف

ويبدأ الهجوم السريع، ويسقط خط بارليف في أقل من ٤٠ ساعة، وفي أقل من ١٨ ساعة عبر الجيش المصري الخط، وسيطر على القناة في ٤٠ ساعة، وتحت هتاف الله أكبر سقط خط بارليف، ولا تكاد تذكر خسائر الجيش المصري أثناء الهجوم.

كان القرار في البداية فقط السيطرة على القناة وخط بارليف، ثم تأتي مرحلة لاحقة للسيطرة على سيناء، لكن الجيش المصري كان متفاجئاً بسقوط خط بارليف بهذه السهولة، وعليه قررت القيادة المصرية بقيادة السادات التوغل وإكمال تحرير سيناء، بينما رأى الشاذلي رئيس أركان الجيش المصري أن تتمهل القوات المصرية، لكونها غير مستعدة لهذا وليس لديها غطاء جوي للحماية، خصوصاً مع قوة القوة الجوية الإسرائيلية والتي تتفوق على القوة الجوية المصرية، ولكن القيادة المصرية أصرت ورفضت نصائح العسكريين، وتوغلت القوات المصرية داخل سيناء. وتركت إسرائيل المجال مفتوحاً أمام توغل القوات المصرية، ثم قامت بهجوم جوي مضاد دمرت فيه ٢٥٠ دبابة، ولم تستطع الطائرات المصرية التصدي لهذا الهجوم.



شارون معصوب الرأس أثر جرحه في سيناء في حرب رمضان ١٩٧٣

الجبهة السورية

أما على الجانب السوري فقد استطاع الجيش السوري في نفس الوقت أن يدخل الجولان بعملية مفاجئة، وصعدت القوات العسكرية السورية على جبل الشيخ العملاق، وأسقطت الحماية العسكرية الإسرائيلية عنه.



القوات الإسرائيلية تهاجم القوات السورية في حرب ١٩٧٣

أمريكا تتدخل

وتحت هذه الظروف سارعت أمريكا فأمدت إسرائيل بجسر من الإمدادات العسكرية، وأنشأت جسراً جوياً من الطائرات المحملة بالذخيرة والعتاد العسكري الحديث، حتى صار المدة بين الطائرة والأخرى دقائق معدودة، كما وفرت أمريكا لإسرائيل أخبار تحركات القوات العربية من خلال الأقمار الصناعية.

ثغرة "الدفرسوار"

ومع توافر هذه المعلومات والإمداد العسكري أقامت إسرائيل جسوراً عجيبة على القناة، وعبرت بواسطتها إلى الضفة الأخرى، وقد شاهدت بنفسي هذا المشهد عندما كنت في أمريكا، بينما كانت الإذاعات العربية تعلن الانتصار الكامل، كنت أرى بعيني الجيش الإسرائيلي وهو يفتح ثغرة بالقناة ويعبرها إلى الجانب الآخر، وسميت هذه الثغرة ثغرة "الدفرسوار"، ثم استطاعت القوات الإسرائيلية أن تدمر المضادات المصرية للطيران، وصارت الطائرات الإسرائيلية تجول بالأجواء المصرية بدون أي مقاومة، وبذلك أحكمت الحصار على الجيش الثالث المصري في سيناء.

حصار الإسماعيلية

ثم حاصرت القوات الإسرائيلية الإسماعيلية، فقام أبطال الحركة الإسلامية في الإسماعيلية وأعلنوا المقاومة المسلحة، وذلك لما رأوا انهيار الجيش المصري، وانطلقت المقاومة من المساجد، وكان الشيوخ هم الذين ينظمون الدفاع عن الإسماعيلية، فلم تستطع إسرائيل اقتحام المدينة حتى نهاية الحرب.



كسر الأسطورة الإسرائيلية

غير أن هذه المعركة حققت انتصاراً -ولو جزئياً- للعرب، وكسرت المقولة التي أشاعتها إسرائيل عن جيشها الذي لا يقهر، ورفعت كثيراً من معنويات الجندي العربي في مواجهة اليهود، بعد أن تحطمت هذه المعنويات في حرب ١٩٦٧، والحقيقة أنه لولا الاستخبارات الأمريكية التي كانت تأتي بالمعلومات العسكرية الدقيقة لتحركات الجيوش العربية إلى إسرائيل، لكان الحديث عن المعركة سيأخذ شكلاً آخر.

جنود إسرائيليون جرحى أثناء حرب ٧٣

سلاح النفط

ومع ارتفاع معنويات العرب بعد هذه الحرب، اجتمع وزراء البترول العرب في الكويت واصدروا في ١٩٧٣/١٠/١٧ قراراً خطيراً يقضي بخفض الإنتاج العربي من النفط بنسبة ٢٠ ٪، ثم تخفيضه بنسبة ٥٪ بعد ذلك شهرياً إلى أن تنسحب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة، والفضل الحقيقي في هذا القرار يرجع بشكل أساسي إلى الملك فيصل رحمه الله تعالى، والذي كانت له مواقف مشرفة تجاه قضية فلسطين ومنها هذا الموقف العظيم.

وقرر الوزراء قطع البترول تماماً عن الدول التي تساند إسرائيل ومنها طبعاً أمريكا، وقد عانت أمريكا معاناة شديدة من هذا القرار، وارتفعت أسعار البترول فيها بشكل كبير، وقد كنت مقيماً في امريكا في ذلك الوقت، وأذكر أن أسعار البترول قد ارتفعت بنسبة ٧٠ ٪، وبدأ شد الأحزمة في الطاقة الأمريكية، وعلى إثر ذلك قررت شركات السيارات تصنيع سيارات صغيرة توفيراً للوقود، بدل السيارات الكبيرة الفارهة، وشكل هذا القرار ضربة موجعة للاقتصاد الأمريكي.



القصف الإسرائيلي في الجولان أثناء حرب ٧٣

نتائج حرب عام (١٩٧٣ م)

بعد ذلك أصدر مجلس الأمن قراره رقم ٣٣٨ الداعي إلى إيقاف الحرب وبدء المحادثات، ولكن كانت لهذه الحرب نتائج هامة على الصعيد العسكري والسياسي منها:

١- فقد العرب أراضي إضافية في هذه الحرب، ولم يستطيعوا تحرير الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ .

٢- ارتفاع الروح المعنوية للجندي العربي بعد أن استطاع قهر الجيش الإسرائيلي في بداية المعركة.

٣- تحطيم أسطورة "إسرائيل التي لا تقهر"، وفتح المجال أمام إمكانية قيام حرب أخرى ضد إسرائيل.

٤- أثبت النفط العربي أنه سلاح فعال وعملي في مواجهة القوة الإسرائيلية ومن يدعمها، وهزَّ اقتصاد العالم الغربي بقوة.

٥- أسفرت المفاوضات عن فتح باب المحادثات السلمية مع إسرائيل مقابل الانسحاب، وتخلى العرب عن "لاءات" الخرطوم، وفتح الباب أمام الحلول السلمية.

وذُكر أن "جولدامائير" رئيسة وزراء إسرائيل آنذاك كانت تبكي أمام أخبار الهزائم التي حدثت لإسرائيل في بداية المعركة، وأيقن اليهود أنه لولا الدعم الأمريكي لهم لاختلفت نتائج المعركة كلياً.

ثم انتهت المفاوضات بين الطرفين باتفاقية تنسحب إسرائيل بناء عليها ٣٠ كيلو متراً شرق القناة، وتنسحب مصر غرب القناة ما عدا قوة رمزية مصرية شرق القناة هي ٧٠٠٠ جندي مصري لمسافة ٨ كيلو متر، وتفصل قوات الأمم المتحدة بين الطرفين في المساحة الباقية والتي تبلغ ٢٢ كيلو متراً وهي الكائنة شرق القناة والقوات الإسرائيلية المسيطرة على باقي سيناء.



الجانب المصري لتوقيع وثيقة نهاية حرب ٧٣

الجانب الاسرائيلي لتوقيع وثيقة السلام



عام ١٣٩٤ هجري
١٩٧٤ ميلادي

العرب يعترفون بعرفات

وفي شهر ١٩٧٤/١٠ عقدت الدول العربية مؤتمرها في الرباط، وقامت فيه بالاعتراف بمنظمة التحرير بقيادة ياسر عرفات بأنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وتم بهذا تحجيم ومنع أي عمل فلسطيني آخر، وأدى هذا القرار إلى انحسار في الشعور العربي تجاه قضية فلسطين، وذلك لشعور العرب بأن مسؤولية تحرير فلسطين ستقع على عاتق منظمة التحرير نفسها بعد أن اعترفت بها جميع الدول العربية.

ثم برز ياسر عرفات كممثل لفلسطين، وزاد ذلك عندما دعي في الشهر التالي إلى الأمم المتحدة لإلقاء خطاب شعب فلسطين في الأمم المتحدة، وتم قبول منظمة التحرير كعضو مراقب في الأمم المتحدة، ولكن بقي ميثاق منظمة التحرير وميثاق فتح ينص على أن الخيار الوحيد هو العمل العسكري.

ساحة المعركة في حرب عام ١٩٧٣م



عام ١٣٩٥ هجري
١٩٧٥ ميلادي

بداية اللين العربي

ومع هذه التطورات السياسية بدأ العرب يلينون لقبول الحل السلمي، وأيضاً أعلنوا استعدادهم لقبول مبدأ الحلول المرحلية، وبعد أن كانت المطالبة بإنهاء الوجود الإسرائيلي في فلسطين، أعلن العرب استعدادهم لقبول الحلول المرحلية فتم قبول إقامة دولة فلسطينية على جزء من فلسطين، وتناقصت أعداد العمليات الفدائية بشكل كبير.

الدبابات العربية المدمرة

الحرب الأهلية في لبنان

في الشهر الرابع من هذا العام ١٩٧٥ اشتعلت حرب لبنان والتي استمرت فيما بعد حتى عام ١٩٩٠ أي خمسة عشر عاماً، وقامت هذه الحرب بين الأحزاب والطوائف التي في لبنان، الدروز والمارون والسنة والشيعة، ودخل الفلسطينيون في جزء من هذا الصراع، مما أثر على العمل الفدائي بشكل كبير، وشغل الجبهة اللبنانية عن قضية فلسطين، وظهر تحالف كتائبي نصراني ماروني أعلن أن هدفه القضاء على الوجود الفلسطيني في لبنان، فوجهت المعارك ضد مخيمات اللاجئين وقواعد الفدائيين في لبنان.

قرارات الأمم المتحدة

في هذه الأثناء كانت ثمة انتصارات سياسية يحدثها العالم العربي من خلال قرار الأمم المتحدة بحق الشعب الفلسطيني في الاستقلال والسيادة وحق العودة وحق استعادة حقوقه بكافة الوسائل، هذا القرار يشمل حق الشعب الفلسطيني باستعمال القوة العسكرية، وصدر قرار أيضاً في نفس العام باعتبار الصهيونية نوعاً من أنواع العنصرية.

استمرار العمل الفدائي

وظلت منظمة فتح تمارس أعمالها العسكرية، ففي ١٩٧٥/٣/٥ قامت بتنفيذ عملية "سافوي" في تل أبيب حيث قتلت ٥٠ عسكرياً و٥٠ من المستوطنين الصهاينة، ثم تتابعت عملياتها الفدائية في عمق الأراضي الفلسطينية المحتلة.



عام ١٣٩٦ هجري
١٩٧٦ ميـلادي

الصراع اللبناني الفلسطيني

أما في لبنان فقد استمرت الصراعات، في الأرض اللبنانية وقامت الكتائب اللبنانية المسيحية في ١٩٧٦/١/١٤ باقتحام مخيم فلسطيني وقتلوا أعداداً من الفلسطينيين فيه، ثم حاصروا مخيم جسر الباشا، ومخيم تل الزعتر، وعدة مخيمات أخرى في لبنان، وظل الصراع مشتعلاً بين الكتائب المارونية بالذات والفلسطينيين، بالإضافة إلى صراع شمل كل القوى السياسية في لبنان.

اليهود في الأقصى

وفي القدس أقرت محكمة إسرائيلية حق اليهود في الصلاة في ساحات المسجد الأقصى متى شاؤوا، وأدى ذلك إلى خروج مظاهرات وصدامات عنيفة جداً في فلسطين.

إسرائيل تضغط

وزاد الأمر صعوبة وضغطاً على الفلسطينيين عندما أعلنوا عن يوم الأرض في ١٩٧٦/٣/٣٠، فقامت مظاهرات عنيفة في فلسطين، فتصدت لها القوات الإسرائيلية، مما أدى إلى مقتل ٦ شهداء فلسطينيين في مواجهة كبيرة بين المتظاهرين والجيش الإسرائيلي.



تل أبيب ١٩٥٩ واليوم

٣ السلام والاستسلام

السادات في إسرائيل

أما السادات والذي كان بعد الحرب يسمى "بطل أكتوبر"، فقد قام بزيارة مفاجئة إلى إسرائيل بتاريخ ١٩/١١/١٩٧٧ م، وذلك من أجل عملية السلام، واستقبل في إسرائيل من قبل كبير منفذي عمليات الاغتيال والمجازر في فلسطين، "مناحيم بيجن" وأعوانه القتلة، ثم دُعيَ السادات لإلقاء خطاب في الكنيست الإسرائيلي.



السادات مع بيغن أثناء زيارة السادات للقدس ١٩٧٧

العرب يتمزقون

وانتهت زيارة السادات، غير أنها لم تسفر عن اتفاق على عملية سلام، غير أن توتراً شديداً أصاب العالم العربي، نتج عنه هجوم سياسي وانتقاد صارخ من قبل جميع الدول العربية على زيارة السادات، بينما كانت إسرائيل في انتعاش وارتياح لزيارة السادات، حيث شعرت بأن العرب بدؤوا يخطبون ودّها، وزاد تمزقهم وتفرقهم.



عام ١٣٩٨ هجري
١٩٧٨ ميلادي

إسرائيل تحتل جنوب لبنان

قامت فتح في هذا العام بعملية إنزال بحري بقيادة فدائية فلسطينية تسمى "دلال مغربي" مع مجموعة من الفدائيين على الساحل الإسرائيلي، واستطاعت قتل ٣٧ إسرائيلياً وجرح ٨٢ آخرين. فردّت إسرائيل على عملية الإنزال البحري بهجوم مسلح غير عادي على جنوب لبنان، فأرسلت جيشاً مكوناً من ٢٥ ألف جندي إسرائيلي، دمّر عشرات القرى، وقتل ٧٠٠ لبناني وفلسطيني، وبذلك تمكنت إسرائيل من السيطرة على منطقة الجنوب اللبناني، ثم قامت بتسليم ٤١ موقعاً لبنانياً للقوات الدولية، ولكنها أبقت الشريط الحدودي الفاصل تحت سيطرتها، لتقوم بعدها بوضعه تحت قيادة الضابط المنشق "سعد حداد" العميل الموالي لإسرائيل وقائد جيش لبنان. وعقب ذلك أصدر مجلس الأمن قراره ٤٢٥ الذي يدعو إسرائيل للانسحاب فوراً من جنوب لبنان، وتشكيل قوة دولية تستلم المنطقة.

الضابط المنشق "سعد حداد" الموالي لاسرائيل وقائد جيش لبنان



عام ١٣٩٨ هجري
١٩٧٨ ميلادي

اتفاقية "كامب ديفيد"

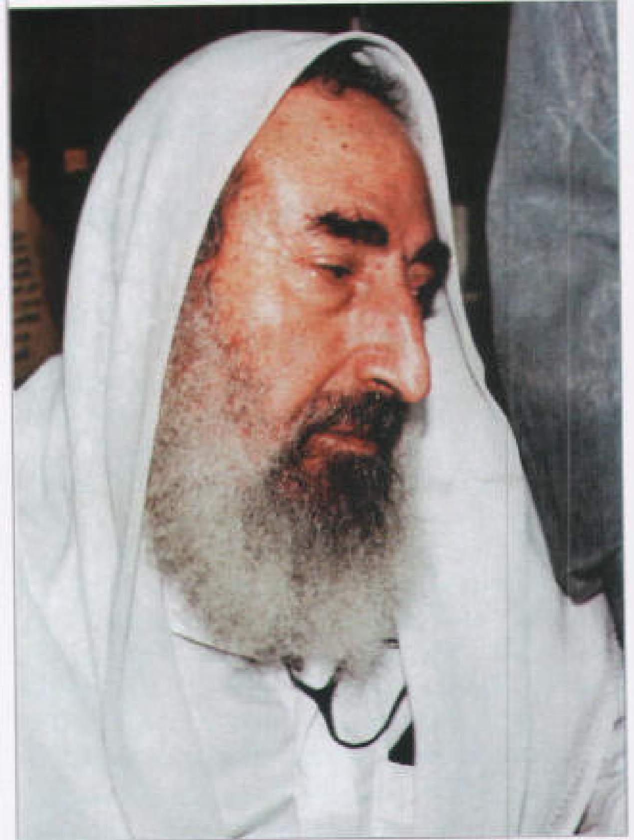
وفي هذه الأثناء كان السادات لا يزال في مزيد من المفاوضات مع إسرائيل برعاية أمريكية، وفي ١٩٧٨/٩/١ وقّع السادات مع "مناحم بيجن" اتفاقية "كامب ديفيد" الشهيرة في أمريكا، ودخلت إسرائيل في سلام مع مصر، وعادت بناء على الاتفاقية سيناء إلى مصر، ولكن لم تعد غزة، ودخلت منظمة التحرير بناء على هذه الاتفاقية في صراع مباشر مع مصر، وأعلنت الدول العربية اعتراضها ومقاطعتها لمصر، حتى أنها طردت مصر من جامعة الدول العربية، وتم نقل مقر الجامعة من القاهرة إلى تونس، وتمزّق الصف العربي.

كارتر والسادات وبيغن عند توقيع معاهدة السلام في البيت الأبيض ١٩٧٨/٩/١

٤ فتح تضعف

ظهور الشيخ أحمد ياسين

في هذه الأثناء كان العمل الفدائي يتطور داخل فلسطين، وظهر اسم شيخ عظيم هو الشيخ أحمد ياسين رحمه الله تعالى الذي أنشأ المجمع الإسلامي في فلسطين، وكان قائداً للإخوان المسلمين في غزة، وأنشئت كذلك الجامعة الإسلامية في غزة، وأصبحت أهم معقل إسلامي في فلسطين.



الشيخ الشهيد أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس



عام ١٤٠٠ هجري
١٩٨٠ ميلادي

ظهور حركة الجهاد الإسلامي

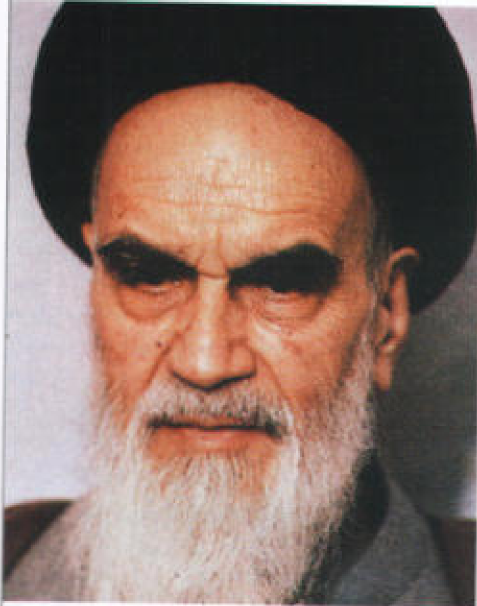
وفي هذا العام تأسست حركة الجهاد الإسلامي على يد الدكتور "فتحي شقاقي" و"عبد العزيز عودة" العائدين من الدراسة في مصر، وقد تأثر الرجلان بأفكار سيد قطب الشديدة ضد الجاهلية، وأفكار الثورة الخمينية، وأفكار حركة الجهاد في مصر.



المفكر الإسلامي سيد قطب رحمه الله

الحرب العراقية الإيرانية

وفي هذا العام أيضاً دخلت العراق في حربها مع إيران، واستمرت هذه الحرب ثماني سنوات استنفدت طاقات المنطقة، ليس فقط إيران والعراق، بل طاقة دول الخليج أيضاً، وهذا أدى من طرف آخر إلى إضعاف دول الخليج في دعمها الواضح لفلسطين، حيث كان حتى وقتها يُقتطع جزء من راتب الموظفين الحكوميين الفلسطينيين ويعطى لمنظمة التحرير في الكويت وفي السعودية، وزاد الأمر سوءاً أيضاً انخفاض أسعار النفط فيما بعد، فكل هذا أدى إلى إضعاف الدعم للقضية الفلسطينية.



الخميني



صدام حسين



جنود عراقيون في الحرب العراقية الإيرانية



عام ١٤٠١ هجري
١٩٨١ ميلادي

إسرائيل تهاجم جنوب لبنان

واستغلت إسرائيل كل هذه الأحداث وكثفت هجومها على المعاقل الفدائية في فلسطين ولبنان، وقامت في ١٩٨١/٧/٨ بهجوم بري وبحري وجوي على المعاقل الفدائية في لبنان بواسطة الطائرات والمدفعية، فتقدم الأمير فهد بمشروعه للسلام لكن هذا المشروع لم يلقَ صدى أو نجاحاً في ظل هذه الأجواء المتوترة.



الجيش الإسرائيلي في لبنان



عام ١٤٠٢ هجري
١٩٨٢ ميلادي

بداية تراجع فتح

ثم حدثت في هذا العام مظاهرة لمجموعة يهودية حاولت اقتحام المسجد الأقصى، وزادت جرأة اليهود على المسجد الأقصى عندما اقتحم الجندي الإسرائيلي "الان جولد" المسجد الأقصى برشاشه وأطلق النار على الحارس، ثم هرع إلى داخل المسجد فأطلق النار على المصلين فيه، وزادت الأمور توتراً فتقدم خالد الحسن بمشروعه للسلام الذي يمثل منظمة التحرير والداعي إلى مؤتمر دولي حول قضية فلسطين، وكان ذلك بداية تراجع فتح وقبولها بالحلول السلمية.

عمليات فدائية

وفي الوقت نفسه، ورداً على الاستفزاز الإسرائيلي، قامت قواعد الفدائيين في جنوب لبنان وقواعد المقاومة الفلسطينية واللبنانية بهجوم بالصواريخ على المستوطنات اليهودية في الجليل، ثم قامت مجموعة أبو نضال باغتيال السفير الإسرائيلي في لندن بتاريخ ١٩٨٢/٦/٣، وكانت هذه العملية فيها جرأة كبيرة.

أما الفدائيون في جنوب لبنان فقد صعدوا وتيرة المقاومة، ولم يعودوا يلتفتون إلى الحكومة اللبنانية، فشعرت إسرائيل بالخطر الجاثم في الجنوب اللبناني، مما مهد للاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان.

٥ الاجتياح الإسرائيلي للبنان





١٤٠٢/٨/١٤ هجري
١٩٨٢/٦/٦ ميلادي

بداية الاجتياح الإسرائيلي للبنان

قامت إسرائيل في ١٩٨٢/٦/٦ بالهجوم على لبنان براً وبحراً وجواً بعملية احتلال عسكري كامل، وكانت القوات البرية تتحرك بمحورين، أولهما الساحل والثاني من محور الجبل، وكان الهدف الرئيسي من ورائهما هو القضاء على العمل الفدائي في لبنان وإخراج منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات وكذلك فتح من لبنان.

سوريا تدخل المعركة

وفي ٦/٧ سيطرت إسرائيل على صور، ومع هذا الدخول الشامل تراجعت منظمة التحرير إلى بيروت، وتدخل الجيش السوري الذي كان موجوداً في لبنان منذ عام ١٩٧٦، وحدثت مصادمة بين الجيشين، وبدأ القتال في الجو أيضاً، وظهر التفوق العسكري الإسرائيلي ، وبينما كانت القوات السورية تستعمل طائرات روسية، كان الجيش الإسرائيلي يستعمل طائرات أمريكية متطورة جداً، فاستطاع سلاح الطيران الإسرائيلي أن يشلّ حركة الطائرات السورية، ثم دمر الصواريخ السورية المضادة للطائرات، وأسقط مائة طائرة سورية وسيطرت إسرائيل على الجو سيطرة كاملة، ثم عمدت إسرائيل فأصابت الدبابات السورية، واضطرت سورية تحت هذا الضغط الشديد في الجو والبر إلى الانسحاب بعد خسائر ضخمة جداً بالأنفس والمعدات.

حصار بيروت

وسقط جنوب لبنان في يد إسرائيل بسهولة، ولكن ظلت المقاومة تعمل بنظام حرب العصابات ضد الجيش الإسرائيلي، غير أن التفوق العسكري اليهودي بدأ يسحق هذه المقاومة حتى وصل إلى بيروت، وضرب حصاراً عليها، ولكنه لم يستطع أن يدخلها، ذلك أن دخول المدن بالنسبة للجيوش فيه مخاطرة كبيرة لتمكن فرق المقاومة من ضرب الجيش بشكل متفرق ومباغت، كما أن إسرائيل كانت تبحث عن أقل خسائر بشرية ممكنة، لأنها كانت محدودة العدد، وكان تدريب الشخص الواحد على العمل العسكري يكلف إسرائيل أكثر من مائة ألف دولار، ففضلت إسرائيل عدم دخول بيروت، وأبقت على حصارها شهرين كاملين، دأبت خلالهما على قصف مستمر للضواحي والأحياء السكنية.



القصف الإسرائيلي لبيروت

نتائج قصف بيروت

هذا القصف المستمر لبيروت أدى إلى مجموعة من النتائج:

١- هدم البنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، وانسحابها من لبنان.

٢- تحوّل عمل المنظمة إلى العمل السياسي والبحث عن حل أمريكي للخروج من الحصار الإسرائيلي.

٣- تورط إسرائيل وغرقها في مستنقع عسكري مسلح في لبنان.

٤- تعرضت منظمة التحرير وفتح إلى انقسامات وانشقاقات داخلية، أدى ذلك إلى حدوث شرخ كبير داخل الشعب الفلسطيني، وظهور تيارات تنادي بالحل المصري أو الأمريكي.



الجنود الإسرائيليون يقصفون لبنان بالصواريخ

العرب يعرضون الاعتراف بإسرائيل

في هذه الفترة كانت الدول العربية قد اجتمعت في فاس، وطرحت مشروعاً للتسوية السلمية يتضمن اعترافاً ضمنياً لأول مرة بحق إسرائيل في الأراضي التي احتلتها في ٤٨ وحق جميع دول المنطقة في العيش بسلام. فلما رأت المنظمة استعداد العرب للتسليم وافقت على مشروع التسوية، وبدأت المفاوضات لأجل إخراج المنظمة من بيروت، وظلت إسرائيل تساندها الكتائب اللبنانية تحاصر الفلسطينيين، وتحاصر ياسر عرفات في مقره في بيروت، واستمر القصف على بيروت طوال هذه الفترة.

محاولة اقتحام الأقصى

وبينما كان الجو العام مشغولاً بأحداث بيروت قامت مجموعة من حركة "كاخ" المتطرفة، وحركة "أمناء جبل الهيكل" بمحاولة اقتحام المسجد الأقصى، لكن الفلسطينيين المجاهدين وحراس المسجد تصدوا لهم ومنعوهم من دخول المسجد الأقصى.

عرفات يتخلى عن الجهاد

وتحت هذه الظروف العصيبة، وتحت القصف المتواصل أعلن ياسر عرفات من مقره في بيروت في ٧/٢٥ موافقته على كل قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين، وإعلان أن المنظمة ستتوجه للعمل السياسي، وأبدى استعداداً للتخلي عن العمل الجهادي، لكن إسرائيل لم تتقبل كل هذا بل اشترطت خروج جميع الفلسطينيين المسلحين من لبنان، واستمر القصف ينهال على بيروت مدمراً البنية التحتية مدة شهرين كما ذكرنا.



مجموعة من الأسرى الفلسطينيين في لبنان

المنظمة تغادر لبنان

وفي ١٩٨٢/٨/٢١ وافقت المنظمة على الانسحاب بكل قواتها من لبنان بشرط أن تضمن أمريكا سلامتهم في الخروج وبإشراف من القوات الدولية، ووافقت إسرائيل وأمريكا على ذلك، وغادرت أول مجموعة إلى قبرص، ثم أخرجت المجموعات الأخرى محملة بالسفن إلى مناطق مختلفة، وأخيراً في ٨/٣٠ غادر ياسر عرفات بيروت ليستقر في تونس، وخرجت قوات منظمة التحرير من لبنان، وانتهى تقريباً الوجود الفلسطيني المسلح فيها.

٦ مذبحة صبرا وشاتيلا

وضع المخيمات الفلسطينية في لبنان

وبقيت مخيمات الفلسطينيين ولكن دون قوة عسكرية، وبخروج منظمة التحرير من لبنان انكشفت المنظمات العسكرية التي تحمي مخيمات اللاجئين، وتلك المخيمات كانت في حالة مزرية جداً من الناحية الصحية والبيئية، وقد انتشرت بها الأوبئة والأمراض والفقر المدقع، ويوجد في المخيم الواحد من ٢٠-٣٠ ألف لاجئ، واصبحت هذه المخيمات السكانية الكثيفة بلا حماية بعد خروج المنظمات العسكرية.

حصار مخيمي صبرا وشاتيلا

واستغلت إسرائيل هذا الأمر، فقامت القوات الإسرائيلية في ٩/١٥ برئاسة "إيرييل شارون" رئيس وزراء إسرائيل لاحقاً، فحاصرت مخيمي "صبرا وشاتيلا"، واتفق "شارون" مع صديقه رئيس حزب الكتائب الماروني النصراني المتطرف على أن إسرائيل ستحاصر المخيمات لكنها لن تدخل، بمقابل أن تدخل الكتائب المخيمات وتجري عمليات تصفية جسدية على سكانها.



الجيش الاسرائيلي يقتحم مخيمات صبرا وشاتيلا



١٨/١١/١٤٠٢ هجري
١٦/٩/١٩٨٢ ميلادي

مذبحة صبرا وشاتيلا

كانت إسرائيل تخشى دخول المخيمات خوفاً على أفراد جيشها من حرب العصابات، فأوكلت هذه المهمة إلى الكتائب اللبنانية الموالية لها واكتفت بحصار المخيمات فقط، وفي اليوم التالي ١٦/٩/١٩٨٢ حدثت مذبحة "صبرا وشاتيلا" المعروفة، تلك المذبحة العظيمة التي ذبح فيها، ٨٠٠ من النساء والرجال والأطفال، ورغم أن الإحصاءات تفاوتت، فأوصلها البعض إلى ٣٥٠٠ شخص، ولكن المتفق عليه أن عدداً كبيراً قتل بهذه الجريمة الإنسانية البشعة، واكتفى العالم بأسره باستنكار هذه المذبحة الفظيعة دون تحريك ساكن.

مذبحة مخيمي صبرا وشاتيلا

إسرائيل تساند

لقد تمت هذه المذبحة بوحشية كبيرة، وقد بدأت قبل غروب شمس الخميس ١٦/٩/١٩٨٢ باقتحام المخيمين، واستمرت المجزرة التي نفذتها ميليشيا الكتائب اللبنانية وجنود الاحتلال الصهيوني حوالي ٣٦ ساعة، تم فيها اغتصاب النساء والفتيات، والتمثيل بالشيوخ والأطفال، وكان الجيش الإسرائيلي يحاصر المخيمين ويمنع الدخول إليهما والخروج منهما، ويطلق القنابل المضيئة ليلاً لتسهيل مهمة الميليشيات، وتقديم كل الخدمات "اللوجيستيكية" من الطعام والسلاح إلى الكتائب.



بدون عواطف !

وفي صباح الجمعة يوم ٩/١٧ ظهرت أول آثار هذه المذابح بهروب عدد من الأطفال والنساء إلى مستشفى غزة في مخيم شاتيلا حيث أخبروا الأطباء بالخبر، واستمرت المذبحة حتى ظهر السبت ٩/١٨ كان شعار "إيرييل شارون" فيها: "بدون عواطف"!!.

مذبحة مخيمي صبرا وشاتيلا



بداية المذبحة

تقول "أم غازي يونس ماضي" إحدى الناجيات من المذبحة: **اقتحموا المخيم الساعة الخامسة والنصف يوم ١٦ سبتمبر، لم نكن نسمع في البداية إطلاق رصاص، فقد كان القتل يتم بالفئوس والسكاكين، كانوا يدفنون الناس أحياء بالجرافات، هربنا نركض حفاة والرصاص يلاحقنا، ذبحوا زوجي وثلاثة أبناء لي في المجزرة، قتلوا زوجي في غرفة النوم، وذبحوا أحد الأولاد، وحرقوا الآخر بعد أن بتروا ساقه، والولد الثالث وجدته مبقور البطن، كما فعلوا كذلك في صهري.**

وتقول "سمية قاسم بشير": **قتل زوجي وابني في المجزرة، وأفظع المشاهد التي شاهدتها كان منظر جارتنا الحاجة منيرة عمرو، فقد قتلوها بعدما ذبحوا طفلها الرضيع أمام عينيها وعمره أربعة أشهر.**

الجيش الإسرائيلي يقتحم مخيمات صبرا وشاتيلا

فرق الإعدام والاغتصاب

ثم صفَّ القتلةُ الناسَ في الاستاد الرياضي وشكلوا لهم فرق إعدام، وتم اغتصاب عدد كبير من النساء، ورفع عدد من الناس الأعلام البيضاء كناية عن الاستسلام، خاصة النساء والأطفال، غير أنهم كانوا الضحايا الأوائل في المذبحة، بما في ذلك (٥٠) امرأة ذهبن للتعبير عن الاستسلام، فقام المسلحون بقتلهن جميعاً.

الهجوم على المستشفيات

ولم يكتفِ المجرمون بذلك، بل هجموا على مستشفى عكا ومستشفى غزة، وتمت عمليات قتل للأطباء والمرضى، ثم أجبروا ٤٠ مريضاً على الصعود إلى الشاحنات، ومن ثمَّ لم يعثر لهم على أثر.

هدم المنازل

وفيما بعد قامت الجرافات بهدم العديد من المنازل ، ثم اتجهت إلى جنوب شاتيلا وقامت بحفر المقابر الجماعية في منتصف النهار، و بمشاركة الإسرائيليين، وتمت المذبحة بمناسبة السنة العبرية الجديدة.



اليهود يهدمون المنازل على ساكنيها

شهادة صحفي أمريكي

يروي "روبرتو سورو" مراسل مجلة التايم الأمريكية في بيروت ما رآه بنفسه بعد دخول المخيمات فيقول: لم يكن هناك سوى أكوام الخراب والجثث، حيث الجثث متراكمة فوق بعضها من الأطفال والنساء والرجال، بعضهم قد أصيب بالرصاص في رأسه، وبعضهم قد ذبح من عنقه، وبعضهم قد ربطت أيديهم إلى الخلف، أو ربطت إلى أرجلهم، كانت هناك رؤوس متطايرة، وقد رأينا جثة إمرأة تضم طفلها إلى صدرها وقد قتلتهما رصاصة واحدة، لقد تمت إزاحة الجثث من مكان إلى الآخر بالبلدوزرات الإسرائيلية، ووقفت أشاهد امرأة تصرخ أمام جثة ممزقة: زوجي.. يا رب.. من يساعدني من بعده.. قتلوا زوجي وكل اولادي.. ماذا افعل يا ربي..!؟

ويقول هذا المراسل أيضاً: رأينا طفلة لا تتجاوز الثالثة من عمرها ملقاة على الطريق كأنها دمية مطروحة وقد تلوث ثوبها الأبيض بالوحل والدم والتراب، وقد كانت أصيبت برصاصة طيرت مؤخرة رأسها واخترقت دماغها، وشاهدنا نساء عرايا قيدت أيديهن وأرجلهن خلف ظهورهن، ورأينا رضيعاً مهشم الرأس يسبح في بركة من الدم، وإلى جانبه رضاعة حليب على طاولة الكوي، وبالقرب من أحد البيوت قطّعوا أعضاء طفل رضيع، ثم صفّوها بعناية على شكل دائرة ووضعوا الرأس في الوسط!!.

الصلف اليهودي المسيحي



مجموعة من الشباب اللبناني المسيحي يلهون قرب اليهود الذين يحاصرون ضواحي المسلمين غرب بيروت ١٩٨٢م



مناحم بيجين

يقول "مناحم بيجين" في تعليقه امام الكنيست على هذه المذبحة: إنهم حيوانات تسير على ساقين اثنتين..

ويقول قائد من قادة الكتائب المسيحية التي ارتكبت المجزرة لمراسل صحفي أمريكي: لقد انتظرنا سنوات طويلة كي نتمكن من اقتحام مخيمات بيروت الغربية، لقد اختارنا الإسرائيليون لأننا أفضل منهم في هذا النوع من العمليات من بيت إلى بيت..

وعندما سأله الصحفي إن كانوا قد أخذوا أسرى، قال: هذه العمليات ليست من النوع الذي يؤخذ فيه أسرى..

إن الوقوف على وصف هذه المذبحة يأخذ مجلدات وكتباً لا عجالة بسيطة هنا، ولا يسع الإنسان إلا أن تبكي مقلتاه على ما ارتكب بحق الانسانية على مرأى من العالم ومسمع، واليوم نسطر هذه المجازر لتكون درساً تاريخياً يجسد حقد اليهود والنصارى وجرائمهم بحق البشرية والعرب على وجه الخصوص.



عام ١٤٠٣ هجري
١٩٨٣ ميلادي

لبنان تتوجه للسلام

و في ١٧/٥/١٩٨٣ توجهت الإدارة اللبنانية لعقد معاهدة صلح مع إسرائيل، ولكن هذه المعاهدة لم تمض بسبب ضغط المقاومة اللبنانية المعارضة للمعاهدة، وبسبب رفض سوريا الموجودة في لبنان لهذه المعاهدة، وبقي جزء بسيط في جنوب لبنان، خارج سيطرة إسرائيل ولبنان، لجأ إليه بعض الشباب الفلسطينيين وبعض أعضاء المقاومة اللبنانية.



الدبابات الإسرائيلية في ضواحي بيروت

المقاومة في الجنوب

ثم قام بعض الشبان الفلسطينيين بأعمال ضد إسرائيل من جنوب لبنان، كما قامت المقاومة اللبنانية المسلحة وخاصة الشيعة منهم بضرب إسرائيل في جنوب لبنان، ونظراً للقطيعة والخلاف السوري مع منظمة التحرير تحركت سوريا للقضاء على أنصار ياسر عرفات اللاجئين في شمال لبنان.



طائرة تجسس إسرائيلية أسقطت في لبنان ١٩٨٢

إسرائيل تتزعزع أمام المقاومة

أما في الجنوب فحاولت إسرائيل أن تقضي على الوجود المسلح في جنوب لبنان، ولكنها فشلت في ذلك لأن أفراد المقاومة كانت تمارس حرب عصابات دون تجمع واحد، وكانت هذه الهجمات شديدة الأثر على إسرائيل، وتوقع بها خسائر فادحة، فاضطرت إسرائيل للانسحاب من جنوب لبنان.

اعتقال الشيخ أحمد ياسين

في هذه الفترة كانت الحركة الإسلامية في داخل فلسطين تعيد تنظيم الصفوف بقيادة الشيخ أحمد ياسين، واستطاعت إسرائيل أن تكشف تنظيماً جهادياً مسلحاً بقيادة هذا الشيخ في غزة، ووجدوا مخزناً للسلاح في أحد المساجد، فقاموا باعتقال الشيخ أحمد ياسين وصدر القرار بسجنه ١٢ عاماً رغم أنه شخص مشلول لا يستطيع أن يتحرك إلا بلسانه ورأسه، لكنه استطاع بهذين أن يحمس الشباب وينظم صفوفهم، حتى استحق وصف الشاعر له:

كنتَ الهـلالَ سـجينَ جسـمٍ هامـدٍ
والـيـــومَ تمَّ البـــدرُ والأنوارُ

هي حكمـةُ المولى بأنك مُـقـعَـدٌ
يهـوي أمـامَ حـمـاسـهِ الفجّـارُ

يا أحـمـدَ اليـاسينَ أنت إمـامُنا
ويشـدُّنا إيمانُك الجـبّـارُ

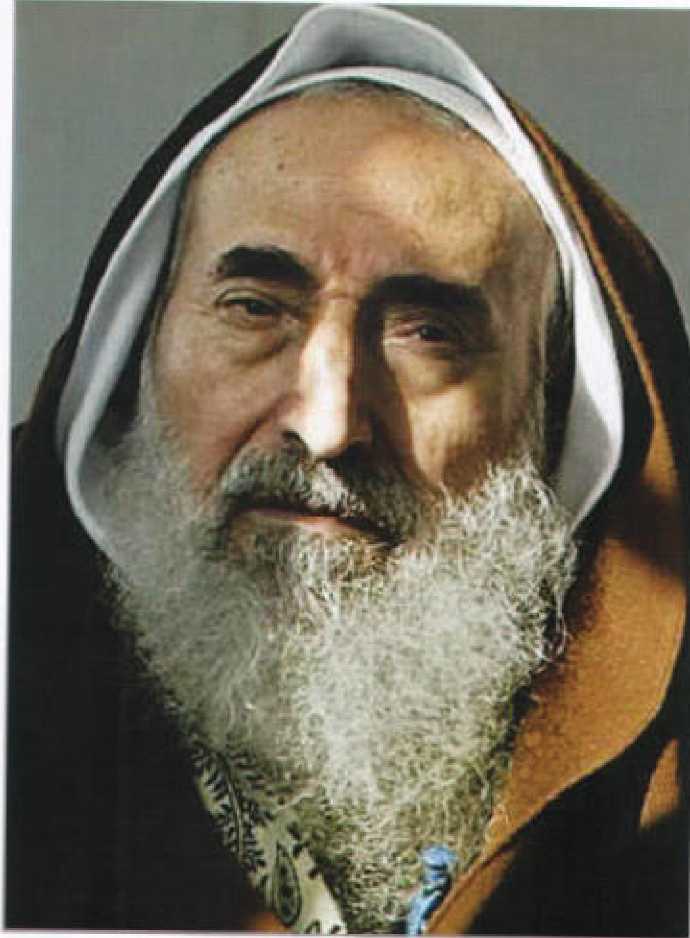
قـد أقـعـدَتْنا شـهـوةٌ وهزيمةٌ
وتقـومُ أنتَ يمينُك الإعـصـارُ

يا أحـمـدَ اليـاسـيـن خـفّف سـرعـةً
زعـمـاؤنا أقـدامُـهم فـخّـارُ

يا أيهـا البطلُ المحـرّكُ أمّـةً
هـلا تحـرّكَ سـادةٌ وكـبـارُ

يا مـيّتَ الجسم الصغـير أقـمـتَنا
تحـيى هزالَ جسـومِنا الأحـجـارُ

سـبـحـانَ ربي إن هذي آيةٌ
وبهـا يـزولُ الخـوفُ والإعـذارُ



الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة المقاومة الإسلامية حماس

ظهور التيار الإسلامي

فبينما منظمة التحرير تتفكك وتتراجع وتحدث داخلها الانشقاقات، و تنصرف عن الجهاد نحو الحل السلمي، ينطلق العمل الإسلامي ويزداد شعبية ويزداد انضمام المجاهدين إليه كل يوم، ويصبح المنافس الأول للتيار العلماني الذي تمثله فتح ومنظمة التحرير.

حركة أمل تحاصر الفلسطينيين


زعيم حركة أمل اللبنانية الشيعية نبيه بري

وفي جنوب لبنان تتطور الأحداث في اتجاه معاكس، حيث بدأت حركة أمل الشيعية تشدد الخناق على المخيمات الفلسطينية، وضربت حصاراً شديداً عليها، واستمر حصار الشيعة للمخيمات الفلسطينية في لبنان من عام ١٩٨٥ إلى عام ١٩٨٨، وهذا أدى إلى إضعاف منظمة التحرير على حساب نمو الحركات الشيعية في لبنان، وقيام الحركات الإسلامية بدور فعّال في الساحة الفلسطينية، وأخذ الوجود الفلسطيني في الجنوب اللبناني يتضاءل يوماً بعد يوم، واقتصر وجود اللاجئين على مخيمات سكنية ليس فها تنظيمات عسكرية.


عام ١٤٠٥ هجري
١٩٨٥ ميلادي

(١١٤٥) مقابل (٣) !

وفي هذه الفترة كانت الجبهة الشعبية - القيادة العامة قد استطاعت أن تمسك بثلاثة من الصهاينة كأسرى، وبدأت تفاوض إسرائيل على إطلاق المعتقلين الفلسطينيين في إسرائيل مقابل إطلاقها الأسرى الثلاثة، وبما أن قيمة الفرد الإسرائيلي مرتفعة جداً لدى إسرائيل بالمقارنة مع الإنسان العربي لدى العرب، وافقت إسرائيل في ١٩٨٥/٥/٢٠ على إطلاق ١١٤٥ معتقلاً فلسطينياً مقابل إطلاق القيادة العامة لثلاثة من الصهاينة الأسرى، وضمن هذه الصفقة أطلق اليهود سراح الشيخ أحمد ياسين.

كل هذه الأحداث المتتالية أدت إلى إضعاف العمل العسكري الفلسطيني، ورغم أنه لم تخل الساحة من بعض العمليات، لكنها كانت ضعيفة ومشتتة في أغلب الأحيان، وذلك لاختفاء التنظيمات العسكرية الناشطة خارج فلسطين.


المقاومة الشيعية في لبنان






الباب الخامس

الانتفاضة والسلام



الباب الخامس

الانتفاضة والسلام

الفصل الأول

الانتفاضة الأولى

١- أسباب الانتفاضة وأهدافها

٢- بداية الانتفاضة

٣- موقف المنظمة

٤- موقف إسرائيل والمنظمة

١ أسباب الانتفاضة وأهدافها



عام ١٤٠٧ هجري
١٩٨٧ ميلادي

عملية الطائرة الشراعية

في ٢٥/١١/١٩٨٧ قام «خالد آكر» من الجبهة الشعبية - القيادة العامة بعملية خطيرة، حيث أقلع بطائرة شراعية لم تستطع الرادارات الإسرائيلية اكتشافها، فنزل بها قرب معسكر "جبيور" الإسرائيلي، واستطاع قتل ٦ جنود وجرح ٨ قبل استشهاده، وأدى هذا إلى تنامي الروح المعنوية عند الفلسطينيين، وتحركت النفوس بالحماس لمحاربة اليهود وتجديد المقاومة، فكان عام الانتفاضة المباركة.

الأطفال الفلسطينيون العرب يقاومون قوات الاحتلال بالحجارة

أسباب الانتفاضة

هذه الانتفاضة الأولى كانت لها أسباب كثيرة أدت إلى خروجها بعد سبات عدة سنوات من الضعف الفلسطيني، ونذكر منها:

١- سياسة القمع والإذلال التي انتهجتها الإدارة الإسرائيلية بعد اجتياحها لجنوب لبنان، وسياسة هدم المنازل والتشريد والاعتقال التعسفي والإبعاد.

٢- قرار إسرائيل بإلحاق الضفة وغزة اقتصادياً بالكيان الصهيوني، فأصبحت غزة والضفة سوقاً للمنتجات الإسرائيلية.

٣- ربط حاجة الشعب الفلسطيني بالعمل والرزق بإسرائيل، فأصبح عدد كبير من العمال الفلسطينيين يعملون كموظفين داخل المدن والمستوطنات الإسرائيلية مضطرين تحت الحاجة وقلة فرص العمل وانتشار البطالة.

٤- تنامي التيار الصهيوني المتطرف، وكثرة محاولات اقتحام الأقصى، ومحاولة تهويد القدس، وزيادة الاعتداءات على المساجد والآثار الإسلامية.

٥- تنامي الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي والعربي، وإذكاء مشاعر الجهاد لدى الفلسطينيين.

٦- يأس الشعب الفلسطيني من الحلول السلمية، وزيادة الشعور الشعبي بضرورة المبادرة وعدم انتظار تحرك العرب، وذلك لقناعتهم بعدم جدوى المفاوضات والمؤتمرات والقرارات على مدى أربعين عاماً.



أسرة عربية فلسطينية مشردة بعد تفجير منزلها من قبل اليهود

١٢/٨ شرارة تشعل الانتفاضة

كل الأسباب السابقة كانت ممهدة لظهور الانتفاضة، ولكنها كانت أسباباً غير مباشرة، أما اندلاع الانتفاضة فكان بداية بما حدث في يوم ١٩٨٧/١٢/٨ حين كان إسرائيلي يقود شاحنة كبيرة، فمرَّ على سيارتين لعمال فلسطينيين، فتعمد أن يصدم السيارتين ويقتل أربعة من العمال الفلسطينيين.

ومع أن هذا الحادث البسيط لم يكن ليذكر مقارنة مع مجازر الإدارة الإسرائيلية، إلا أنه كان القشة التي قصمت ظهر البعير، وكانت الشرارة التي أوقدت لهب الانتفاضة، وأشعلت حماس الشارع الفلسطيني لإعلان الجهاد ضد اليهود.



الأطفال الفلسطينيون يتدربون على أساليب المقاومة

أهداف الانتفاضة

وفي ١٩٨٧/١٢/٩ بدأت الانتفاضة بعد صلاة الفجر، حين قامت الحركة الإسلامية من مخيم جباليا بترتيب المظاهرات العامة، فتصدت لها إسرائيل، وتوالى سقوط الشهداء، وما لبثت الانتفاضة أن انتشرت في كل أنحاء فلسطين، وقد كان للانتفاضة عدة أهداف سعت إلى تحقيقها كما حددتها الحركة الإسلامية، وهي:

١- رفع الروح المعنوية للشعب وتعميق ثقته بربه وبإسلامه.
٢- نفض مشاعر الاستكانة والعجز والاستسلام للواقع وتأكيد معاني العداء والصراع للعدو الغاشم المحتل.
٣- تأكيد الهوية الإسلامية لفلسطين وشعب فلسطين وتأجيج روح الجهاد في سبيل الله.
٤- الحد من غطرسة اليهود وهزهم نفسياً من داخلهم.
٥- ضرب الاقتصاد الإسرائيلي.
٦- الحد من معدلات الهجرة والاستيطان.
٧- إحياء قضية فلسطين التي ماتت على المستوى العربي والإسلامي والعالمي.

٢ بداية الانتـــفــاضــة


الحجارة سلاح الانتفاضة


عام ١٤٠٨ هجري
١٩٨٧ ميـــلادي

سلاح الحجارة

وتفـجــرت الانتـفـاضـة في ١٩٨٧/١٢/٩ م، واعـتـمـدت لهـا سلاحاً وحيداً تواجه به جبروت اليهود، وهو سلاح الحجارة، قام بهـا أطفـال في منتهى القـوة والحماس ورباطة الجأش، يقف الطفل منهم أمـــام الدبابة فيـرميها بحجارة، فانتزعت الانتـفـاضـة معاني الاستكانة والخـوف والذل التي غـرست لأربعين سنة، وظلت تأخذ أشكالاً متعددة من المقاومة والتصدي، وبدأ ينشـأ جـيل يتـربى على المقاومة، بعدما كان جيلاً سابقاً قـد ألف الاحـتـلال والذل والاستكانة.



التحريض على الجهاد

حماس تحرك الانتفاضة

وفي ١٩٨٧/١٢/١٤ أعلنت الحركة الإسلامية التي كانت وراء الانتفاضة عن نفسها، وانطلقت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) التي أزالت الذل عن جبين العرب والمسلمين، وأخذت هذه الحركة طابعها الخاص بأنها تعمل من الداخل، أي داخل فلسطين، دون انتظار للعرب أو سواهم لتقديم المساعدة.

وبرز التيار الإسلامي على الساحة لأول مرة بقوة شديدة، منذ أن تخلت فتح عن توجهها الإسلامي، وتميزت الانتفاضة كذلك بأنها شملت كافة قطاعات الشعب الفلسطيني، وليس فقط الشباب القادر على القتال كما كان في التنظيمات السابقة، بل شارك فيها حتى الأطفال والنساء والشيوخ كل بقدر طاقته واستطاعته، فهي إذا انتفاضة شعبية عارمة.

البيان الأول لحماس

وفي ١٥/١٢/١٩٨٧ أصدرت حماس بيانها الأول، تؤكد فيه للشعب الفلسطيني والجماهير الفلسطينية المرابطة المسلمة: **إننا اليوم على موعد مع قدر الله النافذ في اليهود وأعوانهم، بل إننا جزء من هذا القدر الذي سيقتلع جذور كيانهم إن عاجلاً أو آجلاً بإذن الله تعالى، ألا فليعلم المستوطنون المستهترون أن شعبنا عرف ويعرف طريقه طريق الاستشهاد وطريق التضحية، إن شعبنا جواد كريم في هذا الميدان ميدان الشهادة في سبيل الله..**

ثم يخاطب البيان اليهود: ارفعوا أيديكم عن شعبنا، عن مدننا، عن مخيماتنا، عن قرانا، معركتنا معكم معركة عقيدة ووجود وحياة..

القمع الإسرائيلي

وأثرت الانتفاضة كثيراً في إسرائيل، واكتسبت الرأي العام العالمي، وجعلت إسرائيل تقمع بكل عنف، فبدأت تطلق النار على الفلسطينيين العزّل أمام مشهد العالم وتصوير من التليفزيونات العالمية، فاستنكر العالم هذا المشهد، وارتفعت الأصوات في أنحاء العالم استنكاراً للعنف الإسرائيلي المشين، فقام "إسحاق رابين" وزير الحرب الإسرائيلي آنذاك بناء على نصيحة أمريكا باتباع أسلوب آخر غير الذخيرة الحية ضد المتظاهرين العزل فأمر إسحاق رابين باستعمال أسلوب جديد، وهو تكسير العظام، وصرّح بأن هذا الأسلوب أكثر فاعلية من إطلاق الرصاص الحي، لأن تكسير العظام يجعل الشباب لا يشارك في المظاهرات أو أن يرمي الحجارة مرة أخرى، وهذا الأسلوب أكثر فاعلية من المعتقلات، وفي نفس الوقت لا يستفز الرأي العام ضد إسرائيل.

ثم قامت إسرائيل بالتوسع في مصادرة الأراضي وهدم المنازل والاعتقالات العشوائية، وعمليات التفتيش والترويع، واستمرت المقاومة تعتمد على الأساليب السلمية نوعا ما، كاستعمال الحجارة والزجاجات الحارقة والسكاكين، ثم أضافت حماس سلاحاً جديداً، وهو السلاح الاقتصادي، فأعلنت المقاطعة لأي بضاعة إسرائيلية، ودعت الشعب الفلسطيني إلى الامتناع عن دفع الضرائب، فألحق ذلك خسائر ضخمة بإسرائيل.



الجنود الإسرائيليون يجرون شاباً فلسطينياً من بيته في خان يونس

٣ مـــوقف المنظمـــة



عـام ١٤٠٩ هجري
١٩٨٨ مـيـلادي

المنظمة تصحو

ولم تعلّق منظمة التحرير على هذه الانتفاضة إلا في ١٩٨٨/١/١٨ حيث أصدرت بيانها الذي تنسب فيه المظاهرات وأعمال المقاومة إلى المنظمة نفسها، مع أن الوقائع التاريخية تشهد بعدم صحة هذا الادعاء، إنما كانت الحركة الإسلامية هي من بدأ الانتفاضة وخطط لها.

المنظمة تفاوض

وفي ١٩٨٨/٦/٧ قامت منظمة التحرير الفلسطينية بالطلب إلى إسرائيل للبدء في المفاوضات مقابل إيقاف الانتفاضة، وكانت الإصابات الفلسطينية قد بلغت حتى وقتها الأعداد التالية:

١- ٤٠٠ شهيداً.
٢- ١٢٠٠٠ جريحاً.
٣- ٣٤٠٠ مصاباً بعاهة دائمة.
٤- ١٧٠٠ حالة إجهاض.
٥- ٢٣٠٠٠ معتقلاً.



الشباب الفلسطيني يقاوم قوات الاحتلال بالحجارة الزجاجات الحارقة

فصل الضفة عن الأردن

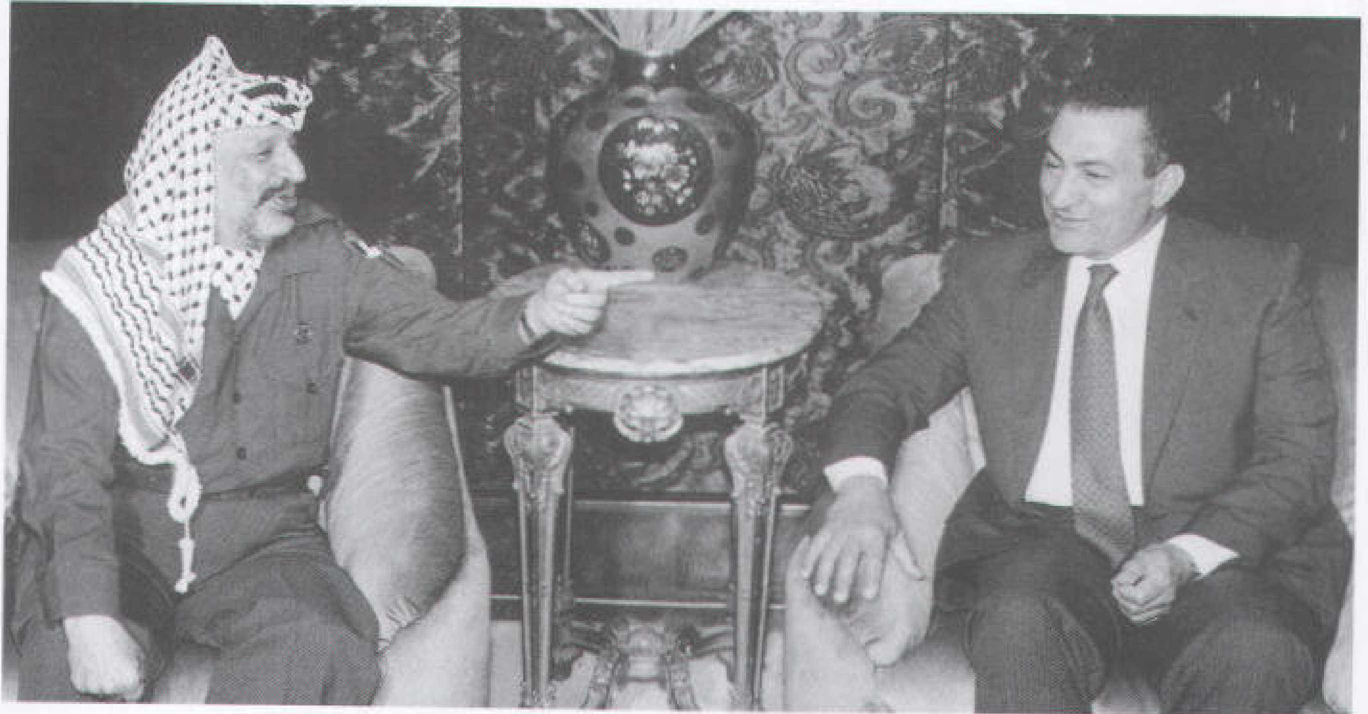
وقد هزّت الانتفاضة إسرائيل بقوة، ولكنها اشترطت لبدء المفاوضات مع منظمة التحرير أن يرفع الأردن يده عن الضفة الغربية ويسلمها للمنظمة، فضغطت منظمة التحرير على الأردن كي ترفع يدها عن الضفة، وذلك لكونها هي الممثل الشرعي الوحيد لفلسطين، ولكونها تريد من وراء ذلك بدء المفاوضات مع إسرائيل، فوافق الملك حسين وأعلن فكه ارتباط الضفة بالأردن في ١٩٨٨/٧/٣١، وألغى تبعيتها الإدارية والقانونية على أن تتبع منظمة التحرير إلى حين بدء المفاوضات مع إسرائيل، أما العرض الذي قدمته منظمة التحرير فكان إيقاف الانتفاضة.



طفل فلسطيني يبكي وقد قتلت عائلته أمام ناظريه

حماس تعلن موقفها

في هذا الوقت كانت حماس قد أصدرت بيانها الذي أعلنت فيه التزامها بتحرير كامل الأرض الفلسطينية من البحر إلى النهر، ورفضها لأي حل سلمي مع إسرائيل، ورفض احتلال إسرائيل لأي شبر من الأرض الفلسطينية، وتحرير الضفة والقطاع وكامل التراب الفلسطيني، كما أعلنت عن أهداف مرحلية خلاصتها انها لا تمانع من هدنة مؤقتة مع إسرائيل بناء على انسحاب كامل من الضفة والقطاع، لكن دون التخلي عن أي حق من حقوق الشعب الفلسطيني بأي صورة دائمة.



الرئيس المصري والرئيس الفلسطيني

إعلان الدولة الفلسطينية الخيالية !

وفي ١٩٨٨/١١/١٤ قام المجلس الوطني الفلسطيني بقيادة عرفات بالموافقة على قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ والقرار ١٨١ الداعيين إلى تقسيم فلسطين، وأعلن ياسر عرفات من تونس قيام الدولة الفلسطينية المستقلة، واعترافه بحق اليهود بدولة لهم في جزء من فلسطين، ثم توالت اعترافات العالم بالدولة الفلسطينية الجديدة، ولكنها كانت دولة غير حقيقية، لأن إعلانها كان في تونس، والشعب الفلسطيني مضطهد وليس له أي سيادة على أرضه.

عرفات يعترف بإسرائيل

لذلك لم يلتفت الشعب الفلسطيني لهذا الإعلان وظلت انتفاضته مستمرة، وفي ذكرى مرور عام كامل على قيام الانتفاضة في ١٩٨٨/١٢/٩حدث إضراب شامل في فلسطين، وفي ١٩٨٨/١٢/١٥ سافر ياسر عرفات إلى الأمم المتحدة وأعلن اعترافه بإسرائيل، واعترافه بقرارات الأمم المتحدة، وتخليه عن الإرهاب.

٤ موقف إسرائيل والمنظمة

الهجرة اليهودية من روسيا

لقد كانت بغية عرفات من وراء ذلك الدخول في مفاوضات مباشرة مع أمريكا التي كانت حتى وقتها ترفض الاجتماع به، غير أن إسرائيل استغلت موقف عرفات هذا ففتحت باب الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفيتي، والذي بدأ وقتها بالتفكك، حتى وصل المهاجرون السوفيت ابتداء من هذا التاريخ إلى ٦٣٠ ألف مهاجر.



هجرة اليهود الروس بأعداد هائلة إلى فلسطين



عام ١٤٠٩ هجري
١٩٨٩ ميلادي

اعتقال الشيخ أحمد ياسين

وتزداد الانتفاضة قوة وشعبية، وتزداد إسرائيل بالمقابل وحشية وقمعاً، وتعيد اعتقال الشيخ أحمد ياسين في ١٩٨٩/٥/١٧، وتزداد المنظمات الصهيونية شراسة، فتقوم مجموعة يهودية متطرفة في ١٩٨٩/١٠/١٧ بمحاولة وضع حجر الأساس لبناء الهيكل اليهودي قرب مدخل الأقصى.

حماس ترفض عرض المنظمة

وبناء على هذه التطورات قامت منظمة التحرير بدعوة حماس للمشاركة في اللجنة التحضيرية للمجلس الوطني الفلسطيني، الذي سيكون الجهاز التشريعي للدولة الفلسطينية المعلن عنها، فردت حماس في ١٩٩٠/٤/٧ برفض الدعوة لعدة أسباب منها:

١- المجلس التشريعي لم يتم ترشيحه عن طريق الانتخاب، بل تم تعيينه مباشرة من قبل ياسر عرفات.

٢- الميثاق الفلسطيني لا يدعو إلى دولة إسلامية في فلسطين بل يدعو إلى دولة علمانية.

٣- واشترطت حماس أن تسحب المنظمة اعترافها بإسرائيل، وتتمسك بكون فلسطين جميعها من البحر إلى النهر، ومن النقب في الجنوب إلى رأس ناقورة في الشمال، واعتبارها حقاً للشعب الفلسطيني وحده.

ولكن عرفات رفض هذه الشروط، وانعقد المجلس الوطني بدون حماس.

آثار عملية استشهادية في حافلة إسرائيلية



أب فلسطيني يضع ابنته الشهيدة في لحدها الأخير بعد قتلها على يد القوات الصهيونية



الباب الخامس

الانتفاضة والسلام

الفصل الثاني

عملية السلام

١- احتلال الكويت يمهد للسلام

٢- مؤتمر مدريد للسلام

٣- القسام وحزب الله

٤- اتفاق أوسلو

٥- نهاية الانتفاضة الأولى

١ احتلال الكويت يمهد للسلام



عام ١٤١١ هجري
١٩٩٠ ميلادي

احتلال العراق للكويت

وفي هذه الأثناء، حدثت الكارثة العربية التي مزقت الأمة العربية باحتلال العراق للكويت في ١٤١١/١/١١ هجري الموافق ١٩٩٠/٨/٢ م، وحصل شرخ وانقسام كبير في العالم العربي، وانقسمت الحركات الإسلامية الشعبية والإسلامية، بين مؤيد لموقف العراق بقيادة صدام، ومعارض لغزو الكويت والويلات التي يجرها هذا على الأمة العربية.



مواطنون عراقيون يراقبون إعلان احتلال الكويت

المنظمة تؤيد وحماس ترفض

ولكن منظمة التحرير وقفت موقفاً مؤيداً لعملية صدام حسين، فأدى ذلك إلى قطيعة شديدة بين منظمة التحرير وبين دول الخليج، وبالتالي وقف جميع المساعدات لها، وتهجير الآلاف من الفلسطينيين المقيمين في دول الخليج والكويت، بينما أعلنت حماس موقفها باعتراضها الكامل على احتلال الكويت، وطالبت بإيقاف الصراعات العربية التي ستؤدي حتماً إلى تدخل القوات الأجنبية في المنطقة.

مجزرة في الأقصى

وبينما هذا يحدث إذ تستغل الفرق اليهودية المتطرفة انشغال العرب بالصراع القائم وقضية تحرير الكويت، فتحاول وضع حجر أساس الهيكل المزعوم داخل المسجد الأقصى، فتصدى لهم حراس الأقصى، ويحدث اشتباك رهيب تستخدم فيه الشرطة الإسرائيلية الأسلحة الحية، وتحدث مجزرة أخرى في شهر ١٠ من هذا العام، يستشهد فيها ٢٠ فلسطينياً ويجرح ١١٥ .



عام ١٤١١ هجري
١٩٩١ ميلادي

تحرير الكويت والموقف الفلسطيني

ثم تبدأ معركة تحرير الكويت في ١٩٩١/١/١٧ م، ويقوم صدام حسين بإطلاق صواريخ "سكود" على السعودية و إسرائيل، ويبتهج الشعب الفلسطيني في أرجاء الأرض بضرب إسرائيل، بينما يزداد الغضب الخليجي على الفلسطينيين لإظهارهم الفرح في حين يعاني الجميع من قضية احتلال الكويت، وخاصة بعد تصريحات بعض القادة الفلسطينيين بأن خطوة احتلال الكويت خطوة نحو تحرير فلسطين وأن احتلال السعودية هو الخطوة التالية، فزادت مثل هذه التصريحات الهوجاء فجوة الخلاف اتساعاً وعمقاً.



جنود التحالف يتقدمون لتحرير الكويت

الموقف في إسرائيل

أما في إسرائيل فقد انتشر الفزع والهلع بعد تهديد صدام بضرب إسرائيل بالأسلحة الكيماوية، ولكن أمريكا تطلب من إسرائيل عدم التدخل والدفاع عن نفسها خوفاً من هياج الشارع العربي ضد التحالف المعقود لتحرير الكويت، والتزمت إسرائيل بطلب أمريكا، حتى نهاية حرب تحرير الكويت.

مبادرة السلام الأمريكية

وبعد التحرير مباشرة بثلاثة أيام قام جورج بوش الرئيس الأمريكي الأب بطرح مبادرة للكونجرس لإقامة مؤتمر سلام في الشرق الأوسط، مستغلاً بذلك نصر الحلفاء في إخراج العراق، وبغية تهدئة الأجواء العربية.



ضعف الانتفاضة

وبينما هذا يحدث كانت الانتفاضة مستمرة لكن بمعدلات أضعف بسبب القمع الإسرائيلي، وبسبب استعمال المنظمة لورقة الانتفاضة في المفاوضات، وكذلك بسبب الاعتقالات الضخمة في صفوف قيادي الانتفاضة، وبالذات في حماس، حتى نالت هذه الاعتقالات قيادة حماس الأولى، فجاءت القيادة الثانية، وأمسكت بزمام إدارة الانتفاضة، فاعتقلت القيادة الثانية، فجاءت القيادة الثالثة.. حتى طالت الاعتقالات القيادة السادسة لحماس، فقادت الانتفاضة القيادة السابعة، وهكذا كان الترتيب القيادي في حماس.

غير أن القيادات الصغرى لم تكن بقوة وخبرة القيادات الأولى، لذلك تضاءل نشاط الانتفاضة كثيراً.

اليهود يحرقون المساجد ويقومون بحرق القرآن الكريم

الحبس المؤبد للشيخ أحمد ياسين

ثم في ١٦/١٠/١٩٩١ أصدرت المحكمة العسكرية الصهيونية قرارها بالحبس المؤبد مرتين للشيخ أحمد ياسين بإضافة مدة ١٥ سنة، لأن الحبس المؤبد بالعرف القانوني يكون ٣٥ سنة، فأضافت إسرائيل عليها ١٥ سنة، وقد تجاوز الشيخ الستين من عمره!.

٢ مـؤتمر مـدريد للسـلام

مؤتمر مدريد

ثم في ١٩٩١/١٠/٣٠ عقد مؤتمر السلام في مدريد، وقامت مفاوضات مكثفة لإيجاد اتفاق فلسطيني إسرائيلي، وحضر هذا المؤتمر كل أطراف زعماء الدول العربية ووزراء خارجيتها، وشاركت دول الخليج ودول السوق الأوروبية ودول المغرب العربي، وطبعاً إسرائيل، وكان هذا المؤتمر الأول الذي يشارك فيه العرب مع إسرائيل، وحضر المؤتمر رئيس أمريكا ورئيس روسيا ورئيس وزراء بريطانيا.



مظاهرة اعتصام واحتجاج نسائية للتنديد بالأعمال الوحشية الإسرائيلية

موقف حماس من المؤتمر

أما حركة حماس فقد أعلنت سلفاً موقفها الثابت من المؤتمر في عدة نقاط:

١- معارضة أي اتفاق سلام لا يلبي طموحات الشعب الفلسطيني، ويجعل من منظمة التحرير ألعوبة في يد سلطات الاحتلال.

٢- الحل العسكري هو الاستراتيجية الثابتة لمقاومة الاحتلال وتحرير الأرض.

٣- عدم توجيه العمل العسكري إلا باتجاه إسرائيل.

٤- منع الصدام مع منظمة التحرير حتى لو ابتدأت المنظمة ذلك.

٥- رفض أي صراع فلسطيني - فلسطيني، وعدم نقل المعركة خارج أرض فلسطين.

٦- عدم التدخل في شؤون أي بلد عربي أو أجنبي مهما كان موقفه تجاه الحركة الإسلامية أو تجاه إسرائيل، أو القيام بأي عملية اختطاف طائرات أو غيرها خارج فلسطين.

المفاوضات السلمية

وتم مؤتمر مدريد، ووافقت المنظمة و إسرائيل على استئناف المفاوضات السلمية فيما بينهما، ولكن هذه المفاوضات لم تسفر عن شيء، سوى أن عمل الانتفاضة تراجع كثيراً، لأن الشعب الفلسطيني كان قد أنهك خلال فترة طويلة من المقاومة، وبدا بصيص من الأمل يتسرب إلى الشعب بالحلول السلمية، في محاولة لتخفيف عناء الشعب الفلسطيني، ورفع الضغط المستمر عليه من إسرائيل.

٣ القسام وحزب الله



عام ١٤١٢ هجري
١٩٩٢ ميلادي

كتائب عز الدين القسام

وبينما كانت المفاوضات مستمرة، أعلنت حماس انطلاق كتائب الشهيد عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس، وبدأت حماس تنتهج نهجاً جديداً في عملها، وذلك بتنفيذ عمليات عسكرية صغيرة موجعة لإسرائيل، وبدأت صياغة أسطورة الفدائي الاستشهادي.

مفاوضات "أوسلو"

وبينما المنظمة في مفاوضات علنية مع إسرائيل في أمريكا، كانت تجري مفاوضات شديدة السرية في "أوسلو" بين عرفات وإسرائيل، واستمرت هذه المفاوضات ١٤ جولة في ١٠ عواصم لمدة عام ونصف بسرية شديدة.

انتخاب "إسحاق رابين"

وفي هذا الوقت كانت الانتخابات الإسرائيلية قد بدأت، فانتخب "إسحاق رابين" رئيساً للوزراء، وتضمن برنامجه الانتخابي فكرة منح الفلسطينيين حكماً ذاتياً في الضفة والقطاع، ورحبت إسرائيل بهذه الفكرة لكونها تعزل الانتفاضة في مناطق منفصلة، وحتى يسهل مراقبتها والتحكم بها.

إبعاد قادة حماس

ثم قامت إسرائيل في ١٢/١٧ بإبعاد أكثر من ٤٠٠ قائد من قادة حماس من فلسطين، ومعهم بعض قادة حركة الجهاد الإسلامي إلى جنوب لبنان، وتركتهم في أرض خالية صحراوية، ثم منعتهم من العودة إلى فلسطين، ومن بين المبعدين الدكتور عبد العزيز الرنتيسي أحد قادة حماس البارزين في فلسطين، وانتشر خبر قضية المبعدين، وأخذت حجماً إعلامياً عالمياً واسعاً، وقام اعتراض عالمي على هذا الفعل غير المبرر، وأقام المبعدون مخيماً لهم سمي «مرج الزهور» في العراء يرفضون التحرك منه إلا إلى فلسطين، وجعلت التصريحات الفلسطينية تنطلق من هذا المخيم إلى أسماع العالم ووكالات الأنباء.

حزب الله

وفي هذه الفترة برز اسم حزب جديد على الساحة اللبنانية، وهو اسم حزب الله الشيعي، والذي كانت تدعمه إيران بقوة، وأخذ هذا الحزب يقوم بعمليات عسكرية كبيرة ضد الجيش الإسرائيلي وجيش جنوب لبنان العميل لإسرائيل، وألحقت هذه العمليات خسائر ضخمة بالجيشين.



أحد الطقوس اليهودية

القسام وحزب الله يهاجمان إسرائيل

وفي هذه الفترة أيضاً كانت كتائب عز الدين القسام تقوم كذلك بعمليات ضخمة جداً داخل فلسطين، كما بدأ حزب الله يكثف مهاجمة إسرائيل بصواريخ "الكاتيوشا" من جنوب لبنان، والتي كانت تصل إلى القرى الإسرائيلية، وكلما ضربت إسرائيل المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين، ضرب حزب الله المدنيين في إسرائيل.



عملية فدائية فلسطينية في عمق الأراضي اليهودية

تقديم الحساب

فقامت إسرائيل بعملية اسمها "تقديم الحساب"، وهي عملية ضخمة اجتاحت فيها جنوب لبنان من جديد، وتوغلت وقصفت حزب الله براً وجواً وبحراً، فقام حزب الله بالرد بعمليات استشهادية واسعة، فجعلت إسرائيل تنسحب بناء على تفاهم شفوي بين حزب الله وإسرائيل، مفاده أن لا تضرب إسرائيل المدنيين مقابل ألا يضرب حزب الله صواريخ "الكاتيوشا" على المدن والقرى الإسرائيلية.

حرب حزب الله وإسرائيل

لكن حزب الله لم يتوقف عن العمل العسكري بل استمر بضرب المواقع العسكرية الإسرائيلية وتنفيذ العمليات حتى وصلت عمليات حزب الله إلى ٩٠٠ عملية في العام الواحد، أي بحدود ثلاث عمليات كل يوم، وكانت إسرائيل ترد بقصف جنوب لبنان، وعادت الكرة من جديد، فكلما أصابت إسرائيل مدنيين في لبنان ضرب حزب الله "الكاتيوشا" على المدن الإسرائيلية، وكان الحزب عسكرياً منظماً يردُ بقوة شديدة.

٤ اتفاق أوسلو



عام ١٤١٣ هجري
١٩٩٣ ميلادي

اتفاق أوسلو

واستمرت هذه الحالة فترة من الزمن عانت خلالها إسرائيل من ضربات حزب الله في جنوب لبنان، ومن ضربات كتائب عز الدين القسام داخل فلسطين، حتى جاء يوم ٩/١٣ حيث أُعلن عن توقيع اتفاق "أوسلو" للسلام، والذي تعترف فيه منظمة التحرير بإسرائيل رسمياً، بمقابل أن تعطي إسرائيل منظمة التحرير حق الحكم الذاتي في غزة والضفة الغربية، على أن يتم في المرحلة الأولى فقط تسليم غزة ومدينة واحدة في الضفة الغربية للسلطة الفلسطينية هي مدينة أريحا.

وعلى أثر ذلك اجتمعت الفصائل الفلسطينية المعارضة لهذا الاتفاق في دمشق وأعلنت تياراً فلسطينياً معارضاً لمنظمة التحرير، ومن بين أعضاء هذا التيار المعارض حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية وغيرهم، واشتملت المعارضة تسع فصائل شكلت تياراً معارضاً لمنظمة التحرير، كما أعلنت الحركات الإسلامية في العالم معارضتها الشديدة لهذا الاتفاق، أما فتح كبرى المنظمات الفلسطينية فأعلنت تأييدها له.

كلينتون ورابين وعرفات عند توقيع اتفاق معاهدة السلام في البيت الأبيض ١٩٩٣/٩/١٣

أسباب اتفاق أوسلو

ولكن لماذا حدث هذا الاتفاق؟ لقد كانت الأسباب الداعية لهذا الاتفاق تتخلص في الآتي:

١- التراجع الاستراتيجي العربي الذي بدأ بخروج مصر من ساحة الصراع باتفاقيات كامب ديفيد.

٢- خروج المقاومة من لبنان عام ٨٢ وانتهاء القوة المهددة لإسرائيل في جنوب لبنان.

٣- انهيار التضامن العربي والخسائر المالية والعسكرية الكبيرة التي حدثت بسبب حرب الخليج الثانية عام ٩٠ .

٤- زعزعة الدعم العالمي للانتفاضة بعد حرب الخليج ووقوف الإعلام الفلسطيني إلى الجانب العراقي.

٥- انهيار الاتحاد السوفيتي وخلخلة التوازن العالمي، وانحصار ميزان القوى في العالم بدولة أمريكا الداعمة لإسرائيل.



دبابة يهودية تهدد السلام والأمن العالمي

أسباب معارضة الحركة الإسلامية لاتفاق أوسلو

وقد عارضت الحركة الإسلامية هذا الاتفاق لأسباب مهمة كذلك منها:

١- رأت فيه تعطيلاً للجهاد في سبيل الله، فالحركة تؤمن أن المعركة هي معركة حق وباطل ولا يمكن التفاوض فيها أو التنازل عنها.

٢- ظهور فتوى شرعية لعدد ضخم من العلماء، ومن زعماء الحركات الإسلامية بتحريم التنازل عن شبر من فلسطين، وممن أصدر هذه الفتوى الشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ محمد الغزالي والشيخ محمد الزحيلي والشيخ عمر الأشقر وغيرهم كثير جداً.

٣- رأت الحركة أن هذا الاتفاق فيه اعتراف بحق إسرائيل في ٧٨٪ من أرض فلسطين وهي التي احتلتها في سنة ١٩٤٨ وهذا ما لم تكن الحركة لتقبله بحال من الأحوال.

٤- إن الاتفاق لم يوضح وضع القدس، حيث ذكر في الاتفاق أن القدس ستناقش لاحقاً، وكذلك لم يوضح وضع اللاجئين، وأيضاً المستوطنات اليهودية.

٥- لم يتضمن الاتفاق تشكيل دولة فلسطينية، وبالتالي لم يكن يضمن أمان الفلسطينيين وممارستهم حريتهم بالشكل الطبيعي.

٦- الاتفاق يمنع السلطة التي ستقوم بالضفة وغزة من الأمن الخارجي ومن الحدود ومن حق التشريع إلا بإذن إسرائيل، ويعطي الحق لإسرائيل بدخول الضفة الغربية وقطاع غزة متى شاءت.

٧- ويمنع الاتفاق أيضاً تشكيل جيش فلسطيني، ولا يسمح بامتلاك الأسلحة الفلسطينية دون إذن إسرائيل.

٨- نص الاتفاق على أنه من حق إسرائيل نقض أي تشريع يصدره البرلمان الفلسطيني إذا كان مناقضاً لمصالح إسرائيل، فكان ذلك من أشد بنوده غرابة.

٩- ينص الاتفاق كذلك أنه يجب على السلطة أن تقمع أي عمليات جهادية أو مسلحة ضد إسرائيل، فهو بذلك جعل السلطة الفلسطينية أداة في يد إسرائيل، وأوقع الخلاف والقتال بين الفلسطينيين.

١٠- لا تنص الاتفاقية على أن الضفة والقطاع أرض فلسطينية، وإنما هي أرض إسرائيلية يحكمها الفلسطينيون حكماً ذاتياً.

وبما أن هذا الاتفاق سيفتح الباب لاتفاقات سلام بين الدول العربية وإسرائيل، فإن الشعوب العربية عارضته ورفضته، ولكن وافقت عليه معظم الأنظمة العربية بشكل عام، وقامت بناء على الاتفاق سلطة فلسطينية شكلية في غزة وأريحا، ووافقت المنظمة كذلك بناء عليه بالعمل على منع أي عمليات عسكرية على إسرائيل قبل وقوعها.



حشود يهودية تندد باتفاقية السلام مع العرب

٥ نهاية الانتفاضة الأولى



عام ١٤١٤ هجري
١٩٩٣ ميلادي

الشهيد عماد عقل

في هذا العام استشهد في عملية عسكرية البطل "عماد عقل" أحد أبرز قيادات ورموز حماس، وكانت المخابرات الأمريكية قد حددت مكانه، فحاصرته قوات إسرائيلية مكونة من ٦٠ مدرعة إسرائيلية، ولكنه لم يستسلم وبقي يقاتلهم من فوق سطح أحد المباني، وفي النهاية مزقته قذيفة إسرائيلية مضادة للدروع، فأردته قتيلاً.

ويقول شاهد حضر دفن الشهيد: وجدنا في جسمه ٧٠ طلقة وعدة طعنات بالسكاكين.

أما إسرائيل فقد أقامت الاحتفالات لمقتل عماد عقل، ولكن ليس إلى أمد بعيد، فقد كان رد حماس بعد ذلك بأسبوعين قوياً جداً، حيث قامت بالثأر في عملية أسمتها عملية "عماد عقل" قامت فيها بقتل العقيد "مئير منتيس"، هذا الرجل الذي تقول عنه جريدة معاريف الإسرائيلية: القلب والعقل المفكر للحرب الخاصة ضد الإرهاب، ورمز من رموز الجيش الإسرائيلي ضد الانتفاضة.



عام ١٤١٥ هجري
١٩٩٤ ميلادي

السلام مع سوريا

ثم دعت أمريكا للقاء مع سوريا، وتم اللقاء في ١٩٩٤/١/١٦ بين الرئيس حافظ الأسد والرئيس الأمريكي "كلينتون"، وأقيمت هذه اللقاءات في جينيف، ووافق الرئيس الأسد فيها على إقامة علاقات سلام ضيقة مع إسرائيل شريطة أن تنسحب إسرائيل من الجولان، فقام رابين بتقديم خطة سلام مقترحة لانسحاب إسرائيل على مراحل تنتهي بالانسحاب الكامل بعد سلسلة من الاتفاقيات المرحلية، إلا أن هذا الشرط عرقل وأوقف هذه العملية للسلام مع سوريا.

مذبحة المسجد الإبراهيمي

وفي أثناء هذه المفاوضات قام مستوطن يهودي يدعى "باروخ جولد شتاين" باقتحام الحرم الإبراهيمي الشريف في الخليل في صلاة الفجر وقتل الحراس و ٢٩ مصلياً أثناء صلاة الفجر، وأصاب العشرات، ثم قامت حركة "كاخ وكاهانا" بتأييد هذه العملية، وأصدر الحاخام "بورج" فتوى يشيد بها بهذا العمل قائلاً: إن ما قام به "باروخ جولد شتاين" هو تقديس لله، ومن الواجبات الدينية اليهودية.

وعلى أثر ذلك قامت حماس مباشرة بالرد بشن خمس عمليات ضخمة متتالية، نظمها القائد البطل المهندس "يحيى عياش"، وتلتهب الساحة الفلسطينية بعمليات قتل للمدنيين الفلسطينيين، وترد حماس بقتل العسكريين والمدنيين الإسرائيليين، ثم تقدم حماس مبادرة إلى إسرائيل تعرض عليها التوقف عن قتل المدنيين الفلسطينيين مقابل أن تتوقف حماس عن قتل المستوطنين اليهود، ولكن إسرائيل ترفض هذا العرض وتستمر في سياسة القمع والاضطهاد.



نتنياهو وعرفات خلال المؤتمر الطارئ للسلام في البيت الأبيض ١/١٠/١٩٩٦

توقيت الانتفاضة

ثم تضطر حماس بعد هذا الضغط أن تهدئ عملياتها لإعادة تنظيم صفوفها، وخاصة بعد اعتقال ست طبقات من قيادييها، وفي نفس الوقت طالبت منظمة التحرير الشعب الفلسطيني بالتوقف عن الانتفاضة، وتعهدت برد الحقوق وتأمين الشعب الفلسطيني، وتحت هذا الضغط العسكري والضغط السلمي تتوقف الانتفاضة الكبرى في شهر ٥/١٩٩٥ بعد ٧٩ شهراً من قيامها، وبعد استشهاد ١٣٩٢ شهيداً من الشعب الفلسطيني، أي بمعدل شهيد كل يومين، وسقط من بين الشهداء ٣٦٢ طفلاً.

نتائج الانتفاضة الأولى

ولكن الانتفاضة على الرغم من هذه الخسائر التي تكبدتها إلا أنها حققت إنجازات ضخمة ومكاسب عالمية تتلخص في التالي:

١- حصول قناعة عالمية بضرورة حل قضية فلسطين وعدم إمكانية استمرار الاحتلال.

٢- زيادة التعاطف العالمي مع الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة.

٣- كشفت الانتفاضة زيف الديمقراطية الإسرائيلية وحقيقة ممارستها القمعية.

٤- بلورت الانتفاضة هوية الشعب الفلسطيني وبذرت بذور الاستقلال.

٥- تخلص الاقتصاد الفلسطيني من تبعيته للمؤسسات الإسرائيلية، وقيام اقتصاد فلسطيني بديل، وهذا الأمر ألحق كذلك خسائر اقتصادية ضخمة في الاقتصاد الإسرائيلي.

٦- توجيه ضربة قاصمة وشديدة على الجواسيس والخونة الفلسطينيين المتعاملين مع المخابرات الإسرائيلية.

٧- أوجدت الانتفاضة جيلاً جديداً شجاعاً واثقاً بنفسه يطمح نحو الاستقلال والتخلص من الاحتلال.



الباب الخامس

الانتفاضة والسلام

الفصل الثالث

السلطة الفلسطينية

١ السلام في فلسطين والأردن



عام ١٤١٥ هجري
١٩٩٤ ميلادي

عرفات يصل غزة

وفي ١٩٩٤/٧/٥ وصل ياسر عرفات إلى غزة، واستقبلته جموع كثيرة حاشدة، وتسلم منصب رئيس السلطة الفلسطينية حسب الاتفاق الذي تم برعاية أمريكية بين اليهود والفلسطينيين، وصارت أمريكا منذ وقتها الراعية الرسمية لعملية السلام.



حسين ورابين في قصر العقبة في الأردن أثناء اتفاق السلام الأردني الإسرائيلي

الأردن يوافق على عملية السلام

وفي ١٩٩٤/٧/٢٥ وقع الملك حسين مع إسحاق رابين اتفاقاً في واشنطن لإنهاء حالة الحرب بين الأردن وإسرائيل، على أن يوقع الاتفاق النهائي بين الأردن وإسرائيل في الأردن لاحقاً. أما ياسر عرفات فقد بدأ بإدارة السلطة الفلسطينية، وكانت باكورة أعماله في ١٩٩٤/٨/١٦ عبارة عن حملة اعتقالات واسعة ضد حماس والجهاد الإسلامي والقوى المعارضة لعملية السلام، وهكذا نجحت اتفاقيات السلام التي وقعها في تحويل الصراع من صراع فلسطيني يهودي، ليصبح الصراع لأول مرة الآن صراعاً فلسطينياً - فلسطينياً.



حسين ورابين أمام كلينتون في اتفاق السلام ١٩٩٤/١٠/٢٦

اتفاقية وادي عربة

وفي ٢٦/١٠/١٩٩٤ وفي وادي عربة بالأردن، وقعت معاهدة السلام الدائم بين الأردن وإسرائيل مقابل أن تحصل الأردن على حقوق الماء، وتدعم أمريكا الاقتصاد الأردني، وعلى أن تعطى الأردن مكانها في الترتيبات الإقليمية.



حسين ورابين في البيت الأبيض في اتفاق السلام ٢٥/٧/١٩٩٤

غزة وأريحا.. أولاً

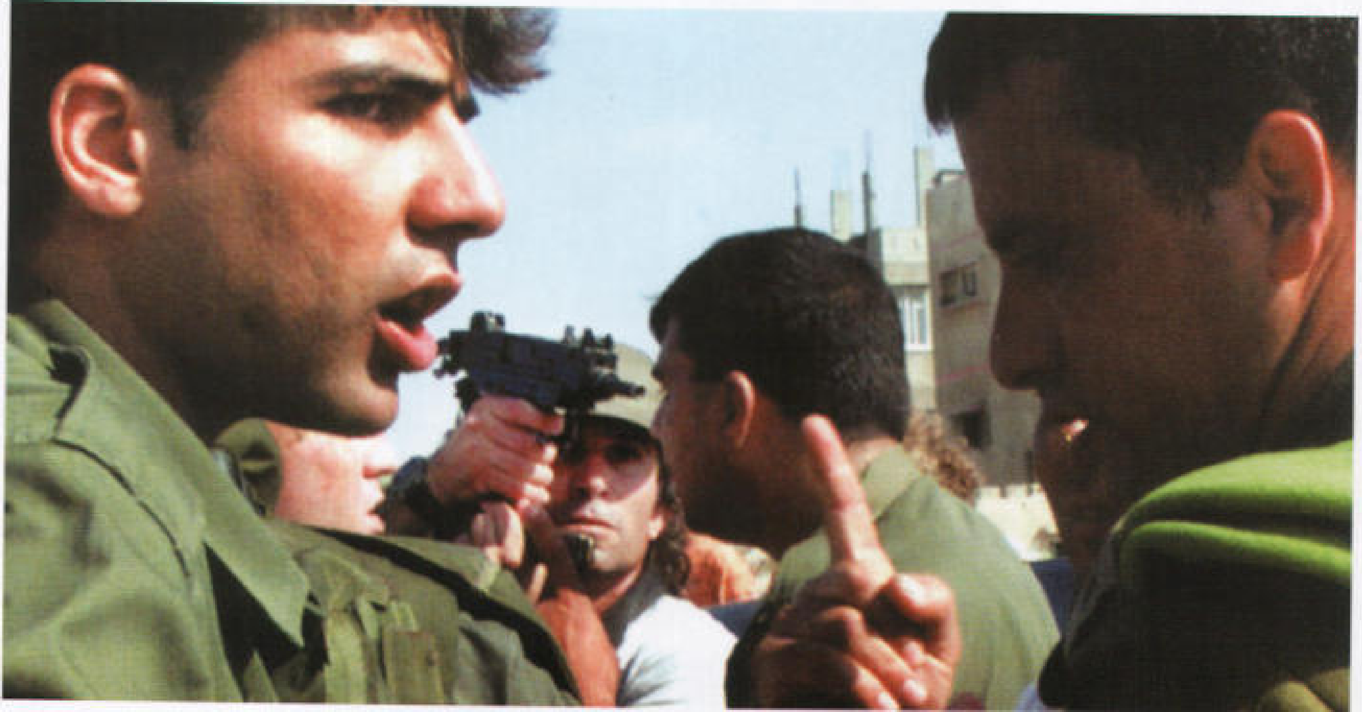
أما في فلسطين، وضمن اتفاقية الحل النهائي الذي كان من المفروض أن يوقع بعد اتفاقية السلام التي تمت بين إسرائيل وياسر عرفات في أمريكا، فقد اتفق على أن تعطى السلطة الفلسطينية غزة وأريحا فقط، وهذه تشكل فقط ٢ ٪ من مساحة فلسطين، وعلى أن توقع فيما بعد اتفاقية لمرحلة ثانية ومرحلة ثالثة، ثم تأتي المرحلة النهائية، والتي من المفترض أن تحل جميع المشاكل العالقة، ومنها مشكلة القدس، والتي رفضت إسرائيل أن تناقشها في وقتها، وطلبت تأجيلها.



القدس الحزينة بعد توقيع اتفاقيات السلام

عملية استشهادية في القدس

ولما كانت قضية القدس هي قضية أساسية ومصيرية لدى الشعب الفلسطيني، كان الرد الإسلامي بعد ذلك بثلاثة أيام، حيث قامت المقاومة الإسلامية بعملية استشهادية في تل أبيب قتل فيها ٢٢ من الصهاينة وأصيب ٤٧، فكانت تلك ضربة قاصمة حقيقة لعملية السلام، وموجعة لليهود، لأنهم كانوا يأملون أن اتفاقية السلام هذه ستخمد العمليات الجهادية، إلا أن العمليات الجهادية صارت تتوالى.



أفراد من الشرطة الفلسطينية

عرفات يقتل الفلسطينيين

وما كان من السلطة الفلسطينية إلا أن قامت بقمع مظاهرة كبيرة لحماس والجهاد في غزة، ولأول مرة يقتل على يد الفلسطينيين فلسطينيون آخرون، حيث قتلت السلطة يومها ١٣ متظاهراً واعتقلت ٣٠٠، ووقعت القوى الإسلامية المقاومة في مشكلة كبيرة مع السلطة الفلسطينية المصممة على السلام ولو بقمع الانتفاضة وقتلها.

سفارة إسرائيل في الأردن

وفي الأردن استكملت اتفاقيات السلام مع إسرائيل، حيث توّج ذلك بافتتاح سفارة للأردن في إسرائيل، وأخرى لإسرائيل في الأردن وذلك في ١٩٩٤/١٢/٧، وتم بذلك الاعتراف الرسمي بإسرائيل، وصار اليهود يمارسون أعمالاً تجارية داخل الأردن، وبدأت الشركات الإسرائيلية تتحسس السوق الأردنية، وتنشر بضائعها فيه.

٢ اغتيالات في كل الجهات



عام ١٤١٦ هجري
١٩٩٥ ميلادي

اغتيال فتحي الشقاقي

ثم إن إسرائيل زادت من عمليات القمع للفلسطينيين، وتجاوزت حدود فلسطين لتلاحق المجاهدين في أنحاء العالم، ففي ١٩٩٥/٩/٢٦ تم اغتيال الدكتور فتحي الشقاقي في مالطا، وهو زعيم حركة الجهاد الإسلامي وذلك على يد الموساد "المخابرات الإسرائيلية"، لكن ذلك لم يوقف عملية الجهاد داخل فلسطين، واستمرت عمليات المقاومة.



د. فتحي الشقاقي زعيم حركة الجهاد الاسلامي



كلينتون وحسين ومبارك ورابين وعرفات في اللحظة الأخيرة قبل خروجهم لتوقيع اتفاق السلام في البيت الأبيض ١٩٩٥/٩/٢٨

اغتيال إسحاق رابين

وزاد الأمر تعقيداً عندما قام أحد المتطرفين اليهود باغتيال إسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل في تجمع احتفالي كبير، وكان سبب ذلك احتجاج المتطرفين اليهود على معاهدة السلام، وكان ذلك مفاجأة للعالم لوجود بعض اليهود الذين يرفضون معاهدة السلام ويغتالون رئيس الوزراء.



قادة دول عالمية وعربية في جنازة اسحق رابين ١٩٩٥/١١/٦

العرب وعرفات يعزون

وأقيم تشييع كبير لـ "رابين" ضمن تجمع ضخم شارك فيه دول العالم رؤساء وشخصيات كبيرة من مختلف أنحاء العالم، وشاركت فيه مجموعة من الوفود العربية، ومن ضمن المشاركين كان ياسر عرفات والذي قرأ الفاتحة على إسحاق رابين.



ياسر عرفات يقبل يد زوجة إسحاق رابين رئيس وزراء اسرائيل أثناء مراسم تشييع زوجها

مفاوضات حماس والسلطة

وفي ١٨/١٢/١٩٩٥ عقد مؤتمر للحوار بين حماس بقيادة السيد خالد مشعل نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، والسلطة الفلسطينية بقيادة سليم زعنون، وكان المؤتمر يهدف لإقناع حماس بالتخلي عن العمليات الجهادية والمشاركة بالانتخابات الفلسطينية المزمع عقدها، لكن حماس رفضت إيقاف العمليات من جانبها، وكذلك السلطة رفضت شروط حماس، وبقيت المسألة معلقة بين الطرفين، وأعقبت حماس ذلك بزيادة عملياتها ضد إسرائيل، ولم يستطع ياسر عرفات السيطرة على هذا العمل الجهادي، فأعلنت إسرائيل توقف عمليات السلام.



خالد مشعل نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس عام ٩٥

اعتقال موسى أبو مرزوق

وجاء شهر مايو فقامت إسرائيل والمنظمة وأمريكا مجتمعين بعملية ضخمة جداً لمتابعة حماس والجهاد الإسلامي والمنظمات التي تمولها، وكانت تلك حملة شعواء ضد العمل الجهادي، نتج عنها أن قامت أمريكا باعتقال الدكتور موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، وكان هذا الدكتور يحمل الجنسية الأمريكية، وتم اعتقاله في مطار نيويورك أثناء زيارته لأمريكا وبلا تهمة محددة، ثم إن القاضي الأمريكي الاتحادي قام في ١٩٩٥/٥/٨ بإصدار قرار يسمح بتسليم أبي مرزوق إلى إسرائيل لأنه ينتمي إلى منظمة حماس، ولم يكن يمثل أبو مرزوق من حماس إلا جناحها السياسي. فقام أبو مرزوق باستئناف هذا القرار وبقيت هذه القضية في أروقة المحاكم الأمريكية فترة من الزمن.

وبالرغم من أن حماس كانت منظمة على جناحين، أولها الجناح العسكري المسمى كتائب عز الدين القسام، والثاني الجناح السياسي، شأنها بذلك شأن الإيرلنديين الثوار في بريطانيا، وقد كانت أمريكا وبريطانيا تتعامل مع الشق السياسي للإيرلنديين وبينهما قنوات اتصال وحوار، إلا أن الأمر اختلف هنا مع العرب فقد اعتبر كلا شقي حماس منظمة إرهابية يجب القضاء عليها!.



د. موسى أبو مرزوق رئيس المكتب السياسي لحركة حماس عام ٩٦



عام ١٤١٦ هجري
١٩٩٦ ميلادي

اغتيال يحيى عياش

ومع بداية هذا العام قامت إسرائيل بعملية اغتيال واحد من أبطال الانتفاضة، وهو المهندس "يحيى عياش" رحمه الله تعالى، والذي كان رمزاً من رموز البطولة والجهاد ضد إسرائيل، وتمت العملية عن طريق زرع قنبلة مفخخة في جهاز الهاتف النقال، والذي أهداه إياه خال أسامة حماد الذي كان يأوي الشهيد يحيى عياش، وكانت إسرائيل تراقب هذا الهاتف النقال الذي قدمه "كمال حماد" المتعامل مع إسرائيل إلى قريبه الذي قدمه بدوره إلى يحيى عياش، وبقيت فترة تراقب الجهاز حتى تصنتت على إحدى المكالمات والتي كان يقول فيها يحيى عياش لأبيه لا تتصل بي بالهاتف بعد الآن، فقامت فوراً طائرة إسرائيلية بتفجير الهاتف بواسطة جهاز تحكم، فتفجر رأس يحيى عياش رحمه الله تعالى.

وتمت مكافأة العميل "كمال حماد" بمليون دولار أمريكي مكافأة على خيانته وعمالته، وجواز سفر مزور وحماية إسرائيلية، وخرجت جنازة تشيع يحيى عياش خرج فيها ٢٥٠ ألف فلسطيني من كافة الفصائل، وشارك عرفات بتقديم العزاء لأهل يحيى عياش، وتوفي ذلك البطل الذي كانت له بطولات عظيمة، وأصاب الاحتلال الإسرائيلي بضربات موجعة كثيرة وشديدة.



الشهيد يحيى عياش مهندس عمليات التفجير داخل إسرائيل



جنازة بطل حماس الشهيد (المهندس) يحيى عياش في غزة الذي اغتاله اليهود في ١٩٩٦/١/٥

عملية يحيى عياش

وفي الشهر التالي في ٢/٢٥ ردت حماس على مقتل يحيى عياش بعملية استشهادية ضخمة جداً أسمتها عملية يحيى عياش، تم فيها تفجير حافلة قتل فيها ٢٤ يهودياً وجرح ٥٠ آخرون، ثم أتبعتها بعملية قوية أخرى في عسقلان تم فيها تفجير ٣٥ جندياً إسرائيلياً، وتوالت تلك العمليات، فاتخذت إسرائيل إجراءات لم يسبق لها مثيل في قمع الشعب منذ ٢٩ سنة، فكان رد حماس أيضاً قوياً، حيث قامت بعمليات استشهادية ضخمة جداً قتل فيها ٦٤ إسرائيلياً.

٣ العالم ضد المقاومة

إسرائيل والسلطة تقمعان حماس

وبناء على ذلك قامت إسرائيل بحملة قمع وضرب عشوائي، وقامت السلطة الفلسطينية بحملات أمنية ضخمة اعتقلت بها أعداداً كبيرة من المجاهدين من حماس، وأودعتهم السجون، ولكن الجهات الإسلامية المقاومة لم ترضخ لهذا الضغط، بل قامت حركة الجهاد الإسلامي من طرفها وأيضاً حزب الله بعمليات استشهادية ضخمة جداً هزت إسرائيل بقوة، وتوالت العمليات الاستشهادية حتى إن إسرائيل طالبت العالم بأن يقف بجانبها لصد هذه الهجمات القوية من داخل إسرائيل ومن جنوب لبنان.



اشتداد القمع اليهودي للفلسطينيين

مؤتمر شرم الشيخ

واستجابة لطلب إسرائيل عقد مؤتمر عالمي في شهر ١٩٩٦/٤ في شرم الشيخ في مصر حضرته الدول العربية ودول الخليج والدول الكبرى ومنظمة التحرير وإسرائيل لمحاولة الاتفاق على حل سلمي يوقف العنف في الأرض المغتصبة. غير أن الهدف غير المعلن كان وضع حل لوقف العمليات الاستشهادية وعمليات حزب الله ضد إسرائيل، والتي بلغت ذروتها آنذاك حتى وصلت إلى عشر عمليات يومياً بين قصف بصواريخ الكاتيوشا وضرب الدوريات الإسرائيلية في جنوب لبنان.

عناقيد الغضب

لقد أرّق حزب الله أمن إسرائيل، فهي إضافة للوضع المتفجر بالداخل، لم تكن مستعدة لمواجهة خارجية أخرى مع حزب الله، والذي كان مدرباً ومنظماً ويملك عتاداً وسلاحاً عسكرياً قوياً، فلم يكن من إسرائيل إلا أن قامت بعملية كبيرة بالهجوم على حزب الله، أسمتها عملية "عناقيد الغضب"، حيث قامت بالهجوم من الجو والبحر، ولكن لم تشرك قواتها البرية خوفاً من الخسائر على الأرض، ولكن حزب الله الذي كان يشن حرب عصابات على إسرائيل لم يكن هدفاً سهلاً على إسرائيل، فأخذت تضرب المدنيين في لبنان والمنشآت المدنية ومحطات الكهرباء، حتى وصل عدد القتلى إلى ١٠٠ من بين المدنيين، وجرح المئات منهم، وفي الشهر الرابع من سنة ١٩٩٦ أيضاً قامت إسرائيل بمجزرة في "قانا" في جنوب لبنان، وذلك حين قصفت ملجأ للمدنيين كان فيه شيوخ ونساء وأطفال، فأثار هذا الرأي العام العالمي ضدها، لأن مشاهد القتلى من الأطفال والنساء والشيوخ في الملجأ انتشرت على الفضائيات العالمية، غير أن إسرائيل أعلنت أنها ستستمر بضرب المدنيين في لبنان، إلا إذا التزم حزب الله بوقف إطلاق النار على إسرائيل وعلى الجنود الإسرائيليين، فرد حزب الله برفضه إيقاف العمليات ضد الجنود العسكريين، إلا أنه أعرب عن استعداده للتوقف عن ضرب المدنيين في إسرائيل إذا توقفت إسرائيل عن ضرب المدنيين في لبنان.

السلطة تواجه المقاومة

ومن ناحية أخرى وفي أعقاب مؤتمر شرم الشيخ، وتنفيذاً لقراراته، قامت السلطة الفلسطينية باعتقال أكثر من ألف من نشطاء حماس والجهاد الإسلامي، وأغلقت المدارس والجمعيات الخيرية ولجان الزكاة ودور الأيتام التي تتبع لحماس وللجهاد الإسلامي، فقامت إسرائيل مباشرة بالإشادة بالإجراءات التي قام بها عرفات.



أحد عناصر المقاومة الفلسطينية حماس يحمل شعار الجهاد



طفل فلسطيني أعزل بمواجهة بندقية إسرائيلية

إسرائيل تذعن لحزب الله

وفي ١٩٩٦/٤/٢٧ وافقت إسرائيل على إيقاف ضرب المدنيين في لبنان، فوافق حزب الله من طرفه على إيقاف قصف المدنيين، والتفت الجماهير اللبنانية حول حزب الله وأيدته في استمراره.

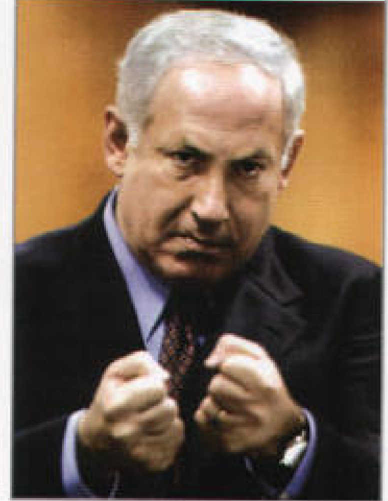
عمليات جهادية

وفي ٥/١٩ قامت قوات إسرائيلية بمحاصرة مجموعة من مجاهدي حماس في وادي الخليل، واشتعلت معركة ملتهبة بين الطرفين، ولكن المجاهدين استطاعوا أن يخترقوا الحصار بعد أن قتلوا ثلاثة من اليهود وجرحوا ١١ منهم، واستشهد في هذه العملية اثنان من حماس.



"نتنياهو" يفوز بالانتخابات

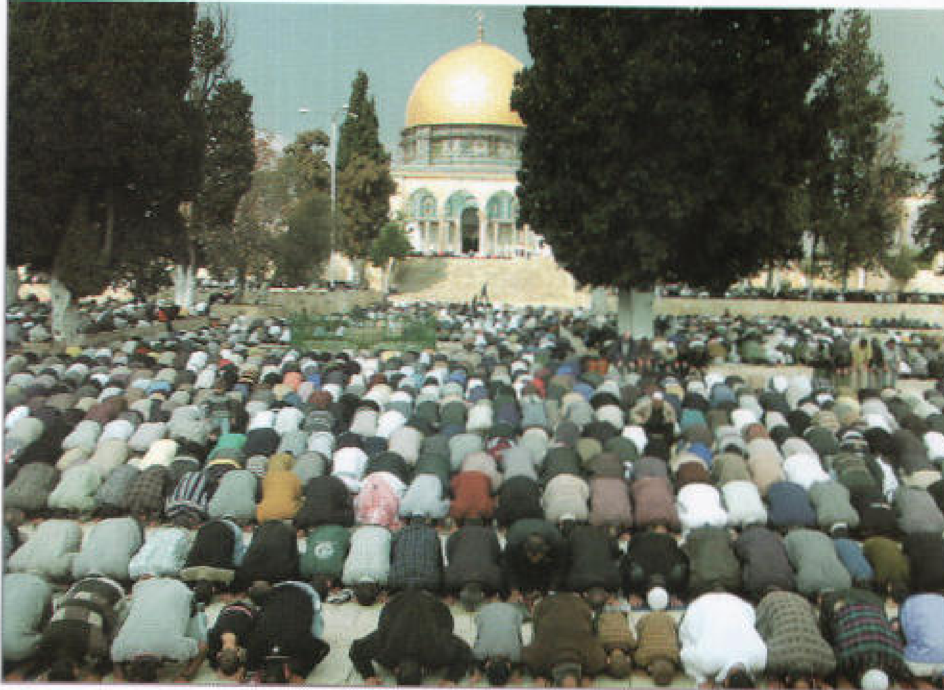
كل هذه العمليات القوية أدت إلى هزيمة حزب العمل الإسرائيلي في الانتخابات، وبسبب تردي الأوضاع الأمنية للإسرائيليين، فاز حزب الليكود بقيادة "نتنياهو"، والذي وعد الإسرائيليين بضبط الأمن في إسرائيل، وعلى فور ذلك قام بعمليات قمع شديدة للمجاهدين في فلسطين.



نتنياهو يهدد بإحكام الطوق على الانتفاضة

نفق تحت الأقصى

وبينما كان الصراع على أشده، كان اليهود يجرون عمليات حفر لأنفاق ضخمة تحت المسجد الأقصى، وفي ٩٦/٩/٢٥ أعلنت إسرائيل افتتاح النفق الأخير تحت الجدار الغربي، وحضر ممثلون رسميون عن الحكومة اليهودية لافتتاح هذا النفق، فقابل الشعب الفلسطيني هذا العمل بانتفاضة غاضبة جداً، ووقعت صدامات مباشرة كبيرة مع المتطرفين الصهاينة، راح ضحيتها ٨٥ من الفلسطينيين وجرح ١٦٠٠ .



صلاة الجمعة في القدس



عام ١٤١٧ هجري
١٩٩٧ ميلادي

السلطة تعتقل الفلسطينيين

ثم قامت السلطة الفلسطينية بحملة اعتقالات واسعة بين الشباب الفلسطينيين، وزجت بهم في السجون، ومع بداية عام ٩٧ أعلنت منظمات حقوق الإنسان عن وجود ١٦٠٠ معتقل فلسطيني في سجون السلطة الفلسطينية من بينهم ٧٠٠ سجيناً بدون تهم وبدون محاكمات، وأفادت التقارير بموت أكثر من ٢٠ سجيناً تحت التعذيب منذ قيام السلطة.

٤ حماس تتطور



إطلاق أبي مرزوق

وفيما لم تجد المحاكم الأمريكية ما تدين به موسى أبا مرزوق اضطرت لإطلاق سراحه في شهر ١٩٩٧/٥ ولكن بعد أن ظل حبيس سجنه سنتين، وخلال هذه الفترة كانت حماس قد اختارت رئيساً آخر لمكتبها السياسي هو خالد مشعل، وهو خريج جامعة الكويت، ومن المناضلين العاملين في حركة حماس.

الفساد المالي في السلطة

وكانت التبرعات من الدول العربية تتدفق نحو فلسطين، فكان يصل بعضها إلى الأهالي، أما التبرعات التي كانت تسلك القنوات الرسمية فكانت تصب في بنوك السلطة الفلسطينية، وفي شهر ٩٧/٥ اكتشفت لجنة المراقبة في المجلس التشريعي الفلسطيني التابع للسلطة الفلسطينية سرقة ٣٢٦ مليون دولار من ميزانية السلطة البالغة بمجملها ١٥٠٠ مليوناً، فقام المجلس بحجب الثقة عن حكومة عرفات، وصرح "محمد جهاد" وهو من كبار قادة فتح أن عرفات يحيط نفسه بشلة من اللصوص المبتزين. وانكشف غطاء كبير عن الفساد الإداري والمالي الذي كان مستشرياً في جسد السلطة الفلسطينية.


نيتنياهو يهمس في أذن عرفات

محاولة اغتيال خالد مشعل

وشغلت هذه القضية الشعب الفلسطيني، بينما استغلت إسرائيل ذلك وصارت تجهز لعملية جديدة، حيث قامت المخابرات الإسرائيلية "الموساد" في ١٩٩٧/٩/٢٥ بمحاولة اغتيال السيد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس، وذلك عن طريق نفث غاز سام بوجهه، فسقط مغشياً عليه ونقل فوراً إلى المستشفى، وكانت محاولة الاغتيال هذه في عمّان، فأشعل ذلك غضب الحكومة الأردنية، وعلى الفور أجرى الملك حسين اتصالاً بالحكومة اليهودية يهدد بقطع العلاقات معها إذا مات خالد مشعل، وطالبهم بالمصل المضاد الواقي من تأثير الغاز السام الذي أطلق بوجه خالد مشعل.

ولما كانت إسرائيل تبني مصالح كثيرة على علاقاتها مع الأردن، ولم تكن تشاء أن تقطع هذه العلاقة، سارعت على الفور بإرسال مجموعة من الضباط اليهود بالمضاد الحيوي، وبذلك نجا السيد خالد مشعل من الموت المحقق.

إطلاق الشيخ أحمد ياسين

ثم عادت الأردن فاستنكرت هذا العمل الإجرامي، وطالبت إسرائيل مجدداً بإطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين كإثبات لحسن النية لعدم تكرار مثل هذه العمليات، وفعلاً قامت إسرائيل بإطلاق سراح الشيخ الذي كان محكوماً بالسجن المؤبد، وتناقلت وسائل الإعلام كلا الخبرين، واطلعت كثير من دول العالم على لقاءات صحفية مع خالد مشعل والشيخ أحمد ياسين، وبذلك ارتفع رصيد القضية الفلسطينية لدى العالم.



عام ١٤١٩ هجري
١٩٩٨ ميلادي

هجمات تهز إسرائيل

وزادت استفزازات المتطرفين اليهود للعرب الفلسطينيين، حيث قام متطرف يهودي بقذف رأس خنزير ملفوف بآيات القرآن الكريم على المسجد الأقصى، فأثار ذلك غضباً عارماً في القدس، وجرت عدة عمليات استشهادية جريئة جداً باستعمال تقنيات حديثة بواسطة أجهزة التحكم عن بعد "الريموت" ضد المستعمرين في أنحاء متعددة من فلسطين، واهتزت إسرائيل أمام هذه الهجمات القوية، وسارعت تطالب أمريكا للتدخل بمشروع سلام للمنطقة يهدأ من غضبة الانتفاضة.

آثار العملية الاستشهادية في حافلة جنود اسرائيلية

اتفاق "وادي بلانتيشن"

وفعلاً تم في أمريكا في شهر ٩٨/١٠ اتفاق "وادي بلانتيشن" الذي هو تنفيذ لاتفاق السلام الذي علقته إسرائيل بسبب العمليات الاستشهادية التي لم تستطع السلطة ضبطها، فبدأت بذلك مفاوضات السلام تنشط من جديد.



نيتنياهو وعرفات أمام كلينتون وحسين أثناء اتفاق الأرض مقابل السلام ٢٣/١٠/١٩٩٨



عرفات مع كلينتون ١٢/١٩٩٨



عام ١٤٢٠ هجري
١٩٩٩ ميلادي

مخططات لنسف الأقصى

وبينما كانت الجهود تبذل لإنجاح مفاوضات السلام، كان حزب الله في جنوب لبنان يكثف من عملياته، وكانت الحركة الإسلامية داخل فلسطين تشتد قوة وتأثيراً، وكان يقابل هذا بنشاط حثيث لليهود في محاولات لاقتحام المسجد الأقصى، ثم كشفت الشرطة اليهودية عدة مخططات صهيونية لنسف المسجد الأقصى.

ولم تكن الحكومة اليهودية تريد نسف المسجد الأقصى - على الأقل في الوقت الحالي - لأن هذا سيفجر العالم الإسلامي ويلهب غضب الشارع الفلسطيني والعربي، ولم تكن إسرائيل مستعدة لزيادة حمأة الانتفاضة واشتعالها، وكانت الخطة تضييع وتمييع الجهاد والمقاومة بمفاوضات السلام التي تأخذ ردحاً طويلاً من الزمن، وكالعادة لا تخرج بشيء يخدم العرب سوى قرارات هزيلة ومشوهة.

يهود يصلون عند حائط البراق في عيد اليهود

تعديل الميثاق الفلسطيني

ثم زادت السلطة بأن قامت بإلغاء كل البنود المتعلقة بعدم الاعتراف بإسرائيل من الميثاق الوطني الفلسطيني، هذا الميثاق الذي قامت على أساسه منظمة التحرير الفلسطينية.

"باراك" يرأس إسرائيل

وفي ١٩٩٩/٥/١٩ حلّت الانتخابات الإسرائيلية، ولم يقم الإسرائيليون بانتخاب جديد لـ "نتنياهو" وفاز برئاسة الوزراء "باراك" الذي عُقد عليه الأمل اليهودي لإيقاف العمل الجهادي، وجعل هذا الأخير يتحرك على عدة محاور، فاتفق أولاً مع الأردن لكي تقوم بإغلاق مكاتب حركة حماس السياسية في عمّان، وبالفعل تم إغلاقها، ثم في الشهر التاسع من سنة ٩٩ تم توقيع مذكرة شرم الشيخ بين السلطة الفلسطينية واليهود لتنفيذ اتفاقيات السلام. وأعلنت إسرائيل استعدادها لتطبيق اتفاقيات السلام وتسليم الضفة وغزة إلى الفلسطينيين ولكن بشرط أن تقوم السلطة بضبط حركة حماس والجهاد الإسلامي، فقامت السلطة من جهتها بممارسة الضغط السياسي والعسكري على حماس لوقف عملياتها.


باراك رئيس الوزراء الإسرائيلي

إبعاد قيادات حماس

ثم في شهر ١٩٩٩/١١ تم إبعاد قيادات حماس برئاسة خالد مشعل وموسى أبومرزوق وإبراهيم غوشة ومحمد نزال من الأردن إلى قطر، وهم لا يزالون يحملون الجنسية الأردنية. وعلى أثر ذلك قام ٢٠ مفكراً وشخصية فلسطينية من أنصار السلطة بتوقيع وثيقة سميت وثيقة العشرين، تتهم السلطة بالفساد المالي والشللية وقمع الحريات، غير أن كل ذلك لم يغير من خطط حماس في القيام بعمليات ضد اليهود.


إبراهيم غوشة


محمد نزال

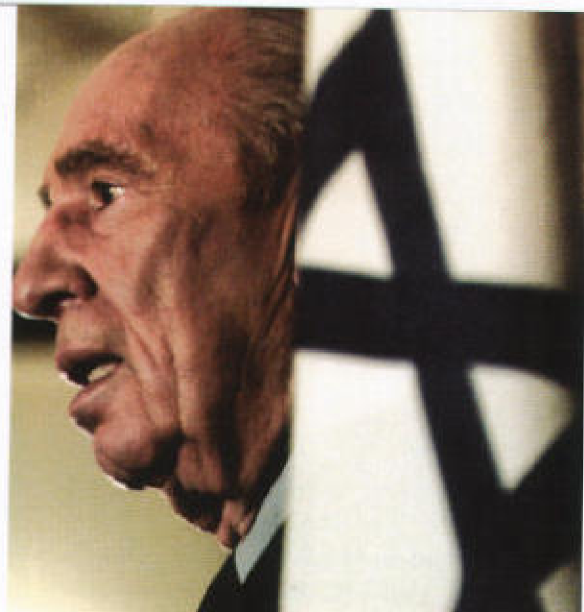

عام ١٤٢١ هجري
٢٠٠٠ ميلادي

المقاومة تتطور

وافتتحت حماس هذا العام في ٢٠٠٠/١/٤ بتفجير دبابتين إسرائيليتين عن بعد بواسطة جهاز تحكم، فأثار هذا الأمر الرعب في نفوس اليهود، حيث لم تكن العمليات السابقة سوى عمليات استشهادية، أما هذه فكانت تكنولوجيا حديثة باستخدام أجهزة تحكم عن بعد.

وفي نفس اليوم قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجهاد الإسلامي بعدة عمليات، فكان حصيلة هذه العمليات قتل ٧٠ يهودياً وجرح ٧٥٠ آخرين، ثم توالت هذه العمليات على أيدي المجاهدين، ومن جانبه كان ما يزال حزب الله يوسع ويزيد من عملياته في الشريط الحدودي مع لبنان دون أي مضايقة سياسية أو حكومية تمنعه أو تحدّ من نشاطه، واستمر على ذلك حتى كان الشهر الخامس من هذا العام حيث اضطر الجيش الإسرائيلي للانسحاب من جنوب لبنان.





شمعون بيريز



الرئيس المصري حسني مبارك



الملك عبدالله بن الحسين ووالده الملك حسين



وزير الخارجية الأمريكي في مؤتمر صحفي في الأردن



الباب الخامس

الانتفاضة والسلام

الفصل الرابع

الانتفاضة الثانية

١ شرارة تشعل الانتفاضة

المهاجر رقم مليون من روسيا

في داخل إسرائيل كانت الحكومة تحتفل في هذا الشهر بقدوم المهاجر رقم مليون من روسيا، لقد بلغ تعداد المهاجرين الروس حتى هذا العام مليون مهاجر من بينهم ٩٢ ألف عالم في التخصصات العالية ومن بينها التخصصات النووية والعسكرية.

"شارون" يدنّس الأقصى

وفي ٢٩/٥/١٤٢١ هـ الموافق ٢٨/٩/٢٠٠٠ م قام "شارون" رئيس حزب الليكود بعمل خطير غيّر كثيراً من مجريات الأمور، حيث قام بدخول المسجد الأقصى وبحماية رسمية من ثلاثة آلاف جندي إسرائيلي، فقام بذلك بتدنيس المسجد الشريف، واعتبر المسلمون هذا في مشارق الأرض ومغاربها أعظم إهانة وصفعة وجهت لدولة الإسلام الكبيرة، وقامت قائمة العرب والمسلمين، وعلى رأسهم المجاهدون الفلسطينيون، ولو علم "شارون" ما كان سينتج عن دخوله ذاك إلى المسجد لما فعلها أصلاً.

وهبّ المسلمون فوراً للدفاع عن المسجد الأقصى، وقامت مصادمات شديدة من أعنف ما شهدته ساحات المسجد، واستشهد في هذا اليوم خمسة رجال وجرح مائة كانوا يحاولون منع "شارون" من تدنيس المسجد، حيث اعتبر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها هذا العمل أعظم أهانة.



"شارون" يدنّس الأقصى

اشتعال الانتفاضة الثانية

لقد كان هذا الحادث القشة التي أشعلت الانتفاضة من جديد، وبث فيها روح العزيمة والنضال ضد اليهود، بعدما وصلت جميع مفاوضات السلام إلى طرق مسدودة، وباءت جميع آمال العرب بالفشل أمام الخداع والمكر اليهودي، ونقضهم لجميع القرارات والاتفاقيات التي أبرموها مع الجانب الفلسطيني، والقرارات الدولية الأخرى.

لقد ثار البركان الغاضب في فلسطين وفي العالم الإسلامي كله تجاه تدنيس شارون للأقصى، والتفت الجماهير بكل فئاتها حول الانتفاضة المباركة، وباركت جميع الشعوب العربية هذه الانتفاضة ودعمتها بالمال والمساندة المعنوية، حتى أن البرلمان الكويتي أصدر قراراً بإرسال التبرعات حصراً إلى الشعب الفلسطيني لا إلى السلطة.

محمد الدرَّة

وتساقط الشهداء، وما يزالون إلى يومنا هذا، يفدون بأرواحهم الطاهرة، ودمائهم الذكية أرض الإسراء والمعراج، وفي الشهر التاسع من هذا العام، سقط شهيداً أمام عدسة التلفزيون الفرنسي الطفل "محمد الدرة" وأصيب أبوه الذي كان يحاول حمايته من قناصة اليهود، ولم يكن للأب وابنه أي مشاركة أو عمل، سوى أنهما كانا من المارين في طريق الأحداث، وهكذا رأى العالم بأجمعه صورة طفل بريء يقتل بلا ذنب، وتلاحقت وانتشرت صور هذا العمل الإجرامي على شاشات التلفزة وفي جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة. وتفاقمت قضية الانتفاضة وشغلت العالم بأسره، وتحولت إلى قضية عالمية تتحدث عنها كل يوم وسائل الإعلام المختلفة، وشغلت حيزاً كبيراً من اهتمام العالم.

غير أن العالم الواسع الذي رأى هذه الجريمة اكتفى فقط بالاستنكار واستقباح هذا العمل، أما العالم الإسلامي فعمته المظاهرات العارمة، وهاجم كثير من المسلمين السفارات الإسرائيلية والأمريكية في كل أنحاء الأرض.







استشهاد الطفل محمد الدرة



فتاة فلسطينية تمر أمام كف من الدم وضعت على الحائط بعد مقتل شاب فلسطيني عمره ١٦ سنة

٢ إسرائيل والسلطة تواجهان الانتفاضة



عام ١٤٢٢ هجري
٢٠٠١ ميلادي

عرفات يواجه الانتفاضة

واستمرت الانتفاضة بزخم أكبر وعمليات استشهادية أضخم، وتدخلت أمريكا من جديد بدور راعي السلام، ومارست إسرائيل دورها الضاغط على السلطة الفلسطينية، وكلما قامت عملية جهادية استشهادية حملت إسرائيل ياسر عرفات المسؤولية، وتحت هذا الضغط قامت السلطة باعتقال مئات المجاهدين، وأعلنت رسمياً أنها أحبطت خلال ١٢ شهراً من الانتفاضة ١١٠ عمليات جهادية كان سيقوم بها المجاهدون ضد إسرائيل، وهذه العمليات كانت ستهزّ إسرائيل وتقلب الموازين، لولا موقف السلطة المتخاذل!.



شاب فلسطيني يقفز فوق قنبلة مسيلة للدموع رماها الجنود الإسرائيليون ٢٠٠١/٨/٣١

اغتيال محمود أبو هنّود

ثم قامت القوات الإسرائيلية في ١١/١٤ بمساعدة بعض العملاء باغتيال قائد من قواد جناح حماس العسكري "كتائب الشهيد عز الدين القسام"، وهو القائد البطل محمود أبو هنّود، وكانت قد حاولت إسرائيل من قبل اغتياله ثلاث مرات وفي كل مرة ينجو من الموت المحقق، حتى تمكنت أخيراً من ذلك، وقد كان هذا الشهيد على رأس قائمة المطلوبين لدى المخابرات الإسرائيلية، ولكنها على مدى أربع سنوات لم تستطع العثور عليه، إلا بمساعدة عملاء إسرائيل من الفلسطينيين، والذين سربوا معلومات بمكان تواجده، فاستطاعت إسرائيل قصف سيارة كان يستقلها.



الشهيد محمود أبو هنّود بطل حماس

عمليات محمود أبو هنود

وفي ١٢/٢ ردت حماس بأربع عمليات جهادية انتقاماً لقائدها أبو هنود، وكانت العمليات متوافقة مع ذكرى معركة بدر العظيمة، سقط من جراء هذه العمليات ٢٥ قتيلاً إسرائيلياً، وجرح ٢٥٠ آخرون، واهتزت إسرائيل أمام قوة هذه العمليات، وقطع شارون زيارته إلى أمريكا، وأعلن من هناك أن السلطة الفلسطينية منظمة تدعم الإرهاب، فقامت السلطة بالمقابل باعتقال أكثر من مائة من قادة حماس في فلسطين ومن بينهم القائد المعروف "إسماعيل أبو شنب"، ثم تقوم الطائرات الإسرائيلية بقذف غزة والضفة بالطائرات، وتضرب حصاراً على مبنى ياسر عرفات.



يهودي متطرف يلتجئ بين السيارات عند تبادل إطلاق النار بين الفدائيين والمستوطنين اليهود شهر ١٠/ ٢٠٠٠



عام ١٤٢٣ هجري
٢٠٠٢ ميلادي

ثم في تاريخ ٢٠٠٢/١/٣ أقام الكيان اليهودي منتدى دولياً لمكافحة ما يسميه معاداة السامية، وبعد ذلك بأسبوع واحد قامت القوات اليهودية بتدمير ٤٥ منزلاً فلسطينياً برفح، فتقوم حماس بالرد وتقتل أربعة جنود صهاينة شرق رفح، فيما يعرف بمطار غزة الدولي ويستشهد في هذه العملية عماد أبو رزق ومحمد أبو جاموس، وهما من كتائب القسام التابعة لحماس.

مكافحة السامية



آلاف اليهود يصلون عند حائط البراق ١١/٧/ ٢٠٠٠

عمليات اغتيال

وفي اليوم التالي أعادت إسرائيل احتلال مناطق من رفح تابعة للسلطة الفلسطينية، وقامت باختطاف عدد من نشطاء حماس، ولم تكتف بذلك بل قامت القوات الصهيونية بتحطيم مدرج غزة الدولي، ثم تقوم بعملية اغتيال "رائد الكرمي" وهو أحد كوادر حركة فتح في طولكرم ومسؤول كتائب الأقصى فيها، وخميس أحمد عبد الله قائد كتائب الأقصى في نابلس.

وفي ٢٠٠٢/١/١٨ قامت قوات اليهود بقصف مقر قوات الأمن في طولكرم فاوقعت شهيداً و عشرات الجرحى واحتلت موقعاً قريباً من مقر عرفات في رام الله، ثم قامت أيضاً بتفجير مبنى الإذاعة والتلفزيون في مدينة البيرة. وساعد العالم هذه الجرائم ففي نفس اليوم قامت اليابان بتجميد الأرصدة المالية لحركتي حماس والجهاد الإسلامي.



الشهيد رائد الكرمي



اقتحام سجون السلطة

وبعد كل عملية من عمليات اليهود كانت السلطة الفلسطينية تستنكر الحادثة، وتتهم إسرائيل بممارسة أعمال التصفية بحق الشعب الفلسطيني، ولكنها كانت أيضاً تقوم باعتقال العديد من شباب حركات المقاومة الفلسطينية، فقام العشرات من أنصار حركتي حماس وفتح في ٢٠٠٢/١/٢٢ باقتحام سجون السلطة الفلسطينية في نابلس في محاولة للإفراج عن المعتقلين الفلسطينيين، فقام أفراد الشرطة الفلسطينية بإطلاق النار عليهم، مما أدى إلى استشهاد أحدهم ووقوع آخرين جرحى ومصابين.

تصفية العملاء

ثم تتوالى العمليات، ففي ٢٠٠٢/٢/٥ قامت مجموعة من الملثمين باقتحام مبنى محكمة أمن السلطة في جنين وقتلت ثلاثة عملاء اتهموا بالتعامل مع المخابرات الصهيونية، وبعد أيام قليلة تم قتل ثلاثة صهاينة في عملية بطولية قامت بها كتائب الأقصى، وهم شرطي وجندي وضابط، ويقع آخرون جرحى، ثم في اليوم التالي تقوم كتائب القسام بترصد الجنود الصهاينة في نابلس وتقتل منهم ستة جنود دفعة واحدة، فتصاب إسرائيل بالذعر وترد بهجوم صاروخي على مواقع للأمن الفلسطيني يسفر عن سقوط ٨ شهداء فلسطينيين، فيقوم ياسر عرفات بالاستنجاد بالرئيس الأمريكي جورج بوش للتدخل لدى إسرائيل لوقف القصف.

استمرار العمليات

أما حركات المقاومة فتستمر في إزعاج إسرائيل ودكّ معاقلها، ففي ٢٠٠٢/٣/٢ تقوم كتائب الشهيد عاطف عبيدات بقتل ١١ مستوطناً صهيونياً وإصابة ٤٠ آخرين في وسط مدينة القدس المحتلة بالقرب من مدرسة دينية، وفي نفس اليوم تقوم هذه الكتائب بالترصد لضابط تحريات صهيوني، وتتمكن من قتله بالقرب من دير مار سابا في بيت لحم. وفي اليوم التالي تعلن كتائب القسام مسؤوليتها عن عملية نوعية تم فيها قتل ١٠ جنود صهاينة شمال رام الله في اشتباك مسلح، ودون وقوع خسائر في الجانب الفلسطيني، حيث عاد منفذو العملية سالمين إلى ديارهم. وبعد ذلك بيومين فقط نفذ فلسطيني عملية فدائية بالقدس أدت لمقتل وجرح ٥٠ إسرائيلياً.



آثار العملية الاستشهادية في فندق يهودي في نتانيا والتي نتج عنها مقتل ٢٩ وجرح أكثر من ١٠٠ إسرائيلي في ٢٠٠٢/٣/٢٧

الجمعة الحمراء

أثارت تلك العمليات القوية غضب الصهاينة، فقامت القوات الإسرائيلية من فورها في اليوم التالي بقصف مقر الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات بطائرات آباتشي، وكذلك قصف غزة ونابلس ورام الله بطائرات إف ١٦، وقامت بعدها بثلاثة أيام فقط بارتكاب مذبحة أقدمت فيها على قتل أكثر من ٥٠ فلسطينياً في عملية عسكرية موسعة شملت الضفة والقطاع، وأطلقت عليها اسم: "الجمعة الحمراء".



انفجار قذيفة دبابة في مقر عرفات في رام الله ٢٠٠٢/٣/٢٩



الجيش الإسرائيلي يحتل مقر عرفات في رام الله ٢٠٠٢/٣/٢٩



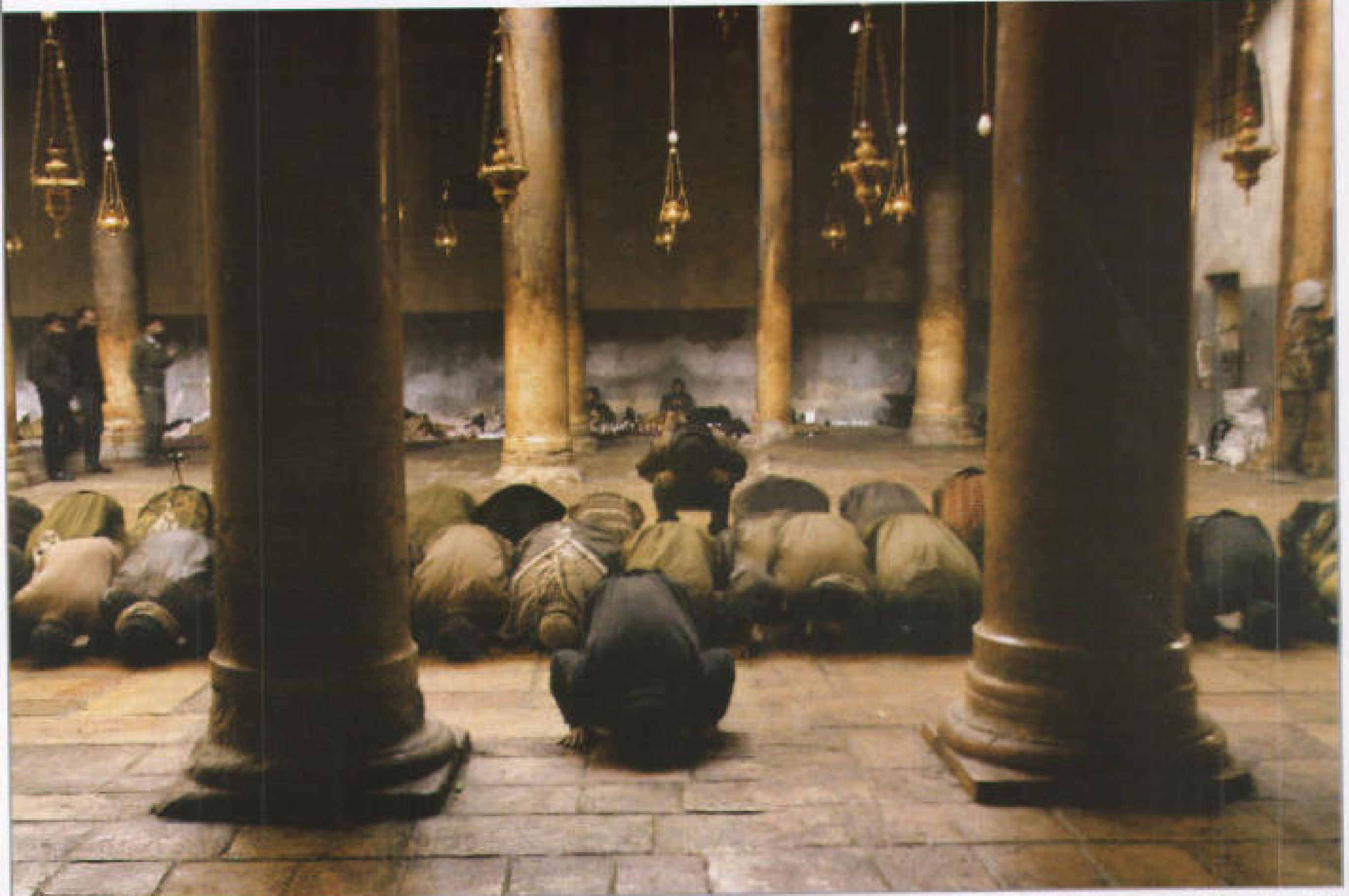
ياسر عرفات على أنوار الشموع في مقره المدمر في رام الله ٢٠٠٢/٣/٣٠

مبادرة السلام العربية

وفي ٢٠٠٢/٣/٢٧ افتتحت القمة العربية أعمالها في العاصمة اللبنانية بيروت بغياب أكثر من نصف الزعماء العرب، وشهدت عناقاً بين ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقية عزت إبراهيم، في حين تصافح الوفدان الكويتي والعراقي لأول مرة منذ حرب الخليج. واقرت القمة مبادرة الأمير عبد الله والتي أصبحت تعرف "بمبادرة السلام العربية".

الحصار والمذابح

وفي ٢٠٠٢/٣/٢٩ اقتحمت قوات الاحتلال الإسرائيلي مدينة بيت لحم، وقصفت مقر الرئيس عرفات واعتقلت بعض مرافقيه، وبذلك وسعت إسرائيل عدوانها على الفلسطينيين بالضفة الغربية، وعزلت الرئيس الفلسطيني عن العالم، وزادت على ذلك بأن احتلت مدينة بيت لحم، وحاصرت كنيسة المهد التي تحصن بها عدد من الفلسطينيين، واستمر حصار الكنيسة حتى تاريخ ٥/٥ توصل بعدها الفلسطينيون والإسرائيليون لاتفاق ينهي أزمة حصار كنيسة المهد، ويتضمن إبعاد عدد من الفلسطينيين المحاصرين داخلها خارج البلاد وقطاع غزة، وشغلت هذه القضية الإعلام العالمي بشكل كبير، وحظي القرار بموافقة أوروبية على استضافة المبعدين الفلسطينيين.



الفلسطينيون المحاصرون يصلون داخل كنيسة المهد



فلسطيني محاصر في كنيسة المهد يأكل أوراق الشجر



الجيش الإسرائيلي يحاصر كنيسة المهد في بيت لحم في محاولة لإخراج من لجأ إليها من الفلسطينيين ٢٠٠٢/٥/٢



إبراهيم عبيدات (أحد المطلوبين الرئيسيين) والذي أبعدته إسرائيل إلى أسبانيا بعد فك الحصار عن كنيسة المهد



الفلسطينيون محاصرون داخل كنيسة المهد



الوداع للمبعدين



خروج الفلسطينيين من كنيسة المهد بعد ٣٨ يوماً من الحصار ٢٠٠٢/٥/١٠

مذبحة جنين

غير أن ذلك كله لم يؤثر في جرأة إسرائيل على الاستمرار في عملياتها، فقامت في ٤/٣ باجتياح مخيم ومدينة جنين شمالي الضفة الغربية، وقامت بارتكاب مذابح قتل وحشية وجماعية في جنين ونابلس تحت قيادة الجنرال "شاؤول موفاز". وتفاعلت مع الحادثة وكالات الأنباء العالمية، حيث قامت إسرائيل بمنع الصحفيين من الدخول إلى مخيم جنين، وكذلك منعت سيارات الإسعاف من انتشال القتلى أو إسعاف الجرحى، وتوفي كثير من الفلسطينيين متأثرين بجراحهم لعدم وجود من يسعفهم، ولكن المقاومة في مخيم جنين كانت شديدة وملتهبة، ولم تتوقع إسرائيل أن تلقى مثل هذه القوة في مواجهتها، وتمكن رجال المقاومة من قتل ١٣ جندياً إسرائيلياً قبل أن تقصف إسرائيل المخيم بالكامل وتدمر معظم منازل السكان، ويتساقط القتلى والجرحى في كل مكان. فتلتهب المظاهرات العارمة في كل مكان، ويقوم العراق بإيقاف صادراته النفطية شهراً كاملاً تضامناً مع الانتفاضة الفلسطينية. أما عالمياً فقد أفرزت هذه المجزرة عدة ردود أفعال في مختلف أنحاء العالم، ففي جزيرة "جربة" التونسية انفجرت سيارة مفخخة بالقرب من معبد الغريبة اليهودي، مما أوقع عدداً من القتلى والجرحى معظمهم من الألمان. وكذلك في ٥/٢٣ دمر حريق هائل مبنى السفارة الإسرائيلية في باريس.



شاؤول موفاز وزير الدفاع الإسرائيلي

انفجار في معبد يهودي في جربة التونسية



مشاهد الدمار في جنين

رفض التحقيق في المجازر

وطالبت السلطة الفلسطينية وبعض الدول العربية الولايات المتحدة بفتح تحقيق رسمي بما جرى في مخيم جنين والذي جعلته إسرائيل منطقة مغلقة لمنع وصول أخبار المذابح إلى مسامع ومشاهد العالم، فأعلنت أميركا في ٢٠٠٢/٤/١٩ رفضها إجراء تحقيق دولي في المجازر التي ارتكبتها قوات الاحتلال الإسرائيلي في مخيم جنين، ثم في ٥/٥ أعلنت أميركا انسحابها من معاهدة إنشاء المحكمة الجنائية الدولية.



عرفات سعيد بلقائه وزير الخارجية الأمريكي كولن باول في رام الله ٢٠٠٢/٤/١٤



فلسطيني يبكي شهداء المجزرة في جنين

اغتيال صلاح شحادة


صلاح شحادة مؤسس كتائب عز الدين القسام


صبري البنا الملقب بأبي نضال المنشق عن حركة فتح

وفي ٧/٥ أصدر ياسر عرفات قراراً بإقالة قائد جهاز الأمن الوقائي بالضفة الغربية العقيد "جبريل الرجوب" من منصبه، وفي ٧/٢٣ أقدمت إسرائيل على اغتيال " صلاح شحادة" زعيم ومؤسس كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحماس، وذلك بعد قصف بناية سكنية مأهولة في غزة بطائرة إف ١٦، واستشهد معه ١٥ مدنياً بينهم تسعة أطفال، أما في بغداد فقد أعلن في ٨/١٩ عن مقتل صبري البنا الملقب بأبي نضال المنشق عن حركة فتح منذ السبعينات، والذي أثار جدلاً عالمياً واسعاً.

اعتراف أمريكا بالقدس عاصمة لإسرائيل

وفي ٩/٣٠ وقع الرئيس الأميركي جورج بوش قانوناً يعترف فيه بالقدس عاصمة لإسرائيل، وتقوم في ١٠/٧ قوات الاحتلال الإسرائيلي بارتكاب مجزرة جديدة بحق الفلسطينيين في خان يونس، راح ضحيتها ١٤ شهيداً ونحو ١١٠ جريحاً.


باراك سعيد بلقائه بوفد أمريكا بقيادة ميتشل لتحري الحقائق في مذبحة جنين

عمليات عالمية

وفي ١١/٢٨ انفجرت سيارة مفخخة بفندق يرتاده إسرائيليون بمدينة "مومباسا" الكينية، فقتل ١٥ بينهم ثلاثة إسرائيليين، ونجت في الوقت نفسه طائرة تابعة لشركة "أركيا" الإسرائيلية من هجوم صاروخي استهدفها في الأجواء الكينية، في عملية مزدوجة تبناها تنظيم القاعدة لاحقاً.

وفي الشهر الأخير من هذه السنة يستشهد قائد حماس في طولكرم "طارق عبد ربه" وكذلك يستشهد أحد كوادر حماس في بيت لحم وهو "جاد الله موسى شوكة" في عملية اغتيال في أحد المنازل، فتقوم حركة الجهاد الإسلامي في ١٢/٢٧ بإرسال مجاهدين إلى مستوطنة "عتنائيل" جنوب الخليل فيقتحمانها ويقتلان ٤ صهاينة ويُصاب في العملية ٨ آخرون بجروح .



رتل من الاستشهاديين الفلسطينيين بالأحزمة المتفجرة



عـــام ١٤٢٤هـ
٢٠٠٣/١/٥ ميلادي

عملية مزدوجة

قامت كتائب شهداء الأقصى بعملية استشهادية مزدوجة في عمق تل أبيب نفذ الأولى البطل براق عبد الرحمن في محطة الحافلات القديمة بشارع روشينا المكتظ، ومن ثم تبعه البطل الثاني سامر عماد النوري في الشارع المقابل بفارق دقائق معدودة ، وقد أسفرت العمليتان عن مصرع ٢٣ إسرائيلياً وجرح أكثر من ١٠٠ آخرين.

وجن جنون إسرائيل التي بهتتها هاتان العمليتان وضخامة الخسارة البشرية التي نتجت عنهما، فقامت باجتياح عدة مناطق في غزة ومخيم جنين وقصفت بالمروحيات عدة مواقع حكومية فلسطينية، فردت حماس على العنف الإسرائيلي بعملية جديدة في تاريخ ٢٠٠٣/١/٢٣ حيث تمكنت من نصب كمين قتل فيه ثلاثة إسرائيليين خارج مستوطنة بيت هاغاي على مسافة خمسة كيلومترات جنوبي الخليل في الضفة الغربية، وتمكن منفذو العملية من الفرار قبل أن تبادر الشرطة الإسرائيلية لتطويق المنطقة.

سياسة الاغتيالات

وفي خضم هذه الأحداث انتهجت إسرائيل سياسة الاغتيالات كأساس في تصفية قيادات حماس والمنظمات الجهادية الأخرى، وأعلنت أنها ستستهدف جميع القيادات بما فيهم قيادات السلطة أنفسهم، وقامت بالفعل بالبدء بتنفيذ سياستها حين اغتالت في ٢٠٠٣/٣/٨ الدكتور إبراهيم المقادمة ، أحد قادة ومؤسسي حركة حماس، حيث قصفت سيارته بأربعة صواريخ من مروحيات أباتشي الإسرائيلية قرب حي الشيخ رضوان في مدينة غزة، التي كان يستقلها مع ثلاثة من مرافقيه، وجاء الهجوم الإسرائيلي بعد ساعات من شن مقاومين فلسطينيين من حركة حماس هجوماً على مستوطنة "كريات أربع" قرب مدينة الخليل مما أسفر عن مقتل ثلاثة مستوطنين وإصابة ثمانية آخرين بينهم أربعة جنود إسرائيليين.



الشهيد الدكتور إبراهيم المقادمة ، أحد قادة ومؤسسي حركة حماس

الحشود على العراق

وبينما كانت العمليات متبادلة بين المقاومة الإسلامية في فلسطين واليهود، كانت أمور أخرى كبيرة تجري على الطرف الآخر من نهر الفرات، حيث كانت حشود أمريكية وبريطانية قد بدأت بالتوافد إلى المنطقة استعداداً لشن حرب ضد العراق، وبالرغم من عدم تأييد العالم - إلا بعض الدول - لهذا العمل العسكري، إلا أن أمريكا استمرت بحشد قواتها، ولم تستطع الولايات المتحدة الحصول على قرار من مجلس الأمن يؤيد قيامها بعمل عسكري ضد العراق، ولكنها أعلنت أخيراً أنها ليست بحاجة لمثل هذا القرار، متذرعة بامتلاك النظام العراقي لأسلحة دمار شامل عجز مفتشو الأمم المتحدة خلال فترة ١٣ عشرة سنة عن إيجادها أو الاستدلال عليها.



عـام ١٤٢٤ هجـري
٢٠/٣/٢٠٠٣ ميلادي

المعارضة العالمية للحرب

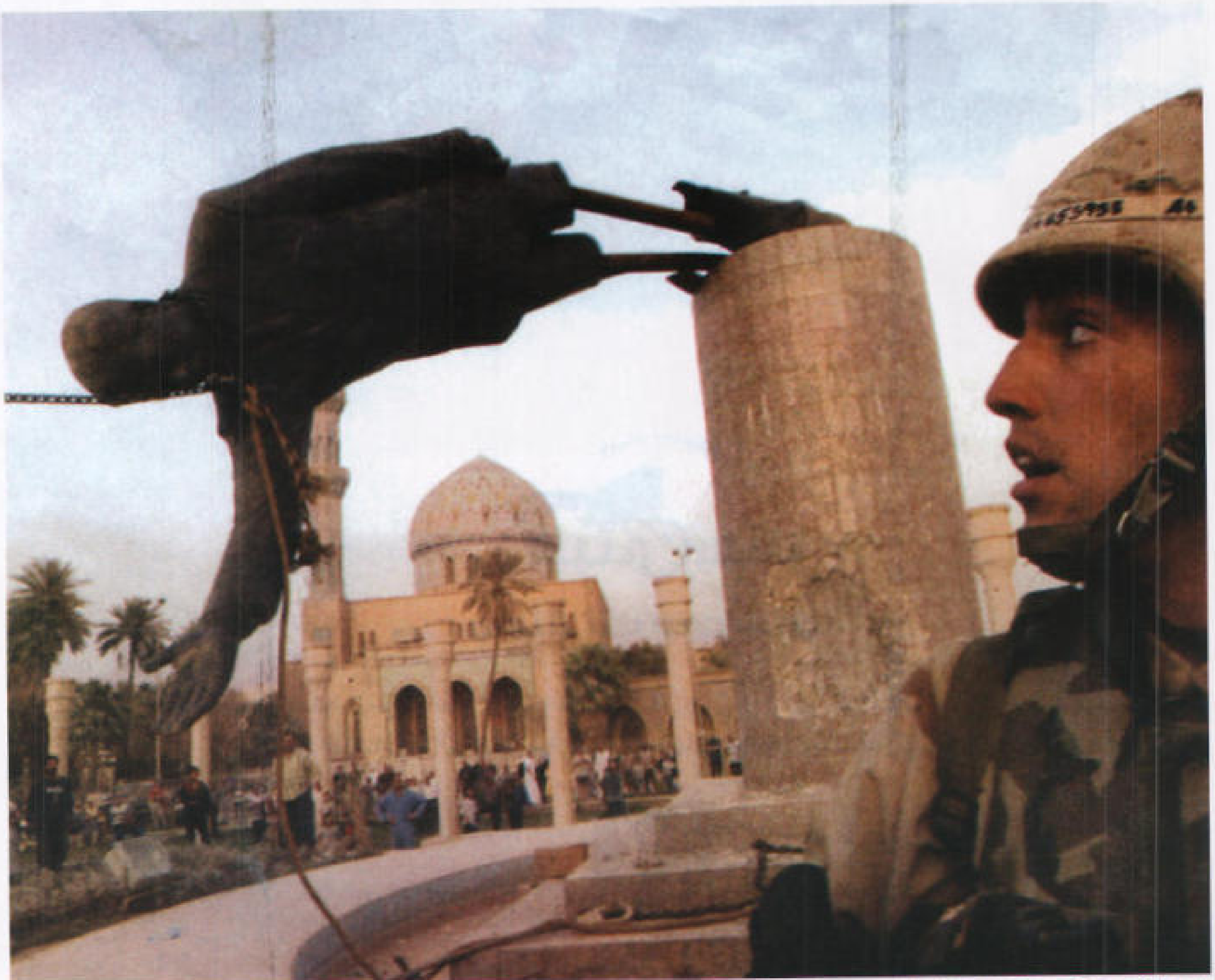
وتابعت بريطانيا هذه الحملة وشاركت أيضاً بقوات لها في منطقة الخليج، وشكلت فرنسا وألمانيا وروسيا حلفاً سياسياً ضد الحرب ولوحت باستخدام حق النقض الفيتو في مجلس الأمن ضد المشروع الأمريكي الذي يستهدف العراق، غير أن كل هذا لم يثن الولايات المتحدة عن عزمها.

وفي ٢٠/٣/٢٠٠٣م قام الرئيس جورج بوش بإعلان بدء الهجوم العسكري بالطائرات على المدن العراقية، وتبع ذلك مباشرة هجوم بري نحو عمق الأراضي العراقية، وقد واجهت قوات التحالف الأمريكي البريطاني مقاومة كبيرة وعنيفة في المدن العراقية، غير أن الحرب لم تدم أكثر من شهر واحد انتهت بسقوط بغداد في يوم واحد، وبشكل ما يزال يثير الحيرة والدهشة في نفوس الناس في العالم حتى اليوم.

القوات الأمريكية عند اجتياحها بغداد

آثار سقوط نظام بغداد

لقد كان تأثير سقوط النظام في بغداد وانهيار الحكم المستبد ذا أثر كبير في القضية الفلسطينية، حيث اختلت موازين القوى، وأصبحت القوة الأكبر في العالم محتلة لدولة عربية قريبة، وتلوح في نفس الوقت بتهديد الدول المجاورة كسوريا وإيران للاستعداد لمواجهة مثيلة، كل هذه الأحداث جعلت اليهود يزيدون من ضغطهم على الشعب الفلسطيني ويحاولون إضعاف وإحباط عزيمة المجاهدين والاستشهاديين، غير أن ذلك لم يغير شيئاً على الواقع العملي في الأرض المقدسة حيث استمرت العمليات والتفجيرات، كما استمرت معها سياسة الاغتيالات والاقتحامات وتدمير المنازل وتجريف الأراضي الفلسطينية التي دابت عليها القوات اليهودية.



القوات الأمريكية تقوم بإسقاط تمثال الرئيس العراقي صدام حسين وسط بغداد لتعلن نهاية عهد حزب البعث في العراق



القوات الأمريكية تعبر أحد الجسور في بغداد

محمود عباس رئيساً للوزراء

ثم أصدر ياسر عرفات (بعد ضغوط إقليمية ودولية) مرسوماً يعيد فيه تشكيل الحكومة الفلسطينية ويعين أبو مازن محمود عباس رئيساً للوزراء، ولكن الأخير ما يلبث أن يقع في خلافات كثيرة مع ياسر عرفات، ويدخل في مفاوضات كثيرة مع اليهود ويجتمع معهم عدة اجتماعات، كانت كلها تدور حول كيفية تطبيق خارطة الطريق، واعترضت إسرائيل على الخارطة وأضافت تعديلات كثيرة عليها تناقضت مع المشروع الأمريكي، ودخل عباس في مفاوضات مع الحركات الجهادية لوقف العنف وإجراء هدنة تعطيه الفرصة للتفاوض مع الجانب اليهودي، فوافقته على ذلك، ولكن إسرائيل سرعان ما نكثت عهودها واقتحمت عدة مخيمات ومدن فلسطينية هدمت فيها المنازل واعتقلت المواطنين وجرّفت الأراضي الزراعية، وكان أن ردت عليها حماس والجهاد الإسلامي بقوة، فأدى كل ذلك إلى فشل مفاوضات محمود عباس لتطبيق خارطة الطريق الأمريكية مع اليهود، وانتهى به الأمر إلى تقديم استقالته والخروج من الحكومة.

محاولة اغتيال الرنتيسي

وفي ٢٠٠٣/٦/١٠ قامت المروحيات الإسرائيلية في غزة بمحاولة فاشلة لاغتيال الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، أحد أبرز قادة حماس، ولكنه نجا مع نجله أحمد، غير أن القصف العنيف أسفر عن استشهاد أم وطفلتها التي يبلغ عمرها ثماني سنوات، كما أصيب ٣٥ آخرون.



د. عبد العزيز الرنتيسي

د. عبد العزيز الرنتيسي يتلقى العلاج في أحد المستشفيات بعد محاولة اغتياله



الإنذار بإبعاد عرفات

وفي هذه الأثناء تطلق إسرائيل إنذارها بإمكانية إبعاد ياسر عرفات عن الأرض الفلسطينية، ويلاقي هذا الإنذار استنكاراً عالمياً واسعاً في عدة عواصم عربية وأجنبية، ويقوم ياسر عرفات بتعيين أحمد قريع كرئيس للوزراء بدلاً عن سلفه محمود عباس الذي قدم استقالته، ويبدأ قريع مباشرة في تشكيل الحكومة الجديدة للسلطة الفلسطينية.

اغتيال عبد الله عقل

وفي ٢٠٠٣/٨/٣٠ تقوم مروحيات الأباتشي الإسرائيلية بتنفيذ عملية اغتيال جديدة تستهدف عبد الله عقل أحد قياديي كتائب القسام وزميله، وذلك بإطلاق أربعة صواريخ على سيارة كانت تقلهما على مفرق مخيم النصيرات ومخيم البريج جنوب مدينة غزة مما أسفر عن استشهادهما.



الشهيد عبد الله عقل

اغتيال إسماعيل أبو شنب

واستمرت هذه السياسة الهمجية اليهودية، فقامت المروحيات الإسرائيلية وبنفس الطريقة في ٢٠٠٣/٨/٢١ باغتيال المهندس إسماعيل أبو شنب العضو البارز بحماس وأحد قياديي الحركة، مع اثنين من مساعديه في هجوم صاروخي نفذته مروحيات أباتشي على سيارته في أحد شوارع غزة. وذكر شهود عيان أن خمسة صواريخ استهدفت سيارة أبو شنب في حي سكني، مما أدى إلى إصابات في صفوف المواطنين.



الشهيد إسماعيل أبو شنب



أمريكا تضيق على حماس

ثم تقوم الولايات المتحدة بإعلان أن منظمة حماس هي من المنظمات الإرهابية، وتقوم بتجميد جميع ارصدة حساباتها، وتطالب الدول الأخرى ومنها الدول العربية بتجميد الأرصدة التابعة لحماس، وتستجيب بعض الدول لذلك.

الهجوم على سوريا

أما إسرائيل فإنها تستغل هذه الفرصة وتقوم بعملية مهاجمة لما تدعي بأنه قواعد جهادية في دمشق، فتحلق طائراتها المقاتلة في أجواء العاصمة السورية وتقصف موقعاً هناك.

اثار هذا الأمر حفيظة عدد من الدول العربية والعالمية، لكونه يوسع دائرة الصراع إلى خارج الحدود الفلسطينية.

أما سوريا فقامت بتقديم شكوى عاجلة إلى مجلس الأمن لبحث الهجمة الإسرائيلية على أراضيها.

وتعلن أمريكا أن المنظمات الجهادية الفلسطينية هي منظمات إرهابية ويحق لإسرائيل أن تدافع عن نفسها في إعلان واضح عن موافقتها على عملية إسرائيل، وينعقد مجلس الأمن ولكن دون وصول إلى قرار وذلك لتهديد الولايات المتحدة باستخدام حق النقض (الفيتو) في وجه أي قرار يصدر ضد إسرائيل.

محاولة اغتيال الشيخ أحمد ياسين

وفي ٢٠٠٣/٩/٦ وصلت إسرائيل في همجيتها إلى أن استهدفت الشيخ أحمد ياسين، مؤسس حركة حماس، في محاولة اغتيال فاشلة عندما قصفت طائرات إسرائيلية من طراز إف١٦ أحد المباني وسط مدينة غزة وأسفرت الغارة عن إصابته بجروح طفيفة. وخلف القصف ١٧ جريحاً معظمهم من النساء والأطفال. وترد حماس ببيان يتوعد إسرائيل برد قوي ويجعل جميع زعماء إسرائيل مستهدفين شرعيين للعمليات الجهادية بما فيهم شارون نفسه.

وفعلاً، وبعد أيام تقوم حماس بتنفيذ عمليتين استشهاديتين في القدس وتل أبيب تسفران عن قتل ما يزيد عن ٥٠ يهودياً وجرح العشرات.

محاولة اغتيال الزهار

وفي ٢٠٠٣/٩/١٠ ينجو أيضاً القيادي بحركة حماس السيد محمود الزهار من محاولة اغتيال إسرائيلية أسفرت عن إصابته واستشهاد ثلاثة بينهم نجله الأكبر خالد وحارسه الشخصي، حيث شنت طائرات إف١٦ الإسرائيلية غارة بالصواريخ على غزة استهدفت بشكل أساسي اغتيال الزهار. وأسفر الهجوم أيضاً عن إصابة عشرات الفلسطينيين بصفوف المدنيين في الحي المكتظ بالسكان.





محمود الزهار من زعماء حماس والدماء والجروح بادية عليه جراء القصف الإسرائيلي على منزله



عام ١٤٢٤ هجري
٢٠٠٣/٩/٢٨ ميلادي

دخول الانتفاضة عامها الرابع

دخلت الانتفاضة الإسلامية المباركة بهذا التاريخ عامها الرابع، وكانت وما تزال منذ بدئها ترفض مبادرات السلام الهشة، وتعتبر التفاوض مع العدو نوعاً من الخضوع والاستسلام، فهي لا تقر بمبدأ التنازلات، فليست الأرض في عرف المسلمين ملكاً لأحد حتى يقدم أجزاء منها، وعلى ذلك أعلنت المقاومة الإسلامية حماس رفضها التام لخطة خارطة الطريق التي تقدمت بها الولايات المتحدة، ومقاطعة المحادثات التي كانت السلطة تنوي إقحامها فيها، وذلك في خطة لإقصاء الفكر الجهادي والفدائي لدى قيادة الحركة، وإدخالها في نفق المحادثات والمفاوضات الذي لم يجد نفعاً منذ ١٩٤٨ مع اليهود سوى ازدياد نفوذهم واستقرار قدمهم في الأرض المغتصبة، ورفعت حركة حماس مبدأ المقاومة حلاً أخيراً، وقطعت وإلى الأبد ورقة المفاوضات والمحادثات المصحوبة بالتنازلات.

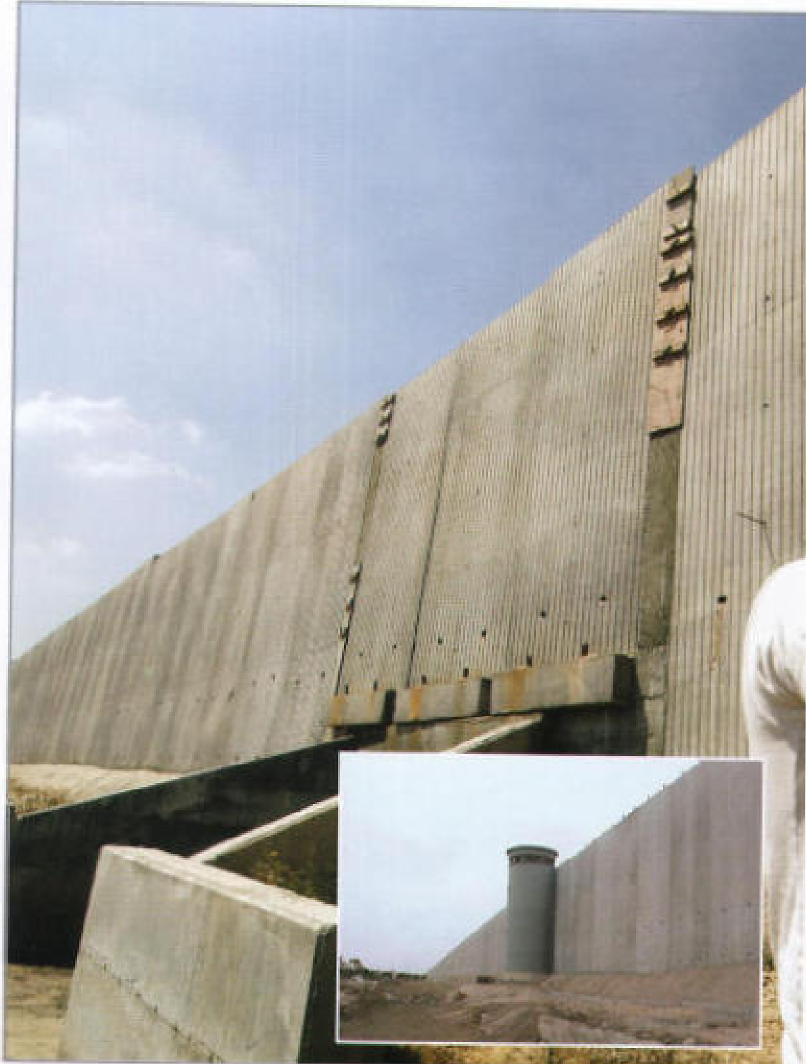
الجنود الاسرائيليون ينتهكون حرمات ومنازل الفلسطينيين



الجدار الفاصل

ثم قامت إسرائيل بتنشيط مشروعها القديم ببناء جدار عازل يفصل بين الأراضي الفلسطينية والمستوطنات اليهودية المغتصبة، وقد وضعت خريطة هذا الجدار ليمر بين الأراضي الفلسطينية ويعزل كثيراً من القرى عن بعضها بحيث يصبح التنقل بينها مستحيلاً، كما دخل الجدار في عمق الأراضي الفلسطينية ليحرم سكانها منها، حتى أن بعض الفلاحين الفلسطينيين يقطن في بيت على طرف الجدار وأرضه التي يزرعها ويقتات منها على طرفه الآخر.

اثار هذا المشروع ضجة وصخباً في كثير من دول العالم حيث شكل انتهاكاً صارخاً لمعاهدات السلام وحدود الأرض الفلسطينية التي يعيش عليها أهلها، ورفع الأمر إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة حيث اتخذت قراراً بأغلبية الأعضاء بعدم شرعية الجدار وأن على إسرائيل المبادرة لتفكيكه، ولكن القرار لم يرقَ لمستوى التطبيق، ولوحت الولايات المتحدة مرة أخرى باستخدام الفيتو ضد أي قرار يصدر من مجلس الأمن يلزم إسرائيل بتفكيك الجدار مدعية أن من حق إسرائيل حماية نفسها.



الجدار العازل الإسرائيلي الذي أثار استنكار العالم

كتائب القسام تقصف إسرائيل

وفي ٢٠٠٣/١٠/٢٤ قامت كتائب القسام بعملية مشتركة مع سرايا القدس الذراع العسكري لحركة الجهاد الإسلامي بالهجوم على قاعدة عسكرية يهودية في مستوطنة (نتساريم) قتل على أثرها ثلاثة يهود عسكريين وجرح آخرون، فأثارت هذه العملية الرعب في الجيش الإسرائيلي حيث استطاعت المقاومة اختراق كل الدفاعات الأمنية والحواجز والوصول إلى قلب المنطقة العسكرية، فقامت على أثرها في ٢٠٠٣/١٠/٢٦ بمداهمة مدينة الزهراء جنوبي مدينة غزة والمحاذية لمستوطنة (نتساريم) وأجرت عمليات اعتقال واسعة وهدمت ثلاثة أبراج سكنية كانت مخصصة لسكن عناصر الأمن الوقائي الفلسطيني وعائلاتهم.

السلطة تنفذ التزاماتها!

وفي ٢٠/١١/٢٠٠٣ اعتقلت السلطة الفلسطينية الشاب جبر الأخرس لاتهامه بتنفيذ عملية فدائية جريئة أسفرت عن مقتل جنديين صهيونيين، ومن ثم قامت السلطة الفلسطينية بتسريب خبر اعتقال الأخرس لوسائل الإعلام الصهيونية، كرسالة إلى حكومة الاحتلال بأن أجهزتها تقوم بما يسمّى بـ (التزاماتها الأمنية)..



عمليات جريئة

وفي يوم الجمعة ١١/٢١ أعلنت كتائب الشهيد عز الدين القسام مسؤوليتها عن عملية تفجير دبابة حربية صهيونية على الحدود الفلسطينية المصرية بواسطة عبوة موجّهة، فما كان من قوات اليهود إلا ان شرعت في تجريف ثلاثة منازل في نفس المنطقة عشوائياً وإطلاق النار باتجاه منازل الفلسطينيين.

وفي ١٢/٧ أطلقت كتائب الشهيد عز الدين القسام صاروخ بتار باتجاه مغتصبة "جاني طال" في مدينة خان يونس، كما أطلق رجال المقاومة الفلسطينية ثلاث قنابل هاون باتجاه المغتصبات اليهودية؛ فيما جدد الشيخ أحمد ياسين رفض الحركة لفكرة التعايش مع وجود الكيان الصهيوني بجوار دولة فلسطينية مستقلة منوّها أنه من الممكن إقامة دولة يهودية في أوروبا، وقال إن مقاومة حماس سوف تستمر حتى زوال الاحتلال الصهيوني عن كامل الأراضي الفلسطينية.

ثم في اليوم التالي جددت كتائب الشهيد عز الدين القسام قصف مغتصبة "نيتسر حزاني" بقذيفتي هاون، وأطلقت مجموعة من رجال المقاومة الفلسطينية النار على موقع للجيش الصهيوني بالقرب من مغتصبة "غاديد" في قطاع غزة.

القبض على صدام

وفي ١٢/١٤ أعلنت القوات الأمريكية في العراق القبض على صدام حسين الرئيس العراقي السابق، وتوالت على الفور ردود الفعل الدولية المتباينة على اعتقاله، فيما امتعض كثير من العرب لهذا الفعل كونه قام على يد قوات الاحتلال الأجنبية ولم يكن على أيدي الشعب العراقي المضطهد خلال سنوات حكم صدام حسين، ولم يكن هذا الغضب خافياً في الشارع الفلسطيني.

الشباب يؤيدون الانتفاضة

وفي ١٢/١٦ اظهر بحث مسح ميداني أجراه جهاز الإحصاء المركزي الفلسطيني أن أغلبية الشباب الفلسطيني من الفئة العمرية (١٠-٢٤ عاماً) يؤيدون استمرار الانتفاضة ويرونها الوسيلة الأمثل للتخلص من الاحتلال اليهودي لأراضيهم، فقد رأى ٦٠ ٪ من الشعب الفلسطيني أن الانتفاضة وحدها قادرة على تحقيق النصر، ورأى ٩١ ٪ من الشبان الفلسطينيين أنهم يلعبون دوراً أساسياً وكبيراً في توجيه الانتفاضة واتخاذ القرارات المتعلّقة بها.



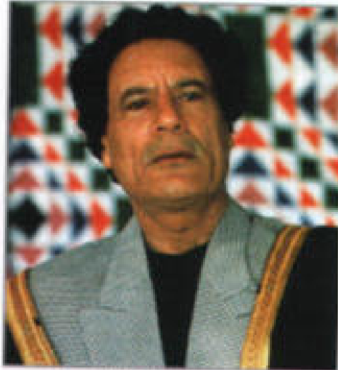
عام ١٤٢٤ هجري
٢٠٠٤ ميلادي

الجدار العازل

وفي ٢٠٠٤/١/٥ بدات سلطات الاحتلال أعمال مسح الأراضي ووضع العلامات تمهيداً لبناء جدار الفصل العنصري في قرى شمال غرب القدس، ويبلغ طول الجدار العازل نحو ٧٢٠ كيلومتراً، واقتحمت قوة كبيرة أراضي الفلسطينيين يرافقها مهندسون وبناؤون لمصادرة الأراضي التي تقرر إقامة الجدار العازل عليها، وتم وضع العلامات على الأراضي المصادرة، واستهدفت قوات اليهود أخصب الأراضي الفلسطينية ووضعت الجدار خلفها لتعزلها عن منازل أهاليها.

الموقف الليبي

وفي ٢٠٠٤/١/٦ أعلن الزعيم الليبي معمر القذافي عن عزمه تعويض اليهود الليبيين الذين كانوا يعيشون في ليبيا وصودرت أموالهم. وسمح لليبيين بالسفر إلى الكيان الصهيوني إذا وافق على قبولهم، فيما قام من جانب آخر الرئيس الأمريكي بتجديد العقوبات على ليبيا وقال بيان صادر عن البيت الأبيض إن الأزمة بين الولايات المتحدة وليبيا لم تحل نهائياً رغم وجود بعض التطورات الإيجابية.



الرئيس الليبي معمر القذافي

اسرائيل وفرنسا

وفي ٢٠٠٤/١/٧ قامت إسرائيل بتوجيه رسالة عبر وسائل الإعلام قالت فيها إن فرنسا هو أسوأ بلد غربي في معاداة السامية، فسارعت فرنسا إلى نفي ذلك وقالت إن الهجمات على اليهود والممتلكات اليهودية انخفضت بنسبة ٣٦٪ في عام ٢٠٠٣، ثم عمدت إلى تضييق الخناق على المسلمين في فرنسا، وقامت بطرح قانون منع الحجاب في المدارس والمرافق العامة الفرنسية، والذي آثار سخطاً وغضباً في العالم العربي والمجتمع الفرنسي.



مظاهرة نسائية ضد قرار منع الحجاب في المدارس والمرافق الفرنسية

هدنة لوقف النار

وفي ٢٠٠٤/١/١٠ دعت إسرائيل إلى قيام هدنة بوقف إطلاق النار، فقال الشيخ أحمد ياسين: إن الهدنة غير قائمة حالياً ونقبل مرحلياً بدولة في الضفة وغزة كاملة السيادة دون اعتراف بالكيان الصهيوني. كما أكد الشيخ عدم الاعتراف بالدولة اليهودية على بقية أرض فلسطين التاريخية، واعتبر أن العدو الصهيوني لا يريد سلاماً وأن ما يريده هو السيطرة على المنطقة كلها. ثم نفى وجود محادثات من أجل التوصل إلى هدنة، وأشار إلى أن حركته رفضت عرضاً أمريكياً بإعلان هدنة لمدة عام طرحه وسطاء من مصر.



عام ١٤٢٥هـ
٢٠٠٤/١/١٩م

الجهاد يتواصل

قامت كتائب القسام بقصف مستوطنة "عتصمونا" بثلاثة صواريخ قسام وأطلقت صاروخ بتار على مغتصبة "رفيح يام"، فقامت على إثرها قوات العدو بإطلاق نار كثيف من خلال أبراج المراقبة رداً على القصف. وكان المجاهدون قد تمكنوا من مواجهة تجمع للمغتصبين داخل ما تسمى بمغتصبة "رفيح يام" حيث أطلقوا عليهم وابلاً من الرصاص وانتظروا حتى تجمعت في المكان قوات الإنقاذ فأتبعوهم بصاروخ بتار ليصيب هدفه بشكل مباشر.



عام ١٤٢٥هـ
٢٠٠٤/١/٢٩م

تبادل الأسرى بين حزب الله وإسرائيل

وفي ١/٢٩ جرت في ألمانيا عملية تبادل الأسرى بين إسرائيل وحزب الله اللبناني بعد مفاوضات طويلة سلم فيها حزب الله لإسرائيل جثث ثلاث جنود إسرائيليين ورجل موساد إسرائيلي حي، فيما سلمت إسرائيل لحزب الله ٣٥ عربياً هم الدفعة الأولى من السجناء العرب الذين ستتم مبادلتهم بالإسرائيليين الأربعة. وكانت إسرائيل قد وعدت «حزب الله» بإطلاق سراح أكثر من أربعمائة معتقل فلسطيني وتسليم جثث تسعة وخمسين مقاتلاً لبنانياً.

إحصائيات قتلى الصهاينة

وفي هذه الأثناء كانت قد صدرت عدة تقارير إحصائية بأعداد القتلى الصهاينة خلال انتفاضة الأقصى، وكانت تقديرات مجلس المستوطنات ١٢١٢ قتيلاً كان النصيب الأكبر لتنفيذها يعود إلى كتائب القسام وحركة الجهاد الإسلامي.

عملية جريئة

وفي يوم ٢٠٠٤/٣/٦ قامت كتائب القسام بالاشتراك مع كتائب شهداء الأقصى وسرايا القدس بعملية مشتركة جريئة وذلك بتفجير سيارتين مفخختين قرب معبر حدودي إسرائيلي، الأمر الذي أثار الهلع في صفوف الحرس اليهودي فقام بإطلاق النار عشوائياً وفي كل الجهات، ثم قامت القوات اليهودية في اليوم التالي باجتياح كبير في مخيمي البريج والنصيرات للاجئين في قطاع غزة، وكان حصيلة هذا الهجوم الشرس ١٣ شهيداً ونحو ٥٥ جريحاً.



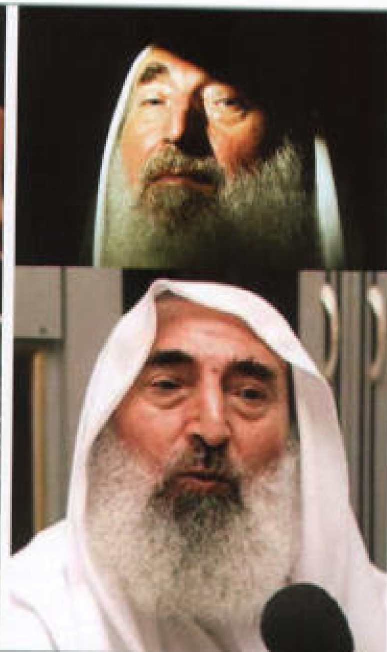


عام ١٤٢٥ هـ
٢٠٠٤/٣/٢٢ م

اغتيال الشيخ أحمد ياسين

وفي يوم الاثنين الأول من صفر ١٤٢٥ هـ والموافق ٢٠٠٤/٣/٢٢ قامت القوات الصهيونية باغتيال آثم للشيخ المقعد أحمد ياسين مؤسس حركة حماس، وذلك بعد أن استهدفته الطائرات بعد خروجه من صلاة الفجر من المسجد القريب من بيته، وعلى أثر ذلك قامت احتجاجات عربية وعالمية، ومظاهرات كثيرة في عدد من الدول العربية، وتجاوزت بذلك إسرائيل كل الخطوط بهذه العملية الشنيعة، وأعلنت حماس والجهاد من طرفهما أن شارون سيكون مستهدف رئيسي لعملياتهما انتقاماً للشيخ الشهيد، أما الولايات المتحدة فقد صرحت بأنه من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها.





الشيخ الشهيد أحمد ياسين رحمه الله

بوش يسقط حق العودة

وفي ٢٠٠٤/٤/١٤ قام شارون بزيارة للبيت الأبيض وحصل خلالها على تصريح للرئيس الأمريكي جورج بوش في مؤتمر صحفي يدعو فيه الفلسطينيين إلى إسقاط مطالبتهم بحق عودة اللاجئين، ويدعم خطة شارون بفك الارتباط، وهو الأمر الذي يعني تأييده للجدار العازل، فتوالت ردات الفعل العالمية بشجب التصريح، ثم قامت في يوم ٢٠٠٤/٤/١٦ مظاهرات ومواجهات عارمة في الأراضي الفلسطينية تندد بقرار بوش والانحياز الأمريكي الأعمى لليهود.



عام ١٤٢٥ هـ
٢٠٠٤/٤/١٧ م

اغتيال د. عبدالعزيز الرنتيسي

وفي أقل من شهر قامت طائرات الأباتشي اليهودية في مساء يوم السبت الموافق ٤/١٧ باغتيال الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي والذي اختارته حركة حماس قائداً لها في غزة خلفاً للشهيد الشيخ أحمد ياسين.

فقامت في فلسطين مظاهرات عارمة وأعلنت حركة حماس بأنها سترد بمائة عملية موجعة.





الشهيد الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي يقبل رأس الشهيد الشيخ أحمد ياسين

سيرة الشيخ أحمد ياسين

أحمد اسماعيل ياسين ولد عام ١٩٣٨ في قرية الجورة، قضاء المجدل جنوبي قطاع غزة، لجأ مع أسرته إلى قطاع غزة بعد حرب العام ١٩٤٨.

- تعرض لحادث في شبابه أثناء ممارسته للرياضة، نتج عنه شلل جميع أطرافه شللاً تاماً.
- عمل مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية، ثم عمل خطيباً ومدرساً في مساجد غزة، أصبح في ظل الاحتلال أشهر خطيب عرفه قطاع غزة لقوة حجته وجسارته في الحق.
- عمل رئيساً للمجمع الإسلامي في غزة.
- اعتقل الشيخ أحمد ياسين عام ١٩٨٣ بتهمة حيازة أسلحة، وتشكيل تنظيم عسكري، والتحريض على إزالة الدولة العبرية من الوجود، وحكم بالسجن لمدة ١٣ عاماً.
- أفرج عنه عام ١٩٨٥ في إطار عملية تبادل للأسرى بعد أن أمضى ١١ شهراً في السجن.
- أسس الشيخ أحمد ياسين مع مجموعة من النشطاء الإسلاميين تنظيماً لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" في قطاع غزة في العام ١٩٨٧.
- في ليلة ١٩٨٩/٥/١٨ قامت سلطات الاحتلال باعتقال الشيخ أحمد ياسين مع المئات من أبناء حركة "حماس".
- في ١٩٩١/١٠/١٦ أصدرت محكمة عسكرية صهيونية حكماً بالسجن مدى الحياة.
- أفرج عنه فجر يوم الأربعاء ١٩٩٧/١٠/١ بموجب اتفاق جرى التوصل إليه بين الأردن وإسرائيل للإفراج عن الشيخ مقابل تسليم عميلين صهيونيين اعتقلا في الأردن.
- بقي الشيخ يحث ويدعو مجاهدي الحركة على الاستمرار في النضال والمقاومة، وكانت كلماته تهز الشباب وتثير في قلوبهم الحماس والقوة، حتى توفاه الله عز وجل شهيداً.

(مأخوذ بتصرف عن مركز الإعلام والمعلومات)

قال في رثائه الشاعر الدكتور عبد الرحمن العشماوي:

هم أكسبوك من السباق رهانا ... فربحت أنت وأدركوا الخسرانا
هم أوصلوك إلى مُناك بغدرهم ... فأذقتهم فوق الهوان هوانا
إني لأرجو أن تكون بنارهم ... لما رموك بها، بلغت جنانا
يا أحمدُ الياسين، إن ودعتنا ... فلقد تركت الصدق والإيمانا
أنا إن بكيتُ فإنما أبكي على ... مليارنا لما غدوا قُطعانا
أبكي على هذا الشتات لأمتي ... أبكي الخلاف المُر، والأضغانا
أبكي ولي أملٌ كبيرٌ أن أرى ... في أمتي من يكسر الأوثانا
يا فارس الكرسي وجهك لم يكن ... إلا ربيعاً بالهدى مُزدانا
في شعر لحيتك الكريمة صورةٌ ... للفجر حين يبشر الأكوانا

وقال يرثيه الشاعر الدكتور أحمد بارود:

فجراً رحلت، مضرجاً بدم، كسيدنا
أبي حفص، وسيدنا علي
مزقت شر ممزقٍ في طرفة
والمخطار، وصبحنا لم ينجلي
صحبتك من أبرار غزة ثلةٌ
من بعد طول تهجدٍ وتوسلِ
خلطوا بلحمك لحمهم، ودماءهم
والصدق من شيم الكرام الكملِ
أأبا محمد الحبيب.. فجعتنا
وحرمتنا من وجهك المتهللِ
أعززْ علي بأن أراك مجدلاً
وبأن تغيب عن الوفود النُزلِ!
أعليك أنت الطائرات مغيرةٌ
وعليك تنقض انقضاض الأجدلِ؟
كم من قلوبٍ قد بكتك وأدمعٍ
سالت على الخدين مثل الجدولِ
قد كنت في الوطن الحبيب منارةً
كالشمس، في ظلمات ليلٍ أليلِ
أوتيت عقلاً لا يشق غباره
وبصيرةً، في كل خطبٍ معضلِ
وحملت في القلب الجريح جراحنا
وجراح كل معذبٍ ومسلسلِ
فجعت بك البؤساء في الدنيا أخاً
وأباً وأماً لليتيم المعولِ



سيرة الدكتور عبد العزيز الرنتيسي

- عبد العزيز علي عبد الحفيظ الرنتيسي، ولد في ١٩٤٧/١٠/٢٣ في قرية يبنا (بين عسقلان ويافا) ولجأت أسرته بعد حرب ١٩٤٨ إلى قطاع غزة واستقرت في مخيم خان يونس للاجئين.
- نشأ الرنتيسي بين تسعة إخوة وأختين، والتحق وهو في السادسة من عمره بمدرسة تابعة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين واضطر للعمل أيضاً وهو في هذا العمر ليساهم في إعالة أسرته الكبيرة.
- أنهى دراسته الثانوية عام ١٩٦٥، وتخرج في كلية الطب بجامعة الإسكندرية عام ١٩٧٢، ونال منها لاحقاً درجة الماجستير في طب الأطفال، ثم عمل طبيباً مقيماً في مستشفى ناصر في خان يونس.
- يعد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي أحد مؤسسي حركة المقاومة الإسلامية حماس في غزة عام ١٩٨٧، و كان أول من اعتقل من قادة الحركة بعد اشتعال الانتفاضة الفلسطينية الأولى في التاسع من ديسمبر ١٩٨٧ .
- تم اعتقاله مجدداً بتاريخ ١٩٨٨/٣/٤ حيث ظلّ محتجزاً في سجون الاحتلال لمدة عامين و نصف حيث وجّهت له تهمة المشاركة في تأسيس و قيادة حماس و صياغة المنشور الأول للانتفاضة.
- أطلق سراحه في ١٩٩٠/٩/٤، ثم عاود الاحتلال اعتقاله بعد مائة يوم فقط بتاريخ ١٩٩٠/١٢/١٤ حيث اعتقل إدارياً لمدة عام كامل وفي ١٩٩٢/١٢/١٧ أبعد مع ٤١٦ مجاهداً من نشطاء وكوادر حركتي حماس و الجهاد الإسلامي إلى جنوب لبنان، حيث برز كناطق رسمي باسم المبعدين الذين رابطوا في مخيم العودة في منطقة مرج الزهور.
- اعتقل الرنتيسي عدة مرات من قبل السلطة الوطنية الفلسطينية.
- أمضى معظم فترات اعتقاله في سجن انفرادي..
- الرنتيسي متزوج وهو أب لستة أطفال - ولدان وأربع بنات.
- تمكّن من إتمام حفظ كتاب الله في المعتقل وذلك عام ١٩٩٠ بينما كان في زنزانة واحدة مع الشيخ المجاهد أحمد ياسين.
- كاتب صحفي ومجاهد من الطراز الأول، له قصائد شعرية تعبّر عن انغراس حب الوطن والشعب الفلسطيني في أعماق فؤاده، وما زال مجاهداً لا تفتر همته حتى توفاه الله عز وجل شهيداً.

(مأخوذ بتصرف عن مركز الإعلام والمعلومات)

قال يرثيه الشيخ الدكتور عائض القرني في مقالة عنوانها:

يا رنتيسي..فزت ورب الكعبة!

وداعاً أيها المجاهد عبدالعزيز الرنتيسي، سلام عليك وعلى إخوانك الذين سبقوك إلى الإيمان والمجد، بلغ سلامنا شيخك وأستاذك المجاهد البطل الشيخ أحمد ياسين، عسى الله أن يجمعك به وسيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب وبذلك الموكب المبارك ممن قتل في سبيل الله وذبح لترفع (لا إله إلا الله)، وهذه طريق الجهاد التي ضرجها بالدم عمر وعثمان، وعلي، والحسين وسعيد بن جبير، أستودعك الله - يا عبدالعزيز - الذي لا تضيع ودائعه، وما عند الله خير وأبقى، لقد ذهبت بصفقة رابحة وكفة راجحة، ونجوت من رؤية واقعنا المرير، وحالنا المزري، وهزائمنا المتتابعة.

سلمت من تجرع الغصص التي يتجرعها كل مسلم صباح مساء، من رؤية الكافر وقد عربد وتجبر وساد، ومن رؤية المسلم وهو في غربة ووحشة وذلة، سافر أيها النجم الصاعد، والبطل الصامد، والعلم المجاهد، سافر إلى ديار المحبين، ورياض الصالحين، ومغاني الأبرار، وربوع الأخيار، سافرت لتكون شاهداً عند الله، أن هذه الأمة مهما أهينت وأبيدت ومزقت وسحقت وأحرقت، مهما حصل لها من قهر وإذلال وتركيع وإهانة، لا تزال ولودة منجبة كريمة معطاءة، في أصلابها رجال سوف يعيدون الحق إلى أربابه والسيف إلى نصابه.

لتقر عينك يا (رنتيسي)، ثم هنيئاً فقد برئت ذمتك، فنصرت دينك ورفعت رأس أمتك، وخلفك جيل أقبل يملأ المساجد، ويحفظ القرآن، يعاهد الله على البذل والتضحية والفداء.

وقريباً ستر انا في زحوف وصفوف حيث نصلي لله في المسجد الأقصى ونعفّر أنوفنا لربنا في أرض الإسراء.

قادمون حيث يقترب الصبح: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.



مظاهر من تشيع جنازة الشهيد الدكتور الرنتيسي

استهداف قيادات حماس

وبعد أيام قلائل من جريمة اغتيال الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي، وفي ٢٠٠٤/٤/٢٠ قام شارون بالمصادقة على لائحة جديدة تحوي أسماء لقيادات حماس للقيام باغتيالهم، وتشمل القائمة التي تم تقديمها من جهازي الأمن العام "الشاباك"، والاستخبارات "الموساد"، أسماء قياديين من حماس في داخل فلسطين وخارجها، وقد ضمت هذه القائمة اسم السيد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس، والدكتور محمود الزهار، وإسماعيل هنية، وبلغ مجموع الأسماء المستهدفة ١٢ اسماً من أبرز قيادات الحركة، ثم إن شارون طلب من جهاز "الموساد" المباشرة في التخطيط لتنفيذ هذه العمليات.



حماس وتأييد الشعب الفلسطيني

رفح وحي البرازيل

وفي ٢٠٠٤/٥/١٣ قامت قوات الجيش الإسرائيلي باقتحام مدينة رفح بحجة إغلاق الأنفاق المؤدية إلى مصر والتي يتم تهريب السلاح من خلالها إلى المجاهدين الفلسطينيين، ولكنها أعملت فيها يد التخريب والدمار بشكل لم يسبق له مثيل في الأراضي الفلسطينية، وتم التركيز على حي البرازيل وحي تل السلطان، واستمر التدمير بعمليات القصف لمدة ثلاثة أيام أسفرت عن استشهاد ٦٣ فلسطينياً، وجرح مائة آخرين بالإضافة إلى تدمير ١١٧ منزلاً وتخريب الشوارع واقتلاع الأشجار وتجريف الأراضي، وبالرغم من ضخامة الكارثة فقد قام سكان المدينة بالخروج إلى شوارعها لتحدي آلة الدمار اليهودية، وقامت المجموعات الجهادية بقتل ١٣ جندياً إسرائيلياً أثناء عملية الاقتحام، غير أن حجم الدمار في حي البرازيل سيحتاج إلى سنين طويلة من العمل كما يرويه أهل المدينة.



دمار حي البرازيل

الحصار الرهيب

وسارع السكان في رفح إلى حمل الطعام والحليب والماء إلى ضاحية السلطان المحاصرة منذ ثلاثة أيام أملاً في اختراق الحصار الذي فرضته قوات الجيش الإسرائيلي، ولكن دون جدوى، في حين كان الأهالي المحاصرون والذين يقدر عددهم بـ ٢٥ ألفاً تدمر منازلهم وتقتلع أشجارهم، كما نفدت منهم المواد الأساسية الحياتية من طعام وشراء، وقام اليهود بقطع الماء والكهرباء، وإحكام الطوق لقطع الإمدادات الإنسانية.

فما كان من أهالي الحي إلا أن تحدوا الحصار وخرجوا متظاهرين في الشوارع، ففتحت دبابة إسرائيلية قذائفها عليهم فأردت منهم تسعة شهداء دفعة واحدة على مرأى من الناس والعالم.

سخط عالمي

ثم توالت الإدانات العالمية على المجزرة الوحشية التي تحدث في رفح، مما دعا مجلس الأمن الدولي إلى تبني قرار يدين قتل إسرائيل للمدنيين الفلسطينيين في قطاع غزة ووقف عمليات هدم المنازل وتجريف الأراضي، ووافقت ١٤ من ١٥ دولة في مجلس الأمن على القرار مع امتناع الولايات المتحدة عن التصويت، والتي عادة ما كانت تعارض أي قرار ضد اليهود.

واكتفت الولايات المتحدة بتصريح واحد للبيت الأبيض يقول: "في حين نؤمن بحق إسرائيل في الدفاع عن نفسها وعن مواطنيها، فإننا لا نرى أن العمليات التي قامت بها في غزة في الأيام القليلة الماضية تخدم أهداف السلام والأمن"!.



الدمار الهائل في رفح

الحكم على البرغوثي

وفي ٢٠٠٤/٦/٦ قضت محكمة إسرائيلية بسجن مروان البرغوثي، أحد قادة منظمة فتح، مدى الحياة (٥) مرات بتهمة القتل، وكانت قد بدأت محاكمة البرغوثي في الشهر الرابع من عام ٢٠٠٢، وكانت هذه المحاكمة مثار جدول واسع، حيث اهتم بها كثيرون من نشطاء العمل السياسي الفلسطيني، الذين يرون أن العمل السياسي لا يزال له هامش كبير وتأثير فعال في مجرى أحداث القضية الفلسطينية، في حين يرى الآخرون أن العمل الجهادي والمقاومة هما السبيل الوحيد للخلاص من ربقة الاحتلال والصلف الصهيوني.



مروان البرغوثي في المحكمة الإسرائيلية

الحكم على الجدار الفاصل

وفي ٢٠٠٤/٦/٣٠ أمرت المحكمة العليا الإسرائيلية بإجراء تعديل لمسار الجدار الفاصل الذي تبنيه إسرائيل في الضفة الغربية، وقالت إن الجدار يضر الفلسطينيين، وقالت المحكمة إن مسار الجدار حول القدس يجب أن يعدل لتقليل معاناة الفلسطينيين، حتى لو كان ذلك يعني درجة أقل من الأمن بالنسبة لإسرائيل.

غير أن قرار المحكمة لم يشكل أي فرق في العمل الميداني اليهودي، بل استمر العمل على الجدار وفق مساره المحدد دون إلقاء أي بال لقرار المحكمة.



الجرافات الإسرائيلية تهدم المنازل

قرار المحكمة الدولية

وفي ٢٠٠٤/٧/٩ قضت محكمة العدل الدولية بأن الجدار الذي تبنيه إسرائيل لعزل الضفة الغربية عنها غير قانوني وقالت إن العمل فيه يجب أن يتوقف فوراً. واعتبر الفلسطينيون أن هذا "قرار تاريخي" وقال الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات: إن هذا نصر للشعب الفلسطيني. أما الولايات المتحدة فقد رفضت قرار المحكمة، واعتبرت أنها ليست جهة الاختصاص في هذا الأمر.

وفي ٢٠٠٤/٧/٢١ تبنت الجمعية العامة بالأمم المتحدة قرار محكمة العدل الدولية في لاهاي الذي يطالب إسرائيل بهدم الجدار الفاصل الذي تشيده في الضفة الغربية. وحصل القرار على تأييد ١٥٠ دولة ومعارضة ست دول وامتناع عشرة دول أخرى. وصوتت دول الاتحاد الأوروبي جميعها لصالح القرار بعد اتفاقها مع المجموعة العربية على إدخال تغييرات على مسودة القرار، لكن الولايات المتحدة عارضته.

غير أن قرار المحكمة غير ملزم لإسرائيل، ولم يغير هذا القرار والإجماع الدولي أي شيء في مسيرة العمل الصهيونية، بل رفضت إسرائيل القرار ورفضت العمل به.



جدار الفصل العنصري

المزيد من المهاجرين

وفي ٢٠٠٤/٧/٢٨ وصلت طائرة تحمل مائتي مهاجر يهودي فرنسي إلى مطار تل أبيب، وكان شارون، الذي حث كافة يهود فرنسا على الهجرة إلى إسرائيل، في شرف استقبالهم، وكان شارون قد طلب سابقاً من يهود فرنسا تركها هربا مما وصفه بـ"ارتفاع نبرة معاداة السامية فيها". ورغم هذه الهجرة فإن فرنسا تحوي أكبر جالية يهودية أوروبا قاطبة، إذ يعيش بها أكثر من ٦٠٠ ألف فرنسي يهودي الديانة.



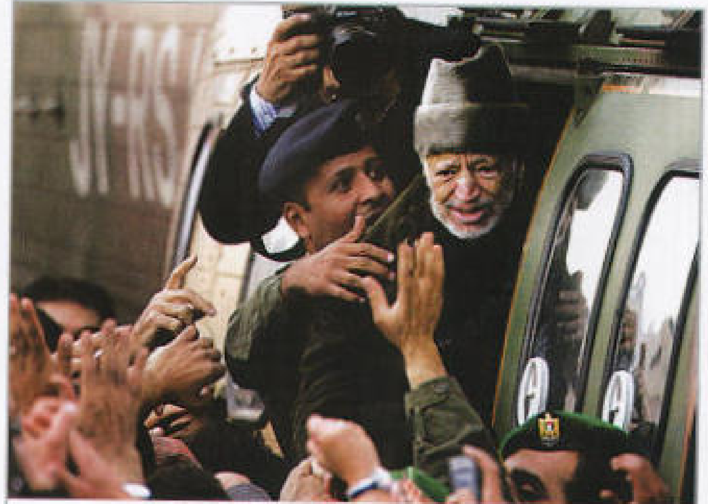
القتل طال حتى الأبرياء



تحدي الحصار وخيار المقاومة

المخطط السري

وفي ٢٠٠٤/٨/٣ تم الكشف عن تقرير سري لجهاز الاستخبارات الصهيونية يتحدث عن سعي ضباط في الجيش الإسرائيلي لنقل صواريخ من طراز لاو إلى جهات يهودية لتنفيذ مخططهم الهادف إلى نسف الحرم القدسي الشريف. وقد أكد التقرير أن هناك مساعي حثيثة لتهريب هذه الصواريخ لجنود متدينين في الجيش، والذين سيقومون بتوجيه الصواريخ من شارع يافا في القدس الغربية نحو قبة الصخرة. وعلى الفور قام قاضي قضاة فلسطين بمناشدة الأمة الإسلامية والعربية من أجل التحرك الفوري لإنقاذ المسجد الأقصى قبل تنفيذ المخطط الصهيوني.


الزعيم الفلسطيني لدى مغادرته للعلاج في باريس بالطائرة


عام ١٤٢٥ هـ
٢٠٠٤/١١/١١ م

وفاة ياسر عرفات

وفي يوم الخميس ٢٠٠٤/١١/١١ أعلن رسمياً نبأ وفاة ياسر عرفات الذي خرج لأول مرة من مقره منذ ثلاثة أعوام في رحلة العلاج إلى مستشفى عسكري في باريس قضى فيه غيبوبة طويلة. ثم نقل جثمانه إلى القاهرة حيث شيع في جنازة عسكرية حضرها أكثر من خمسين رئيس دولة، وتم نقله بعدها ليدفن في رام الله، في جنازة شعبية شارك فيها عشرات الآلاف من الفلسطينيين.

وقد ثارت تساؤلات كثيرة عن لغز مرض عرفات الذي أصيب به، وتحدثت بعض التقارير عن وجود حالة تسمم بطيء أصيب بها عرفات قبل موته، كما رفضت السلطات الفرنسية تسليم الملف الطبي إلا لذويه، وقد تسلمت فيما بعد زوجته سها عرفات هذا الملف، غير أنها لم تطلع الصحافة على ما جاء فيه، في حين أكد فاروق قدومي، رئيس حركة فتح «أن عرفات قد اغتيل بالسم وأن الولايات المتحدة الأمريكية رفضت طلباً بتوفير الترياق المضاد».


الأيدي تتخاطف جثمان الرئيس عرفات


الزعيم الفلسطيني قبل دخوله في غيبوبة

لغز أموال عرفات

وفي تقرير جاء عن إذاعة "بي بي سي" البريطانية أنه قد ثارت خلال فترة مرض الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات تساؤلات حول مصير الملايين من الدولارات التي كان عرفات يتحكم فيها بعد وفاته. ويقول معلقون إسرائيليون إنه خلال السنوات التي قاد فيها ياسر عرفات منظمة التحرير الفلسطينية دُفعت مبالغ مالية كبيرة، تم منحها أو جمعها عبر الأعمال التجارية أو الضرائب، مباشرة إلى حسابات مصرفية باسم عرفات. وقال صندوق النقد الدولي إن المساعدات الدولية للسلطة الفلسطينية قد وصلت المليار دولار سنوياً منذ عام ٢٠٠٠، وأكدت عدة جهات فلسطينية بأنه لا يفصل بين الأموال المودعة باسم عرفات وصناديق التمويل الفلسطينية العامة إلا خيط رفيع.


تشييع جنازة الزعيم الفلسطيني في القاهرة

مخطط هدم الأقصى

وفيم كان العالم والفلسطينيون منشغلون بمتابعة الأحداث المترتبة على وفاة ياسر عرفات ومتابعة مجريات الانتخابات التي تقرر عقدها في الشهر الأول من عام ٢٠٠٥، كانت تقارير سرية تتحدث عن مخطط وشيك لعملية اعتداء كبيرة على المسجد الأقصى، وتحدث الشيخ كمال خطيب عن تقرير صحفي صهيوني بالقول: "واضح جداً أن كثرة تأكيدات الجهات المسؤولة والرسمية (الإسرائيلية) التي تشير إلى احتمال وقوع اعتداء على المسجد الأقصى المبارك ويواكب هذه التأكيدات تقارير صحفية بهذه الأهمية كلها مجتمعة تشير إلى الهول القادم وأن الاعتداء على المسجد الأقصى المبارك سيخرج إلى حيز التنفيذ". وقال أيضاً: إن حقيقة حمى بناء الهيكل المزعوم راحت تسري الآن في الجانب اليهودي، وبالتالي نحن أمام مرحلة ومنعطف خطير جداً، وإن كثرة هذه التصريحات تجعلنا نشعر بأن العام ٢٠٠٥ فعلاً تاريخ له مدلولات في المفكرة اليهودية الدينية!.



عام ١٤٢٥هـ
٢٠٠٤/١٢/٦م

الإفراج عن الجاسوس عزام


الجاسوس الإسرائيلي "عزام عزام"

وفي ٢٠٠٤/١٢/٦ أعلنت مصر عن الإفراج عن الجاسوس الإسرائيلي "عزام عزام" المحتجز في السجون المصرية منذ عام ١٩٩٦ بتهمة التجسس، وجاء ذلك في صفقة مع الجانب اليهودي للإفراج عن الطلاب المصريين الستة المعتقلين لدى الكيان اليهودي، وتلقى الرئيس المصري حسني مبارك اتصالاً هاتفياً من شارون يبلغه فيه بشكره وبالإفراج عن الطلاب المصريين الستة. غير أن هذه الصفقة أثارت سخطاً وغضباً شعبياً في الشارع المصري، حيث شعر الناس أن هذه الصفقة غير عادلة وكان يمكن استثمارها بشكل أفضل.



عام ١٤٢٥هـ
٢٠٠٤/١٢/٧م

عملية "السهم الثاقب" الأمنيّة المعقّدة

وفي بيان لحركة حماس الجهادية في ٢٠٠٤/١٢/٧ صرحت فيه عن نجاح تنفيذ عملية "السهم الثاقب" ذكرت فيه: "لقد وجّهنا أحد أبناء كتائب القسام لاختراق صفوف المخابرات الصهيونية تحت مسمّى التعاون معها، و خطّطت قيادة كتائب القسام من خلال هذا الاختراق لتنفيذ عمليّة نوعية حيث حفر مجاهدونا نفقاً أرضياً، من خلال مزرعةٍ تبعد قليلاً عن السلك الفاصل بين مدينة غزة والأراضي المحتلة عام ٤٨م، حيث اعتادت القوات الصهيونية الخاصة ارتيادها، فقد تمّ نصبُ كمينٍ متقدّمٍ في المكان المحدّد بزراعة عددٍ من العبوات شديدة الانفجار، وتمّ تجهيز النفق بنحو طنٍ و نصف من المتفجّرات واستطعنا تضليل المخابرات الصهيونية من خلال إرسال رسالة لها بأن أحد قادة كتائب القسّام موجودٌ في المكان، وفور تقدّم القوات الصهيونية الخاصة إلى المكان المحدّد قام المجاهدان القسّاميان بتفجير العبوات ومن ثم تقدّما ليجهزا على من بقيَ من الصهاينة من الأحياء بما حملوا من عتاد.



عام ١٤٢٥هـ
٢٠٠٥/١/٩م

انتخاب محمود عباس (أبو مازن) خلفاً لعرفات

في ٢٠٠٥/١/٩م تم إجراء الانتخابات الفلسطينية والتي قاطعتها كل من حماس والجهاد الإسلامي ثم تم تمديد فترة الاقتراع لمدة ساعتين نظراً للعوائق الإسرائيلية، وفي ٢٠٠٥/١/١٠م تم الإعلان رسمياً عن فوز محمود عباس (أبو مازن) برئاسة السلطة الفلسطينية بنسبة ٦٢,٣٪.


أبو عباس يقترع في الانتخابات الرئاسية



وهكذا تستمر هذه الانتفاضة وهذا الصمود والاستبسال على مرأى من العالم كله، العربي والإسلامي، وتستمر الأحداث حتى يومنا هذا، لقد كانت قضية فلسطين هي شغل المسلمين الشاغل، ويجب أن تبقى هكذا، ولكي تبقى مشاعر الأمة متيقظة تساند انتفاضة الشعب الفلسطيني المجاهد، لا بد لنا من وقفات نبين فيها بعض الحقائق والأرقام:

٣ نتائج الانتفاضة الثانية

إحصاءات حول انتفاضة الأقصى

للفترة من ١٤٢١ - ١٤٢٥ هجري - ٢٠٠٠/٩/٢٩ وحتى ٢٠٠٤/١٠/٣١ م

البيانات من مركز المعلومات الوطني الفلسطيني

إجمالي الشهداء	٣٨٠٠ شهيداً
الشهداء من الأطفال أقل من سن ١٨ عاماً	٦٩٩ شهيداً
الشهداء جراء القصف الإسرائيلي	٧٣٢ شهيداً
الشهيدات من الإناث	٢٤٩ شهيدة
الشهداء في صفوف الأمن الوطني	٣٤٤ شهيداً
الشهداء خارج إطار القانون "الاغتيالات والتصفية الجسدية"	٣٠٣ شهيداً
الشهداء من المرضى جراء الإعاقة على الحواجز العسكرية	١٢١ شهيداً ما بين طفل وسيدة وشيخ مسن من مرضى القلب والكلى والسرطان
الشهداء جراء اعتداءات المستوطنين اليهود على المواطنين الفلسطينيين	٤٨ شهيداً
الشهداء من أفراد الطواقم الطبية والدفاع المدني	٣٦ شهيداً
الشهداء من الإعلاميين والصحفيين	٩ شهداء
شهداء الحركة الرياضية خلال انتفاضة الأقصى	٢٢٠ شهيداً رياضياً
إجمالي عدد الجرحى	٤٣٥٦٩ جريحاً
الأسرى والمعتقلون في سجون الاحتلال	٧٢٠٠ معتقلاً موزعين على ٢٥ سجنا
المعتقلون من طلبة المدارس	١٣٦٠ طالباً وطالبة
المعتقلون من المعلمين	١٩٦ معلماً
عدد الجرحى المعتقلين في سجون الاحتلال	٩٠٠ أسيراً
عدد المعتقلات	١٢٨ أسيرة
عدد الأشجار التي تم اقتلاعها	١٢٢٩٢١٠ شجرة
إجمالي مساحة الأراضي التي تم تجريفها	٧١٩١٤ دونماً
عدد المقرات الحكومية والمنشآت العامة	٥٩٠ مقرا ومنشأة عامة

إجمالي عدد المنازل التي تضررت بشكل كلي وجزئي	٦٩١٢٠ منزلاً
عدد المنازل التي تضررت بشكل كلي	٧١٤٩ منزلاً
عدد المنازل التي تضررت بشكل جزئي	٦١٩٧١ منزلاً
عدد المدارس والجامعات التي تم إغلاقها بأوامر عسكرية	١٢ مدرسة وجامعة
عدد المدارس التي تم تعطيل الدراسة فيها جراء العدوان الإسرائيلي	١١٢٥ مدرسة
عدد المدارس التي تعرضت للقصف	٣١٦ مدرسة
عدد المدارس التي حولت إلى ثكنات عسكرية	٤٣ مدرسة
عدد الطلاب الذين استشهدوا برصاص الجيش الإسرائيلي	٧٤٩ طالباً
عدد الطلبة والطالبات أقل من ١٨ عاماً الذين أصيبوا برصاص الاحتلال الإسرائيلي	٤٧٢١ طالباً
عدد المخازن الزراعية المهدمة من الاحتلال	٦٤٩ مخزناً
عدد مزارع الدواجن ومعداتها التي هدمت	٦٥٩ مزرعة
موت أغنام وماعز	١٤٢٤٣ رأس غنم وماعز
قتل أبقار وحيوانات مزرعة	١٢٠٥٥ بقرة
إتلاف خلايا نحل	١٤١٥٦ خلية نحل
هدم آبار كاملة بملحقاتها	٣٢٣ بئراً
هدم منازل مزارعين بالأثاث	٢٠٧ منزلاً
قتل طيور مزارع دواجن	١٢٠٩٩١٤ طيراً
تجريف شبكات ري "دونم"	٢٧٥٦٧ دونماً
هدم برك وخزانات مياه	١٢٣٤ بركة وخزان
تجريف خطوط مياه رئيسية بالمتر الطولي	٨٧٤٤٠٤ متراً
عدد المزارعين المتضررين	١٤٢٩٢ مزارعاً
عدد المشاتل المجرفة	٧ مشاتل
إتلاف جرارات ومعدات زراعية مختلفة	١٢ جرارات
تجريف أسوار وسياج مزارع بالمتر الطولي	٤٩٤١٠٣ متراً
عدد المنشآت الصناعية التي تم تدميرها بالكامل	٨٩٨١ (الورش، المحلات، والبسطات)
عدد العاطلين عن العمل	٢٨٧ ألف عامل
نسبة العاطلين عن العمل	٣٢,٣ ٪
الانتهاكات ضد الصحفيين	٧٠٨ حالة اعتداء

إفرازات انتفاضة الأقصى

- ازدياد الدعم الشعبي لقضية فلسطين وحرص الجماهير على عدم توجه الأموال إلى السلطة بل إلى الشعب الفلسطيني والمقاومة.
- بروز الخيار الجهادي والمقاومة الإسلامية بعد فقدان الأمل حتى لدى السلطة من الحل السلمي، وانضمام منظمة فتح إلى خيار المقاومة العسكرية.
- اشتداد العداء في فلسطين والعالم العربي والإسلامي ضد اليهود، واستيقاظ مشاعر الغضب على اليهود بعد أن خفتت في معظم البلدان.
- ظهور الإعلام العربي على مستوى عالمي من خلال الفضائيات والإنترنت، وتوجّه كثير من الإعلاميين لإبراز دور الإعلام العربي في مساندة القضية الفلسطينية.
- لأول مرة تطبق عملياً المقاطعة التجارية والاقتصادية الشعبية ضد أمريكا الداعمة لإسرائيل (مبيعات دجاج كنتاكي تنخفض بنسبة ٨٠٪ في السعودية ومبيعات بيبسي كولا تنخفض بنسبة ٤٦٪ في مصر) حتى اضطرت بعض الشركات (مثل ماكدونالدز) إلى التبرع للانتفاضة (ريال سعودي لكل وجبة لعلاج جرحى الانتفاضة) .
- مشاركة كافة التيارات الفلسطينية في الانتفاضة .
- شدة القمع الإسرائيلي وخاصة بعد العمليات الاستشهادية حتى استعملت الطائرات F18 .
- المصادمات العسكرية المباشرة بين السلطة وإسرائيل .
- مشاركة أبناء فلسطين ٤٨ في الانتفاضة والعمليات الاستشهادية .
- الانتفاضة تتطور لتأخذ الشكل العسكري والمواجهات المباشرة.

آثار انتفاضة الأقصى

- الهلع يعم الإسرائيليين في الباصات والمطاعم والأسواق وأماكن التجمعات .
- إعادة الهوية للصراع الحضاري بين المسلمين واليهود .
- كشف زيف وإفلاس عمليات السلام .
- تفريغ ٤٠٪ من المستوطنات من سكانها .
- انحسار السياحة إلى إسرائيل بشكل كبير وينخفض رواد المحلات التجارية والمطاعم والفنادق إلى ٣٠٪ وتسريح ٧٠ ألف عامل في القطاع السياحي .
- تعثر التجارة والخسائر تبلغ ١٦ مليون دولار يومياً وتقدر الخسائر الإجمالية الاقتصادية بأربعة مليار دولار .
- بدء الهجرة المضادة حيث غادر إسرائيل حوالي مليون يهودي .
- تعديل ميزان الخسائر البشرية لأول مرة ليصبح ٢ من اليهود لكل ٥ من الفلسطينيين.
- تألّق مصطلح الجهاد وتعلّق الأمة بالأمل من جديد .
- الانتفاضة ليست حرب تحرير ولكنها حرب استنزاف موجهة للصهاينة .



الباب الخامس

الانتفاضة والسلام

الفصل الخامس

رؤية في مستقبل فلسطين

١ نظرة تحليلية

لا يخفى على اي متأمل في الأحداث الجارية الآن، أن الصراع الرئيسي يدور حول القدس كعاصمة رئيسة للدولة، وذلك لكونها المكان المقدس عند المسلمين وعند النصارى وعند اليهود، فمنذ القدم وما تفتأ المحاولات للسيطرة على هذه المدينة التاريخية المقدسة العظيمة، وكلٌ يحاول فرض سيطرته وملكه عليها، وما تزال هذه المحاولات إلى قيام الساعة، واليهود اليوم أشد تمسكاً وحرصاً على بقاء هذه المدينة تحت سيطرتهم، وعدم تسليمها للعرب المسلمين أو لغيرهم، وإن علوهم في الأرض اليوم ليساعدهم على ذلك، ويمدهم بأحدث أساليب الهيمنة والعتو والتجبر على الشعب الفلسطيني الأسير.

لقد كانت القدس في عام ١٩٦٧ تبلغ ٦ كيلو متر مربع فقط وتوسعت إلى ٢٣ كيلو متر مربع في عام ١٩٩٠ ، والمخطط اليهودي يهدف إلى توسعة القدس لتكون مساحتها الكبرى ٨٤٠ كيلو متر مربع أي ما يساوي ١٥ ٪ من مساحة الضفة.

وبالرغم من محاولات السلام المتتالية لحل مشكلة القدس، إلا أن الرفض اليهودي كان دائماً ينهي هذه المحاولات بالفشل، فاليهود حقيقة يريدون القدس بكاملها عاصمة لهم، وليس الجزء الذي يسيطرون عليه ويسكنونه الآن، وهذا الأمر من ضمن مخططاتهم التي لا يتخلّون عنها أبداً، فلذلك من الوهم أن نصدّق أن اليهود يمكن لهم أن يدخلوا في عملية سلام تجبرهم على التنازل عن شيء من القدس للعرب أو لغيرهم.

لقد أنشأ اليهود حول القدس ١١ حياً سكنياً تطوّق القدس، يسكن فيها ١٩٠ ألف يهودي، وهم الآن ينشؤون طوقاً آخر أكبر منه يضم ١٧ مستعمرة ليعزلوا القدس عن محيطها العربي والإسلامي، وكل ذلك تهيئة لإخراج مخطط القدس الكبرى التي أشرنا إليها.

أما سكان القدس فقد وصل عددهم اليوم إلى ٦٥٠ ألف من بينهم ٤٥٠ ألف يهودي، بينما كانت القدس سابقاً كلها من العرب المسلمين، وتتوزع مساحتها اليوم على الشكل التالي:

- ٨٦ ٪ موزعة على اليهود القاطنين.
- ٤ ٪ يقطنها العرب المسلمون.
- ١٠ ٪ من مساحة القدس ملك الدولة اليهودية مخصصة للمشاريع اليهودية المستقبلية.



وإن أول مخطط نفذه اليهود في القدس في عام ١٩٦٧هو إزالتهم لحي المغاربة الملاصق للحائط الغربي للمسجد الأقصى، وهو حائط البراق الذي ربط النبي صلى الله عليه وسلم دابة البراق فيه يوم رحلته العظيمة في الإسراء والمعراج، ويسمي اليهود هذا الحائط بحائط المبكى، وهو من أعظم مقدساتهم التي يدعونها، فأزيل الحي بالكامل وتحول إلى ساحة عبادة.

وما زالت الحفريات مستمرة ومكشفة وبسرية، ويعلن عنها من حين إلى آخر للبحث عن أي دليل للهيكل تحت الأقصى، وخاصة من الجهة الغربية، ولكنهم لم يعثروا على أي شيء، مما يعزز الهوية العربية والإسلامية للأقصى.



لقد اعتدى اليهود على الأقصى الشريف مرات عديدة في محاولة منهم لإنهاء وجوده، فمنذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٩٠ بلغ عدد الاعتداءات على الأقصى ٤٠ حالة اعتداء، ومنذ بدأت عملية السلام بعد أوسلو منذ عام ١٩٩٣ وحتى عام ١٩٩٨ بلغ عدد حالات الاعتداء ٧٢ حالة.

في ١٩٨٠/١/٣٠ صدر القرار الشهير من مجلس الأمن بإعلان بطلان جميع الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتهويد القدس، وصدر القرار بموافقة ١٤ عضواً من الأعضاء، وامتنعت فقط أمريكا عن التصويت، ومع أن هذا القرار سبقته عدة قرارات مماثلة إلا أن شيئاً منها لم ينفذ، ولم تلتزم إسرائيل بأي منها، بينما طبقت معظم قرارات مجلس الأمن على باقي الدول العربية بحرفية وبدقة شديدة.

٢ خاتمة في رؤية مستقبل اليهود

حديث القرآن عن خاتمتهم	لقد حدد القرآن الكريم في كثير من الآيات مستقبل اليهود، وبين الله تعالى سنته فيهم إلى قيام الساعة، ومنها تشريدهم في الأرض في كل زمان، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ الأعراف (١٦٨).

الذل الدائم	وجعلهم دائماً أذلاء مهانين حيث قال عز وجل: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ الأعراف (١١٢).



العذاب الدائم	والله عز وجل تعهد في القرآن الكريم أن يعذبهم في كل العصور ويبعث عليهم من يتسلط عليهم ويذيقهم ألوان الذل والعذاب حيث قال عزّ من قائل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الأعراف (١٦٧).

العلو مرتين والهزيمة الأخيرة	وفي سورة الإسراء يقول الله عز وجل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۞ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۞ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۞ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ الإسراء (٤-٧).

رأيي في تفسير الآيات

وقد قرأت كثيراً في كتب التفسير التي تبحث في معنى هذه الآيات، ولكني لم أقع منها على ما يقنع المرء، وخصوصاً أنها لا تنسجم مع التسلسل التاريخي لليهود، فمعظم المفسرين يعتبر أن علو بني إسرائيل في الأرض قد حصل مرة ولم يحصل المرة الأخرى، ويعتبر أن المرة الأولى هي علوّهم في زمن الملك البابلي "نبوخذ نصر"، ولكن ذلك مخالف للسياق القرآني والسياق التاريخي، وفي اعتقادي الشخصي أن كلا المرتين من علوّ بني إسرائيل لم يحدثا حتى وقتنا الحالي، وذلك لعدة أسباب نبينها في التالي:

ليس "نبوخذ نصر"

١- الملك البابلي "نبوخذ نصر" لم يكن من عباد الله، فقد كان كافراً، والله سبحانه وتعالى يقول في الآية: (بعثنا عليكم عباداً لنا)، ويقول بعدها مباشرة عز وجل: (ثم رددنا لكم الكرة عليهم فإذا جاء وعد الآخرة)، وهذا يدل بوضوح على أن الذين يغلبون اليهود في المرة الأولى هم أنفسهم الذين سيدخلون عليهم المسجد مرة ثانية (ثم رددنا لكم الكرة عليهم)، و"نبوخذ نصر" لم يدخل المسجد مرة ثانية، فلا يمكن تفسير المرة الأولى به.

وليس عمر بن الخطاب

٢- فسّر بعض الناس الدخول الأول بأنه دخول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وهذا منافٍ تماماً للصواب، فإن الخليفة العادل عندما دخل القدس لم يكن فيها يهود، وإنما دخل رضي الله عنه على النصارى.

هذا هو علوّهم الأول

٣- لكنني أرى - والله تعالى أعلم - أن المرة الأولى هي التي نعيشها اليوم، وهي العلوّ الأول، وسيأتي على دولة اليهود هذه عباد لله يخرجونهم من فلسطين، غير أن اليهود سيتجمعون وينصرهم العالم ويمدهم بالأموال وينصرهم اليهود المنتشرين في باقي العالم فيكونون أكثر نفيراً بالنصرة العالمية لهم فينتصرون علينا، يقول الله عز وجل: (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً)، وبعدها يأتي وعد الآخرة، أي المرة الثانية، والتي سنتغلب فيها نهائياً على اليهود ونخرجهم إلى غير رجعة من أرض المقدس، يقول الله عز وجل (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً)، أي ما بناه اليهود سيدمر تدميراً. والله سبحانه أعلم.

استمرار اليهود بعد ذلك

٤- ولن يقضى على اليهود نهائياً في الأرض ولكنهم سيشردون فيها مصداقاً لقوله تعالى: (عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا)، وهذا تهديد ووعيد من الله تعالى إن عادوا لإفسادهم في الأرض فإن الله سيعود عليهم بالعذاب والتشريد. والله عز وجل أعلم.

خروجهم مع الدجال

٥- وهناك أدلة كثيرة تدل على بقاء اليهود في الأرض منها حديث الدجال والذي ينص على أنه عندما يخرج الدجال يتبعه ٧٠ ألفاً من يهود أصفهان.



نهر الأردن والمنطقة التي عاش فيها المسيح عليه السلام

المعركة الفاصلة مع اليهود

٦- جاء في أحاديث أخرى إشارة إلى معركة فاصلة تقوم مع اليهود منها الحديث المشهور الذي يرويه الشيخان: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقاتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»، وجاء في إحدى روايات الحديث:«تقاتلون اليهود أنتم شرقي النهر وهم غربيه»، فقال أحد الصحابة في حديث صحيح: أي نهر يا رسول الله، قال: «نهر الأردن»، يقول الصحابي: والله ما كنت أعرف أن في الأرض نهراً يسمى الأردن. فإذاً المعركة الحاسمة ستكون بالحدود الحالية، هم غربي نهر الأردن ونحن شرقيه، وأرى أن هذه المعركة ستحدث بعد العلو الثاني لليهود، (والعلم عند الله سبحانه وتعالى).

خلاصة التفسير

وعلى ذلك فإني أرى أن هذا الذي نعيشه اليوم هو العلو الأول لبني إسرائيل، ثم تقوم دولة المسلمين الملتزمين بطردهم من القدس، وليس بالضرورة كل فلسطين، فيأتيهم الدعم العالمي من بني إسرائيل في العالم، ومن الدول العظمى ، فيكونون جيشاً أقوى من الجيش الإسلامي، ويعيدون احتلال القدس، ولكن المؤمنين يتجمعون مرة أخرى ويهزمونهم الهزيمة النهائية، والتي تخرجهم من القدس وفلسطين، ويظل الأمر كذلك إلى حين خروج المسيح الدجال الذي يؤيده اليهود آنذاك فيسيطر على الأرض ومنها فلسطين، وتكون نهايته على يد المسيح عليه السلام في مدينة اللد في فلسطين قبيل قيام الساعة، والله أعلم.

٢ أقوال مشهورة في قضية القدس وفلسطين

نقول وننادي كل مسلم في العالم بأن القدس والأقصى في خطر، اللهم قد بلغنا.. اللهم فاشهد.

خطيب المسجد الأقصى المبارك.

ما دامت القدس في خطر فلن ننام.. وما دام الأقصى في خطر فلن ننام.. وكيف ينام من هو على موعد مع العيد السعيد.. مع الحق التليد.. مع الوعد الأكيد؟..

رائد صلاح / رئيس الحركة الإسلامية داخل أرض ٤٨



القدس وفلسطين أرض الإسراء والمعراج الأرض التي بذل فيها المسلمون دماءهم وتضحياتهم وملايين الشهداء منذ فجر الإسلام، هي أرض عزيزة على كل مسلم، وإن وعد الله محقق بتحرير فلسطين لا محالة.

الشيخ عبد الله العلي المطوع

رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي الكويتية



فداك أبي وأمي يا مسرى رسول الله صلى الله عليه - وسلم، ما أعز مكانتك في نفوسنا يا أيها المسجد الأسير، وما أعظم حرمتك، ما أشد شوقي للصلاة فيك وأنت حر طليق !.

الداعية / زينب الغزالي



إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في نصرة دينك، ولم يبق إلا الإخلاد إليك والاعتصام بحبلك والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل.

صلاح الدين الأيوبي

عندما سمعت خبر العملية الاستشهادية ، وعلمت ما أحدثت من خسائر بشرية فادحة في صفوف الاحتلال ، وتيقنت أن ابني هو الذي قام بهذا العمل العظيم . . . سجدت لله شكراً أن أكرمني بهذا الشرف العظيم ووفق ابني في عمليته الجريئة .

الحاج "فتحي فرحات" والد منفذ العملية الجهادية "محمد" (١٧ عاماً)

إذا كنتُ قد فقدتُ ابنيَّ ، ولم أعد أضمهما إلى صدري ، فعزائي أن أرض فلسطين تضمهما ، وهي أرض مقدسة مباركة ، وأم للجميع .

سيدة فلسطينية فقدت اثنين من أبنائها

ويستمر النضال..

الدكتور عبد الرحمن العشماوي يرثي القدس في قصيدته المشهورة (يا قدس)

يا قدس



ما كلُّ مَنْ نطقوا الحروفَ أبانوا	فلقد يذوبُ بما يقولُ لسانُ
لغةُ الوفاءِ شريفةٌ كلماتُها	فيها عن الحبِّ الأصيلِ بيانُ
يسمو بها صدقُ الشعورِ إلى الذُّرا	ويزفُّ عطرَ حروفِها الوجدانُ
لغةٌ ترقرقَ في النفوسِ جمالُها	وتألّقتْ بجلالِها الأذهانُ
والقدسُ أرملةٌ يلفّعها الأسى	وتُميت بهجةَ قلبِها الأحزانُ
شلّالُ أدمُعِها على دفقاته	ثار البخار فغامت الأجفانُ
حسناءُ صبّحها العدوُّ بمدفعٍ	تهوي على طلقاته الأركانُ
أدمى محاجرها الرّصاص ولم تزلْ	شمّاءَ ضاق بصبرِها العُدوانُ
ألقى إليها السّامريُّ بعجله	وبذاتِ أنواطٍ زها الشّيطانُ
نسي المكابرُ أنَّ عِجلَ ضلاله	سيذوب حين تمسُّه النيرانُ
حسناءُ، داهمها الشّتاءُ، ودارُها	مهدومةٌ، ورضيعُها عُريانُ
وضجيجُ غاراتِ العدوِّ يزيدها	فزعاً تضاعف عنده الخفقانُ
بالأمسِ ودّعها ابنُها وحليلُها	وابنُ أختها وصديقُه حسّانُ
واليوم صبّحتِ المدافعُ حيّها	بلهيبها، فتفرّقَ الجيرانُ
باتت بلا زوجٍ ولا ابنٍ ولا	جارٍ يصون جوارَها ويُصانُ

يا قـدسُ يا حـسناءُ طال فـراقُنا
من أين نأتي، والحـواجـزُ بيننا؛
من أين نأتي، والعـدوُّ بخـيله
ويدُ العُـروبة رَجْـفَـةٌ ممدودةٌ
ودُعـاةُ كلِّ تقـدُّمٍ قـد أصبـحـوا
مـتـحـدِّثون يُثـرثِرون أشـدُّهم
رفـعـوا شـعـارَ تقـدُّمٍ، ودليلُهم
ومن التـقـدُّمِ مـا يكون تخلُّفـاً
يا قـدس، وانتـفض الخليلُ وغـزَّةٌ
وتلفَّت الأقـصى، وفي نظراته
يا قُـدس، وانبـهـر النِّداءُ ولم يزلْ
يا قـدس، وانكسـرتْ على أهدابها
يا قُـدسُ، وانحسـر اللِّثام فـلاحَ لي
ورأيتُ طوفـانَ الأسى يجتـاحُـهـا
مُدُّوا يدَ البَذْلِ الصحيحةَ وادعموا
شَـعْبٌ، فلسطينُ العـزيزةُ أنبـتتْ
شَـعْبٌ إذا ذُكِـر الفـداءُ بَدا له
شعبٌ إذا اشـتـدَّتْ عليه مُصيبةٌ
لا تُخـرجـوهم من مَكامنِ أرضـهم
هي حكمـةٌ بدويَّة مـا أدركتْ
يا قُـدسُ لا تأسَي فـفي أجـفـاننا
مَنْ يخـدم الحـرمين يأنَفُ أنْ يرى
يا قُـدسُ صبـراً فـانتـصارك قـادمٌ
حـجَـرُ الصـغيـر رسالةٌ نُقِلَتْ على
ياقـدس، وانبـثق الضيـاء وغـرَّدتْ
يا قـدس، والتـفـتتْ إليَّ وأقـسـمتْ
واللهِ لن يجـتـازَ بي بحـرَ الأسى

وتلاعـبتْ بقلوبنا الأشـجـانُ
ضَـعْفٌ وفُـرْقَـةُ أُمَّـةٍ وهَوانُ؟
وبرَجْلِه، مـتـحـفِّـزٌ يَقْظانُ؟
للمـعـتـدي وإشـارةٌ وبَنانُ؟
مـتـأخـرين، ثيـابُهم أدْرانُ
وعـيـاً صـريعٌ للهـوى حَـيْـرانُ
لينينُ أو مـيـشـيلُ أو كـاهانُ
لمَّا يكون شـعـارَه العـصـيـانُ
والضِّـفـتـان وتاقت الجـولانُ
ألمٌ وفي سـاحـاته غَلَيـانُ
للجـرح فـيـهـا جَـذْوةٌ ودُخـانُ
نَظَراتُهـا وتراخت الأجـفـانُ
قـمـرٌ يدنِّس وجـهَـه استيطانُ
ولقـد يكون من الأسى الطوفـانُ
شـعبَ الإباءِ فـإنهم فُـرسـانُ
فـيـه الإباءَ فلم يُصِبْـه هوانُ
عَـزْمٌ ورأيٌ ثاقبٌ وسنـانُ
فـالخـاسـرانِ اليـأسُ والخِـذلانُ
فـخـروجُـهم من أرضـهم خُـسـرانُ
أبعـادَها في حـينهـا الأذهانُ
ظلُّ الحـبـيبِ، وفي القلوبِ جِنانُ
أقـصـاكِ في صَلَفِ اليـهـودِ يُهانُ
واللِّصُ يا بَلَدَ الفـداءِ جَـبـانُ
ثغـرِ الشُّـمـوخِ فـأصـغت الأكـوانُ
أطيـارُهـا وتأنَّق البـسـتـانُ
وبـربِّنـا لا تحـنَثُ الأيمـانُ
إلاَّ قـلوبٌ زادُهـا القـرآنُ

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ
الفكر اليهودي بين تاجيج الصراعات وتدمير الحضارات	د. عبد الحليم عويس	٢٠٠٣
انتفاضة الأقصى نموذج حضاري إسلامي للمقاومة	د. سليمان صالح	٢٠٠٣
تحرير فلسطين: الثوابت - المتغيرات- الواجبات	د. السيد عبد الستار المليجي	٢٠٠٣
نقض شريعة الهيكل وكيف تعود فلسطين	عبد التواب مصطفى	٢٠٠٣
مأساتنا والحل (عوده ودعوه)	د. مهدي بن علي القاضي	٢٠٠٢
ملحمة جنين	عبد القادر ياسين	٢٠٠٢
القدس وانتفاضة الأقصى وحرب العولمة	د. أحمد صدقي الدجاني	٢٠٠٢
القضية الفلسطينية خلفياتها وتطوراتها حتى سنة ٢٠٠١	د. محسن محمد صالح	٢٠٠٢
القدس قضية كل مسلم	أ.د يوسف القرضاوي	٢٠٠٢
من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية	د. عبد الوهاب المسيري	٢٠٠٢
الأقصى في مواجهة أفيال أبرهة	د. حلمي محمد القاعود	٢٠٠٢
رؤية استراتيجية في القضية الفلسطينية	أ.د / ناصر بن سليمان العمر	٢٠٠٢
القدس والتحدي الحضاري	مصطفى محمد الطحان	٢٠٠١
حرب تكنولوجية لقمع الانتفاضة	د. وجدي عبد الفتاح سواحل	٢٠٠١
القدس قضية أمة	د. جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين	٢٠٠١
أدبيات الأقصى والدم الفلسطيني	د. جابر قميحة	٢٠٠١
القدس بين الانتفاض والتفاوض	د. محمد خالد الأزعر	٢٠٠١
انتفاضة الانترنت من الجهاد المسلح إلى الجهاد الإلكتروني	د. وجدي عبد الفتاح سواحل	٢٠٠١
الخطر يتهدد بيت المقدس	د. أحمد صدقي الدجاني	٢٠٠١
أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي	د. محمد جلاء إدريس	٢٠٠١
مدن فلسطينية آثار تحدى الأساطير	فيصل الخيري	٢٠٠١
فلسطين بلادنا الحبيبة	د. محمد سليمان صالح	٢٠٠١
بنو إسرائيل لم يدخلوا فلسطين - قراءة جديدة في القرآن الكريم والتوراة	الحاج زكي علي الغول	٢٠٠١
القدس: العدد ٢٥		٢٠٠١
الطريق إلى القدس	د. محسن محمد صالح	٢٠٠٠
جهادنا في فلسطين	د. مصطفى السباعي	٢٠٠٠
في الذاكرة الإنسانية المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني ١٩٤٨-٢٠٠٠	جواد الحمد	٢٠٠٠
لا للتطبيع	د. عبد الله النفيسي	٢٠٠٠
المعرفة : العدد ٦٦		٢٠٠٠
هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس	د. ماجد عرسان الكيلاني	١٩٩٨
تاريخ القدس العربية	معين حسيب فرج الله	١٩٩٧
صلاح الدين الأيوبي سقوط القدس وتحريرها	إعداد وليد نويهض	١٩٩٧
المهندس الشهيد يحيى عياش	غسان دوعر	١٩٩٧
الشرق الأوسط في ظل النظام الدولي الجديد ١٩٨١ حتى ١٩٩٥	ج ٤/ سفير د. حسين شريف	١٩٩٦
الحرب والسلام ١٩٧٠-١٩٨١	ج ٣/ سفير د. حسين شريف	١٩٩٦

اسم الكتاب	المؤلف	التاريخ
حقيقة القدس التي يدعون	محمد تيسير التميمي	١٩٩٦
الخرافات المؤسسة للسياسة الإسرائيلية	روجيه غارودي/ نقله للعربية م ع كيلاني	١٩٩٦
الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل	إبراهيم العلي	١٩٩٦
موسى أبو مرزوق - الرجل والحركة والقضية	د. أحمد يوسف	١٩٩٥
القدس عربية إسلامية	د. سيد فرج راشد	١٩٩٥
المدخل إلى القضية الفلسطينية	تأليف مجموعة من المؤلفين ، تحرير جواد الحمد	١٩٩٥
من العهد القديم إلى قيام دولة إسرائيل ٩٠٠ ق.م - ١٩٤٨	ج ١/ سفير د. حسين شريف	١٩٩٥
نكبة فلسطين عام ١٩٤٧-١٩٤٨ مؤامرات وتضحيات	حسني أدهم جرار	١٩٩٥
الإسلاميون في فلسطين: قراءات - مواقف - وقضايا أخرى	خالد الحروب	١٩٩٤
معالم قرآنية في الصراع مع اليهود	د. مصطفى مسلم محم	١٩٩٤
فلسطين والوعد الحق	مجموعة من المؤلفين	١٩٩٤
الدعاية الصهيونية أو الطرق الخفية لتنفيذ القرار الصهيوني	ممدوح الزوبي	١٩٩٢
دمعة في عين القدس (شعر)	صبحي ياسين	١٩٩١
حركة المقاومة الإسلامية - حماس- حدث عابر أم بديل دائم	أحمد بن يوسف	١٩٩٠
البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني	د. يوسف الحسن	١٩٩٠
نهاية اليهود	أبي الفداء محمد عزت محمد عارف	١٩٩٠
تاريخ الحملة إلى القدس	ترجمة د. زياد العسلي - فوشيه الشارتري	١٩٩٠
الحركة الإسلامية في الضفة وقطاع غزة الإخوان المسلمون - الجهاد الإسلامي	د. زياد أبو عمرو	١٩٨٩
القدس تحت الحكم الصليبي ودور صلاح الدين في تحريرها ١٠٩٩-١٢٤٤م (٤٩٢-٦٤٢هـ)	د. شفيق جاسر أحمد محمود	١٩٨٩
القضية الفلسطينية بين ميثاقين ، الميثاق الوطني الفلسطيني وميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس)	أنس عبد الرحمن	١٩٨٩
أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ - الطريق إلى بيت المقدس "القضية الفلسطينية (ج)	د. جمال عبد الهادي محمد مسعود	١٩٨٨
أمل و المخيمات الفلسطينية	عبد الله محمد الغريب	١٩٨٨
فلسطين والقدس في التاريخ	إعداد وكالة الأنباء الكويتية- كونا - إدارة المعلومات والبحوث	١٩٨٧
النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية	فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي	١٩٨٧
الصحافة الفلسطينية في الوطن المحتل	إعداد أحمد بن يوسف	١٩٨٧
أيبقى السيف الحكم	موشي ديان	١٩٨٧
فلسطين والمواقف العربية والدولية	إبراهيم المسلم	١٩٨٥
مخطوطات فضائل بيت المقدس - دراسة بيبلوغرافيا	د. كامل جميل العسلي	١٩٨٤
رؤية إسلامية في الصراع العربي الإسرائيلي - الجزء الأول	محمد بن عبد الغني النواوي	١٩٨٣
القدس تاريخياً وجغرافياً	د. فاروق محمد عز الدين	١٩٨١
اتفاق كامب ديفيد وأخطاره	عرض وثائقي	١٩٧٨

اسم الكتـــــــاب	المـــؤلـــف	التاريخ
يهود الدونمه	محمد علي قطب	١٩٧٨
يهود الدونمة: كتبه بالتركية مصطفى طوران	ترجمة كمال خوجة	١٩٧٧
بلادنا فلسطين - الجزء العاشر - القسم الثاني - في بيت المقدس (٢)	مصطفى مراد الدباغ	١٩٧٦
بلادنا فلسطين - ج التاسع - القسم الثاني- في بيت المقدس (١)	مصطفى مراد الدباغ	١٩٧٥
الحروب التوسعية الصهيونية ٤٨/٥٦/٦٧/١٩٦٩	ج ٢/ سفير د. حسين شريف	
اليهود والحركة الصهيونية في مصر ١٨٩٧-١٩٤٧	أحمد محمد غنيم/أحمد أبو كف	
الإصلاح والتعديل فيما طرأ على اسم اليهود والنصارى من تبديل	الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود	
القضية الفلسطينية خلفياتها وتطوراتها حتى سنة ٢٠٠٠	د. محسن محمد صالح	
المسجد الأقصى أولى القبلتين ومسرى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم	الندوة العالمية للشباب والرياضة	
شُهود يهود	د. محمد حرب	
أقصى الاستيطان تبتلع ما تبقى من أرض الإسراء	الندوة العالمية للشباب الإسلامي	
الخليل مدينة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام	الندوة العالمية للشباب الإسلامي	
الأرض المباركة (فلسطين) أرض الأنبياء وموطن العلماء ومثوى الشهداء	الندوة العالمية للشباب الإسلامي	
المدينة والقدس	الندوة العالمية للشباب الإسلامي	
اليهود أعداء الله وقتلة الأنبياء	الندوة العالمية للشباب الإسلامي	
اليهود قتلة الأنبياء وأعداء البشرية	إعداد يوسف عبد الرحمن	
القدس الشريف مدينة الإسراء والمعراج	الندوة العالمية للشباب الإسلامي	
نداء من الأقصى ومدينة القدس	الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية	
The Illustrated Atlas of Jewish Civilization	Josephine Bacon	2003
The Israeli-Palestinian Conflict	Stephen Jukes	2003
The Holy Bible	Gianni Guadalupi	2003
Companion to the Bible	J. R. Porter	2003
History of the Crusades	Jonathan Riley-Smith	2003
A History Atlas of the Jewish People	Eli Barnavi	2003
The History of the Middle East Wars	John Westwood	2002
Timelines World History	John B Teeple	2002
The Shengold Jewish Encyclopedia	Mordecai Schreiber	2001
Splendors Of The Lost Civilisations	Fabio Bourbon	2001
Islam - Eyewitness Guides	Philip Wilkinson	2002
Chroniques De l'histoire (NASSER)	-	1998
Chroniques De l'histoire (LAWRENCE D'ARABIE)	-	1997
History Encyclopedia	The Red House	1995
The Illustrated Family Bible	Dr. Claude-Bernard Costecalde -	-
	Peter Dennis	-
Life Holy Land - One Place Three Faiths	Robert Sullivan	-

تسلسل الأحداث

١٢٥٠ قبل الميلاد	بنو إسرائيل يبدؤون بدخول أراضي الكنعانيين
١٦٥ قبل الميلاد	إعادة بناء الهيكل الثاني يعلن قيام آخر دولة يهودية مستقلة في الزمن القديم
٦٣ قبل الميلاد	الروم يحتلون القدس ويضمون فلسطين
١٣٢ ميلادي	محاولة تمرد يهودية. تدمير القدس والشعب اليهودي
٦٣٨ ميلادي	المسلمون يفتحون القدس وسائر فلسطين
١٠٩٩	الحملة الصليبية تحتل القدس، ذبح المسلمين واليهود
١١٨٧	صلاح الدين الأيوبي يحرر القدس وفلسطين
١٥١٦	فلسطين تدخل تحت حكم الخلافة العثمانية
١٨٨٢	الهجرة الصهيونية الأولى لفلسطين
١٨٩٧	المؤتمر الصهيوني الأول يقرر إنشاء وطن لليهود في فلسطين
١٩١٧	وعد بلفور يلتزم بـ "وطن قومي للشعب اليهودي"
١٩٢٠	الانتداب البريطاني على فلسطين
١٩٢٩	قام العرب بتنظيم العديد من الثورات ضد الاحتلال والمستوطنات اليهودية
١٩٤٥	العنف يتزايد، الإرهابيين الصهاينة ينسفون مقر القيادة البريطانية في فندق الملك داود، ويغتالون وسيط الأمم المتحدة، ويتظاهر البريطانيين بمنع الهجرة اليهودية غير الشرعية، والهجمات المتبادلة بين العرب واليهود تزداد عنفاً.
١٩٤٧	توافق الأمم المتحدة على مشروع قرار بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، ويرفض العرب القرار
١٩٤٨	إعلان قيام كيان العدو (الفلسطينيون يسمونها النكبة). تدخل جيوش خمس دول عربية - الأردن ومصر وسوريا ولبنان والعراق - لإنقاذ فلسطين، وتهزم في النهاية
١٩٤٩	يربح الصهاينة الغاصبين الحرب والأرض. ويطرد أو يهجر مئات الآلاف من الفلسطينيين.
١٩٥٦	العدوان الثلاثي: الجيش الصهيوني يحتل سيناء ولكنه ينسحب منها بضغط من الولايات المتحدة.
١٩٦٤	تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية
١٩٦٧	ينتصر الكيان الصهيوني في حرب حزيران. يصدر مجلس الأمن القرار رقم ٢٤٢.
١٩٦٨	تقوم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بأول عملية خطف طائرة.
١٩٦٩	انتخاب ياسر عرفات رئيساً للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.
١٩٧٠	حرب الاستنزاف بين مصر والكيان الصهيوني. آلاف القتلى في المعارك التي شنها الجيش الأردني على الفدائيين الفلسطينيين.
١٩٧١	تغتال منظمة أيلول الأسود (على اسم أحداث العام الماضي) وصفي التل رئيس الوزراء الأردني.

١٩٧٢	أولمبياد ميونخ: مقتل ١١ رياضي صهيوني في عملية عسكرية فلسطينية استهدفت أخذهم رهائن ومبادلتهم بأسرى فلسطينيين في سجون الاحتلال.
١٩٧٣	حرب أكتوبر. مصر وسوريا تهاجمان الكيان الصهيوني، لكنهم يصدون بعد تحقيقهم نجاحات أولية. السعودية تقود حظر النفط.
١٩٧٤	أول ظهور لعرفات في الأمم المتحدة "غصن الزيتون في يد، والمسدس في اليد الأخرى".
١٩٧٥	الحرب الأهلية في لبنان، مجازر متبادلة بين المسلمين والمسيحيين. ويصبح جنوب لبنان أرض معارك بين منظمة التحرير الفلسطينية والكيان الصهيوني. القوات السورية تدخل لبنان.
١٩٧٦	غارة للكوماندوس الصهيوني على مطار عنتيبي في أوغندا تسفر عن إطلاق سراح رهائن طائرة صهيونية اختطفتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
١٩٧٧	الرئيس المصري أنور السادات يقوم بزيارة مفاجئة للقدس. اتفاقيات كامب ديفيد. توقيع اتفاقية السلام بين مصر والكيان الصهيوني في البيت الأبيض.
١٩٨١	اغتيال السادات.
١٩٨٢	الكيان الصهيوني يغزو لبنان، ويحتل بيروت. وتجبر منظمة التحرير على الخروج إلى تونس وغيرها من الدول العربية.
١٩٨٧	الانتفاضة الأولى
١٩٩١	حرب الخليج الثانية. مؤتمر السلام في مدريد.
١٩٩٣	توقيع اتفاقية أوسلو بالمصافحة التاريخية بين إسحق رابين وياسر عرفات في البيت الأبيض وخلفهم الرئيس الأمريكي بيل كلنتون.
١٩٩٤	ولادة السلطة الفلسطينية. يحصل كل من رابين وعرفات وبيريز على جائزة نوبل للسلام.
١٩٩٥	اغتيال رابين على يد إرهابي يهودي متطرف.
١٩٩٦	انتخاب ياسر عرفات رئيساً للسلطة الفلسطينية. حماس تبدأ عملياتها الاستشهادية.
١٩٩٨	عرفات ونتنياهو يوقعان اتفاقية واي ريفر.
١٩٩٩	سقوط نتنياهو. رئيس الوزراء الصهيوني الجديد إيهود باراك يوقع اتفاقية واي ريفر الثانية.
٢٠٠٠	انسحاب الاحتلال الصهيوني من جنوب لبنان دون قيد أو شرط أو مفاوضات. أرييل شارون -الإرهابي اليميني من حزب ليكود- يتجول في ساحة المسجد الأقصى، الاحتجاجات الفلسطينية تتصاعد لتبدأ الانتفاضة الثانية، انتفاضة الأقصى. باراك يسقط بفعل الانتفاضة.
٢٠٠١	شارون ينتخب رئيساً لوزراء العدو. حكومة الاحتلال ترد على العمليات الاستشهادية والفدائية بقصف المدن الفلسطينية واقتحامها وسط جهود أمريكية لتهدئة الوضع.
٢٠٠٢	أصبح بإمكان عرفات مغادرة مقره في رام الله بعد حصار استمر شهراً كاملاً.
٢٠٠٣	احتلال الولايات المتحدة للعراق والقبض على صدام حسين.

خـــــاتمـة

تاريخ حافل بالأحداث وما زال يكتب من جهة بالدماء المجاهدة والمعاناة المستمرة، ومن جهة بالقمع والظلم والطغيان، ومن جهة ثالثة بالتآمر والخيانة والخور والاستسلام. ونحن اليوم في فترة نادرة من التاريخ حيث نشهد فيها كتابة وصنع التاريخ.

يمكننا أن نستمتع بقراءة القصة والتفاعل معها حزناً عند أحداث الألم والهزيمة والضعف، أو تتحرك المشاعر فرحاً عند لحظات العزّ والصمود والمجد، ولكن هل لنا مساهمة في كتابة صفحات من هذا التاريخ؟! أم سنبقى نتفرج ونتأمل ونتفاعل ولا نحرك ساكناً؟!

إن أقل ما يمكن فعله هو:

- غرس معاني العز والمجد والأمل في نفوس الجيل القادم.
- رفض مخططات الاستسلام لنسلم الراية للشباب الصامد.
- دعم الجهاد بالنفس والمال والرأي والإعلام والتشجيع والتثبيت والدعاء.
- إبراز الرموز الصامدة والتخلي عن الجبناء والضعفاء.
- بذل الجهد لدعم قضية فلسطين في مجالات السياسة والاقتصاد والعمل الاجتماعي والخيري والعلمي والتربوي وغيرها.
- دعم الشعب الفلسطيني ليبقى صامداً ولا يغادر فلسطين.
- دعم جهود توحيد أو تقارب العمل الفلسطيني الجاد.
- الاستمرار في سياسة عدم نقل المعركة إلى خارج فلسطين.
- إبقاء القضية حية على المستوى العربي والإسلامي والعالمي وعدم حصرها في الفلسطينيين.
- رد الصاع صاعين أمام كل تغطرس أو قمع صهيوني.
- دعم أسر الشهداء والأسرى والمعتقلين.
- إبقاء جذوة الجهاد مشتعلة وعدم التخلي عنها، وغرس حب الجهاد والشهادة في نفوس الأطفال والشباب.

وأسأل الله عز وجل أن يأتي كتابي هذا مساهماً في هذه الأهداف ونشر الوعي لنتعلم من دروس الماضي كيف نعيد فلسطين في المستقبل قريباً إن شاء الله تعالى.

د. طارق السويدان

الكويت في ١٥ محرم ١٤٢٥ هـ

الموافق ٦ مارس ٢٠٠٤م